المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية أصول الدين
قسم القرآن وعلومه

الخشية والرجاء في القرآن الكريم

« دراســة موضوعيــة »

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في قسم القرآن وعلومه

إعداد الطالب:
عبد الله بن عبد العزيز بن صالح الدغيثر

إشراف:
فضيلة الشيخ الدكتور/ أحمد سلامة أبو الفتوح .
الأستاذ المساعد بقسم القرآن وعلومه

العام الجامعي : ١٤٣٠هـ / ١٤٣١هـ .

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اقتفى أثرهم إلى يوم الدين.

وبعد:

فإن خير ما أفنيت فيه الأعمار وشغلت به الأوقات، التدبر والتأمل في كتاب الله عز وجل مع العمل بمقتضى ذلك، بل هو أحد الحكم العظمى في إنزاله على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، كما قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[ص:٢٩]، فليس أنفع للعبد في معاشه ومعاده وأقرب إلى نجاته؛ من تدبر القرآن العظيم وإطالة التأمل فيه، والتفكر في أسراره ومعانيه، فتح الله عز وجل به قُلوباً غُلفاً ، وأعيناً عمياً، وآذاناً صماً، وحذر من الإعراض عنه فقال: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾[طه:١٢٤]، هو آخر الكتب السماوية عهداً برب العالمين، فكل الشر في الإعراض عنه، وكل الخير في الإقبال عليه، فطوبى لمن كان له حجة، وويل ثم ويل لمن كان عليه حجة، فهو البلسم الشافي من أمراض القلوب والأبدان، وفيه المخرج والنجاة من الفتن والمعضلات.

أخرج عبد الرزاق في مصنفه عن الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: (إن هذا القرآن مأدبة الله تعالى فتعلموا من مأدبته ما استطعتم، إن هذا القرآن حبل الله عز وجل، وهو النور المبين، والشفاء النافع، عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن تبعه، لا يعوج فيقوم، ولا يزيغ فيستعتب، ولا تنقضي عجائبه، ولا يخلق عن كثرة الرد، فاتلوه، فإن الله يأجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات..) [1].

---

(١) مصنف عبد الرزاق الصنعاني ٦٠١٧/٣ ، وأخرجه القاسم بن سلام في فضائل القرآن ٨/١ ، وسعيد ابن منصور في سننه ٤٣/١ ، وابن أبي شيبة في مصنفه ١٢٥/٦.

ومن هنا أولى العلماء رحمهم الله قديماً وحديثاً العناية والاهتمام بكتاب الله تدبراً وتفكراً، وتذكراً وعملاً، فاجتهدوا في التأليف والتصنيف للكشف عن أسراره ومعانيه.

ولما كانت أعمال القلوب هي أصل الدين القويم، وأساسه المتين، وتفاوت الخلْق عند الله تعالى إنما يكون بما وقر في القلوب، وصدقته أعمال الجوارح؛ كانت الخشية والرجاء من أعظم تلك الأعمال القلبية وأشرفهما مكانة، لما لهما من الآثار العظيمة الطيبة على الفرد والمجتمع، فعبودية القلب أعظم وأفضل من عبودية الجوارح، لأن القلوب هي محل نظر الرب جل جلاله، والأعمال شاهدة إما لها أو عليها، أخرج مسلم في صحيحه عن أبي هريرة - رضي الله عنه – أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « **إن الله لا ينظر إلى أجسادكم، ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم** »[1] ويقرر شيخ الإسلام ابن تيمية هذا المعنى فيقول: « والدين القائم بالقلب من الإيمان علماً وحالاً هو الأصل، والأعمال الظاهرة هي الفروع، وهي كمال الإيمان، فالدين أول ما يبنى من أصوله ويكمل بفروعه... »[2]، والعبد أحوج ما يكون إلى خشية تزجره عن ارتكاب المحرمات والمنهيات، وإلى رجاءٍ يحثه ويدفعه إلى فعل الطاعات والمسابقة إلى الخيرات.

لذا آثرت أن يكون بحثي لرسالة الماجستير في موضوع: (الخشية والرجاء في القرآن الكريم) دراسة موضوعية.

هذا ومن الأسباب التي دعتني إلى اختيار هذا الموضوع وأنه من الأهمية بمكان، ما سأذكره في العناصر التالية:

١- أن موضوع الخشية والرجاء في القرآن الكريم من أشرف الموضوعات، والناس في أشد الحاجة إلى تحقيق تلك المنزلتين العظيمتين – الخشية والرجاء – لما لهما من الآثار الإيجابية على الأمة الإسلامية شعوباً وأفراداً، لاسيما في هذا الزمن الذي كثرت فيه الفتن والمحن، وأعرض فيه كثير من الناس عن تدبر كتاب الله عز

---

(١) صحيح مسلم (٢٥٦٤).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٣٥٥/١٠ – ٣٥٦.

وجل والعمل بما فيه.

٢- أن لهذا الموضوع صلة وثيقة بآيات القرآن الكريم، فلا تكاد تخلـوا منـه سورة من سور القرآن الكريم.

٣- أن هذا الموضوع يكشف بعض أساليب القرآن الكريم في معالجة الـنفس البشرية وتقويم سلوكها، وهو أحد أوجه الإعجاز النفسي فيه.

٤- أن هذا الموضوع فيما أعلم لم يدرس دراسة قرآنية موضـوعية اشـتملت على معظم أهم الجوانب فيه، ولذا فإن هذه الدراسة تعد هي الأولى من نوعها.

هـدف البحث : تهدف الدراسة في هذا البحث إلى ما يلي :

جمع الآيات الواردة في موضوع الخشية والرجاء في القرآن الكـريم ومـن ثم دراستها دراسة موضوعية وإيضاح المفهوم الحقيقي لمعنى الخـشية والرجـاء، وبيان هدي الأنبياء والمرسلين – عليهم السلام – والسلف الصالح في تحقيـق عبودية الخشية والرجاء لله تعالى، وذكر أهم الأسباب الباعثة علـى الخـشية والرجاء من الله عز وجل، مع بيان الآثار المترتبة على تحقيق عبودية الخـشية والرجاء، والآثار المترتبة على زوالهما أو ضعفهما.

حدود الدراسة:

تتركز هذه الدراسة في جمع الآيات القرآنية التي اشتملت على لفـظ الخـشية والرجاء أو ما في معناهما، والنظر والتأمل في موضوعاتهما، واسـتنباط الأحكـام والفوائد المتعلقة بهما، وقد بلغت الآيات التي اشتملت على لفظ الخشية في القرآن الكريم (ثمان وأربعين آية)، وأما الآيات التي ذكر فيها لفظ الرجاء فقد بلغت (ثمان وعشرين آية)، وأما التي تضمنت معنى الرجاء وذلك باشتمالها على أحد حروفـه، فهي ثلاثون آية فيما يتعلق بالحرف (**عسى**) ومائة وثمان وعشرون آية فيما يتعلـق بالحرف (**لعل**) .

الدراسات السابقة:

من خلال الإطلاع والبحث في فهارس الرسائل الجامعية وزيارة مراكز البحوث والمكتبات العامة والخاصة، والبحث عبر الإنترنت في مواقع الدراسات الإسلامية التفسيرية لم أجد من تعرض لهذا الموضوع بالبحث كدراسة موضوعية في القرآن الكريم، فغالب الكتابات في هذا الموضوع عبارة عن مباحث منثورة ومتفرقة في بعض كتب المتقدمين والتي لا يخلو أصحابها من نزعة صوفية في المعتقد، أو كتيبات صغيرة الحجم لا تتجاوز أن تصنف من كتب الوعظ والرقاق، وربما غلب على بعضها التصوف، وقد يذكر فيها من القصص الواهية ما الله به عليم.

إلا أن هناك رسالة علمية بقسم العقيدة في الجامعة الإسلامية بعنوان (الخوف والرجاء في الكتاب والسنة) للباحث: عبد الرحمن بن سليمان الشمسان، وقد نوقشت بإشراف فضيلة الشيخ/ عبد المحسن بن حمد البدر عام:١٤١١هـ.

ومن خلال الإطلاع على هذه الرسالة اتضح لي أن هناك فروقاً بينها وبين رسالتي المعنونة بـ « الخشية والرجاء في القرآن الكريم » دراسة موضوعية، وهي على النحو التالي:

أولاً: أن هناك فرقاً بين الخشية والخوف في التركيب والمعنى، وهذا ما قرره كثير من أهل التفسير واللغة، وليس هذا محل بسط الكلام في ذكر أقوالهم، لا سيما وقد ذكرته في محله.

ثانياً: ظهور الصبغة العقدية في رسالة الجامعة الإسلامية، وهو مناسب لذلك، حيث أنها مقدمة لدى قسم العقيدة، وقد ذكر فيها الباحث الكريم ثلاثة فصول متعلقة بالكلام على أهل الفرق الضالة والتعريف بهم، وذكر بدعهم والرد عليها .

ثالثاً : أن هناك عدة مباحث ومطالب في باب الخشية والرجاء لم يرد ذكرها في رسالة الجامعة الإسلامية، وهي كما يلي :

١- اختلاف المفسرين في أي الآيات أرجى في القرآن الكريم.

٢- الرجاء وحروفه.

٣- الأمر بالخشية في القرآن الكريم.

٤- الأمر بالرجاء في القرآن الكريم.

٥- المتصفون بالخشية في القرآن الكريم.

٦- أقسام الرجاء.

٧- أنواع الخشية في القرآن الكريم.

٨- ثواب الخشية من الله تعالى.

٩- مبحث الوجوه والنظائر للخشية والرجاء في القرآن الكريم.

١٠- الرجاء وأثره في العلاج السلوكي (الطب النفسي).

١١-لم يذكر في رسالة الجامعة الإسلامية أنـواع الرجـاء في القـرآن الكـريم بالتفصيل.

رابعاً: أن رسالة (الخشية والرجاء في القرآن الكريم) تركزت على البحث في الآيات القرآنية ، ولذلك احتوت على عدد كبير من الآيات ، بخـلاف رسـالة الجامعة الإسلامية فقد جمعت بين الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ولذلك كـان عدد الآيات فيها قليل بالنسبة لرسالة (الخشية والرجاء في القرآن الكريم) .

خامساً : أخيراً بالتأمل والنظر بين خطة الرسالتين يتضح أن هناك فروقـاً كـبيرة بينهما في المباحث والمطالب مع وجود تشابه يسير في آثار الرجاء والخشية وأسبابهما.

وأيضاً من الدراسات السابقة رسالة بعـنوان : (البكاء في الكتـاب والـسنة) للدكتورة / رقية بنت محمد المحارب وهذه الرسالة في الحقيقة لـيس لهـا صـلة بموضوع بحثي سوى أن البكاء يعتبر من الآثار الظاهرة مـن خـشية الله ، وهـي مشتملة على هذه المباحث التالية فقط :

١- تعريف البكاء لغة واصطلاحاً

٢- المؤلفات في ذلك .

٣- أنواع البكاء.

٤- الخاتمة وأهم النتائج والتوصيات.

وهي رسالة صغيرة الحجم وعدد صفحاتها ما يقارب المائة ، وقـد طبعـت بجامعة الإمام بإشراف عمادة البحث العلمي في عام : ١٤٢٨هـ .

خطـ ـ ـ ـة البحث

تشتمل خطة البحث على مقدمة وتمهيد وبابين وخاتمة وهي على النحو التالي:

المقدمة وفيها : أهمية البحث و أسباب اختياره و هدف البحث والدراسات السابقة وخطة البحث ومنهجه .

التمهيد: وفيه بيان منزلة الخشية والرجاء عند الله عز وجل.

الباب الأول : الخشية في القرآن الكريم ، وفيه سبعة فصول:

الفصل الأول: معنى الخشية وفيه ، أربعة مباحث:

المبحث الأول : تعريف الخشية لغة واصطلاحاً.

المبحث الثاني: الوجوه والنظائر لكلمة الخشية.

المبحث الثالث: الفروق اللغوية بين الخشية وبعض المعاني الشبيهة بها: وفيه خمسة مطالب.

المطلب الأول: الفرق بين الخشية والخوف.

المطلب الثاني: الفرق بين الخشية والوجل.

المطلب الثالث: الفرق بين الخشية والرهبة.

المطلب الرابع: الفرق بين الخشية والإشفاق.

المطلب الخامس : الفرق بين الخشية والخوف الفطري .

المبحث الرابع: أساليب الأمر بالخشية.

الفصل الثاني: المتصفون بالخشية في القرآن الكريم، وفيه أربعـة مباحث:

المبحث الأول: الملائكة الكرام عليهم الصلاة والسلام.

المبحث الثاني: الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

المبحث الثالث: الصحابة رضوان الله عليهم.

المبحث الرابع: الصالحون من عباد الله.

الفصل الثالث: أنواع الخشية في القرآن الكريم، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الخشية المأمور بها، وفيه أربعة مطالب.

المطلب الأول: الخشية من الله تعالى.

المطلب الثاني: الخشية من عذاب الله.

المطلب الثالث: الخشية من رد العمل على صاحبه وعدم قبوله.

المطلب الرابع: خشية غير العاقل لله عز وجل.

المبحث الثاني: الخشية المذمومة ، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: خشية المشركين من غير الله عز وجل.

المطلب الثاني: خشية المنافقين من غير الله عز وجل.

الفصل الرابع: الأسباب الباعثة على الخشية من الله تعالى ، وفيه ستة مباحث :

المبحث الأول: تقوى الله عز وجل.

المبحث الثاني: دعاء الله عز وجل.

المبحث الثالث: طلب العلم الشرعي.

المبحث الرابع: العلم بأسماء الله وصفاته والتأمل في معانيها .

المبحث الخامس: تذكر أهوال يوم القيامة.

المبحث السادس: التفكر في كون الخشية عبادة لله تعالى.

الفصل الخامس: آثار خشية الله تعالى ، وفيه سبعة مباحث :

المبحث الأول: البعد عن الوقوع في المعاصي.

المبحث الثاني: نزول السكينة والطمأنينة على القلب.

المبحث الثالث: الانتفاع بالمواعظ والتذكير والعبر.

المبحث الرابع: البكاء ودمع العين.

المبحث الخامس: ظهور السمت والوقار على هيئة العبد .

المبحث السادس : وجل القلب عند ذكر الله عز وجل .

المبحث السابع : قشعريرة الجلد .

الفصل السادس: ثواب الخشية من الله ، وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: الهداية إلى الصراط المستقيم.

المبحث الثاني: الفوز التام في الدارين.

المبحث الثالث: المغفرة والأجر الكبير.

المبحث الرابع: نيل رضى الله عز وجل.

المبحث الخامس: الأمن في الدارين.

الفصل السابع: آثار ضعف الخشية من الله عز وجل وزوالها ، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: الوقوع في الشرك.

المبحث الثاني: الأمن من مكر الله عز وجل.

المبحث الثالث: الطغيان والفساد في الأرض.

المبحث الرابع: ضعف الأمن والاهتداء في الدنيا والآخرة.

الباب الثاني: الرجاء في القرآن الكريم : وفيه ستة فصول:

الفصل الأول: الرجاء معناه وأقسامه ، وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الرجاء لغة واصطلاحاً.

المبحث الثاني: الوجوه والنظائر لكلمة الرجاء في القرآن.

المبحث الثالث: الفروق بين الرجاء وبعض المعاني الشبيهة به، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الفرق بين الرجاء والتمني.

المطلب الثاني: الفرق بين الرجاء والطمع.

المطلب الثالث: الفرق بين الرجاء والأمل.

المبحث الرابع: حروف الرجاء في القرآن الكريم (عسى ، لعل).

المبحث الخامس: أساليب الأمر بالرجاء.

المبحث السادس: أقسام الرجاء، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الرجاء الصادق وعلاماته.

المطلب الثاني: الرجاء الكاذب وعلاماته.

الفصل الثاني : أنواع الرجاء في القرآن الكريم، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: الرجاء المأمور به ، وفيه ثلاثة عشر مطلباً :

المطلب الأول: رجاء رحمة الله.

المطلب الثاني: رجاء الثواب والأجر من الله.

المطلب الثالث: رجاء لقاء الله تعالى.

المطلب الرابع: رجاء اليوم الآخر.

المطلب الخامس: رجاء المغفرة.

المطب السادس: رجاء النصر على الأعداء.

المطلب السابع: رجاء الهداية إلى الرشد.

المطلب الثامن: رجاء الفرج من الله في كشف الكروب.

المطلب التاسع: رجاء قبول الدعاء من الله عز وجل.

المطلب العاشر: رجاء حسن الخاتمة .

المطلب الحادي عشر: رجاء نعيم القبر .

المطلب الثاني عشر: رجاء النجاة من أهوال يوم القيامة .

المطلب الثالث عشر: رجاء دخول الجنة .

المبحث الثاني: الرجاء المذموم ، وفيه مطلبان :

المطلب الأول : رجاء المشركين لغير الله عز وجل.

المطلب الثاني: رجاء المنافقين لغير الله عز وجل.

المبحث الثالث: الرجاء المباح.

المبحث الرابع: أرجى آية في القرآن الكريم .

الفصل الثالث: الأسباب الباعثة على الرجاء ، وفيه سبعة مباحث :

المبحث الأول: تحقيق التوحيد.

المبحث الثاني: تذكر سعة رحمة الله تعالى بعباده.

المبحث الثالث: العلم بأسماء الله الحسنى وصفاته والتأمل في معانيها.

المبحث الرابع: التفكر في كون الرجاء عبادة لله تعالى.

المبحث الخامس: الأعمال الصالحة.

المبحث السادس: التأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم .

المبحث السابع: فتح باب الأمل والتوبة إلى الله.

الفصل الرابع: آثار الرجاء ، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: آثار الرجاء في الدنيا، وفيه ثمانية مطالب:

المطلب الأول: محبة الله عز وجل للعبد.

المطلب الثاني: دوام تعلق القلب بالله تعالى .

المطلب الثالث: إظهار العبودية لله والافتقار إليه.

المطلب الرابع: سبب غفران الذنوب.

المطلب الخامس: تحقق المطالب العالية في الدنيا والآخرة .

المطلب السادس: المسارعة إلى فعل الطاعات.

المطلب السابع: المبادرة إلى الهجرة والجهاد في سبيل الله.

المطلب الثامن: أثره في العلاج السلوكي (الطب النفسي).

المبحث الثاني: آثار الرجاء في الآخرة، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الأمن من الفزع الأكبر.

المطلب الثاني: تحقق حسن ظن العبد بربه.

المطلب الثالث: دخول الجنة والنجاة من النار.

الفصل الخامس:آثار ضعف الرجاء في الدنيا والآخرة وزواله ، وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول: الغفلة عن الله تعالى والركون إلى الدنيا.

المبحث الثاني: اليأس والقنوط من رحمة الله تعالى .

المبحث الثالث: الاستخفاف بالقرآن الكريم والجهل به.

المبحث الرابع: الاستكبار والجهل بسوء العاقبة والمصير.

المبحث الخامس: عدم الانتفاع بالمواعظ والتذكير والاعتبار.

المبحث السادس: الوقوع في الطغيان.

المبحث السابع: دخول النار.

الفصل السادس: تلازم الخشية والرجاء وأحوال العبد في الجمع بينهما، وفيه مبحثان :

المبحث الأول: تلازم الخشية والرجاء في القرآن الكريم .

المبحث الثاني: أحوال العبد في الجمع بين الخشية والرجاء.

الخاتمة و فيها أهم النتائج.

الفهارس العامة.

١- فهرس الآيات .

٢- الأحاديث .

٣- الآثار .

٤- الأعلام المترجم لهم .

٥- المصادر والمراجع .

٦- الموضوعات .

المنهج في كتابة البحث

وقد سلكت في كتابة هذا البحث المنهج الاستقرائي الموضوعي لآيات الخشية والرجاء في القرآن الكريم، وما ورد من جوانب تحليلية فهو ما تقتضيه طبيعة البحث، ولا يعني ذلك أني قد استوعبت جميع الآيات الواردة في ذلك الموضوع، إذ أن هذا أمر مستحيل أن يستوفى في رسالة علمية واحدة، بل يحتاج إلى رسائل عديدة، وإنما ذكرت جملة من الآيات القرآنية الظاهرة في ذلك الموضوع ما له نظير في آيات أُخر، وكما قيل يكفي من القلادة ما أحاط بالعنق، ومن السوار ما أحاط بالمعصم، وقد سرت فيه وفق العناصر التالية :

١- جمع الآيات القرآنية التي ورد فيها ذكر الخشية والرجاء، سواءً أكان ذلك لفظاً أم تضميناً، كما سبق بيانه في مبحث حدود البحث.

٢- دراسة أقوال المفسرين في بيان معنى الآيات في هذا الموضوع والترجيح والموازنة بينها .

٣- الالتزام بذكر الآثار السلوكية والتربوية لآيات الخشية والرجاء .

٤- عزو الآيات القرآنية إلى مواضعها من السور .

٥- تخريج الأحاديث من مصادرها الأصلية، فإن كان الحديث في الصحيحين اكتفيت بتخريجه منهما، وإن كان من غيرهما اجتهدت في تخريجه من المصادر التي أقف عليها، مع بيان كلام أهل العلم من المتقدمين أو المتأخرين في بيان درجتها ، وأما الآثار عن الصحابة والتابعين فقد اكتفيت بعزوها إلى مصادرها الأصلية .

٦- عدم الاستشهاد بالأحاديث الموضوعة أو الضعيفة التي أجمع العلماء على ضعفها .

٧- عزو الأبيات الشعرية إلى قائليها مع التوثيق .

٨- التعريف بالأعلام غير المشهورين الذين ترد أسماؤهم في متن البحث، علماً أن الشهرة أمر نسبي تختلف فيه وجهات النظر بين الباحثين.

٩- شرح غريب الألفاظ والمصطلحات.

وبعد: فهذا جهد المقل وحصاد المقصر، وموضوع الخشية والرجاء في القرآن الكريم من أوسع الموضوعات كماً وكيفاً، ويستحيل على باحث مثلي أن يأتي على جميع جوانبه، وحسبي أني معترف بتقصيري، ولكن أرجو أن أكون قد وفقت إلى ذكر أهم جوانبه، وأن تتحقق الثمرة المرجوة منه في الدنيا والآخرة، فإن كنت قد أصبت فهو من محض فضل الله عز وجل علي ورحمته، ، وأما الخطأ والزلل فهـو واقع مني لا محالة، ولا يستغرب وقوعه من مثلي ، وأسأل الله العظيم رب العـرش الكريم أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين ، وأن يجعل عملي خالصاً لوجه الكريم، وأن يوفقني لخدمة كتابه المبين.

* * *

« شكر وتقدير »

ومن باب الاعتراف بالجميل، وامتثالاً لقول الرسول الكريم، عليه الصلاة وأتم التسليم : ((من لم يشكُر الناس ، لم يشكُر الله عز وجل)) [(١)].

لا يسعني في هذا المقام بعد حمد الله عز وجل أولاً وآخراً؛ إلا أن أتوجه بالشكر الجزيل لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية على ما تبذله من جهود مباركة في خدمة العلم وطلابه، ممثلة بقائد مسيرتها وباني نهضتها **معالي فضيلة الشيخ الدكتور/ سليمان بن عبد الله أبا الخيل** حفظه الله ورعاه ، كما أخص بالشكر جميع منسوبي كلية أصول الدين ممثلة في قسم القرآن الكريم وعلومه على إتاحة هذه الفرصة في إعداد هذه الرسالة، ثم الشكر والعرفان إلى من له اليد الطُولى في مساعدتي وتوجيهي في إنجاز هذا البحث، أعني المشرف على هذه الرسالة **فضيلة الشيخ الدكتور/ أحمد بن سلامة أبو الفتوح**، الذي لَمست فيه دماثة الخُلق الجم، والأدب الرفيع، وقد أفادني بتوجيهاته السديدة ، وآرائه القويمة، وملحوظاته الدقيقة، فكان لها الأثر الكبير في ظهور هذه الرسالة بهذا الشكل، فله مني الدعاء الوافر والثناء العاطر،كما أتوجه بالشكر الجزيل لفضيلة المناقشين الكريمين على قبولهما مناقشة هذه الرسالة، **فضيلة الشيخ الدكتور/ بدر بن ناصر البدر، وفضيلة الشيخ الدكتور/ تركي بن سعد الهويمل،** والذي أرجو أن أجد في توجيهاتهما ما يقوم الاعوجاج ويتمم النقص ويسد الخلل، والشكر موصول لكل من ساعدني في إنجاز هذا البحث، أياً كانت تلك المساعدة.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

* * *

---

(١) ((صحيح)) أخرجه أحمد في مسنده (٧٤٩٥) والطيالسي (٢٤٩١) والبخاري في الأدب المفرد (٢١٨) وأبو داود (٤٨١١) والترمذي (١٩٥٤) وقال عنه :هذا حديث حسن صحيح ، وصححه الألباني في المشكاة (٣٠٢٥) والشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيقه للمسند ٤٧٢/١٢.

التمهـيـد

إن للخشية والرجاء منزلة عظيمة عند الله تعالى ، ولذلك لا تكاد تخلو منـهما سورة من سور القرآن الكريم ، وهما من أجل منازل الصالحين المستمسكين بصراط الله المستقيم، فبالخشية تتحقق المراقبة لأنها مبنية على تعظيم الله عز وجل، وبالرجاء يتحقق حسن الظن بالله لأنه مبني على محبة الله عز وجل، والخشية من الله تعالى هي ثمرة العلم النافع وهي الحاجز المتين بين العبد وبين الوقوع في معاصي الله تعالى.

وقد جاءت آثار عن سلف الأمة تبين فضل الخشية من الله وأهميتها في حياة المسلم.

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: « ليس العلم من كثرة الحـديث ولكن العلم من الخشية »، وقال مسروق رحمه الله: «كفى بالمرء علماً أن يخـشى الله»، وقال سعيد بن جبير: «الخشية أن تخشى الله حتى تحول خشيته بينك وبـين معصيته، فتلك خشيته»[1].

فأهل الخشية إذاً هم الذين يعرفون الله حق المعرفة ويقدرونه حق قدره ، لأنهـم يعبدون الله عز وجل بالمراقبة التي هي من أعلى مقامات الـدين، كمـا جـاء في الحديث الشريف الذي رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سأله جبريل عليه السلام – عن الإحسان أجاب بقولـه: «**أن تخشى الله كأنك تراه، فإنك إن لا تكن تراه فإنه يراك**»[2] فأهـل الخـشية بـالله يستشعرون معنى قوله تعالـى: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٨ – ٢١٩] وقوله تعالـى: ﴿وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يونس: ٦١] .يقول أبو العباس القـرطبي[3] –

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي ٢٠/٧.

(٢) أخرجه مسلم (٧).

(٣) هو الحافظ أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم الأندلسي القرطبي من كبار أئمة المالكية، ولد سـنة ٥٧٨هـ واستقر به المقام في الإسكندرية ، وله مصنفات وتلاميذ، فمن أشهر مصنفاته «المفهم لمـا

رحمه الله -: وهاتان الحالتان – المشاهدة والمراقبة – هما ثمرة معرفة الله وخشيته، ولذلك فُسر الإحسان في حديث أبي هريرة بقوله: «**أن تخشى الله كأنك تراه**» فعبر عن المسبب باسم السبب[1].

هذا فيما يتعلق بجانب الخشية من الله تعالى، وأما ما يتعلق بجانب الرجاء فهو أوسع من ذلك بكثير، وذلك لكثرة وجوده في الآيات القرآنية؛ ولأن الرجاء متعلق بأسماء الله الحسنى ومقرون بالتوكل على الله تعالى، وهو من أقوى الأسباب المعينة على السير إلى الله عز وجل والثبات على هذا الدين، ولا سيما في هذا الزمن الذي كثرت فيه الفتن بأنواعها.

فالرجاء في الله تعالى وما أعده لأوليائه في الدار الآخرة من النعيم المقيم ينبئ عن صدق يقين العبد بربه والإيمان بالغيب ولا يتم ذلك إلا مع العمل الصالح.

وقد نظم الإمام ابن القيم – رحمه الله – أبياتاً في بيان فضل الرجاء من الله تعالى فقال :

لولا التعلق بالرجاء تقطعت ... نفس المحب تحسراً وتمزقاً
وكذلك لولا برده بحرارة الأ ... كباد ذابت بالحجاب تحرقا
أيكون قط حليف حب لا يرى ... برجائه بحبيبه متعلقا
أم كلما قويت محبته له ... قوي الرجاء فزاد فيه تشوقا
لولا الرجاء يحدو المطي لما سرت ... بحمولها لديارهم ترجو اللقا

ثم قال بعد ذلك : «فالرجاء ضروري للمريد السالك ، والعارف لو فارقه لحظة لتلف أوكاد ، فإنه دائر بين ذنب يرجو غفرانه، وعيبٍ يرجو إصلاحه، وعمل

أشكل من تلخيص مسلم» و«مختصر الصحيحين» وغيرهما، وأشهر تلاميذه أبوعبدالله القرطبي صاحب التفسير الكبير المسمى بالجامع لأحكام القرآن، وقد توفي سنة ٦٥٦هـ. انظر شذرات الذهب ٤٧٣/٧.

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم ١٤٣/١ .

صالح يرجو قبوله، واستقامة يرجو إليها، ولا ينفك أحد من السالكين عن هـذه الأمور أو بعضها »[١] .

وبالجملة فالرجاء الحقيقي مستلزم للخشية، وكذلك الخشية الحقيقية مـستلزمة للرجاء، فلا ينفك أحدهما عن الآخر.

* * *

(١) مدارج السالكين لابن القيم ٢/ ٤٣.

الباب الأول
الخشية في القرآن الكريم

وفيه سبعة فصول:

الفصل الأول: معاني الخشية.

الفصل الثاني: المتصفون بالخشية.

الفصل الثالث: أنواع الخشية.

الفصل الرابع: الأسباب الباعثة على الخشية.

الفصل الخامس: آثار الخشية.

الفصل السادس: ثواب الخشية.

الفصل السابع: آثار ضعف الخشية وزوالها.

الفصل الأول
معاني الخشية

ويحتوي على أربعة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الخشية لغة واصطلاحاً.

المبحث الثاني: الوجوه والنظائر لكلمة الخشية.

المبحث الثالث: الفروق اللغوية بين الخشية وبعـض المعـاني الشبيهة بها.

المبحث الرابع: أساليب الأمر بالخشية.

المبحث الأول

تعريف الخشية لغة واصطلاحا

الخشية لغة: هي مصدر من خشي وهو من مادة (خ ش ي) التي تدل على العظمة في تقاليبها، ولذلك يقال لكبير السن: شيخ، لتوقيره وتعظيمه، قال ابن منظور : « الخشية هي الخوف، ويقال خشي الرجل يخشى خشيةً أي خاف، ويقال: هذا المكان أخشى من ذلك أي أشد خوفاً »[١].

وفي القاموس المحيط: « خشت النخلة تخشو: أي أثمرت »[٢].

قلت: والخشية هي ثمرة العلم بالله عز وجل وبأوامره.

قال أبو البقاء الكفوي[٣]: « الخشية مأخوذة من قولهم: شجرة خاشية: أي يابسة، وأصلها خوف مع تعظيم، ويقال للرجل: خاشٍ وخشٍ وخشيان، والمرأة : خشياء ووخشى مثل: غضبى وغضبان »[٤] .

الخشية اصطلاحاً:

اختلفت أقوال العلماء في تعريف الخشية في الاصطلاح على النحو التالي :

فزين الدين الرازي في كتابيه مختار الصحاح وتفسير غريب القرآن عرفها بالخوف، ولم يفرق بينها وبين الخوف[٥]، والصحيح أن هناك فرقاً بينهما وسيأتي الكلام عليه في المبحث الثالث. قال الراغب الأصفهاني: «الخشية هي خوف يشوبه تعظيم»[٦].

---

(١) لسان العرب مادة (خ ش ي) .

(٢) القاموس المحيط ، باب الياء فصل الخاء ، وانظر مختار الصحاح ص٩١ ، والمصباح المنير ص١٤٥.

(٣) هو أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، ويكنى بأبي البقاء، كان من قضاة الأحناف من أشهر كتبه الكليات وله كتب باللغة التركية وتوفي عام ١٠٩٤هـ في مدينة استانبول، انظر: الأعلام ٣٨/٢.

(٤) الكليات اللغوية لأبي البقاء الكوفي ص ٤٢٨.

(٥) انظر مختار الصحاح: ص٩١، وتفسير غريب القرآن العظيم ص٥٤٥ .

(٦) المفردات للراغب الأصفهاني: ١٤٩/١ .

ووافقه على ذلك الفيروز أبادي[١].

قال أبو عبد الله القرطبي: « الخشية : أصلها طمأنينة في القلب تبعث على التوقي »[٢]، وقال الجرجاني[٣] : « الخشية هي: تألم القلب بسبب توقع مكروه في المستقبل، يكون تارة بكثرة الجناية من العبد، وتارة بمعرفة جلال الله وهيبته، وخشية الأنبياء من هذا القبيل »[٤] .

قال أبو السعود: « الخشية هي: معرفة المخشي والعلم بشؤونه، فمن كان أعلم به تعالى كان أخشى منه»[٥] ، وقال صديق حسن خان: « الخشية هي: خوف يشوبه تعظيم وإجلال، وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه »[٦] .

قال ابن عاشور: الخشية هي: « الخوف الباعث على تقوى الخائف غيره، وقال في موضع آخر: هي خوف بتعظيم المخوف منه وتطلق على مطلق الخوف»[٧] .

ومن خلال التأمل والنظر في الأقوال السابقة لتعريف الخشية في الاصطلاح؛ نجد أنها مختلفة اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد.

ولذلك يمكن أن تجمع هذه التعاريف وتصاغ في تعريف واحد شامل، فيقال الخشية في الاصطلاح هي: « **إنكسار وتألم في القلب، وخوف يشوبه تعظيم وهيبة وإجلال، يبعث على التوقي والحذر، من ارتكاب الزجر و مخالفة الأمر، ناتج عن العلم والمعرفة بمن يُخشى منه** » .

ولعل هذا التعريف يكون أجمع وأكمل من التعاريف السابقة ولله الحمد .

---

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٤٤/٢.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: ٢/ ١٧٠.

(٣) الجرجاني: هو علي بن محمد بن علي الحسيني، من أكابر علماء اللغة والفلسفة، له مصنفات عديدة تربو على الخمسين في مختلف العلوم والفنون، وتوفي سنة :٨١٦ هـ في مدينة شيراز، انظر: الأعلام للزركلي ٧/٥.

(٤) التعريفات للجرجاني، ص٧١، وانظر: التعاريف للمناوي ٣١٤/١.

(٥) إرشاد العقل السليم ، ٤٨٣/٤.

(٦) فتح البيان في مقاصد القرآن. ٤٦/٧.

(٧) التحرير والتنوير (١/ ٥٦٥) ، (١٢٨/١٣) .

المبحث الثاني

الوجوه والنظائر لكلمة الخشية في القرآن الكريم

قبل أن أذكر الوجوه والنظائر لكلمة الخشية في القرآن الكريم، ينبغي أن أبين معنى الوجوه والنظائر في **اللغة**:

الوجوه: جمع وجه ، وهو معروف.. قال ابن دريد[١] : « وجه الكلام: السبيل التي تقصدها به..»[٢].

قال أبوالدرداء رضي الله عنه: « إنك لن تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوهاً كثيرة.. »[٣] .

والنظائر : جمع نظير وهي المثلُ والشبه في الأفعال والأقوال .. [٤] .

قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: « لقد عرفت النظائر التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرن بينهن» [٥] ثم ذكر عشرين سورة من المفصل.

وأما في **الاصطلاح**: فقد اختلفت أقوال العلماء في تعريفه، فقال ابن الجوزي : «اعلم أن معنى الوجوه والنظائر أن تكون الكلمة الواحدة قد ذكرت في مواضع من القرآن الكريم على لفظ واحد وحركة واحدة، وأُريد بكل مكان معنى غير الآخر.. هذا هو الوجوه، وأما النظائر فهو اسم للألفاظ، وعلى هذا تكون الوجوه أسماء للمعاني.. » [٦].

وقد اختار هذا القول محمد ابن عقيلة المكي[٧] ورجحه حاجي

---

(١) هو محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية الأزدي ويكنى بأبي بكر، قال الذهبي عنه: كان آية من الآيات في قوة الحفظ، وله عدة مصنفات من أشهرها: الجمهرة في اللغة، والمجتبى، وتوفي سنة ٣٢١هـ . انظر: سير أعلام النبلاء ٩٦/١٥.

(٢) جمهرة اللغة مادة (وجه).

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ٣٥٧/٢.

(٤) لسان العرب لابن منظور مادة (نظر).

(٥) أخرجه البخاري (٧٥٧).

(٦) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر ٢/١.

(٧) الزيادة والإحسان في علوم القرآن ، ٢١٨/٥،وابن عقيلة هو: محمد بن أحمد بن سعيد بن عقيلة المكي

خليفة[١] وصديق حسن خان[٢].

وقد انتقد هذا التعريف شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: « فـالوجوه في الأسمـاء المشتركة والنظائر في الأسماء المتواطئة وقد ظن بعض أصحابنا المصنفين في ذلك أن الوجوه والنظائر جميعاً في الأسماء المشتركة فهي نظائر باعتبـار اللفـظ، ووجـوه باعتبار المعنى، وليس الأمر على ما قاله بل كلامهم صريح فيما قلناه لمن تأمله»[٣].

وقال أيضاً في موضع آخر: « وقد صنف الناس كتب الوجوه والنظائر، فالنظائر اللفظ الذي اتفق معناه في الموضعين وأكثر، والوجوه الذي اختلف معنـاه، كمـا يقال الأسماء المتواطئة والمشتركة وإن كان بينهما فرق، وقد قيل هي نظائر في اللفظ ومعانيها مختلفة فتكون كالمشتركة، وليس كذلك بل الصواب أن المراد بـالوجوه والنظائر هو الأول »[٤].

وكذلك الزركشي انتقد تعريف ابن الجوزي للوجوه والنظائر، وعلّـل ذلـك بقوله: «وقد ضعف هذا الرأي لأنه لو أُريد هذا لكان الجمع في الألفاظ المشتركة، وهم يذكرون في تلك الكتب اللفظ الذي معناه واحد في مواضع كثيرة ، فيجعلون الوجوه نوعاً لأقسام ، والنظائر نوعاً آخر كالأمثال»[٥] وأخذه عنه السيوطي[٦].

قلت: والقول الذي أميل إليه هو ما رجحه شيخ الإسلام ابن تيمية، وذلك أنـه

الحنفي، ويكنى بأبي عبد الله ، تولى التدريس بالحرم المكي في زمن الدولة العثمانية ، وله مصنفات في مختلف الفنون والتخصصات، فمنها :الجوهر المنظوم في التفسير ، والمسلسلات في الحديث، والقـول النفيس في الرد على أسئلة إبليس، وغير ذلك، وتوفي سنة: ١١٥٠هـ ،انظر الأعلام١٣/٦.

(١) كشف الظنون ٢٠٠١/٢، ومؤلفه هو: مصطفى بن عبد الله أفندي ، ويعرف بالحاج خليفة ، ولـد سنة: ١٠١٧هـ بتركيا، وتفرغ للتدريس والتصنيف، ومن أشهر مصنفاته:كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، وتحفة الكبار في أسفار البحار، وسلم الوصول إلى طبقات الفحول، وغيرها، وقـد توفي سنة: ١٠٦٧هـ ،انظر الأعلام ٢٣٦/٧_٢٣٧.

(٢) انظر: أبجد العلوم ٥٦٧/٢.

(٣) مجموع الفتاوى ٢٧٧/١٣.

(٤) المصدر السابق ٤٢٣/١٧.

(٥) البرهان في علوم القرآن ١٠٢/١.

(٦) الإتقان في علوم القرآن ٤٠٩/٢.

موافق لما تعارف عليه علماء اللغة والأصول في الألفاظ المشتركة والمتواطئة، ومن الأمثلة عليه في القرآن الكريم لفظ (الأمة) فقد ذُكر في مواضع كثيرة وبمعان مختلفة، فهو من الألفاظ المشتركة وهذا ما يعرف بالوجوه، وكذلك لفظ (الحياة) فقد ورد ذكره في القرآن الكريم بكثرة، وهو عام لأجناس كثيرة من المخلوقات، فهو من الألفاظ المتواطئة، وهذا ما يعرف بالنظائر.

وأما الوجوه والنظائر لكلمة الخشية في القرآن الكريم ، فقد قمت بمراجعة كتب الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، مثل كتاب مقاتل بن سليمان البلخي، والدامغاني[1]، وابن الجوزي وغيرها، إلا أني مع الأسف لم أعثر فيها على الوجوه والنظائر لكلمة الخشية أو معانيها في القرآن الكريم ، مع أن ذلك مسطور في كتب التفسير المتقدمة، ولذلك يصدق قول القائل: «كم ترك الأولُ للآخر؟!».

وعدد هذه الوجوه حسب البحث والمطالعة في كتب التفسير سبعة أوجه هي:

(العبادة، العلم، الحياء، الحذر والتوقي، العذاب، الكراهة، الخوف**)**.

الأول: العبادة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [التوبة: ١٨].

أخرج ابن جرير بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في قوله: ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ أي :لم يعبد إلا الله [2] .

قلت: وتفسير ابن عباس رضي الله عنهما للخشية بالعبادة في هذه الآية قد جاء ما يؤيده في الحديث الشريف، حيث أن الرسول عليه الصلاة والسلام قد ثبت عنه روايتان في تفسير الإحسان:

---

(١) هو حسين بن محمد بن إبراهيم، وكنيته أبو عبد الله الدامغاني، وينسب إلى دامغان وهي بلدة بين الري وبين نيسابور وهو فقيه حنفي، وله مؤلفات عديدة في علوم القرآن من أشهرها كتابه « الوجوه والنظائر » توفي سنة ٤٧٨هـ . انظر : شذرات الذهب ١١٤/٧ و الأعلام ٢٥٤/٢ .

(٢) جامع البيان ١٠/ ٩٤.

الأولى: بالعبادة وهو قوله: «**أن تعبد الله كأنك تراه..**».

الثانية: بالخشية وهو قوله : «**أن تخشى الله كأنك تراه..**»[١]، فعبر الرسول عليه الصلاة والسلام عن الإحسان بالعبادة تارة ، وبالخشية تارة أُخرى، لأن الخشية من أعظم أنواع العبادة التي توصلُ صاحبها إلى المراتب العالية مع المقربين والمحسنين.

قال ابن عطية في قوله: ﴿ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ أي: خشية التعظيم والعبادة والطاعة[٢]، وقال القرطبي: أي لم يخش إلا الله مما يعبد ، فإن المشركين كانوا يعبدون الأوثان ويخشونها ويرجونها [٣] .

ومفهوم الكلام أن الخشية التي بمعنى الخوف الفطري كالخشية من السباع واللصوص وغيرهم غير داخلة في هذه الآية الكريمة.

الثاني: العلم، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴾ [الكهف: ٨٠] .

قال ابن جرير في قوله: ﴿ فَخَشِينَآ ﴾ أي: فعلمنا، وكذا قال ابن عباس رضي الله عنهما [٤] .

وقال الفراء في معنى قوله: ﴿ فَخَشِينَآ ﴾ أي: فعلمنا [٥] . كقول الشاعر:

ولقد خشيت بأن من تبع الهدى

سكن الجنان مع النبي محمد[٦] [عليه الصلاة والسلام]

الشاهد: « ولقت خشيت » أي: ولقد علمت.

قال ابن قتيبة: وخشيت بمعنى : علمت، قال تعالى: ﴿فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا﴾ أي:

---

(١) أخرجه البخاري بالرواية الأولى دون الثانية (٥٠) وأخرجه مسلم بالروايتين (٧).
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ١٦.
(٣) الجامع لأحكام القرآن ٨/٩٠.
(٤) جامع البيان ٢/١٦، وانظر أيضاً منه ٩٠/١٦.
(٥) معاني القرآن للفراء ١٥٧/٢٠.
(٦) لسان العرب لابن منظور مادة (خشي).

علمنا، ومثله قولـه: ﴿ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا ﴾ [البقـرة: ١٨٢] لأن في الخشية والمخافة طرفاً من العلم[١].

واختار هذا القول من المفسرين الثعلبي[٢]، وابن عادل[٣].

وأصحاب هذا القول من المفسرين يرجعون الضمير في قوله : ﴿فَخَشِينَآ﴾ إلى الله تعالى: وليس من كلام الخضر ما عدا الماوردي حيث قال: « علم الخـضر أن الغلام يرهق أبويه طغياناً وكفراً، لأن الغلام كان كافراً، وقال قتادة في قـراءة أُبي: «وأما الغلام فكان كافراً وكان أبواه مؤمنين »[٤] فعبر عن العلم بالخشية»[٥].

قلت: وقراءة أُبي تعتبر من القراءات الشاذة وهي بمنزلة تفسير الصحابي للقرآن، وقد جاء ما يؤيدها من السنة النبوية ما أخرجه مسلم عن ابن عبـاس رضـي الله عنهما عن أُبي ابن كعب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «**إن الغلام الذي قتله الخضر طبع كافراً، ولو عاش لأرهق أبويه طغياناً وكفراً**»[٦].

قلت: وليس هناك تعـارض بين من قال برجوع الضمير في قوله:

﴿فَخَشِينَآ﴾ إلى الله تعالى أو إلى الخـضر، وذلك أن الخضر إن كان قد علمـه فعلمه ليس من تلقاءِ نفسه بل الله أعلمه بذلك.

الثالث: الحياء: قال تعالى: ﴿ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ﴾ [الأحزاب: ٣٧]

قال البغـوي في قوله: ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ ... ﴾ قال ابن عباس رضـي الله عنـهما

---

(١) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، ص :٢١٦، وابن قتيبة هو : عبد الله بن مسلم بن قتيبة الـدينوري، يكنى بأبي محمد، كان ثقة فاضلاً من أهل بغداد، اشتغل بالتصنيف، ومن أشهر تـصانيفه: غريـب القرآن، وغريب الحديث، والمعارف، وأدب الكاتب،وغيرها وتوفي سنة:٢٧٦هـ،انظر: الأنـساب للسمعاني ٤٥٢/٤، وطبقات المفسرين للأدنروي ص٤٤.

(٢) الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي ١٤٢/٤.

(٣) اللباب في علوم الكتاب، ١٢/ ٥٤٦ ، وابن عادل هو: عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمـشقي، كنيته: أبوحفص، ويلقب بسراج الدين، من أعظم كتبه تفسير اللباب في علوم الكتاب، وله حاشـية على كتاب المحرر في الفقه ، وتوفي بعد سنة ٨٨٠هـ ، انظر الأعلام ٥٨/٥.

(٤) ذكر ابن جرير هذه القراءة بإسناده عن قتادة ، انظر:جامع البيان ٣٥٧/١٥.

(٥) النكت والعيون للماوردي ٣٣٤/٣.

(٦) صحيح مسلم (٢٢٦١).

والحسن : أي تستحييهم[١]. وهذا القول قد اختاره جمع من المفسرين منهم :

أبو المظفر السمعاني[٢] والقاضي أبو بكر بن العربي[٣] والقرطبي[٤]، وقد حكاه ابن جرير عن بعض أهل اللغة [٥].

قلت: وتفسير الخشية بالحياء في هذه الآية هو الأرجح والأليق أدباً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك لعدة أمور:

الأول: أن الله تعالى قد وصف أنبيائه ورسله بإفراد الخشية له دون أحد من الخلق، فقال جل شأنه : ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ [الأحزاب: ٣٩] ورسولنا عليه الصلاة والسلام في مقدمة هؤلاء الأنبياء والرسل.

الثاني: أنه عليه الصلاة والسلام قال عن نفسه: «**إني لأخشاكم لله وأتقاكم له**»[٦] وهو الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

الثالث: قد ثبت في وصفه عليه الصلاة والسلام فيما أخرجه الشيخان عن الصحابي الجليل أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: « كان النبي صلى الله عليه وسلم أشد حياءً من العذراء في خدرها »[٧] . وقال عنه ربه عز وجل: ﴿ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡ ﴾ [الأحزاب: ٥٣] وصفة الحياء في حق الرسول صلى الله عليه وسلم هي من صفات كمال خلُقه وخلْقه ، لأنه قد اجتمع فيه نوعي الحياء ، الغريزي والمكتسب .

فتبين مما سبق من هذه النصوص أن خشية الرسول عليه الصلاة والسلام من

---

(١) معالم التنزيل ٥٣١/٣.
(٢) تفسير القرآن للسمعاني ٢٨٧/٤.
(٣) أحكام القرآن لابن العربي ٤٩٣/٣.
(٤) الجامع لأحكام القرآن ١٩٠/١٤.
(٥) جامع البيان ١٧٩/١.
(٦) أخرجه البخاري (٥٠٦٣) ومسلم (١١٠٨).
(٧) البخاري (٣٥٦٢) ومسلم (٢٣٢٠)

الناس كما في الآية الكريمة إنما المراد بها: الاستحياء منهم[١].

الرابع: الحذر والتوقي، قال تعـالى : ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ...﴾ [آل عمران: ١٧٣].

قال ابن جرير في قوله: ﴿فَٱخْشَوْهُمْ﴾ أي: فاحذروهم واتقوا لقاءهم فإنه لا طاقة لكم بهم[٢].

وقال الثعلبي: فاخشوهم أي: فخافوهم واحذروهم[٣] .

وقد اختار هذا القول القرطبي[٤]، وقال الشيخ ابن عثـيمين: فاخـشوهم أي: احذروهم واتقوهم، وما أشبه ذلك[٥].

قـال تعـالى : ﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ [النساء : ٩] .

فقوله : ﴿ وَلْيَخْشَ ﴾ أي : وليحذر، حكى هذا القول الماوردي في تفسيره[٦].

قلت: وقد ورد ذكر الخشية في اللغة بمعنى الحذر.

قال ابن الأثير : « وفي حديث خالد:أنه لما أخذ الراية يوم مؤتة دافـع النـاس وخاشى بهم، أي: أبقى عليهم وحذر... »[٧] .

وقال السهيلي: « المخاشاة : المحاجزة ، وهي مفاعلة من الخشية ؛ لأنه خـشي على المسلمين لقلة عددهم »[٨] .

ولاشك أن الخشية من الله تعالى توجب لصاحبها الحذر والوقاية مما يسخط الله

---

(١) وقد بسط الكلام في ذلك ابن العربي في أحكامه ، فمن أراد الاستزادة فليراجعه ٤٩٣/٣.
(٢) جامع البيان ١٧٨/٤.
(٣) الكشف والبيان للثعلبي ٢١١/٣.
(٤) الجامع لأحكام القرآن ٢٨٠/٤.
(٥) تفسير سورة آل عمران لابن عثيمين ٤٤٧/٢.
(٦) النكت والعيون ٤٥٧/١ .
(٧) الجامع في غريب الحديث ٢٥٤/٢، وانظر السيرة النبوية لابن إسحاق ٥٠٨/٢ .
(٨) الروض الأنف ٤١/٧.

عز وجل.

الخامس: العذاب، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧].

قال ابن جرير: أي خشيتهم وخوفهم من عذاب ربهم مشفقون[١].

وقال ابن عطية: [من] في قوله: ﴿مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم ...﴾ لبيان جنس الإشفاق الذي إنما هو من عذاب الله [٢] .

وقال أبو حيان: «أي الذين هم من عذاب ربهم مشفقون »[٣].

وهذا قول الكلبي[٤]، ومقاتل[٥].

قال العز بن عبد السلام في معنى الآية السابقة: ((معناه : إن الذين هم من عقوبة ربهم خائفون))[٦].

قلت: ونظيره في قول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ﴾ [المعارج: ٢٧] فقد فُسرت الخشية في سورة المؤمنين بالعذاب في سورة المعارج، ولا ريب أن تفسير القرآن بالقرآن يأتي في المرتبة الأولى من مراتب التفسير.

السادس : الكراهة ، قال تعالى: ﴿فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا﴾ [الكهف: ٨٠]، وقد حكى هذا القول جمع من المفسرين من أشهرهم الإمام ابن جرير الطبري حيث قال: وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول: معنى قوله:

---

(١) جامع البيان ٣١/١٨.

(٢) المحرر الوجيز ١٤٧/٤.

(٣) البحر المحيط لأبي حيان، ٣٧٨/٦.

(٤) هو محمد بن السائب بن بشر بن عمرو الكلبي، اشتهر بالتفسير ورواية الحديث، وقيل أنه كان من أصحاب عبدالله بن سبأ، وقد اتهم بالكذب، ويروى عنه أنه قال في مرض موته: «كل ما حدثتكم عن أبي صالح عن ابن عباس فهو كذب» وقد توفي بالكوفة سنة: ١٤٦ هـ، انظر تهذيب التهذيب ٥٦٩/٣.

(٥) هو مقاتل بن سليمان الأزدي الخرساني، كنيته أبو الحسن، وكان مشهوراً بالتفسير، قال عنه الشافعي: «الناس عيال على مقاتل في التفسير» وتوفي سنة: ١٥٠هـ، انظر: طبقات المفسرين ، لأحمد بن محمد الأدنروي ، ص ٢٠.

(٦) الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز .

﴿فَخَشِينَآ﴾ في هذا الموضع كرهنا، لأن الله لا يخشى[١].

قلت: هذا في حال إرجاع الضمير في قوله: ﴿فَخَشِينَآ﴾ إلى الله تعالى وهو اختيار الأخفش والزجاج[٢]. ونقل الثعلبي عن قطرب[٣] أنه قال في معنى الآية: أي فكرهنا، كما تقول: فرقت بين الرجلين خشية أن يقتتلا، وليس فيك خشية، ولكن كراهة أن يقتتلا [٤]. وقد جوز الزمخشري هذا المعنى في الآية فقال: ويجوز أن يكون قوله: ﴿فَخَشِينَآ﴾ حكاية لقول الله تعالى بمعنى فكرهنا[٥] وممن حكى هذا القول في تفسيره ابن عطية [٦] والماوردي [٧] والقرطبي[٨]، وأما ابن عاشور فقد ذكر الخشية بمعنى الكراهة في غير هذه الآية، وهي في قوله تعالى: ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ [الأحزاب: ٣٧] حيث قال: وخشية الناس هنا كراهية ما يرجف به المنافقون ، والكراهة من ضروب الخشية [٩].

وقد بينا فيما سبق معنى خشيته عليه الصلاة والسلام من الناس في هذه الآية.

السابع: الخوف وهو في آيات عديدة من القرآن الكريم، حيث جاءت الخشية فيها بمعنى الخوف ، والضابط في ذلك والعلم عند الله تعالى، أن الآيات التي ليس لها متعلق بذات الله عز وجل أو بأمور الآخرة فقد جاءت الخشية فيها بمعنى الخوف، كأمور الدنيا وما يتعلق بها، وأما الآيات المتعلقة بذات الله تعالى أو بأمور الآخرة فالخشية فيها

---

(١) جامع البيان ٣/١٦، ولعله يعني بأهل البصرة أبا عبيدة معمر بن المثنى .

(٢) انظر :معاني القرآن للزجاج ٣٠٥/٣، وزاد المسير ١٧٩/٥.

(٣) هو محمد بن المستنير، أبوعلي النحوي، كان ملازماً لسيبويه، وكان يأتيه في الليل، فخرج مرة فرآه على بابه فقال: ما أنت إلا قطرب ليل، فلقب به، وكان يرى رأي المعتزلة ، ولم يكن ثقة عند العلماء، وله من التصانيف: المثلث، النوادر، الأصوات، العلل في النحو، مجاز القرآن، وغير ذلك، وتوفي سنة: ٢٠٦هـ. انظر بغية الوعاة للسيوطي ٤٤٢/١.

(٤) تفسير الكشف والبيان ، ١٨٧/٦.

(٥) الكشاف ٦٩٢/٢.

(٦) المحرر الوجيز لابن عطية ٥٣٦/٣.

(٧) النكت والعيون ٣٣٤/٣.

(٨) الجامع لأحكام القرآن ٣٦/١١.

(٩) التحرير والتنوير ٣٣/٢٢.

على بابها بما يفيد العلم والتعظيم والحذر والوقاية.

وهذا هو الغالب في القرآن الكريم باستثناء الخشية المتعلقة بالمنافقين والمشركين فلا تدخل في هذا المبحث، حيث أن الكلام عليها سوف يكون في المبحث الثاني من الفصل الثالث.

وأما الآيات التي ذكرت فيها الخشية بمعنى الخوف فهي كقوله تعالى: ﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا ... ﴾ [النساء: ٩].

قال ابن جرير: أي ليخف الذين يحضرون موصياً يوصي في ماله أن يأمره بتفريق ماله وصية به في من لا يرثه [١].

ومن الآيات التي ذكرت فيها الخشية بمعنى الخوف قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ ﴾ [النساء: ٢٥] .

قال ابن جرير: والصواب في معنى الآية: أي ذلك لمن خاف منكم ضرراً في دينه وبدنه[٢]، وقال ابن كثير: أي لمن خاف على نفسه الوقوع في الزنا، وشق عليه الصبر عن الجماع [٣] .

ومن الآيات التي ذكرت فيها الخشية بمعنى الخوف قوله تعالى: ﴿وَتِجَـٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا ﴾ [التوبة: ٢٤] أي تخافون أن تكسد فتبيعونها ومنها قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ﴾ [الإسراء: ٣١] قال ابن جرير: أي خوف افتقار ونقص[٤]، وكذا قال الماوردي في تفسيره [٥].

ومنها قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ﴾ [الإسراء: ١٠٠] أي: خوفاً من الإنفاق لشدة بخلهم .

قلت : وظهر من اللطائف في هذه الآية الكريمة، سر التعبير بقوله: خشية

---

(١) جامع البيان ٢٦٩/٤.
(٢) المصدر السابق ٢٥/٥.
(٣) تفسير القرآن العظيم ٤٧٩/١.
(٤) جامع البيان ٧٨/١٥.
(٥) النكت والعيون ٢٤٠/٣.

الإنفاق، دون قوله: خشية الفقر، وهو أن سياق الآيات في خزائن الله تعالى، وخزائن الله عز وجل ليس معها فقر أبداً ، بل هي ملأى لا تغيضها نفقة .

ومنها قوله تعالى: ﴿فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ [الكهف: ٨٠] والخشية هنا بمعنى الخوف فقد فسرها بعض المفسرين بالخوف استناداً للقراءة الواردة عن أبي وعبد الله فقد جاء فيها «فخاف ربك» (١) ثم اختلفوا بعد ذلك في مرجع الضمير هل هو راجع إلى الخضر أم إلى الله عز وجل ؟ على قولين:

أحدهما: أنه راجع إلى الخضر، لأن الخوف منفي عن الله تعالى والمعنى: أن الخضر خاف أن يغشى الوالدين المؤمنين الطغيان والكفر من هذا الولد العاق الكافر، الذي ربما أن يكون في ذلك خطر عليهما في الدين والدنيا، وهذا ما ذهب إليه ابن الأنباري(٢) فيما حكاه عنه ابن الجوزي(٣) وقد اختاره الزمخشري (٤) .

والثاني: أنه راجع إلى الله عز وجل والمعنى: فخاف ربك أن يرهق الغلام أبويه طغياناً وكفراً، فعبر عن الخوف بالخشية، وقال مقاتل في قراءة أبي وعبد الله : « فخاف ربك» والخوف هاهنا استعارة لانتفائه عن الله تعالى (٥).

ومن الآيات التي ذكرت فيها الخشية بمعنى الخوف قوله تعالى: ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [طه: ٩٤] أي خفت أن تلومني على التفريق الذي سوف يكون بين بني إسرائيل لو فارقتهم ولحقت بك. (٦)

فالخوف هنا يعتبر طبيعياً بالنسبة للبشر، ولا يلحق نبي الله هارون - عليه السلام

---

(١) البحر المحيط ١٤٦/٦.

(٢) هو محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسين الأنباري ويكنى بأبي بكر، ولد سنة: ٢٧١هـ في مدينة بغداد، قال عنه الزبيدي: من أعلم الناس بالنحو والأدب وسمع من ثعلب، وكان صدوقاً فاضلاً صاحب دين وخلق ومن أهل السنة وله مؤلفات كثيرة من أشهرها: غريب الحديث، والأضداد، والأمالي، واللامات وغيرها وتوفي سنة: ٣٢٨هـ ببغداد، انظر بغية الوعاة للسيوطي ٢١٢/١.

(٣) زاد المسير في علم التفسير ١٧٩/٥.

(٤) الكشاف للزمخشري٦٩٢/٢.

(٥) البحر المحيط ١٤٦/٦.

(٦) انظر: جامع البيان ٢٠٣/١٦.

-منه أي نقص أو عيب.

قال أبو هلال العسكري: « فإن قيل أليس قد قال: ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ قلنا إنه خشي القول المؤدي إلى الفرقة والمؤدي إلى الشيء بمنزلة من يفعله، وقال بعض العلماء يقال خشيت زيدا ولا يقال خشيت ذهاب زيد، فإن قيل ذلك؛ فليس على الأصل ولكن على وضع الخشية مكان الخوف وقد يوضع الشيء مكان الشيء إذا قرب منه »[1] .

وإن كان يدور في خلدي أن الخشية هنا بمعنى: الكراهة، لأنه ليس هناك ما يستدعي بأن تكون على بابها أو بمعنى الخوف، ولا سيما أنها متعلقة بخشية هارون من قول موسى دون فعله، فهي كقولك: فرقت بين الرجلين خشية أن يقتتلا، أي:كراهة أن يقتتلا، وليس بك خشية ولا خوف،فيكون معنى الآية: إني كرهت إن خرجت عنهم وتركتهم أن يتفرقوا، فتقول أنت بعد ذلك : فرّقت بين بني إسرائيل ولم تعمل بوصيتي لك فيهم .

وقد مر معنا قول قطرب في ذلك عند قوله: ﴿فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا﴾ [الكهف: ٨٠].

* * *

(١) الفروق في اللغة ص ٢٦٦.

المبحث الثالث

الفروق اللغوية بين الخشية وبعض المعاني الشبيهة بها:

المطلب الأول: الفرق بين الخشية والخوف:

اختلفت عبارات العلماء في التفريق بين الخشية والخوف على النحو التالي:

قال أبو هلال العسكري[1]: « الخوف يتعلق بالمكروه وبترك المكروه، تقول: خفت زيدا، كما قال تعالى: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ [النحل: ٥٠] وتقول: خفت المرض، كما قال سبحانه: ﴿ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴾ [الرعد: ٢١] .

وأما الخشية تتعلق بمنزل المكروه، ولا يسمى الخوف من نفس المكروه خشية ولهذا قال: ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴾»[2].

قلت: وقد جاء ما يؤيد ذلك من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، حيث غاير بين الخشية والخوف فقال: « خمس لو سافر الرجل فيهن إلى اليمن لكُن عوضاً من سفره: لا يخشى عبد إلا ربه، ولا يخاف إلا ذنبه ... »[3].

فجعل الخشية مختصة بالله عز وجل، وذلك لما فيها من معاني التعظيم والإجلال لله تعالى ، وأما الخوف فخصه بالذنب لما فيه من الضعف والجهل بالعاقبة.

ويقول الراغب الأصفهاني: «الخوف توقع مكروه عن أمارة، وأما الخشية فهي: خوف يشوبه تعظيم المخشي منه، مع المعرفة به، ولذلك قال تعالى: ﴿ مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ ﴾ [ق: ٣٣] وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر: ٢٨] ولذلك خص العلماء بها كما في الآية السابقة »[4] .

---

(١) هو: الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد العسكري، وكنيته أبو هلال، عالم بالأدب واللغة،، وله مصنفات كثيرة في ذلك من أشهرها: التلخيص في اللغة، وجمهرة الأمثال، والمحاسن في تفسير القرآن، والفرق بين المعاني، وقد اختلف في تاريخ وفاته والأشهر أنه في حدود سنة: ٣٩٥هـ ،الأعلام ١٩٦/٢.

(٢) الفروق في اللغة لأبي هلال العسكري ص ٢٦٥.

(٣) المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي ٢٦٨/٢، وتاريخ دمشق لابن عساكر ٥١١/٤٢.

(٤) الذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب الأصفهاني ص ٢٣٤، والمفردات له ١٩٨/١.

وقال الماوردي : « والفرق بين الخشية والخوف: أن الخـوف فيمـا ظهـرت أسبابه، والخشية فيما لم تظهر أسبابه »[١] . ولعله يقصد أن آثار الخوف في الغالب تكون ظاهرة، مثل رجفان الجسد والهروب ونحوهما، وأما آثار الخشية تكـون في الغالب قلبية مثل الوجل والخشوع ونحوهما.

وقال ابن القيم: « الخشـية أخص من الخوف، فإن الخشية للعلماء بالله، قـال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ فهي خوف مقرون بمعرفة، وقال الـنبي صلى الله عليه وسلم: «**إني أتقاكم لله، وأشدكم له خشية**» [٢] .

فالخوف حركة، والخشية انجماع وانقباض وسكون ، فصاحب الخـوف يلتجـئ إلى الهروب، وصاحب الخشية يلتجئ إلى العلم»[٣] وقد أخذه عنه الفيروز أبادي في بصائره[٤].

قال الفخر الرازي : « وقوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾ [ق: ٤٥] من جملة ما يبين كون الخشية دالة على عظمة المخشي أكثر مما يدل عليه الخوف ، حيث قال : ﴿يَخَافُ﴾ عندما جعل المخـوف عذابـه ووعـيده ، وقـال : ﴿وَٱخْشَوْنِي﴾ [البقرة: ١٥٠] عندما جعل المخوف نفسه العظيم »[٥] .

ويقول السيوطي: « لا يكاد اللغوي يفرق بين الخشية والخوف، ولاشـك أن الخشية أعلى منه، وهي أشد الخوف، فإنها مأخوذة من قولهم: شجرة خـشية أي يابسة، وهو فوات بالكلية، والخوف من ناقة خوفاء أي بها داء، وهو نقص، وليس بفوات، ولذلك خصت الخشية بالله في قوله تعـالى: ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾، وفُرق بينهما أيضاً، بأن الخشية تكون من عظم المُختـشى وإن كـان الخاشي قوياً، والخوف يكون من ضعف الخائف وإن كان المخوف أمراً يـسيراً،

---

(١) النكت والعيون ٣٩٣/٣.
(٢) تقدم تخريجه ص٢٧.
(٣) مدارج السالكين لابن القيم ٥١٢/١.
(٤) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٥٤٥/٢.
(٥) مفاتيح الغيب ، ١٦٥/٢٨.

ويدل لذلك أن الخاء والشين والياء في تقاليبها تدل على العظمة، نحو شيخ للسيد الكبير، وخيش لما غلظ من اللباس، ولذا وردت الخشية غالباً في حق الله نحو: ﴿مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٤]، وقوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾، وأما قوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ ففيه نكتة لطيفة، فإنه في وصف الملائكة، ولما ذكر قوتهم وشدة خلقهم، عبر عنهم بالخوف لبيان أنهم وإن كانوا غلاظاً شداداً فهم بين يديه تعالى ضعفاء، ثم أردفه بالفوقية الدالة على العظمة، فجمع بين الأمرين ، ولما كان ضعف البشر معلوماً لم يحتج إلى التنبيه عليه »[١].

وقال أيضاً في كتابه قطف الأزهار عند قول الله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِي﴾ [البقرة: ١٥٠] « قيل: ذكر الخشية دون الخوف، لأن الخشية حذر من أمر قد وقع، والخوف حذر من أمر لم يقع »[٢]. ونقل أبو البقاء الكفوي في كتابه الكليات[٣]بعض كلام السيوطي السابق.

قال ابن عاشور في قوله تعالى: ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾ [النازعات: ١٩] «والخشية : الخوف، فإذا أطلقت في لسان الشرع يراد بها خشية الله تعالى ، ولهذا نزل فعلها هنا منزلة اللازم فلم يذكر له مفعول لأن المخشي معلوم مثل فعل الإيمان في لسان الشرع يقال: آمن فلان، وفلان مؤمن ، أي مؤمن بالله ووحدانيته »[٤].

وتذكر الدكتورة عائشة عبدالرحمن المعروفة (ببنت الشاطئ)[٥] الفرق بين الخشية

---

(١) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ٥٦٩/٢.

(٢) قطف الأزهار في كشف الأسرار ٣٤٧/١.

(٣) الكليات اللغوية ص ٤٢٨ .

(٤) التحرير والتنوير ٧٨/٣٠ .

(٥) هي عائشة محمد عبد الرحمن المشتهرة ببنت الشاطئ، ولدت في مدينة دمياط سنة ١٣٣١هـ ونشأت في بيت علم ودين فقد كان والدها أحد علماء الأزهر، وقد أكملت حفظ القرآن الكريم في سن مبكرة، وواصلت تعليمها إلى أن حصلت على شهادة الدكتوراه عام ١٩٨١م، ولها جهود طيبة ومشاركات قيمة في مختلف المجالات والفنون، ومن أشهر مؤلفاتها: التفسير البياني، والإعجاز البياني، والإسرائيليات والغزو الفكري،ولغتنا والحياة .. وغيرها، وتوفيت سنة: ١٤١٩هـ، انظر: التفسير البياني ١/ ٩ – ١٨ لعائشة عبد الرحمن.

والخوف فتقول: « وتفترق الخشية عن الخوف ، بأنها تكون عن يقين صادق بعظمة من نخشاه ، كما يفترق الخشوع عن الخضوع، بأننا لا نخشع إلا عن انفعال صادق بجلال من نخشع له، وأما الخوف فيجوز أن يحدث عن تسلط بالقهر والإرهاب ، كما أن الخضوع قد يكون تكلفاً عن نفاق وخوف، أو تقية ومداراة، والعرب تقول : خشع قلبه ولا تقول : خضع ، إلا تجوزاً ... »[1] .

قلت: وغالباً ما تقترن الخشية بالأسماء الحسنى المتضمنة لمعنى الرجاء كاسم الرب والرحمن، بخلاف الخوف فإنه غالبا ما يقترن باسم الله المتضمن لمعنى الرهبة أو يقترن بذكر الآخرة والعذاب الأليم .

فمن خلال العرض السابق لأقوال العلماء يتبين الفرق الجلي بين الخشية والخوف ويمكن تلخيصه في النقاط التالية:

١- أن الخشية من الله عز وجل متعلقة بذاته، ولا تتحقق إلا بعد وجود المعرفة والعلم به سبحانه وتعالى، وهي متضمنة لمعنى التعظيم والهيبة والإجلال، بخلاف الخوف من الله جل وعلا، فإنه يكون من المعاصي وآثارها ، وقد يكون متعلق بفعل العبد وبفعل الله تعالى، وقد يحصل بلا معرفة ولا علم، ولذلك قد يخاف الإنسان من أشياء لا حقيقة لها ، وهو متضمن لمعنى الضعف والجبن.

٢- الغالب أن آثار الخشية تكون قلبية ومخفية عن الظهور على الجوارح، بخلاف الخوف فالغالب أن آثاره تكون ظاهرة على الجوارح.

٣- أن الخشية لا تكون إلا في الأمور التي وقعت أو ستقع لا محالة، وأما الخوف فمعظمه لا يكون إلا في الأمور التي لم تقع وربما لا تقع أبداً.

٤- أن الخشية في لسان الشرع لا يراد بها إلا خشية الله تعالى، بخلاف الخوف فقد يراد به غير الله عز وجل، مثل الخوف من الأعداء وغيرهم، ومنه سميت صلاة الخوف بذلك.

---

(١) الإعجاز البياني للقرآن ص ٢٢٦ ، للدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ).

المطلب الثاني: الفرق بين الخشية والوجل:

قد سبق ذكر أقوال العلماء في بيان معنى الخشية، وأما الوجل فقد اختلفت عبارات العلماء في تعريفه.

فمنهم من عرفه بالخوف استناداً لقول إبراهيم عليه السلام للملائكة: ﴿إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ﴾ [الحجر: ٥٢] أي خائفون، وقد جاء مفسراً بالخيفة كما في قوله تعالى: ﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ [هود: ٧٠] وقوله: ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ [الذاريات: ٢٨] .

ومنهم من عرفه بأنه حالة قلق واضطراب عند ذكر عظمة الله وقدرته، وهذا هو قول أبي هلال العسكري[١]، وقال القرطبي : الوجل هو: « الخوف والفزع من عذاب الله »[٢].

وأما ابن القيم فيقول: «هو رجفان القلب والضراعة لذكر من يخاف سلطانه»[٣]. ومنهم من فسر الوجل برقة القلب عند ذكر الله تعالى، وهذا أحد الوجهين الذين ذكرهما الماوردي [٤] .

ومنهم من عرفه بقوله: هو خوف مع فزع فيكون لاستعظام الموجول منه؛ وهذا قول ابن عاشور[٥].

فمن خلال النظر والتأمل في أقوال العلماء السابقين في بيان معنى الوجل، نجد أنه في الحقيقة ما هو إلا أثر من آثار الخشية من الله تعالى، فالقلق واضطراب القلب ورقته عند ذكر الله عز وجل ، والفزع من عذاب الله ،كلها تعتبر من آثار الخشية من الله تعالى، ولأن الوجل لا يكون إلا مع علم ومعرفة وتعظيم بمن يوجل منه، وما ذكر الوجل في القرآن إلا كان محموداً، بل لم يذكر مذموماً أبداً، وأما الذي حصل لنبي الله إبراهيم عليه السلام عند مقابلة الملائكة الكرام - عليهم السلام -

---

(١) الفروق في اللغة لأبي هلال العسكري ص ٤٢٠.
(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣٦٦/٧.
(٣) مدارج السالكين ٥١٣/١.
(٤) النكت والعيون ٢٩٥/٢.
(٥) التحرير والتنوير لابن عاشور ٢٥٦/٩ .

فهو وجل غير مذموم بل هو بمنزلة الخوف الطبيعي الذي يعتري الإنسان عند توقع حصول مكروه، وقد جاء مفسراً بالخيفة كما سبق بيانه .

المطلب الثالث: الفرق بين الخشية والرهبة:

جمهور المفسرين يعرفون الرهبة بأنها الخوف أو الخشية، ابتداءً بابن جرير[١] وانتهاءً بابن عاشور[٢]، ومنهم من زاد فيها بعض الألفاظ، قال أبو هلال العسكري: هي طول الخوف واستمراره، ومن ثم قيل للراهب راهب لأنه يديم الخوف [٣] .

يقول الراغب الأصفهاني: الخشية: هي خوف يشوبه تعظيم المخشي منه مع المعرفة والعلم به ، ولذلك خص الله به العلماء ، وأما الرهبة فهي: خوف مع تحرز واضطراب، ولتضمن الاحتراز قال تعالى: ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِيٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ ﴾ [البقرة: ٤٠] [٤].

وأما ابن القيم فيقول الرهبة هي: « الإمعان في الهرب من المكروه » [٥] .

وقال القرطبي بعد أن ذكر أن معنى الرهبة هو الخوف: « ويتضمن الأمر بها معنى التهديد »[٦].

وقد أخذه عن ابن عطية[٧] .

فمن خلال عرض قول هؤلاء العلماء يتضح لنا أن الفرق بين الخشية والرهبة يتمثل فيما يلي:

١- أن صاحب الخشية لا يلتجئ إلى الهرب بل هو في سكون وقرار وطمأنينة؛ لأنه معتصم بالعلم، بخلاف صاحب الرهبة فهو يلتجئ إلى الفرار والهرب من المكروه ، وقد يكون فراره ممدوحاً إذا كان إلى ربه عز وجل .

---

(١) جامع البيان ٢٦٥/١.
(٢) التحرير والتنوير، ١٠٢/٢٨.
(٣) الفروق في اللغة لأبي هلال ص ٤٢٧.
(٤) المفردات للراغب ٢٦٩/١ ، وكتاب الذريعة إلى مكارم الشريعة له ص ٢٣٤.
(٥) مدارج السالكين لابن القيم ٥١٢/١.
(٦) الجامع لأحكام القرآن٣٣٢/١.
(٧) ا المحرر الوجيز، ١٣٤/١.

٢- أن الرهبة متضمنة للخوف بتحرز واضطراب، والأمر بها فيه تهديد للمأمور، بخلاف الخشية فهي متضمنة للطمأنينة والسكينة. والأمر بها يتضمن معنى التحذير لا التهديد .

المطلب الرابع: الفرق بين الخشية والإشفاق:

إن مما يوجب التغاير بين الخشية والإشفاق ذكرهما في آية واحدة كما سيأتي بيانه في الآيات التالية، وإلا كان في الكلام تكرار لا مفهوم له.

قال أبو هلال العسكري: « الفرق بين الخشية والشفقة، أن الشفقة ضرب من الرقة وضعف القلب ينال الإنسان، ومن ثم يقال للأم إنها تشفق على ولدها، أي: ترق له، وليست هي من الخشية والخوف في شيء، والشاهد قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧] ، ولو كانت الخشية هي الشفقة لما حسن أن يقول ذلك، كما لا يحسن أن يقول: يخشون من خشية ربهم ومن هذا الأصل قولهم: ثوب شفق، أي: إذا كان رقيقاً، فقولك: أشفقت من كذا معناه: ضعف قلبي عن احتماله »[١] .

وقال الراغب: «الإشفاق هو: عناية مختلطة بخوف، لأن المشفق يحب المشفق عليه ويخاف ما يلحقه، قال تعالى: ﴿وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشۡفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٩] فإذا عدي بـ(من) فمعنى الخوف فيه أظهر، وإذا عدي بـ (في) كقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ﴾ [الطور: ٢٦] فمعنى العناية فيه أظهر »[٢].

وقال ابن القيم: « الإشفاق هو: رقة الخوف، وهو خوف برحمة من الخائف لمن يخاف عليه، فنسبته إلى الخوف نسبة الرأفة إلى الرحمة »[٣].

وقال الجرجاني: « الشفقة هي: صرف الهمة إلى إزالة المكروه عن الناس »[٤].

---

(١) الفروق في اللغة لأبي هلال العسكري. ص ٤٢٦-٤٢٧.
(٢) المفردات للراغب ٢٦٣/١-٢٦٤.
(٣) مدارج السالكين لابن القيم ٥١٨/١.
(٤) التعريفات للجرجاني ص١٦٨/١.

ومما تقدم يتضح أنه هناك فرقاً بين الخشية والإشفاق، وهو أن يقال :

إن الإشفاق يتضمن معنى الرحمة والرأفة بالغير بسبب المحبة ورقة القلب لذلك، بخلاف الخشية فهي متضمنة للتعظيم والحذر ممن يخشى منه، وليس لها متعلق بالغير، بل هي متعلقة بالخاشي نفسه.

المطلب الخامس: الفرق بين الخشية والخوف الفطري:

قد سبق البيان والإيضاح بأن الخشية المتضمنة لمعاني التعظيم والإجلال لمن يخشى منه؛ هي نوع من أنواع العبادات القلبية التي لا يجوز صرفها لغير الله عز وجل، ومن صرفها لغير الله عز وجل فقد وقع في الشرك الأكبر المخرج عن ملة الإسلام، كما هو حال المشركين مع معبوداتهم، قال الله تعالى عنهم: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ [الزمر: ٣٦] وهذا الخوف هو خوف تعظيم وإجلال وهيبة بمعنى الخشية ولا يجوز صرفه إلا لله وحده، وهؤلاء المشركون كانوا يخوّفون الرسول صلى الله عليه وسلم بهذه الأصنام عندما كان ينكر عليهم عبادتها مع الله عز وجل، ومن ذلك أيضاً خشية المنافقين من انتصار المؤمنين على الكافرين، لأنهم في الحقيقة كُفار في الباطن، ومسلمون في الظاهر، قال الله عنهم: ﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ﴾ [المائدة: ٥٢] .

وهذا فيما يتعلق بالخشية وحكم صرفها لغير الله عز وجل، وأما الخوف الفطري أو ما يسمى بالطبيعي فهو في الحقيقة خوف قد جبل الإنسان عليه ولا يؤاخذ به، بل إن الإنسان إذا لم يحصل له هذا الخوف لوجود أسبابه قد يحكم عليه بالمرض، ومن أمثلته النظرية: الخوف من السباع والثعابين أو من سلطان ظالم جبار... ونحوذلك، وأما أمثلته التطبيقية فكثيرة، فمنها ما ذكره الله تعالى عن نبيه يعقوب – عليه السلام - عندما خاف على ابنه يوسف أن يأكله الذئب عند ذهابه مع إخوته إلى البرية، قال تعالى مخبراً عن قوله:﴿ قَالَ إِنِّى لَيَحْزُنُنِىٓ أَن تَذْهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ غَٰفِلُونَ ﴾[يوسف:١٣] ومن ذلك أيضاً ما حصل لنبي الله موسى– عليه السلام – حينما قتل ذلك القبطي، فقد حصل له من الخوف

الذي جعله يهرب خائفاً من كيد فرعون وقومه إلى بلاد أخرى، قال تعالى مخبراً عن حاله: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص: ٢١].

وبذلك يتضح الفرق بين الخشية والخوف الفطري، ويمكن حصره من خلال العرض السابق في النقاط التالية.

١- أن الخشية عبادة مكتسبة بفعل أسبابها بخلاف الخوف الفطري فهو غريزة جبل الإنسان عليها.

٢- أن حصول الخشية لغير الله يؤاخذ عليه العبد إذا كان ذلك يتضمن تعظيماً وهيبة لمن يخشى منه، بخلاف الخوف الفطري فلا يؤاخذ عليه العبد؛ لأنه قد جبل عليه .

٣- أن الخشية خاصة بعباد الله الصالحين العالمين به سواء كانوا من الملائكة أو من الثقلين ، بخلاف الخوف الفطري فيشترك فيه الصالحون وغيرهم من الإنس والجن ماعدا الملائكة - عليهم السلام - فلا يدخلون في هذا الخوف الفطري ؛ وذلك لما خصهم الله بخصائص وصفات تليق بعالَمهم وخلقَتهم.

* * *

المبحث الرابع

أساليب الأمر بالخشية:

لقد تنوعت أساليب القرآن الكريم في الأمر بالخشية، فمنها فعل الأمر وهو الأكثر ويندرج تحته النهي عن الشيء ، لأن النهي عن الشيء في الحقيقة يعد أمراً بضده، ومنها الفعل المضارع المجزوم بلام الأمر، ومنها الاستفهام الإنكاري الذي بمعنى النهي، ومنها ما هو حث على تحقيق الخشية من الله تعالى بذكرها على سبيل المدح والثناء على أهلها، وهذا فيه معنى الأمر .

النوع الأول: الآيات التي ورد الأمر فيها صريحاً بالخشية من الله وحده، والنهي عن خشية ما سواه :

قال تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِي﴾ [البقرة: ١٥٠] ، وقال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ﴾[المائدة: ٣] ، وقال تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾[المائدة:٤٤].

فقوله: ﴿وَٱخْشَوْنِ﴾ فعل أمر يراد به الوجوب، أي وجوب الخشية من الله تعالى.

قال القاضي أبو يعلى: « إذا ورد الأمر متعرياً عن القرائن اقتضى وجوب المأمور به» [(١)]. وقد قرر الأصوليون أن الأمر إذا كان بعد النهي يقتضي الوجوب كما هو الحال في هذه الآية[(٢)].

وأما النهي في قوله: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾ (الفاء) تسمى بالفصيحة، أي إذا عرفتم ذلك ورسخت حقيقته في نفوسكم، و(لا) هي الناهية وقد جزمت الفعل المضارع

---

(١) العدة في أصول الفقه ، ٢٢٤/١.

(٢) انظر: التبصرة في أصول الفقه لأبي إسحاق الشيرازي ٣٩/١، وسلاسل الذهب للزركشي ص ٢٠٧.

الذي بعدها[١].

وهذا النهي في الحقيقة يعد أمراً بحد ذاته، لأن النهي عن الشيء أمر بضده كما قرره الأصوليون في كتبهم[٢].

ومجيء الأمر بعد النهي من باب التخلية قبل التحلية ، فأولاً تفريغ القلب من خشية غير الله تعالى، ثم بعد ذلك تمكين الخشية من الله عز وجل في القلب .

فاتضح مما سبق أن في الآيـة أسلوبين من أساليب الأمر بالخشية من الله تعالى:

الأول: هو نهي عن الخشية من غير الله، وفي مضمونه أمراً بالخشية من الله وحده.

والثاني: أمر صريح بالخشية من الله تعالى دون ما سواه.

وفي الآيات السابقة نوع من أنواع علم البديع وهو طباق السلب، حيث ورد فيها الجمع بين الأمر والنهي[٣].

وأما الأمر في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ﴾ [آل عمران: ١٧٣] فإن قوله ﴿فَٱخۡشَوۡهُمۡ﴾ أمر لا يراد منه الوجوب، لأنه حكاية خبر، ولأن الذي أمر به غير الله تعالى والأمر به معصية لله عز وجل ، ولذلك جاء بيان حقيقة هذا الأمر في الآية التي بعدها ، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٧٥] أي أن هذا الأمر بالخشية من الناس هو في الحقيقة من الشيطان يخوف أولياءه الذين يتولونه أو يخوفكم أيها المؤمنون أولياءه من الكفار[٤].

---

(١) إعراب القرآن لمحي الدين الدرويش ١٩٥/١.

(٢) انظر: شرح الكوكب المنير لابن النجار ٣/ ٥٤، وميزان الأصول لعلاء الدين السمرقندي ص ١٤٣، والقواعد الأصولية لابن اللحام ص ١٩٥.

(٣) القول البديع في علم البديع ، لمرعي بن يوسف الحنبلي ص ١٢٣.

(٤) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية ٥٤٤/١.

ومن الآيات التي ورد الأمر فيها بالخشية قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـٔٗاۚ ﴾ [لقمان: ٣٣].

فقوله: ﴿ وَٱخۡشَوۡاْ ﴾ فعل أمر يستلزم الوجوب للمأمور به، والخشية هنا هي خشية تعظيم وهيبة وحذر، حيث أنه تقرر عند أصحاب الفطر المستقيمة والقلوب السليمة الإيمان بالبعث والنشور، وما في ذلك اليوم العظيم من الأهوال العظام التي تشيب لها مفارق الولدان، ويتخلى كل حبيب عن حبيبه فكلٌ مهتم بنفسه، لذا جاء الأمر من الله تعالى في هذه الآية الكريمة لعباده بأن لا يغفلوا عن ذلك اليوم وأن يستعدوا له بالأعمال الصالحة التي تكون سبباً للفوز والنجاة في ذلك اليوم العظيم.

النوع الثاني: الفعل المضارع المجزوم بلام الأمر:

وهذا لم يرد إلا في آية واحدة، وهي قوله تعالى: ﴿ وَلۡيَخۡشَ ٱلَّذِينَ لَوۡ تَرَكُواْ مِنۡ خَلۡفِهِمۡ ذُرِّيَّةٗ ضِعَٰفًا﴾ [النساء: ٩] فقوله: ﴿ وَلۡيَخۡشَ ﴾ فعل مضارع دخلت عليه لام الأمر فجزمته، وقد تضمن هذا الفعل أمراً بالخشية لدخول لام الأمر عليه، وقد حذف مفعوله لدلالة الكلام عليه، ولكي يتقدر فيه التخويف بالله تعالى، أو التخويف بالعاقبة والحال في الدنيا، فينظر كل متأول بحسب تقدير الأهم في نظره(١).

والخشية في هذه الآية إما أن تكون بمعنى الخوف لتعلقها بأمرٍ دنيوي ، أو تكون على بابها إذا قلنا أنها متعلقة بالله عز وجل على تقدير المفعول، فيكون المعنى: وليخش الله هؤلاء الذين يحضرون الميت أن لا يقولوا إلا ما فيه خير وصلاح للميت ولورثته، قال ابن عاشور: فابتدئت الآية بموعظة بالأمر بخشية الله تعالى أي: خشية عذابه(٢).

---

(١) انظر: المصدر السابق ١٣/٢.

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور ٢٥٢/٤، وقد مضى الكلام فيما سبق على هذه الآية في النوعين الرابع والسابع من مبحث الوجوه والنظائر لكلمة الخشية في القرآن.

النوع الثالث: الاستفهام الذي بمعنى النهي:

وهذا لم يرد إلا في آية واحدة وهي قوله تعالى: ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٣] .

فالهمزة في قوله: (أتخشونهم) هي للاستفهام، ومعناها النهي[١]، أي: لا تخشوهم واخشون ، فأنا أهل أن يخشى العباد من سطوتي وعقوبتي ...[٢].

النوع الرابع: الآيات التي فيها الحث على تحقيق الخشية من باب ذكرها على سبيل المدح والثناء على أهلها.

قال تعالى: ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ [الرعد: ٢١] ، وقال تعالى: ﴿إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٣] ، وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ [النازعات: ٢٦] ، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا﴾ [النازعات: ٤٥] ، وقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [النور: ٥٢] وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الملك: ١٢] والآيات في هذا المعنى كثيرة، وفيها حث للعبد على ضرورة تحقيق هذه العبادة العظيمة التي هي سبب فلاحه في الدنيا والآخرة .

قال العـز بن عبد السلام متحدثاً عن بعض الأساليب الواردة في القرآن:

الأول: مدح الأفـعال وذمها، ترغيباً في ممدوحها، وتزهيـداً في مـذمومها، وهذا ضرب من التأكيد .

الثاني: مدح الفاعلين، ترغيباً للعباد في الدخول في مدحة رب العالمين التي هـي زين الطائعين.. [٣].

---

(١) إعراب القرآن لمحي الدين الدرويش ١٨٧/٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٤٠/٢.

(٣) قواعد الأحكام للعز بن عبد السلام١٣٧/١.

الفصل الثاني

المتصفون بالخشية في القرآن الكريم

ويحتوي على أربعة مباحث:

المبحث الأول: الملائكة الكرام عليهم الصلاة والسلام.

المبحث الثاني: الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

المبحث الثالث: الصحابة رضوان الله عليهم.

المبحث الرابع: الصالحون من عباد الله.

المبحث الأول

الملائكة الكرام عليهم الصلاة والسلام

لقد جاءت الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة بذكر حال الملائكة الكرام في الخشية من الله عز وجل، فمن الآيات القرآنية قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[البقرة: ٣٤].

قال ابن القيم: « فلما أُمروا بالسجود ظهر ما في قلوبهم من الطاعة والمحبة والخشية والانقياد، فبادروا إلى الامتثال، وظهر ما في قلب عدوه من الكبر والغش والحسد، فأبى واستكبر وكان من الكافرين »(١).

ومن الجدير بالذكر أن سجود الملائكة لآدم - عليهم السلام – هو سجود تحية وتكريم، كسجود إخوة يوسف - عليهم السلام - له، ولكن سجود الملائكة لآدم - عليهم السلام – يزيد على ذلك بتضمنه معنى الطاعة لله عز وجل بامتثال أمره واجتناب نهيه.

وقال تعالى: ﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ ﴾ [الرعد: ١٣] .

قال أبو المظفر السمعاني: « عن ابن عباس رضي الله عنهما أن لله تعالى ملائكة يبكون من خشيته من يوم خلقهم »(٢)، وقال البغوي: « أي تسبح الملائكة من خيفة الله عز وجل وخشيته »(٣).

وقال تعالى: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [النحل: ٥٠] فخوفهم

---

(١) فوائد الفوائد لابن القيم ، ص٦٩ .

(٢) تفسير القرآن لأبي المظفر السمعاني ٨٤/٣.

(٣) معالم التنزيل ١١/٣.

هذا هو خوف الإجلال والتعظيم والمهابة الذي هو بمعنى الخشية كما جاء في الآيات الأخرى، والملائكة عليهم السلام هم أقرب الخلق إلى الله ولذلك كانوا أشد الخلق خشية لله تعالى، وقد نقل ابن بطال[١] في شرحه على صحيح البخاري أن العارف المحاسبي[٢] قال: خوف الملائكة والأنبياء لله تعالى هو خوف إعظام وإجلال، لأنهم آمنون في أنفسهم بأمان الله لهم[٣].

وقد وصفهم الله عز وجل بأنهم جمعوا بين صفة الخشية والإشفاق، فقال تعالى: ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨] قال ابن جرير: « أي ﴿وَهُم﴾ من خوف الله وحذار عقابه أن يحل بهم ﴿مُشْفِقُونَ﴾ ، يقول حذرون أن يعصوه ويخالفوا أمره ونـهيه »[٤].

ومع ثناء الله لهم ومدحهم بأنهم عباد مكرمون لا يجترئون على التقدم بين يديه بالقول أو الفعل فضلاً عن مخالفة أمره وارتكاب نهيه، فهم مشفقون من خشيته، وفي هذا مشهد إيماني لهؤلاء الملائكة الأبرار بالطاعة وامتثال الأمر، بينما هؤلاء المشركون والكفار لازالوا في طغيانهم وتمردهم على ربهم يعمهون.

ومما يبين شدة خشيتهم لله تعالى وخضوعهم له، ما أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إذا قضى الله الأمر** في **السماء، ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله كالسلسلة على صفوان**»[٥].

---

(١) هو الشيخ العلامة أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي، من أئمة المالكية وله مصنفات من أشهرها شرحه لصحيح البخاري ، والاعتصام في الحديث ، والزهـد والرقـائق، وتوفي سنة ٤٤٩هـ . شذرات الذهب ٢١٤/٥، ومعجم المؤلفين: ٨٧/٧.

(٢) هو الحارث بن أسد المحاسبي روى عن يزيد بن هارون، له مصنفات كثيرة في السلوك والأصول، وهو إمام مقدم عند الصوفية ومن تلاميذه الجنيد، وتوفي سـنة ٢٤٣هـ ـ، انظـر شـذرات الـذهب ١٩٧/٣ـ١٩٨ .

(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال، ١٣٠/١٠.

(٤) جامع البيان ١٧/١٧.

(٥) صحيح البخاري (٤٧٠١).

وهذا الحديث الشريف يصور لنا مشهداً عظيماً لحالة خاصة من أحوال الملائكة الكرام – عليهم السلام – وهو ظهور أثر الخشية من الله تعالى على أنفسهم، تعظيماً لأمره وقوله، وهم في غاية الذل والانكسار والخضوع بين يديه عز وجل، وهذا ناتج عن عظيم علمهم بالله وبأسمائه وصفاته ، فإذا كان هذا حالهم مع أمر الله وقوله ، وهم من هم في المكانة والعصمة والقدر عند الله تعالى ؟ ومع هذا حصل لهم ما حصل من الخشية والاستكانة والتوقير لله جل وعلا ! فكيف يكون حال من دونهم من غير جنسهم ممن هم عرضة للوقوع في المعاصي والذنوب ؟!

وفي معجم الطبراني الأوسط عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما مرفوعاً:«**مررت ليلة أسري بي بالملأ الأعلى وجبريل كالحلس[1] البالي من خشية الله تعالى**» [2] .

قال المناوي: « شبهه بالحلس لرؤيته لاصقاً بما لُطي به[أي بما أُلقي عليه] من هيبة الله تعالى وشدة فرقه منه، وتلك الخشية التي تلبس بها هي التي ترقيه في مدارج التبجيل والتعظيم حتى دعي في التنزيل بالرسول الكريم وعلى قدر خوف العبد من ربه يكون قربه »[3] .

وروى محمد بن نصر المروزي[4]حديثاً بإسناده عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**إن لله تعالى ملائكة ترعد فرائصهم من خيفته**»[5] .

---

(١) الحلْس: هو الكساء الذي يوضع على ظهر البعير تحت القتب، انظر: الجامع في غريب الحديث١٣٧/٢.

(٢) « حسن » أخرجه الطبراني في الأوسط (٤٦٧٦) وابن أبي عاصم في السنة (٦٣٤) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رجاله رجال الصحيح (٢٣٨)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٢٨٩).

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير ٥٢٠/٥.

(٤) هو أبو عبد الله محمد بن نصر المروزي ولد ببغداد سنة : ٢٠٢هـ ورحل في طلب العلم وصنف كتباً كثيرة منها: الإجماع، واختلاف الفقهاء ، والسنة ، والورع ، وغيرها ، وأثنى عليه العلماء كابن حزم والذهبي وغيرهما. وتوفي بسمرقند: سنة ٢٩٤هـ ، انظر: سير أعلام النبلاء ٣٣/١٤ - ٤٠ ومعجم المؤلفين ٧٥٠/٣.

(٥) « إسناده لا بأس به » أخرجه المروزي في تعظيم قدر الصلاة حديث رقم (٢٦٠) ، وأخرجه أبو الشيخ في كتاب العظمة (٥١٥) ، والبيهقي في الشعب (٩١٤) والخطيب البغدادي في تاريخه

المبحث الثاني

الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام

لقد أثنى الله عز وجل في كتابه العزيز على أنبيائه ورسله بإفراده بالخشية، وعدم خشية أحد سواه، فقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٣٩] وقد صدرت دعوتهم في كتاب الله بالأمر بالتوحيد وخوفهم من الله تعالى، قال تعالى عن نبيه نوح عليه السلام: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾ [الأعراف: ٥٩] ولا يخفى ما في هذا الخطاب من نوح عليه السلام إلى قومه، من النصح لهم وإظهار الحنو والشفقة عليهم(١).

وقال الله عن نبيه هود عليه السلام: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾ [الشعراء: ١٣٥] وكذلك قال عن نبيه شعيب عليه السلام: ﴿وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ﴾ [هود: ٨٤] وقال عن نبيه إبراهيم عليه السلام عند مخاطبته

(٦٧٥١) وابن عساكر في تاريخه ٥٨/٤٠ ، وقال ابن كثير بعد إيراده لهذا الحديث في تفسيره : «وهذا إسناد لا بأس به »، انظر: تفسير القرآن العظيم ٤٤٧/٤، وقد ضعف الألباني هذا الحديث بسبب وجود عباد بن منصور في إسناده وهو من عرف بالتدليس، انظر: السلسلة الضعيفة (١٩٨٨)، قلت: هذه العلة لا تكفي في رد حديثه، فقد أخرج له البخاري في صحيحه وأصحاب السنن الأربعة، وتدليسه إنما كان عن عكرمة، وأما في هذا الحديث فقد رواه عن عدي بن أرطأة وهو مقبول الحديث، قال البخاري: إنما دلس عباد عن عكرمة. انظر: أسماء المدلسين لأبي الوفاء الطرابلسي ٢٢/١، وقال ابن حجر: عباد بن منصور صدوق رمي بالقدر وكان يدلس، انظر: التقريب ٢٩١/١، وقال الذهبي : وقد وثقه يحي بن معين وعلي بن المديني، انظر: تاريخ الإسلام ٤٥١/٩، وقد ذكره العجلي في معرفة الثقات١٨/٢، وذكر ابن أبي حاتم عن يحي بن سعيد أنه قال: عباد بن منصور ثقة ليس ينبغي أن يترك حديثه لرأي أخطأ فيه، انظر: الجرح والتعديل٨٦/٦ .

(١) انظر: البحر المحيط لأبي حيان ٣٢٤/٤.

لأبيه: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ [مريم: ٤٥] وقال عن نبيه موسى وهارون عليهما السلام: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلۡفُرۡقَانَ وَضِيَآءٗ وَذِكۡرٗا لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشۡفِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الأنبياء: ٤٨ – ٤٩] ولا ريب أن أنبياء الله ورسله في مقدمة عباد الله المتقين ومنهم موسى وهارون - عليهم السلام - .

وقال عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾ [الأنعام: ١٥] والآيات في هذا المعنى كثيرة.

والعلماء في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨] يدخل فيهم الأنبياء والرسل دخولاً أولياً وذلك لأنهم أعلم الناس بالله عز وجل وهم الواسطة بين الله وبين خلقه ولا سبيل إلى النجاة إلا بإتباع هديهم والتمسك بسنتهم.

وقد بين الله عز وجل في كتابه شدة تأثر أنبيائه ورسله عند سماع آياته تتلى عليهم ، فقال عنهم: ﴿إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا﴾ [مريم: ٥٨] قال الشوكاني: « وهذا استئناف لبيان خشوعهم لله وخشيتهم منه »[1]. وهذا بسبب ما عندهم من العلم بالله وبأسمائه وصفاته، مما أورثهم الخشية والمهابة من الله تعالى، فكان أثره ظاهراً على أنفسهم، بخلاف الكفار الذين أعرضوا عن الاستماع لآيات الله وجعلوا يصدون من أراد الاستماع إليها بقولهم الباطل، كما قال الله عنهم : ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ﴾ [فصلت:٢٦].

وقد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**أنا أعرفكم بالله وأشدكم له خشية**»[2]، وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها حكت أن

---

(١) فتح القدير ٣٣٩/٣.

(٢) أخرجه البخاري (٤٧٧٦) ومسلم (١١١٠) .

رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان يوم الريح والغيم، عرف ذلك في وجهه، وأقبل وأدبر، فإذا أمطرت، سر به، وذهب عنه ذلك، قالت عائشة رضي الله عنها: فسألته، فقال: «**إني خشيت أن يكون عذاباً سلط على أمتي** »[١] .

قال النووي : « فيه الاستعداد بالمراقبة لله والالتجاء إليه عند اختلاف الأحوال وحدوث ما يخاف بسببه، وكان خوفه صلى الله عليه وسلم أن يعاقبوا بعصيان العصاة، وسروره لزوال سبب الخوف »[٢] .

بل بلغ الأمر بهم – عليهم السلام – أنهم يحتقرون أعمالهم ولا يتكلون عليها، وينظرون إلى أنفسهم نظرة المقصر الخائف من عذاب الله تعالى، ومن ذلك ما أخرجه ابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم - : « **لو يؤاخذُنِي الله وابن مريم بِما جنت هاتان يعنِي الإبهام والتي تليها لَعذبنا ثُم لَم يظْلمنا شيئًا** »[٣].

ومما يبين شدة خشية الأنبياء والرسل – عليهم السلام - لله عز وجل ما جاء في حديث الشفاعة الطويل[٤]، من أن الأنبياء والرسل -عليهم السلام- كلهم يعتذرون عن التقدم لطلب الشفاعة من الله عز وجل حتى ينتهي الأمر إلى رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم فيقول: « **أنا لها** » **،** ودعوة الأنبياء والرسل – عليهم السلام - في ذلك اليوم: « **اللهم سلّم سلم** » ، فاعتذارهم وقولهم هذا دالٌ على شدة خشيتهم لله عز وجل ، وهم من هم في المقام والمكانة عند الله عز وجل ؟ .. ومع ذلك حصل لهم ما حصل !

* * *

(١) أخرجه مسلم (٨٩٩) .

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ١٩٦/٦.

(٣) « صحيح » أخرجه ابن حبان في صحيحه (٦٥٧) و أبو نعيم في الحلية ١٣٢/٨، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٢٠٠) وفي صحيح الترغيب والترهيب (٢٤٧٥).

(٤) أخرجه البخاري (٨٠٦) ومسلم (١٨٢) .

المبحث الثالث

الصحابة رضوان الله عليهم

قال الله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩] هؤلاء هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يصفهم القرآن بهذه الأوصاف العظيمة في سلوكهم مع المسلمين وغير المسلمين، وفي عبادتهم لله تعالى كما هو ظاهر أثرها عليهم .

وقال تعالى عن حالهم عند سماع كلامه العظيم: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣] .

قال الحافظ ابن كثير: « هذه صفة الأبرار عند سماع كلام الجبار، المهيمن العزيز الغفار، لما يفهمونه من الوعد والوعيد، والتخويف والتهديد، تقشعر منه جلودهم من الخشية والخوف ... إلى أن قال: كما كان الصحابة رضي الله عنهم، عند سماعهم كلام الله من تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم تقشعر جلودهم ، ثم تلين جلودهم إلى ذكر الله »[1] .

وعن عبد الله بن عروة بن الزبير قال: « قلت لجدتي أسماء: كيف كان يصنع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرءُوا القرآن؟ قالت: كانوا كما نعتهم الله، تدمع أعينهم، وتقشعر جلودهم »[2].

لقد سكنت الخشية في صدور الصحابة رضي الله عنهم حتى استقرت في قلوبهم

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٥١/٤.

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخه ١٩/٦٩-٢٠، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٢٢٢/٧.

فكان لها بالغ الأثر على أنفسهم وفي حياتهم.

قال الحسن[1] : « أسلم أهل بدر من خشية الله، وأسلم الناس من خشية أهل بدر»[2] .

وها هو الصحابي الجليل العرباض بن سارية – رضي الله عنه – يصور لنا حال الصحابة – رضي الله عنهم - وخشيتهم لله تعالى عند سماع الموعظة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول : «وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة بليغة وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله، كأنها موعظة مودع؛ فأوصنا، فقال: «**أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة** ...» [3] .

فكانوا - رضي الله عنهم - شديدي التأثر عند سماع المواعظ، لأنهم أرق الناس أفئدة وألينهم قلوباً، وأعلم الناس بالله بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد كان أبو بكر الصديق – رضي الله عنه – رقيق القلب، غزير الدمع من خشية الله، فإذا قرأ القرآن لا يكاد يسمع صوته من البكاء من خشية الله تعالى[4] .

وأما الفاروق عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – فقد كان كثير التذكر لأهوال يوم القيامة، لذا فقد كثر بكاؤه من خشية الله، وقد كان يرى في خديـه خطـان أسودان من البكاء.

وقد جاءه أعرابي فوقف عنده وقال:

---

(١) هو الإمام أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن بن يسار، مولى زيد بن ثابت، من كبار التابعين، وأفتى في زمن الصحابة، كان بليغاً في الفصاحة والموعظة، كثير العلم بالقرآن ومعانيه وتوفي سنة: ١١٠هـ وله من العمر تسعاً وثمانين.

انظر سير أعلام النبلاء، ٥٦٣/٤، وطبقات المفسرين للأدنروي ص ١٣.

(٢) أخرجه الدينوري في المجالسة عن الحسن ٢٦٩٣/٦، وعن أبي الأحوص مثله ٢٢٣/٢.

(٣) « صحيح » أخرجه أبوداود (٤٦٠٧) والترمذي (٢٦٧٦) وقال: حديث حسن صحيح ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٩٣٧).

(٤) أخرجه البخاري (٧١٦).

يا عمر الخير جزيت الجنة جهـز بنيـاتي وأمهنـه

أقسم بالله لتفعلنه

قال عمر: فإن لم أفعل ماذا يكون يا أعرابي؟ قال: **أقسم إني سوف أمضينه**، قال عمر: فإن مضيت ماذا يكون يا أعرابي؟ قال:

والله عن حـالي لتـسألنه يوم تكون الأعطيات منـه

والواقف المسؤول بينهنـه إما إلى نـار وإمـا جنـه

فبكى عمر حتى تساقطت دموعه على لحيته، ثم قال: يا غلام أعطه قميصي هذا لذلك اليوم لا لشعره، والله ما أملك قميصاً غيره[1].

وروى موفق الدين ابن قدامة بإسناده عن جعفر بن زيد العبدي قال: خرج عمر يعس المدينة ذات ليلة، فمر بدار رجل من المسلمين، فوافقه قائماً يصلي، فوقف يستمع قراءته فقرأ: ﴿وَٱلطُّورِ ۝١﴾ [الطور: ١] حتى بلغ: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ۝٨﴾ [الطور: ٧ – ٨] قال: قسم – ورب الكعبة – حق. فنزل عن حماره واستند إلى حائط، فمكث مليا، ثم رجع إلى منزله، فمكث شهراً يعوده الناس لا يدرون ما مرضه، رضي الله عنه »[2].

هكذا تصنع الخشية من الله عز وجل بأصحابها إذا تغلغلت في قلوب الرجال ، وهكذا يكون بكاء الخاشعين لله تعالى المتذكرين لأحوال يوم القيامة، فهذا الصحابي الجليل عبد الله بن أم مكتوم يصفه ربه من فوق سبع سموات بأنه جاء ليطلب العلم وهو خاشٍ لله تعالى، قال تعالى:﴿وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ﴾ [عبس: ٧ – ١٠] ولأجل ذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجله ويكرمه، وقد جعله مؤذناً للصلاة[3]، بل ثبت أنه

---

(١) تاريخ بغداد ٣١٢/٤.

(٢) الرقة والبكاء لابن قدامة، ص١٦٥-١٦٦.

(٣) صحيح البخاري (٦١٧).

ولاه على المدينة في بعض غزواته عليه الصلاة والسلام [١].

وعن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف أن عبد الرحمن بن عوف، أُتي بطعام وكان صائماً، فقال: قتل مصعب بن عمير رضي الله عنه وهو خير مني، وكفن في بردة إن غُطي بها رأسه بدت رجلاه، وإن غُطي رجلاه بدا رأسه، ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط – أو قال: أُعطينا من الدنيا ما أُعطينا وقد خشينا أن تكون حسناتنا عجلت لنا، ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام [٢] .

قال الإمام أحمد -رحمه الله- : « وكل ذلك يدل على أن كُل من كان بالله عز وجل أعرف ، كان منه أخوف ، وبشارةُ من بشر منهم بالمغفرة ودخول الجنة ، لا تمنع من الخوف عند ذكر الآيات ، فقد ينسيه الله تعالى تلك البشارة في ذلك الوقت لتكميل أحواله في العبودية ... » [٣] .

ولما نزل قوله تعالى﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾ [مريم:٧١] بكى عبد الله بن رواحة – رضي الله عنه - وذهب إلى بيته يبكي، فسمعه أهل البيت فبكوا ، ثم قال: إنه أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلّم آية ينبئني فيها ربي عز وجل أني وارد النار، ولم ينبئني أني صادر عنها[٤].

لقد بلغت الخشية من الله عند الصحابة مبلغها، حتى إن أحدهم ليناشد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقيم عليه حد الزاني المُحصن وهو الرجم بالحجارة حتى الموت، فما الذي دفع ماعزاً والغامدية – رضي الله عنهما – إلى الإلحاح على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يقيم عليهما حد الزنى للمحصن؟ إنها الخشية من الله تعالى، وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجمهما حتى ماتا، فأما

---

(١) انظر: سنن أبي داود (٥٩٥)، والطبراني في الكبير(١١٤٣٥)، وقال الهيثمي في المجمع (٧٠١٠) : رجاله ثقات، وفي بعضهم كلام لا يضر، وصححه الألباني في إرواء الغليل٣١١/٢ والمشكاة (١١٢١).

(٢) أخرجه البخاري (٤٠٤٥).

(٣) شعب الإيمان للبيهقي (٧٧٢).

(٤) انظر: الزهد لابن المبارك (٣٠٩) ومختصر قيام الليل للمروزي ١٤٤/١.

ماعز فقال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لقد تاب توبة لو قسمت** بين **أمة لوسعتهم**» ، وقال عليه الصلاة والسلام في الغامدية: «**لقد تابت توبة لو قسمت** بين **سبعين من أهل المدينة لوسعتهم**» [(١)].

فالحديث عن أولئك القوم وحالهم مع الخشية من الله تعالى حديثٌ لا يمل وذو شجون، ولكن المقصد من هذا المبحث عرض بعض النماذج من سيرتهم على ضوء وصفهم في كتاب الله العزيز، وكما قيل: يكفي من القلادة ما أحاط بالعنق.

* * *

(١) كلا الروايتين أخرجهما مسلم في صحيحه برقم (١٦٩٥).

المبحث الرابع

الصالحون من عباد الله[١]

الخشية من صفات عباد الله الصالحين، ولذلك كانت من أخص صفاتهم في القرآن الكريم، فقد أثنى الله عز وجل بها على عباده في كثير من آياته في معرض الأجر والثواب والمدح والثناء.

فقال تعالى: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾ [الرعد: ١٩ – ٢١] .

قال الحافظ ابن كثير: قوله: ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ أي: فيما يأتون وما يذرون من الأعمال، يراقبون الله في ذلك، ويخافون سوء الحساب في الدار الآخرة، فلهذا أمرهم على السداد والاستقامة في جميع حركاتـهم وسكناتهم وجميع أحوالهم القاصرة والمتعدية[٢].

فخشيتهم لربهم هي خشية إجلال وتعظيم، وهيبة وحذر، حيث أنهم نظروا إلى أعمالهم الصالحة بعين الاحتقار والاستصغار في حق الله تعالى، ولذلك كان لسان حالهم: « ما عبدناك حق عبادتك وما شكرناك حق شكرك » فينظرون إلى أنفسهم بنظرة المُقصر الخائف الذليل، وأما خوفهم من سوء الحساب في يوم القيامة فلعلمهم ويقينهم بأن من نوقش الحساب فقد كُتب عليه العذاب، وقد جاء ما يؤيده من السنة النبوية، فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) ويأتي الصحابة – رضي الله عنهم – في مقدمة عباد الله الصالحين وعلى رأسهم بعد الأنبياء والرسل – عليهم السلام - ولكن لعظيم مكانتهم عند الله تعالى وعند رسوله – عليه الصلاة والسلام – أفـردوا بالذكر في المبحث الثالث كما سبق.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٥١١/٢.

أنه قال: «**من نوقش الحساب فقد عذب** ». قالت: قلت: أليس يقول الله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾[الانشقاق: ٨]. قال: « **ذلك العرض** »[١].

أي أن الله سبحانه وتعالى يستر عبده المؤمن يوم القيامة عن الخلق، ثم يعرض عليه ذنوبه ويقرره بها، فيقول له: عملت كذا، عملت كذا...وعبده المؤمن لا ينكر من ذلك شيئاً، حتى إذا ظن أنه هلك قال له: « **قد سترتها عليك** في **الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم** »[٢].

ومن الآيات في وصف عباد الله الصالحين بالخشية قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧-٦١] .

فقد وصف الله تعالى عباده الصالحين في هذه الآيات الكريمات بصفات خمس، وجعل في مقدمتها صفة الخشية منه عز وجل :

فالصفة الأولى: ما ذكرها بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾ فجمعوا بين الإحسان والشفقة كما قاله الحسن[٣]، ولذلك كان من ثمار هذه الخشية ما بعدها من الصفات.

الصفة الثانية: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ أي أنهم يؤمنون ويصدقون بالآيات الكونية المخلوقة وأنها تدل على عظيم صنع الخالق جل وعلا، وأنه هو الإله الحق المستحق للعبادة وحده لا شريك له، وكذلك يصدقون بالآيات الشرعية المنزلة من عند ربهم على رسله وأنبيائه - عليهم الصلاة والسلام -.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٣٦) ومسلم (٢٨٧٦).
(٢) أخرجه البخاري (٢٤٤١) ومسلم (٢٧٦٨).
(٣) انظر: جامع البيان ٣٢/١٨.

الصفة الثالثة: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ﴾ فلما تحققت الخشية من الله في قلوبهم واستقرت بها كان من ثمارها الإيمان الصادق الذي لا مرية فيه، والإخلاص الحقيقي الذي لا شرك فيه.

ونفي الشرك عنهم هنا يتناول جميع أنواع الشرك، لأن الفعل المضارع في هذه الآية في سياق النفي وقد حذف مفعوله، فكان مفيداً للعموم؛ لأنه بمنزلة النكرة في سياق النفي، وهذا متقرر في علم الأصول والمعاني(١).

قال أبو السعود: ((أي لا يشركون شركاً جلياً ولا خفياً، ولذلك أُخر عن الإيمان بالآيات والتعرض لعنوان الربوبية في المواقع الثلاثة للإشعار بعليتها وللإشفاق والإيمان وعدم الإشراك))(٢).

ولأن توحيد الربوبية قد أقر به المشركون كما أخبر الله بذلك في كثير من الآيات في القرآن الكريم ، قال تعالى :﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦١] .

الصفة الرابعة: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ﴾ ومع تحقيقهم للإيمان بالله عز وجل والإخلاص له، إلا أن الخشية منه أورثتهم الذل والانكسار بين يديه، فمهما عملوا من أعمال عظيمة إلا أن قلوبهم وجلة أي خائفة لم يصبها الغرور والعجب بالعمل، بل تخشى من عدم قبول العمل، هكذا المؤمن الصادق يسيء الظن بعمله ويحسن الظن بربه عز وجل، لأن إحسان الظن بالعمل يبعث إلى الغرور والإعجاب بالنفس ، ويوضح ذلك الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت: قلت يا رسول الله، قول الله ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ﴾ قالت عائشة: أهو الذي يسرق ويزني ويشرب الخمر، وهو يخاف الله قال: «**لا يا بنت أبي بكر، أو - يا**

(١) انظر: البحر المحيط في أصول الفقه٢/٢٨١، والتحرير والتنوير ١٦/١٨٤، وأضواء البيان ٧/١٤٢.
(٢) إرشاد العقل السليم ٦/١٤٠، وانظر: روح المعاني للألوسي ١٨/٤٤.

بنت الصديق-، ولكنه الذي يصلي ويصوم ويتصدق، وهو يخاف الله عز وجل»

وفي رواية: «**ويخاف ألا يقبل منه**» (١).

الصفة الخامسة: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ لأنهم علموا وأيقنوا أن الدنيا ليست دار مقر لهم، بل هي دار عمل وتنافس ومسابقة إلى فعل الطاعات، حتى ينالوا الفوز العظيم في الدار الآخرة من الله تعالى، لذلك كانوا يعملون الطاعات في أوقاتها المحددة ولا يتكاسلون عنها أو يؤخرونها بل يجتهدون في أدائها على أكمل وجه، وهم في مسارعتهم إلى الخيرات قد سبقت لهم من الله السعادة، لأن كُلاً ميسر لما خلق له .

قال الفخر الرازي: « واعلم أن ترتيب هذه الصفات في نهاية الحسن، لأن الصفة الأولى دلت على حصول الخوف الشديد الموجب للاحتراز عما لا ينبغي، والصفة الثانية دلت على ترك الرياء في الطاعات، والصفة الثالثة دلت على أن المستجمع لتلك الصفات يأتي بالطاعات مع الوجل والخوف من التقصير، وذلك هو نهاية مقامات الصديقين رزقنا الله سبحانه الوصول إليها .. »(٢).

ثم بين تعالى حقيقة هذه الأوصاف الخمسة بأنها غير خارجة عن حدود القدرة والاستطاعة فقال : ﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ وَلَدَيۡنَا كِتَٰبٞ يَنطِقُ بِٱلۡحَقِّۚ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٢] .

قال ابن القصاب: « وفي هذه الآية بشارة للمشفقين من خشية ربهم، والوجلة قلوبهم مع صالح أعمالهم من الرجوع إلى ربهم ، بتطييب أنفسهم بأن لا يرهبوا ظلماً ، ويطمئنون إلى أن الله جل جلاله لا يطالبهم فوق وسعهم ، ووسعهم في صالح أعمالهم قد أحصاه كتاب ينطق لهم» (٣).

---

(١) ((صحيح)) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢٥٢٦٣) والترمذي (٣١٧٥) وابن ماجه (٤١٩٨) ، والحاكم في مستدركه (٥٣٤٣) وصححه ووافقه الذهبي. وصححه الألباني في السلسلة (١٦٢) .

(٢) مفاتيح الغيب ٩٤/٢٣.

(٣) نكت القرآن الدالة على البيان،٣٦٠/٢، وابن القصاب هو: محمد بن علي الكرجي القصاب، أحـد

وقد جاءت آيات كثيرة تبين فضل الخشية من الله وأنها سبب للفوز بالجنات والنجاة من النيران، فمنها قولـه تعالى: ﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴾[ق: ٣١ – ٣٣]

ولا يخفى ما في هذه الآيات الكريمات من الألفاظ البلاغية التي بلغت منتهى الغاية في الإعجاز والبيان، فكأن هناك سائلاً يسأل عن صفات عباد الله المتقين الذين استحقوا دخول الجنات، فكان الجواب بقوله:﴿لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾ ثم جاء إيضاح آخر أشد وضوحاً من الشمس في رابعة النهار وهو قوله: ﴿ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴾ .

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي: « أي خافه على وجه المعرفة بربه ، والرجاء لرحمته ، ولازم على خشية الله في حال غيبه أي : مغيبه عن أعين الناس ، وهذه هي الخشية الحقيقية، أي خشية الله في حال الغيبة عن أعين الناس، وأما خشيته في حال نظر الناس وحضورهم فقد تكون رياء وسمعة فلا تدل على الخشية، وإنما الخشية النافعة هي خشيته في الغيب والشهادة »[1].

ويدخل في خشية الصالحين؛ العلماء الربانيون العاملون، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ [فاطر: ٢٨] .

ومن الآيات التي تضمنت صفة الخشية لعباد الله الصالحين قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ﴾ [الزمر: ٢٣]، وهذه الآية الكريمة وإن كانت نعتاً لصحابة رسول الله صلى الله عليه

الأعلام المحدثين، ولُقب بالقصاب لكثرة جهاده وقتله لعدد كبير من الكفار، وله مصنفات كـثيرة في مختلف العلوم منها:كتاب السنة،وكتاب الزكاة،والرد على أهل الأهواء بالأخبار،وشرح النـصوص، وتوفي في حدود سنة ستين وثلاثمائة.انظر نزهة الألباب في الألقاب٩٢/٢، ومعجم المؤلفين٥٩/١١.

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ٨٠٦ _ ٩٠٦.

وسلم، إلا أنها ليست خاصة بهم، بل هي لهم ولمن جاء بعدهم إلى يوم القيامة من عباد الله الصالحين، والعبـرة بعموم الألـفاظ في الآيات لا بخـصوصها، ولذلك قال الله عز وجل في ختام هذه الآية الكـريمة: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ﴾ [الزمر: ٢٣].

فهذه بعض صفات عباد الله الصالحين، حيث وصفهم الله عز وجل بالخشية في كثير من الآيات الكريمات في كتابه العظيم.

❊ ❊ ❊

الفصل الثالث

أنواع الخشية في القرآن الكريم

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الخشية المأمور بها ، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الخشية من الله تعالى.

المطلب الثاني: الخشية من عذاب الله عز وجل.

المطلب الثالث: الخشية من رد العمل على صاحبه وعدم قبوله.

المطلب الرابع: خشية غير العاقل لله عز وجل.

المبحث الثاني: الخشية المذمومة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: خشية المشركين من غير الله عز وجل.

المطلب الثاني: خشية المنافقين من غير الله عز وجل.

المبحث الأول : الخشية المأمور بـها

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الخشية من الله تعالى :

إن للخشية من الله تعالى أهمية كبيرة ومنزلة عظيمة، ولذلك ورد ذكرها في كثير من الآيات القرآنية ، فقال تعالى : ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِي ﴾ [البقرة: ١٥٠] ومناسبة الأمر بالخشية من الله تعالى في هذه الآية أن الرسول عليه الصلاة والسلام ومن معه من المؤمنين عندما امتثلوا أمر الله عز وجل وذلك بالتحول من قبلة بيت المقدس إلى قبلة بيت الله الحرام ، قال اليهود : إن هذا لرجل يزعم أنه على دين إبراهيم، فـإن كان توجهه إلى بيت المقدس على ملة إبراهيم ، فلم رجع عنه؟ وأما المشركون من قريش فقالوا: يوشك أن يرجع إلى ديننا كما رجع إلى قبلتنا[(١)].

فأمر الله سبحانه وتعالى رسولنا صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين بـأن يفردوا الخشية له وحده ، ولا يلتفتوا إلى كلام الظلمة المستكبرين عن قبول الحـق قال الفخر الرازي: « وهذه الآية تدل على أن الواجب على المرء في كـل أفعالـه وتحركاته أن ينصب بين عينيه خشية عقاب الله ، وأن يعلم أنه ليس في يد الخلـق شيء البتة ، وأن لا يكون مشتغل القلب بهم، ولا ملتفت الخاطر إليهم »[(٢)].

وجاء أيضاً ذكر الخشية من الله في موضعين من سورة المائدة:

الأول: قولـه تعـالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ﴾ [المائدة :٣] .

---

(١) انظر:تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٦٩/١.

(٢) مفاتيح الغيب ، ١٢٧/٤-١٢٨.

ومناسبة ذكر الخشية من الله في هذه الآية واضح، حيث أن الإسلام قد عز وارتفع ، وعلى أمره ، وكثر أهله، حتى حج المسلمون إلى بيت الله الحرام ولم يشاركهم أحد من المشركين في ذلك الزمن، وعند ذلك يئس المشركون من اضمحلال أمر الإسلام، وفساد جمعه، فنهى الله عباده المؤمنين أن لا يخشوا من هؤلاء المشركين بعد النصر والظهور عليهم، وهذا من تمام نعمة الله على عباده المؤمنين.

الموضع الثاني: قوله تعالى:﴿فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ ﴾ [المائدة: ٤٤]

ومناسبة ذكر الخشية من الله تعالى في هذه الآية ، أن من الناس من يقدم خشية غير الله على أمر الله ، وهذا قد وقع عند اليهود على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث غيروا حكم الله في الزاني المحصن من الرجم إلى الجلد ، وذلك عندما كثُر فيهم وانتشر في أشرافهم .

قال ابن جرير: « يقول الله تعالى لعلماء اليهود وأحبارهم: لا تخشوا الناس في تنفيذ حكمي الذي حكمت به على عبادي وإمضائه عليهم على ما أمرت، فإنهم لا يقدرون لكم على ضر ولا نفع إلا بإذني، ولا تكتموا الرجم الذي جعلته حكماً في التوراة على الزانيين المُحصنين، ولكن اخشوني دون كل أحد من خلقي...»[(١)] .

قلت: وإن كان هذا الخطاب موجهاً إلى علماء بني إسرائيل، فإنه يتناول هذه الأمة من باب أولى، وخاصة العلماء منهم ، فينبغي عليهم أن يحذروا أشد الحذر أن يرتكبوا ما ارتكبه علماء بني إسرائيل من التلاعب بأحكام الله وشريعته بمقتضى أهوائهم وابتغاء رضوان الخلق، فهذا هو علامة الهلاك والخسران ، وقد جاء التحذير من ذلك على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: «**لا ترتكبوا ما ارتكبت اليهود فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل**»[(٢)] .

---

(١) جامع البيان ٢٥١/٦.

(٢) «حسن» رواه ابن بطة في كتابه إبطال الحيل ٤٧/١، وحسنه شيخ الإسلام ابن تيمية، انظر مجموع الفتاوى: ٢٩/٢٩، والقواعد النورانية:١٢٠/١، وحسنه ابن القيم في حاشيته على سنن أبي داود:

ولذلك جاء الأمر في هذه الآية الكريمة بعد النهي تأكيداً بإفراد الخشية لله وحده، وتحذيراً من خشية غيره من الخلق، لأنه سبحانه هو أهل الخشية والتقوى.

ومن الآيات التي ورد فيها ذكر خشية الله تعالى قوله: ﴿فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٣] .

ومناسبة ذكر خشية الله تعالى في هذه الآية أن المشركين لما نقضوا العهد الـذي بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو عهد الصلح بالحديبية وأعانوا بني بكر على قتال خزاعة، أمر الله المؤمنين بقتالهم وحثهم عليه، وحـذرهم بالخـشية منهم بقوله: « أتخشونهم »[1] .

قال ابن عاشور: «وهذا استفهام إنكار أو تقرير على سبب التردد في قتالهم»[2] ومعناه : أي إن كانت الخشية منهم هي التي منعتكم من قتالهم فالله أحق بها منهم إن كنتم مؤمنين ، إذ المؤمن حق الإيمان يكون أشجع الناس وأعلاهم همة لأنـه لا يخشى إلا الله وحده .

قلت : وفي هذه الآية إثبات بأن الخشية من الله تعالى من مقتضيات الإيمـان ، فكلما قوي إيمان العبد قويت الخشية في قلبه وكلما ضعف الإيمان ضعفت الخشية، ولذلك كانت الخشية من الله تعالى في هذه الآية شرطاً في تحقيق كمال الإيمان، وإن كانت داخلة في مسماه، ولكنها جعلت علامة دالة على تحققه وحصوله.

ومن الآيات التي ورد فيها ذكر الخشية من الله تعالى : قوله: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا﴾ [النساء: ٩] وهذا على تقدير مفعول الفعل المضارع

٢٤٤/٩، وفي إغاثة اللهفان: ٣٤٨/١، وقال: إسناده مما يصححه الترمذي، وقال الحافظ ابن كـثير: وهذا إسناد جيد ، وفي إسناده أحمد بن محمد بن مسلم وقد وثقه الحافظ أبو بكر الخطيب، وبـاقي رجاله مشهورون على شرط الصحيح . انظر : تفسير القرآن العظيم ١٠٨/١، وحسنه الألبـاني في صفة الفتوى ص٣١.

(١) انظر: معالم التنزيل٢٧٢/٢.

(٢) التحرير والتنوير ١٣٤/١٠.

«يخشى» باسم الله عز وجل.

فيكون المعنى : وليخش الله الذين يحضرون الميت أن لا يقولوا إلا ما فيه خير وصلاح للميت ولورثته ، وقد مضى الكلام على هذه الآية فيما سبق[(١)] .

قال ابن عطية : «ومفعول (يخشى) محذوف لدلالة الكلام عليه، وحسن حذفه من حيث يتقدر فيه التخويف بالله تعالى، والتخويف بالعاقبة في الدنيا ، فينظر كل متأول بحسب الأهم في نفسه»[(٢)] .

وهذه هي الآيات التي ذكر فيها الأمر بالخشية من الله تعالى على وجه التصريح بالأمر في ذلك ، وإلا فهناك آيات كثيرة تضمنت الحث على الخشية من الله تعالى ولكن على سبيل المدح والثناء على أهلها والتنويه بفضلهم كقول ابن آدم لأخيه عندما أراد قتاله : ﴿ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [المائدة: ٢٨] قال أبو السعود: وفي ذلك من إرشاد قابيل إلى خشية الله تعالى على أبلغ وجه وآكده بما لا يخفى..[(٣)] .

قلت: ولذلك امتنع ابن آدم من قتال أخيه تعظيماً وإجلالاً لله تعالى، وحذراً من معصيته وأليم عقابه.

ومن الآيات التي فيها تنويه بمدح أهل الخشية قوله تعالى في معرض ذكر صفات

---

(١) انظر: النوعين الرابع والسابع من مبحث الوجوه والنظائر لكلمة الخشية في القرآن الكريم.

(٢) المحرر الوجيز١٣/٢.

(٣) إرشاد العقل السليم ٢٧/٣.

قلت : جمهور المفسرين يرون أن اسمي ابني آدم قابيل وهو القاتل ، وهابيل وهو المقتول ، ولكن في الحقيقة لم يثبت بذلك نص لا من كتاب الله تعالى ، ولا من سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وقد ورد في السنة ذكرهما لكن بدون تعيين لاسميهما ، كقوله عليه الصلاة والسلام : «**لا تقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفلٌ من دمها لأنه أول من سن القتل**» أخرجه البخاري (٣١٥٧)، ومسلم (١٦٧٧) .

أولي الألباب : ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ [الرعد: ٢١] وكقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧] وقوله: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [النور: ٥٢] وكقوله في صفة الأواب الحفيظ : ﴿مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ [ق: ٣٣] وغير ذلك مما قد مضى الإشارة إليه فيما سبق [(١)].

قال أبو القاسم القشيري : « لم يقل بنفْسٍ مطيعة بل قال : بقلبٍ منيب ليكونَ للعصاة في هذا أملٌ ؛ لأنهم وإن قَصروا بنفوسهم وليس لهم صدق القَدمِ ، فلهم الأسف بقلوبهم وصدق الندم » [(٢)] .

* * *

(١) انظر ص ٦٣ من هذا البحث .

(٢) لطائف الإشارات ٣/٢٣٠.

المطلب الثاني: الخشية من عذاب الله تعالى.

إن الخشية من عذاب الله عز وجل هي أصل من أصول دعوة الأنبياء والمرسلين، فما من نبي ولا رسول إلا وخاطب قومه بخوفه وخشيته من عذاب الله سواءً على نفسه أو على أنفسهم . فهذا نوح –عليه السلام – يخاطب قومه بعد دعوتهم إلى توحيد الله : ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴾ [الأعراف: ٥٩] وكذلك هود – عليه السلام – يقول لقومه بعد دعوتهم إلى توحيد الله: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾[الشعراء: ١٣٥] وقال شعيب – عليه السلام – لقومه: ﴿وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ ﴾ [هود: ٨٤] وأما نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقال لقومه بعد دعوتهم إلى توحيد الله وترغيبهم فيما عند الله: ﴿وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ ﴾ [هود: ٣] وكذلك قال عن نفسه امتثالاً لأمر الله ﴿ قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴾ [الأنعام: ١٥] .

وعذاب الله عز وجل في القرآن الكريم ينقسم إلى قسمين :

القسم الأول: العذاب الدنيوي الذي أنزله الله تعالى بمن تمرد عليه وخالف أمره وعصى رسله ومن ذلك ما أخبر به في القرآن الكريم عن الأقوام السابقة وما حل بهم من العذاب الأليم في الدنيا كقوم نوح – عليه السلام – لما عصوا الله عز وجل وآذوا نبيهم نوحاً – عليه السلام – أهلكهم بالطوفان فغرقوا جميعاً إلا من آمن مع نوح عليه السلام ، قال تعالى :﴿ وَقَوۡمَ نُوحٖ لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ أَغۡرَقۡنَٰهُمۡ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ لِلنَّاسِ ءَايَةٗ ﴾ [الفرقان: ٣٧] .

أي: جعلنا إغراقنا لهم عبرة وعظة للناس، حتى لا يحل بهم نظير ما حل بقوم نوح(١) - عليه السلام – ، وفي سورة الشعراء أورد الله جل جلاله سبع قصص لسبع أمم كذبت أنبياءها فأهلكهم الله عز وجل بالعذاب وهم: قوم فرعون، وقوم

(١) انظر: جامع البيان ١٣/١٩.

إبراهيم، وقوم نوح، وعاد، وثمود، وقوم لوط، وقوم شعيب.

وقد ختم الله عز وجل نهاية كل قوم في هذه السورة بقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الشعراء: ٦٧ - ٦٨] .

وهذا مما يوجب الخشية من عذاب الله عز وجل في الدنيا قبل الآخرة، وأنه ينبغي على العبد أن يأخذ العبرة مما سبق ذكره من أخبار الأقوام السابقة ، فيبتعد كل البعد عن أسباب سخط الله عز وجل.

قال الشوكاني في معرض بيان الفائدة من ختم كل قصة من تلك القصص بالآيتين السابقتين « وفي هذا التكرير لهذه الكلمات في آخر هذه القصص من التهديد والزجر والتقرير والتأكيد ما لا يخفى على من يفهم مواقع الكلام ويعرف أساليبه »(١).

وقال تعالى بعد إهلاك فرعون وقومه: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ [النازعات: ٢٦] لأن من يخشى الله عز وجل هو الذي ينتفع بالآيات والعبر، ففي قصة إهلاك فرعون الطاغية المتجبر على الخلق ، عبرة وعظة لكل من سولت له نفسه أن يفعل مثل فعله ، وأما من انعدمت الخشية من قلبه فلو جاءته كل آية فإنها لا تنفعه ولا يؤمن بها حتى يرى العذاب الأليم.

ومن عذاب الله في الدنيا ما يصيب المنافقين ومن على شاكلتهم بالعذاب المعنوي حتى ولو كثرت لديهم أسباب الغنى في الدنيا. قال تعالى عنهم : ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٥٥] وقد تعددت أقوال المفسرين في بيان كيفية هذا العذاب الدنيوي للمنافقين في الآية السابقة ، والصواب في ذلك ما رجحه ابن القيم حيث أنه عرض أقوال المفسرين وناقشها ثم قال: « والصواب والله أعلم أن يقال : تعذيبهم بها هو الأمر المشاهد من تعذيب طلاب الدنيا ومحبيها ومؤثريها على الآخرة : بالحرص على تحصيلها والتعب العظيم في جمعها، ومقاساة أنواع المشاق في ذلك ، فلا تجد أتعب ممن الدنيا أكبر همه وهو حريص بجهده على تحصيلها...

---

(١) فتح القدير٤/١١٥.

والعذاب هنا هو: الألم والمشقة والنصب، كقوله صلى الله عليه وسلم : «**السفر قطعة من العذاب**»(١). وقوله: « **إن الميت ليعذب ببكاء أهله**»(٢) أي يتألم ويتوجع لا أنه يعاقب بأعمالهم(٣) ، وهكذا من كانت الدنيا كل همه أو أكبر همه ، كما قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه الترمذي (٤) وغيره من حديث أنس رضي الله عنه : «**من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه ، وجمع له شمله ، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه ، وفرق عليه شمله ، ولم يأته من الدنيا إلا ما قُدر له**» ومن أبلغ العذاب في الدنيا تشتيت الشمل وتفريق القلب وكون الفقر نصب عيني العبد لا يفارقه»(٥).

ومن عذاب الدنيا ما يصيب العبد العاصي من الكآبة وضيق الصدر ونكد العيش ومصداق ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ [طه: ١٢٤] وهذا أحد القولين في الآية ، والقول الثاني: أن هذا العذاب يكون في القبر(٦)، ولا تناقض بينهما ، فكل من أعرض عن طاعة الله تعالى وتلاوة كتابه والعمل بما فيه فهو عرضة لعذاب الله في الدنيا وفي البرزخ وفي الآخرة.

أما الدنيا فهو مشاهد محسوس على الإنسان نفسه وعلى غيره عند ارتكاب المعصية، وأما في البرزخ والآخرة فهذا مما لا سبيل لمعرفته إلا بالكتاب والسنة.

ومن عذاب الدنيا هلاك الأموال ، ومصداق ذلك ما أخبر الله به في كتابه الكريم عن أصحاب الجنة كما في سورة القلم، فلما منعوا الفقراء والمساكين حقهم منها ،

---

(١) أخرجه البخاري (١٨٠٤) ومسلم (١٩٢٧).

(٢) أخرجه البخاري (١٢٨٧) ومسلم (٩٢٧) .

(٣) اختلف العلماء في بيان سبب تعذيب الميت ببكاء أهله على عدة أقوال : فمنها ما سبق ذكره من كلام ابن القيم . ومنها : أن سبب ذلك وصية الميت لأهله بالبكاء والنوح عليه بعد موته ، أو إذا كان هذا يعتبر سنة عندهم ، وهذا هو القول الراجح ، وقد اختاره البخاري وجمع من أهل العلم . انظر : شرح ابن بطال على صحيح البخاري ٢٧٣/٣ .

(٤) « صحيح » رواه الترمذي (٤٢٦٥) ، والطيالسي (٦١٧) ، وأحمد (٢١٥٩٠) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة : (٩٤٩-٩٥٠) .

(٥) إغاثة اللهفان ٣٦/١.

(٦) انظر: معالم التنزيل٢٣٥/٣.

سلط الله عليها ما يتلف أشجارها وثمارها ليلاً وهم نائمون.

ثم قال تعالى بعد ذلك: ﴿ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ [القلم: ٣٣].

قال الشيخ السعدي: (أي العذاب الدنيوي لمن أتى بأسبابه أن يسلبه الله الشيء الذي طغى به وبغى وآثر الحياة الدنيا ، وأن يزيله عنه أحوج ما يكون إليه ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ﴾ من عذاب الدنيا ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ فإن من علم ذلك وأيقنه أوجب له الانزجار عن كل سبب يوجب العقاب ويحرم الثواب»(١) .

القسم الثاني: العذاب الأخروي:

وقد ورد ذكره في القرآن الكريم أكثر من العذاب الدنيوي ، وذلك أن عـذاب الآخرة هو العذاب المصيري السرمدي للكفار في النار .

وقد خوف الله عز وجل عباده منه في آيات عديدة، وعرض مشاهده في صـور متنوعة، وذلك لتترسخ خشيته في قلوبهم، فيكون زاجراً لهم ، ورادعاً عن الوقـوع في المعاصي والذنوب ، ودافعاً إلى المسارعة إلى فعل الطاعات.

فمن الآيات التي ورد فيها ذكر عذاب الآخرة قولـه تعـالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٤] فقد أخبر سبحانه وتعالى أن هذه النار تشتعل بالناس والحجارة وتقديم الناس على الحجارة في الآية الكريمة - والله أعلم - من باب الأولوية في الإيقاد، والحجارة هي نوع آخر من العذاب في النار ، وهذا مـا يوقظ الأنفس من الغفلة والإعراض عن الله تعالى إلى الإقبال عليه وتعظيمه وخشيته .

ومن الآيات التي ورد فيها ذكر العذاب الأخروي. قوله تعـالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ ﴾ [النـساء: ٥٦] ففي هذه الآية تخويف عظيم ووعيد شديد لمن كفر بـالله وآياته. فإنهم في عذاب مستمر ومتجدد لا ينقطع، وهذا مما يوجب حذر العبد من عذاب الله عز وجل .

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ، ص ٩٧٨ .

قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴾ [الحجر: ٥٠] . وقال تعالى: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ [طه: ١٢٧] . وقال تعالى: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَخْزَىٰ ﴾ [فصلت: ١٦]. وقال تعالى: ﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴾ [الزمر: ١٦] .

وهكذا جميع الآيات في القرآن الكريم التي ورد فيها ذكر النار وأوصاف العذاب فيها، فهي مما يوجب خشية العبد من ارتكاب ما يكون سبباً لدخول النار، والآيات في ذلك كثيرة جداً، واقتصر على ما ذُكر خشية الإطالة.

وقد أثنى الله عز وجل على عباده الخائفين من عذابه الراجين لثوابه في آيات عديدة منها : قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [آل عمران: ١٦] ، وقال تعالى : ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [آل عمران: ١٩١]، وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٥ – ٦٦] ، وقال تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴾ [المعارج: ٢٧ – ٢٨] .

فهذه جملة من الآيات تبين مدى قيام الخشية والخوف من عذاب الله في قلوب عباده الصالحين، وأن عذاب جهنم هو العذاب الذي يجب على العبد أن يخشاه ويحذر الأسباب المؤدية إليه .

قال ابن رجب : « فجهنم دليل على عظمة الله وشدة بأسه وبطشه وقوة سطوته وانتقامه من أعدائه ، فالخوف منها في الحقيقة خوف من الله وإجلال وإعظام، وخشية لصفاته المخلوقة، مع أن الله سبحانه يخوف بها عباده، ويحب منهم أن يخافوه بخوفها، وأن يخشوه بخشية الوقوع فيها، وأن يحذروه بالحذر منها، فالخائف من النار خائف من الله متبع لما فيه محبته ورضاه، والله أعلم »(١) .

---

(١) التخويف من النار،ص ١٩.

المطلب الثالث: الخشية من رد العمل على صاحبه وعدم قبوله.

إن الخشية من عدم قبول العمل مع الإخلاص فيه، هي دليل واضح على قوة الإيمان واليقين، وهذا ما وقع لكثيرٍ من سلف هذه الأمة.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠ – ٦١] فكانوا يجتهدون في إتمام العمل وإكماله وإتقانه، ثم يهتمون بعد ذلك بقبوله، ويخشون من رده ، وقد مر معنا فيما سبق تفسير النبي عليه الصلاة والسلام للآية السابقة بأنهم هم الذين يعملون الأعمال الصالحة ويخشون بعد ذلك من عدم قبولها[١] . وقد بوب البخاري في صحيحه : باب «خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر» ثم ساق هذه الآثار عن بعض التابعين :

قال إبراهيم التيمي[٢] : ما عرضت قولي على عملي إلا خشيت أني أكون مكذباً، وقال ابن أبي مليكة [٣] : أدركت ثلاثين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يخاف النفاق على نفسه ، ما منهم أحد يقول: إنه على إيمان جبريل وميكائيل[٤] . وقد روي عن علي رضي الله عنه أنه قال: «كونوا لقبول العمل أشد اهتماماً منكم بالعمل، ألم تسمعوا الله عز وجل يقول: ﴿قَالَ إِنَّمَا

---

(١) انظر : ص ٦٢ من هذا البحث.

(٢) هو إبراهيم بن سالم بن أبي أميمة التيمي، وكنيته: أبو إسحاق، وقد وثقه كثير من المحدثين كابن سعد وابن حبان وابن حجر . ومات سنة : ١٥٣هـ وله من العمر أربع وسبعون سنة، انظر تهذيب التهذيب ٦٥/١.

(٣) هو التابعي الجليل عبدالله بن عبيدالله بن أبي مليكة، ويكنى بأبي محمد التيمي المكي، وكان قاضياً لابن الزبير ومؤذناً له، وقد روى عن العبادلة الأربعة وغيرهم، وقد وثقه أهل الحديث عامة، وقال ابن حبان: رأى ثمانين من الصحابة وقد مات سنة ١١٧هـ. انظر : تهذيب التهذيب ٣٧٩/٢ ، وسير أعلام النبلاء ٨٨/٥-٩٠ .

(٤) البخاري كتاب الإيمان باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر ، باب رقم : ٣٦.

يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة: ٢٧]»(١) .

وجزع محمد بن المنكدر عند موته فقيل له، فقال: أخشى آية من كتـاب الله، فتلى قوله تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴾ [الزمر: ٤٧] ثم قال : فأنا أخشى أن يبدو لي من الله ما لم أحتسبه(٢).

لذا كان السلف رحمهم الله يخشون على أنفسهم ولا يثقون بأعمالهم، لأنهم لا يعلمون هل تقبل منهم أم لا؟ قال أبوبكر ابن العربي: «إن العبد مدة عمله في حياته وإن استقام امتثالاً للأوامر واجتناباً للمناهي، فإنه طول المدة وطول المدى ومهـل العيش مع التمادي على صالح العمل لا يثق بالقبول لعمله، ولا بالنجاة من مخاوفه لجهله بالخاتمة، فإنه لا يدري هل يرد عليه ما يحبط عمله أو يعارضه فينقصه، فهو أبداً خائف من ذلك، راج فضل الله في إدامة العمل له كذلك حتى يخلص بحـسن الخاتمة» (٣) ، فينبغي على العبد أن يحذر من الثقة بعمله والأمن من عدم قبوله، لأنه إذا كان كذلك أصابه الغرور والعجب وربما يمن على الله بأعماله.

قال الحسن:« إن المؤمن جمع إحساناً وشفقة، وإن المنافق جمع إساءة وأمناً، ثم تلا قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ إلى قوله: ﴿وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [المؤمنون: ٦٠] ، وأما المنافق فيقول: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾ [القصص: ٧٨]»(٤) وجاء عن الصحابي الجليل فضالة بن عبيد - رضي

---

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني ٧٥/١.

(٢) انظر: حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني ١٤٦/٣، ومحمد بن المنكدر هو: محمد بن المنكدر بن عبدالله ابن الهدير التيمي القرشي، يكنى بأبي عبد الله، من سادات القراء والتابعين، كان لا يتمالك نفسه من البكاء عند سماع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وثقه عامة أهل الحديث،وتوفي سنة: ١٣٠هـ، انظر: الثقات ٣٥٠/٥، والجرح والتعديل ٦٣٨/٢.

(٣) عارضه الأحوذي لابن العربي ٢٨/١٢ ـ ٢٩ .

(٤) جامع البيان ٣٢/١٨.

الله عنه - أنه قال: «لأن أكون أعلم أن الله تقبل مني مثقال حبةٍ من خردلٍ أحب إلي من الدنيا وما فيها، فإن الله يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧](١).

لقد بلغت الخشية من عدم قبول العمل في قلوب الصحابة مبلغها، حتى تجاوزوا بالخشية على أنفسهم الخشية على غيرهم ممن أكرمهم الله عز وجل بحسن الخاتمة، فها هي أم حارثة رضي الله عنها تقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد استشهاد ابنها حارثة يوم بدر، فتقول : يا رسول الله أخبرني عن حارثة لئن كان أصاب خيراً احتسبت وصبرت، وإن لم يصب الخير اجتهدت في الدعاء، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لها : « **يا أم حارثة إنها جنان** في **الجنة، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى**»(٢) هكذا تفعل الخشية من عدم قبول العمل بقلب الأم الشفيقة على ابنها، هل فاز بقبول العمل أم لا ؟ فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم حرصها على ابنها خشية أن لا يقبل عمله، أخبرها بنجاته وبفوزه بالمنازل العالية في الجنة.

إن المؤمن الصادق يخشى على عمله أن لا يتقبل أشد من ترك العمل نفسه ؛ لأنه يعلم علم اليقين أنه لا يبقى إلا ما كان لله وحده، وما كان لغيره فهو إلى فناء ، قال تعالى: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٦] ومع ذلك فهو موقن بوعد الله تعالى لعباده الصالحين بقبول أعمالهم ومضاعفتها لهم أضعافاً كثيرة.

قال الشيخ الألباني : « والسر في خوف المؤمنين أن لا تقبل منهم عبادتهم، ليس هو خشيتهم أن لا يوفيهم الله أجورهم، فإن هذا خلاف وعد الله إياهم في مثل قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ﴾

---

(١) الدر المنثور ٥٧/٣.

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٠٩).

[النساء: ١٧٣]، بل إنه ليزيدهم عليها ؛ كما قال ﴿ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ﴾ [فاطر: ٣٠] والله تعالى لا يخلف وعده؛ كما قال في كتابه ، وإنما السر أن القبول متعلق بالقيام بالعبادة كما أمر الله عز وجل ، وهم لا يستطيعون الجزم بأنهم قاموا بها على مراد الله، بل يظنون أنهم قصروا في ذلك، ولهذا فهم يخافون أن لا تقبل منهم.

فليتأمل المؤمن عسى أن يزداد حرصاً على إحسان العبادة والإتيان بها كما أمر الله ، وذلك بالإخلاص فيها له، وإتباع نبيه صلى الله عليه وسلم في هديه فيها، وذلك معنى قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف: ١١٠] »(١).

* * *

(١) السلسلة الصحيحة ١٦٢/١.

المطلب الرابع: خشية غير العاقل لله عز وجل

لقد أخبر الله عز وجل في كتابه العزيز بخشية بعض الجمادات له سبحانه وتعالى، وهي مما لا يعقل ولا يدرك في نظرنا ومشاهدتنا إياها.

قال تعالى : ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ٧٤] .

قال ابن جرير: « وإن من الحجارة لما يهبط أي: يتردى من رأس الجبل إلى الأرض والسفْح من خوف الله وخشيته، فهذا إخبار منه تعالى بأن من الحجارة ما هو ألين من قلوب بني إسرائيل لما يدعون إليه من الحق »(١) .

قلت : وفي هذه الآيات إشارة وتعريض، فأما الإشارة فهي إلى أن هؤلاء القوم الذين قست قلوبهم لا نفع فيهم البتة، حيث ذكر الله عز وجل بعض المنافع الدنيوية في هذه الحجارة الصلبة القاسية من تفجر الأنهار منها، وتشققها وخروج الماء منها، وكل ذلك بسبب تأثرها، حيث نتج عنه هذه المنافع العظيمة للناس فضلاً عن تأثرها من خشية الله عز وجل وإجلاله، وهذه الخشية لا يعلم حقيقتها وكنهها إلا الله جل وعلا، وأما هؤلاء الذين بلغت قلوبهم الغاية في القسوة فلا يتأثرون تأثراً يترتب عليه منفعة لهم ولا لغيرهم، بل هم في غفلتهم معرضون وإلى النار صائرون.

وأما التعريض في هذه الآية فهو الحث على وجوب التأثر بآيات الله الكونية والشرعية، لأنه إذا كانت هذه الجمادات الصلبة تتأثر بآيات الله عز وجل ويحصل لها من الخشية والإجلال ما يحصل !! فحري بابن آدم الضعيف في خلقته أن يكون أشد تأثراً من تلك الجمادات الصماء، وهو مع ذلك موعود بالثواب، ومزجور بالعقاب.

ومن الآيات في هذا الموضوع قوله تعالى : ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴾ [مريم: ٩٠] .

---

(١) جامع البيان ٣٦٤/١.

قال ابن عباس رضي الله عنهما : «فزعت السماوات والأرض والجبال وجميع المخلوقات إلا الثقلين ... حين قالوا : اتخذ الله ولداً »(١) .

قال ابن العربي: قال محمد بن كعب(٢) : « لقد كاد أعداءُ الله أن يقيموا علينا الساعة بقولهم هذا ».

وعلق ابن العربي على قول محمد بن كعب فقال:« وصدق، فإنه قولٌ عظيم سبق القضاء والقدر، ولولا أن البارئ لا يضعه كفر الكافر، ولا يرفعه إيمان المؤمن، ولا يزيد في ملكه كما لا ينقص ذلك من ملكه، لما جرى شيء من هذا على الألسنة، ولكنه القدوس الحكيم الحليم، فلم يبالي بعد ذلك بما يقوله المبطلون»(٣).

قلت: وفي هذه الآيات الكريمات بيان لعظيم حلمه سبحانه وتعالى بعباده وواسع رحمته، حيث أن هذه الأجرام العظيمة في خلقتها أوشكت وقاربت أن تخرب وتفسد بسبب هذه الكلمة الخطيرة من قول هؤلاء المجرمين،كما قال تعالى:

﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ [الكهف: ٥] ومع ذلك لم يعاجلهم بالعقوبة ، وفي ذكر اسم الرحمن مع قول هؤلاء الكفرة أيضاً دليل على سعة رحمة الله عز وجل بعباده، وقد تكرر ذلك كثيراً في القرآن الكريم .

ومن الآيات في هذا الموضوع، قوله تعالى:﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا ﴾ [الأحزاب: ٧٢] .

ففي هذه الآية الكريمة يخبر جل وعلا بعرضه الأمانة العظمى على هذه

---

(١) انظر: المصدر السابق ٣٠/١٦.

(٢) هو محمد بن كعب القرظي ، من كبار التابعين، وكان أبوه من سبي قريظة ، روى عن كثير من الصحابة ، وقد وثقه عامة أهل الحديث وكان إماماً في التفسير ، وله حلقة علم في مسجد رسول الله عليه الصلاة والسلام، وبينما هو ذات يوم مع طلابه في المسجد، إذ سقط عليه وعلى أصحابه السقف فمات هو وجماعة معه تحت الهدم في سنة ١١٨هـ ، انظر : تهذيب التهذيب ٦٨٤/٣-٦٨٥، والثقات لابن حبان ٣٥١/٥ .

(٣) أحكام القرآن ٢٥٠/٣.

المخلوقات الضخمة في حجمها الشديدة في قوتها وصلابتها، وهذا العرض من باب التخيير وليس من باب الإلزام، ولكن لما كان الإخلال بهذه الأمانة العظيمة يترتب عليه العقاب والجزاء، أبت هذه المخلوقات قبول هذا العرض من الله تعالى، لـيس عصياناً لربها ولا زهداً في ثوابه، ولكن خشية من سخطه و عقابه عز وجل .

وقد أخبر الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم عن هذه المخلوقات بامتثال أمـره وعدم عصيانه، فقال تعـالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾ [فصلت:١١] .

ومن الآيات في هذا الموضوع قوله تعالى﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ۚ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الشورى: ٥] .

قال الشنقيطي : «واعلم أن سبب مقاربة السماوات للتفطر، في هـذه الآيـة الكريمة، فيه للعلماء وجهان كلاهما يدل له القرآن :

الوجه الأول: أن المعنى تكاد السماوات يتفطرن خوفاً من الله ، وهيبة وإجلالاً ويدل لهذا الوجه قوله تعالى قبله:﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [الـشورى:٤] لأن علـوه وعظمته سبب للسماوات ذلك الخوف والهيبة والإجلال حتى كادت تتفطر.

الوجه الثاني: أن معنى ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ ﴾ من شدة عظم الفرية التي افتراها الكفار على خالق السماوات والأرض جل وعلا، من كونه اتخـذ ولـداً، سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً، وهذا الوجه جاء موضحاً في سورة مـريم في قوله تعـالى: ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴾ [مريم: ٨٨ – ٩١] وكلا الوجهين حق »(١) .

---

(١) أضواء البيان ٣٩/٧.

ومن الآيات في هذا الموضوع قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١] ففي هذه الآيات الكريمة يخبر جل شأنه أن لو كان المخاطب بهذا القرآن جبلاً لتأثر تأثراً شديداً من عظمة هذا الكلام وثقله على من أُنزل عليه، ولشوهدت بعض هذه الآثار من الخشوع والتصدع على هذا الجبل الصلب بسبب الخشية من الله تعالى .

والقرآن الكريم له ثقلان، ثقل معنوي وثقل حسي، فالثقل المعنوي في هذه الآية خشوع هذا الجبل وخشيته لله تعالى، والحسي هو حصول هذا التصدع والتشقق فيه، وكلاهما قد جاء ما يؤيده من الكتاب والسنة.

قال تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: ٥] وهذا الثقل يدخل فيه النوعين الحسي والمعنوي.

وقد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أوحي إليه وهو على ناقته، وضعت الناقة جرانها[١] على الأرض، فما تستطيع أن تتحرك حتى يسرى عنه[٢]، وجاء في الصحيح عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قوله : « فأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم وفخذه على فخذي، فثقلت علي - أي فخذه - حتى خفت أن ترض فخذي، ثم سري عنه ...»[٣] .

قال ابن عطية في قوله تعالى ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ ...﴾ [الحشر: ٢١] «موعظة للإنسان، وذم لأخلاقه في غفلته وإعراضه عن داعية الله تعالى، وذلك أن

---

(١) قال ابن منظور : « الجران هو مقدم العنق من مذبح البعير إلى منحره ، فإذا برك البعير ومد عنقه على الأرض قيل : ألقى جرانه بالأرض » . انظر: لسان العرب ، مادة (جرن) .

(٢) « صحيح » : أخرجه أحمد في المسند برقم (٢٤٨٦٨) وعبدالرزاق في التفسير ٣٢٤/٢ وابن جرير في تفسيره ٣٦٥/٢٣ ، والحاكم في مستدركه (٣٩٢٢) وصححه ووافقه الذهبي ، وصححه الشيخ شعيب الأرناؤوط في تحقيقه للمسند ٣٦٢/٤١ .

(٣) صحيح البخاري (٤٥٩٢).

القرآن نزل عليهم وفهموه وأعرضوا عنه، وهو لو نزل على جبل وفهم الجبل مـا فهم منه الإنسان لخشع واستكان وتصدع من خشية الله تبارك وتعالى، وإذا كـان الجبل على عظمته وقوته يفعل هذا ! فما عسى أن يحتاج ابن آدم ليفعل؟ ولكنـه يعرض ويصد على حقارته وضعفه، وضرب الله تبارك وتعالى هذا المثل ليتفكر فيه العاقل ويخشع ويلين قلبه....»(١) .

ومن هذا الباب ما ثبت في الحديث الصحيح ، أن الرسـول – عليـه الـصلاة والسلام – كان يخطب في أول الأمر إلى جذع نخلة ، فلما صنع له المنبر ترك ذلك الجذع، وصعد على المنبر فخطب عليه، فجعل ذلك الجذع يئن كما يئن الـصبي، فقام إليه الرسول – صلى الله عليه وسلم- فضمه إلى صدره واحتضنه حتى سكن، ثم قال: « **إن هذا بكى لما فقد من الذكر** »(٢) فالمقصود من هـذا الحـديث أن الجمادات تتأثر بذكر الله تعالى وتخشع من خشيته، فإذا كان هذا حال من لا يعقل ولا يترتب على خشيته ثواب أو عقاب؛ فكيف تكون حال من كان كذلك ؟ وقد توعد الله عز وجل من لا يتأثر قلبه من ذكره سبحانه، فقال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَـٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[الزمر:٢٢] .

* * *

(١) المحرر الوجيز ،٢٩١/٥.

(٢) أخرجه البخاري (٨٧٦) بنحوه، وأخرجه ابن أبي شيبة بلفظه في مصنفه (٣١٧٤٨).

المبحث الثاني: الخشية المذمومة

وفيه مطلبان :

المطلب الأول: خشية المشركين من غير الله عز وجل:

لقد ذكر الله عز وجل خشية المشركين في كتابه الكريم في عدة مواضع ، فمنها ما ذكره الله عز وجل من تخويف المشركين لخليله إبراهيم – عليه السلام- قال تعالى: ﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۗ ﴾ [الأنعام:٨٠] فلقد بلغ بالمشركين الخوف من أصنامهم بأن خوفوا بها الناس خشية أن تصيبهم تلك الأصنام بشيءٍ من الأذى، فقد خوف المشركون إبراهيم – عليه السلام- من معبوداتهم أن تصيبه بمكروه، عندما أنكر عليهم عبادتهم إياها، عند ذلك نفى إبراهيم – عليه السلام- عن نفسه الخوف من تلك الأصنام التي لا تضر ولا تنفع ، وقد قص الله عز وجل علينا خبر إبراهيم – عليه السلام- عندما قام بتحطيم تلك الأصنام(١).

ومن الآيات في هذا الموضوع ما أخبر الله تعالى به عن تخويف قوم هود – عليه السلام- له عندما نهاهم عن عبادة الأصنام ، وقال تعالى مخبراً عن قولهم: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعۡتَرَىٰكَ بَعۡضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٖۗ قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٥٤ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ٥٥﴾ [هود: ٥٤] .

فقد زعم هؤلاء المشركون أن هوداً – عليه السلام- أصابه شيءٌ من الجنون والسفه وادعوا أن آلهتهم هي التي أصابته بذلك، فحينئذ تحداهم هود – عليه السلام- بعدم خوفه منهم ومن آلهتهم الباطلة، وحضهم على كيده وعدم إمهاله في النجاة والخلاص منهم، ومع ذلك لم يقدروا جميعاً على أن يمسوه بأذى، وظهر عجزهم وضعفهم ظهوراً بيناً، وفي هذا دلالةً على قوة توكله – عليه السلام- على

(١) اقرأ الآيات ٥٧-٧٠ من سورة الأنبياء ، والآيات ٩١-٩٨ من سورة الصافات .

ربه عز وجل والثقة بوعده ونصره لأوليائه.

ومن الآيات في هذا الباب قوله تعـالى: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ [الزمر: ٣٦] ، قال الشنقيطي: « ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أن الكفار عبدة الأوثان، يخوفون النبي صلى الله عليه وسلم بالأوثان التي يعبدونها مـن دون الله، لأنهم يقولون له: إنها ستضره وتخبله، وهذه عادة عبدة الأوثان لعنهم الله، يخوفون الرسل بالأوثان، ويزعمون أنها ستضرهم وتصل إليهم بالسوء ، ومعلوم أن أنبيـاء الله - عليهم صلوات الله وسلامه- لا يخافون غير الله، ولاسيما هذه الأوثان التي لا تسمع ولا تبصر، ولا تضر ولا تنفع، والخوف من تلك الأصنام من أشنع أنـواع الكفر والإشراك بالله»(١) .

وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد – رضي الله عنه- إلى صنم العزى ليكسرها فقال سادنها: يا خالد أنا أُحذركها إن لها شدة لا يقوم إليها شيء ، ولكن هيهات هيهات أن يؤثر هذا الكلام في نفس خالد ويصده عن مـا كلفه به رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد اختاره الله أن يكون سيفه في أرضه! فمشى إليها بالفأس فهشم به وجهها ثم انصرف ولم يصب بأي أذى - رضي الله عنه - (٢).

قلت: ومن هذا الباب ما يعتقده القبوريون من النفع والضر في أصحاب هـذه القبور، والخشية والرجاء من الأولياء.

قال شيخ الإسلام : « وهؤلاء الذين يعتقدون أن القبور تنفعهم وتـدفع الـبلاء عنهم قد اتخذوها أوثاناً من دون الله وصاروا يظنون فيها ما يظنه أهل الأوثـان في أوثانهم فإنهم كانوا يرجونها ويخافونها ويظنون أنها تنفع وتضر...»(٣) .

---

(١) أضواء البيان ، ٣٦٣/٦.

(٢) انظر: جامع البيان ، ٦/٢٤.

(٣) الرد على الأخنائي ، ٥٦/١ .

المطلب الثاني: خشية المنافقين من غير الله عز وجل :

إن خشية المنافقين من غير الله عز وجل جاء ذكرها في القرآن الكريم في عدة آيات، فمنها قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ [النساء: ٧٧] وهذه الآية قد اختلف المفسرون من المراد بها على أربعة أقوال، ذكرها ابن عطية في تفسيره :

الأول: أنهم بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الثاني: أنهم أُناس من العرب استحسنوا الدخول في الإسلام قبل فرضية القتال.

الثالث: أن هذا حكاية عن اليهود السابقين فيما فعلوه مع نبي لهم .

الرابع: أن المراد بالآية المنافقون من أهل المدينة وعلى رأسهم عبد الله بن أُبي وأمثاله.

وقد رجح ابن عطية القول الرابع بدلالة سياق الآيات ، حيث قال: « ويحسن هذا القول أن ذكر المنافقين يطرد فيما بعد من الآيات، والهاء والميم في قوله: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ [النساء : ٧٨] رد على الذين قيل لهم «كفوا أيديكم» وهذا يدل على أنهم المنافقون، لأن المؤمنين لا تليق بهم هذه المقالة، ولأن اليهود لم يكونوا للنبي صلى الله عليه وسلم تحت أمر فتصيبهم بسببه أسواء...»(١).

قال الفخر الرازي: «والأولى حمل الآية على المنافقين لأنه تعالى ذكر بعد هذه الآية قوله: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾[النساء: ٧٨] ولا شك أن هذا من كلام المنافقين، فإذا كانت هذه الآيات معطوفة على الآية التي نحن في

(١) المحرر الوجيز، ٧٩/٢.

تفسيرها ثم المعطوف في المنافقين، وجب أن يكون المعطوف عليه فيهم أيضاً»(١).

وقد رجح ذلك القرطبي وقال: «هو أثبت بسياق الآية لقوله: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ [النساء: ٧٧] أي هلا ولا يليها إلا الفعل، ومعاذ الله أن يصدر هذا القول من صحابي كريم يعلم أن الآجال محدودة والأرزاق مقسومة، بل كانوا لأوامر الله ممتثلين سامعين طائعين يرون الوصول إلى الدار الآجلة خير من المقام في الدار العاجلة، على ما هو معروف من سيرتهم رضي الله عنهم، اللهم إلا أن يكون قائله ممن لم يرسخ في الإيمان قدمه ولا انشرح بالإسلام جنانه...»(٢).

قلت: ولا شك ولا ريب أن المنافقين يدخلون في هذه الآية دخولاً أولياً، ولكن لا مانع من أن تكون هذه الآية في بعض أفراد الصحابة – رضي الله عنهم- كما جاء في الحديث الصحيح عن ابن عباس – رضي الله عنه- أن عبد الرحمن بن عوف وأصحاباً له أتوا النبي بمكة فقالوا: يا رسول الله إنا كنا في عز ونحن مشركون، فلما آمنا صرنا أذلة، فقال: « **إني أمرت بالعفو، فلا تقاتلوا** » ، فلما حولنا الله إلى المدينة أُمرنا بالقتال فكفوا، فأنزل الله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾ [النساء:٧٧] (٣) .

قلت: وعبد الرحمن بن عوف – والله أعلم- ليس من جملة هؤلاء الذين أُمروا بالقتال فكفوا، وابن عباس – رضي الله عنه- لم يدرك هذه الواقعة، وإنما أخذ

---

(١) مفاتيح الغيب ١٤٨/١.

(٢) الجامع لأحكام القرآن٢٨١/٥.

(٣) « صحيح » أخرجه النسائي في المجتبى ، (٣٠٨٦) والكبري (٤٢٩٣) ، والحاكم في مستدركه (٢٣٧٧) وصححه ووافقه الذهبي، والبيهقي في سننه الكبرى (١٧٥١٩) وصحح إسناده الألباني، انظر: صحيح النسائي٢/٦، وذكره الشيخ مقبل الوادعي في كتابه (الصحيح المسند من أسباب النزول ص٧٩-٨٠).

الحديث عن عبد الرحمن بن عوف – رضي الله عنه- واللفظ الوارد في الحديث «فكفوا» ولو كان عبد الرحمن بن عوف من جملتهم لقال: «فكففنا»، والذي حملني على هذا التوجيه أن عبد الرحمن بن عوف يعد من السابقين الأولين إلى الإسلام، فقد أسلم قبل أن يدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الأرقم، وجمع بين الهجرتين إلى الحبشة وإلى المدينة، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، ومناقبه وسيرته مبسوطة في كتب أهل السير(١).

وقد أخبر الله عز وجل في غير ما آية من كتابه الكريم أن المنافقين من أجبن الناس في القتال وأخوفهم عند لقاء العدو من الكفار.

قال تعالى : ﴿فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ﴾[الأحزاب: ١٩] قيل في معنى الآية: فإذا قوي الخوف من العدو، وتوقع أن يستأصل جميع أهل المدينة، لاذ هؤلاء المنافقون بك ينظرون إليك نظر الهلع المختلط، كنظر الذي يغشى عليه من الموت، فإذا زال الخوف، خاطبوكم مخاطبة بليغة.

وقيل المعنى: أي إذا كان المؤمنون في قوة وظهور، وخشي هؤلاء المنافقون سطوتك يا محمد رأيتهم يصانعون وينظرون إليك نظر فازع منك خائف هلع، فإذا ذهب خوفك عنهم باشتغالك بعدو ونحوه كما في الأحزاب سلقوكم بكلام غليظ(٢) .

وقال تعالى: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ [المنافقون: ٤] قال ابن جرير: «حسب هؤلاء المنافقون من خشيتهم وسوء ظنهم وقلة يقينهم، كل صيحة عليهم، لأنهم على وجل أن ينزل الله فيهم أمراً يهتك به أستارهم، ويفضحهم، ويبيح للمؤمنين قتلهم وسبي ذراريهم وأخذ أموالهم، فهم من خوفهم من ذلك، كلما نزل بهم من

---

(١) انظر : الاستيعاب ٨٤٤/٢ ، وسير أعلام النبلاء ٦٨/١.

(٢) انظر : المحرر الوجيز ،٣٧٦/٤.

الله وحي على رسوله، ظنوا أنه نزل بهلاكهم وعطبهم ....»(١) .

قال البغوي: « أي لا يسمعون صوتاً في العسكر بأن ناد مناد أو انفلتت دابة أو أنشدت ضالة إلا ظنوا من جبنهم وسوء ظنهم، أنهم يرادون بذلك، وظنوا أنهم قد أتوا، لما في قلوبهم من الرعب»(٢).

وكلا القولين صحيح في وصف حال المنافقين وخشيتهم أن ينزل الله فيهم قرآناً يكشف حقيقة أمرهم ويفضحهم، وهم مع هذا من أجبن الناس وأخوفهم عند لقاء العدو.

ومن الآيات في خوف المنافقين وخشيتهم لغير الله عز وجل، قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ نَّظَرَ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ هَلۡ يَرَىٰكُم مِّنۡ أَحَدٖ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ﴾ [التوبة:١٢٧] .

فأخبر الله عز وجل بأنهم يقدمون خشية غيره من المخلوقين على خشيته سبحانه وتعالى، قال الضحاك(٣) في معنى قولهم ﴿هَلۡ يَرَىٰكُم مِّنۡ أَحَدٖ﴾ أي هل اطلع أحد منهم على سرائركم مخافة القتل(٤) .

ومن الآيات في هذا الباب قوله تعالى:﴿لَأَنتُمۡ أَشَدُّ رَهۡبَةٗ فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ﴾ [الحشر:١٣] ففي هذه الآية يكشف ربنا عز وجل ما تضمره قلوب المنافقين من الخشية والخوف من المخلوقين.

قال ابن عاشور: « وفي ذلك إعلام للمؤمنين بأن المنافقين وأحلافهم من اليهود يخشون المسلمين خشية شديدة وصفت شدتها بأنها أشد من خشيتهم لله تعالى، فإن خشيته جميع الخلق من الله هي أعظم خشية، فإذا بلغت الخشية في قلب أحد أن تكون

---

(١) جامع البيان ، ١٠٨/٢٨.

(٢) معالم التنزيل ، ٣٤٨/٤ .

(٣) هو : الضحاك بن مزاحم الهلالي ، ويكنى بأبي محمد أو أبي القاسم ، صاحب التفسير من أوعية العلم، وهو صدوق ، وثقه جمع من أهل العلم ، حدث عن جماعة من الصحابة ، وتوفي سنة : ١٠٥هـ وقيل : ١٠٦هـ . انظر : سير أعلام النبلاء ، ٥٩٨/٤.

(٤) انظر: الكشف والبيان، ١١٤/٥.

أعظم من خشية الله فذلك منتهى الخشية، وفي هذا إشارة للنبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين بأن الله أوقع الرعب والرهبة في قلوب عدوهم[١]، وقد جاء في الحديث: « **نصرت بالرعب مسيرة شهر**»[٢].

وقد بين الله عز وجل سبب خشية المنافقين من غيره بقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾ أي: لا يعلمون عظمة الله عز وجل حتى يخشوه حق خشيته[٣].

قال العز بن عبد السلام: « من قدم خشية الناس على خشية الله فقد آثر الناس على الله، فبؤساً لمن فعل ذلك » [٤] .

* * *

(١) التحرير والتنوير ، ١٠١/٢٨.
(٢) أخرجه البخاري (٤٣٨) ومسلم (٥٢١).
(٣) مفاتيح الغيب ، ٢٥٢/٢٩.
(٤) شجرة المعارف ، ص ١٣٠.

الفصل الرابع

الأسباب الباعثة على الخشية من الله تعالى

وفيه ستة مباحث :

المبحث الأول: تقوى الله عز وجل .

المبحث الثاني: دعاء الله عز وجل .

المبحث الثالث : طلب العلم الشرعي .

المبحث الرابع : العلم بأسماء الله وصفاته والتأمل في معانيها.

المبحث الخامس : التذكر لأهوال يوم القيامة .

المبحث السادس : التفكر في كون الخشية عبادة لله تعالى .

المبحث الأول

تقوى الله عز وجل

إن تقوى الله عز وجل هي مفتاح كل خير في الدنيا والآخرة ، قال تعالى : ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ﴾ [الطلاق :٣] .

وقال تعالى : ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا﴾ [الطلاق : ٤] .

وقال تعالى : ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا﴾ [الطلاق: ٥] .

والآيات في هذا المعنى كثيرة ، وتلك بعض فوائد التقوى في القرآن الكريم :

فتقوى الله عز وجل تكون بامتثال أوامره واجتناب نواهيه ، وقد عرفها طلق بن حبيب[(١)] بقوله : «أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ، ترجو ثواب الله ، وأن تترك معاصي الله على نور من الله تخاف عذاب الله »[(٢)] .

فإذا حقق العبد تقوى الله عز وجل أثمرت في قلبه الخشية من الله تعالى ؛ لأن الخشية من الله تعالى هي ثمرة من ثمرات التقوى ، وتقوى الله عز وجل هي زاد الخاشين لله تعالى، قال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰ﴾[البقرة : ٩٧].

والخشية والتقوى متلازمتان ، فكل من اتقى الله فقد خشاه ، وكل خاشٍ لله فهو متق له .

ولذلك استعاذت مريم بنت عمران - عليها السلام - من جبريل - عليه السلام -

---

(١) هو طلق بن حبيب العنزي ، من أهل البصرة ومن الزهاد ، وهو من التابعين الذين رووا عن بعض الصحابة مثل ابن عباس وجابر بن عبدالله – رضي الله عنهم - ، وتوفي قبل المائة من الهجرة في خلافة الحجاج بن يوسف . انظر : سير أعلام النبلاء ٦٠٤/٤ .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٠٣٥٦) .

بقولها : ﴿قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾ [مريم :١٨] ؛ لأن المتقي يخشى الله عز وجل في سره وعلانيته ، وقد وصف الله عز وجل عباده المتقين بالخشية كما في قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الأنبياء : ٤٨-٤٩] ، وقد جاء تفسير التقوى بالخشية في كثير من الآيات في القرآن الكريم . فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ﴾ [البقرة : ٤١].

قال البغوي : « فقوله ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ﴾ أي فاخشوني »[١] .

وفي قوله تعالى : ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾ [البقرة : ٤٨] .

قال أبوالليث السمرقندي : أي واخشوا عذاب يوم[٢] .

وقال ابن بدران في قوله تعالى : ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة : ٣] : والتقوى هي الخشية[٣] .

وروي عن مقاتل أنه فسر التقوى بالخشية في عدة مواضع من القرآن الكريم ، فمنها: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾[النساء :١][٤].

ومنها قوله تعالى: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ﴾ [العنكبوت: ١٦].

---

(١) معالم التنزيل ،٦٧/١، وانظر: جامع البيان في تفسير القرآن لمعين الدين الأيجي ص ٤٦.

(٢) بحر العلوم ٧٧/١ .

(٣) جواهر الأفكار ومعادن الأسرار ص٥٢ ، وابن بدران هو : الشيخ العلامة عبد القادر بن أحمد بن بدران ، من أهل الشام في مدينة دمشق ، كان سلفي العقيدة ، ومن أهل الزهد ، تولى منصب الإفتاء للحنابلة ، وله تصانيف كثيرة منها : المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، وشرح روضة الناظر ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ، والكواكب الدرية ، والآثار الدمشقية ، وغيرها . وتوفي في دمشق سنة ١٢٥٤هـ . انظر : الأعلام ٣٧/٤-٣٨ .

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان البلخي ٢١٣/١ .

قال مقاتل : ﴿وَٱتَّقُوهُ﴾ يعني واخشوه [١] .

ومنها قوله تعالى : ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ﴾ [الروم : ٣٠] .

قال مقاتل : ﴿وَٱتَّقُوهُ﴾ يعني واخشوه[٢] .

ومنها قوله تعالى : ﴿وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ [محمد: ١٧] .

قال الربيع بن أنس[٣] : أي آتاهم الخشية[٤] .

ومنها قوله تعالى : ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ﴾ [الطلاق :١] .

قال أبوالليث السمرقندي : أي واخشوا الله ربكم ولا تعصوه فيما أمركم به[٥]. وكذلك قال الخازن في تفسيره[٦] .

وبذلك يتبين مما سبق ذكره من الآيات أثر التقوى في تحقيق الخشية من الله تعالى، وأنهما متلازمتان ، فلا تقوى بدون الخشية من الله ، ولا خشية بدون تقوى من الله .

* * *

(١) المصدر السابق ٥١٤/٢ .

(٢) المصدر السابق ١١/٣-١٢ .

(٣) هو الربيع بن أنس البكري ويقال الحنفي البصري الخرساني : روى عن أنس بن مالك وأبي العالية والحسن البصري وغيرهم ، قال العجلي وأبو حاتم : صدوق ، وقال النسائي : ليس به بأس ، وذكره ابن حبان في الثقات، وتوفي سنة ١٣٩هـ أو ١٤٠هـ .
انظر : تهذيب التهذيب ٢٠٧/٣ .

(٤) انظر: النكت والعيون ٢٩٨/٥ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٦٤/١٩ .

(٥) بحر العلوم ٤٣٨/٣ .

(٦) لباب التأويل ١٠٨/٧ .

المبحث الثاني

دعاء الله عز وجل

إن للدعاء منـزلة عظيمة في الإسلام، فهو من أجل العبادات وأعظم الطاعات ، وأنفع القربات ، وقد جاءت نصوص كثيرة من الكتاب والسنة تبين فضله ومكانته عند الله تعالى .

بل إن الله عز وجل قد افتتح كتابه العظيم بالدعاء وختمه به، فسورة «الفاتحـة» مشتملة على الدعاء بأجل المطالب وأكمل المقاصد ؛ ألا وهو : سؤال الله عز وجل الهداية إلى صراطه المستقيم الموصل إلى جنات النعيم ، وسورة « الناس » التي هـي خاتمة القرآن الكريم مشتملة على دعاء الله سبحانه وتعالى وذلك بالاستعاذة به جل وعلا من شر شياطين الإنس والجن ومن وسوستهم ، ولا شك أن افتتاح القـرآن الكريم بالدعاء واختتامه به دليل على عظيم مكانته عند الله تعالى .

والله جل جلاله أمر بالدعاء ووعد بالإجابة ، فقال سبحانه : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر : ٦٠] . قال ابن كثير : « هذا من فضله تبارك وتعالى وكرمه أنـه نـدب عباده إلى دعائه وتكفل لهم بالإجابة كما كان سفيان الثوري يقول : يا من أحب عباده إليه من سأله فأكثر سؤاله ، ويا من أبغض عباده إليه من لم يـسأله ولـيس كذلك غيرك يا رب »[(١)] .

بل إن الله عز وجل يغضب من عبده إذا ترك دعاءه ، فعن أبي هريرة رضـي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «**من لا يسأل الله يغضب عليه**»[(٢)].

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٨٦/٤ .

(٢) «حسن» أخرجه الترمذي (٣٣٧٣) ،وابن ماجه (٣٨٢٧) ، والبخـاري في الأدب المفـرد(٦٥٨)،

وهذا مع ما في الدعاء من حضور القلب وإقباله على الله تعالى وحصول التضرع والتذلل والاستكانة بين يديه ، فكل هذه الأوصاف لها مكانـة عظيمـة القـدر والفضل عند الله عز وجل .

ولما كانت الخشية من الله تعالى من أجل المطالب والمقاصد التي يطلبها العبد من ربه عز وجل ويسعى حثيثاً لتحقيقها ، كان عليه الصلاة والسلام يسأل ربه عـز وجل أن يرزقه إياها . فقد ثبت عنه عليه الصلاة والسلام أنه كان يقول في دعائه : « **اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك** »[١] .

فخشية الله تعالى إذا تحققت في قلب العبد ؛ كانت له حجاباً غليظاً عن الوقوع في المعاصي والذنوب .

قال الشيخ علي القاري : فإنه لا أمنع من الوقوع في المعاصي مـن خـشية الله تعالى[٢] .

ومن دعائه - عليه الصلاة والسلام - قوله : « **اللهم ارزقني من طاعتـك مـا يحول بيني وبين معصيتك ، وارزقني من خشيتك ما تبلغني به من رحمتك**»[٣] .

ومن دعائه أيضاً - عليه الصلاة والسلام – قوله : « **وأسـألك خـشيتك في الغيب والشهادة**»[٤] .

وأحمد (٩٧٠١) ، وقال ابن كثير في تفسيره : إسناده لا بأس به ١٥٤/٧ ، وحـسنه الألبـاني في السلسلة الصحيحة (٢٦٥٤).

(١) « حسن » أخرجه الترمذي برقم (٣٥٠٢) وقال : حديث حسن غريب ، والنـسائي في الكـبرى (١٠١٦١) ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع ١٢٦٨/١ .

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٣٩٩/٥ .

والشيخ علي القاري هو : علي بن سلطان محمد الهروي القاري ، فقيه حنفي ، سكن مكة المكرمة واستقر بها ، وصنف كتباً كثيرة تزيد على الخمسين من أشهرها : مرقاة المفاتيح شـرح مـشكاة المصابيح ، وشرح الشفاء ، وشرح الحصن الحصين ، وغيرها . وتوفي سنة ١٠١٤هـ . انظـر : الأعلام ١٢/٥-١٣ .

(٣) « حسن » أخرجه الطبراني في المعجم الصغير (٨٦٦)، والحاكم (١٩٣٤) وصححه ووافقه الذهبي.

(٤) «حسن» أخرجه النسائي في المجتبى (١٣٠٥) ، وأحمد (١٨٣٥١) ، وابن حبان (١٩٧١) ، وأبويعلى

وأخرج ابن عساكر في تاريخه عن صالح بن مسمار[١] أنه قال : بلغني أن الله تعالى أوحى إلى سليمان – عليه السلام – بعد موت أبيه داود عليه السلام أن سلني حاجتك ، فقال : أسألك أن تجعل قلبي يخشاك كما كان قلب أبي ... »[٢].

فهكذا كان أنبياء الله ورسله – عليهم الصلاة والسلام – حريصون أشد الحرص على تحقيق الخشية لله تعالى ، وسؤاله إياها ، وذلك لعظيم علمهم بالله عز وجل وبفضل الخشية منه سبحانه وتعالى .

❊ ❊ ❊

(١٦٢٤) ، والطبراني في الأوسط (٢١٦٣) ، والحاكم (١٩٢٣) ، وصححه ووافقه الذهبي وحسنه الألباني في صحيح الجامع ١٣٠٥/١ والصحيحة (١٥٤٤) .

(١) هو صالح بن مسمار البصري، سكن في الجزيرة العربية، يروي عن الحسن البصري وعن ابن سيرين، وروى عنه جعفر بن برقان ومعتمر بن سليمان وعبد الله بن المبارك، عرف بالزهد واشتهر برواية المراسيل، وثقه ابن حبان وقيل روايته ابن حجر، توفي ولم يترك سوى درهما وأربعة دوانق، وقيل له عند موته أوص بأمك وأختك إلى من شئت، فقال: إني لأستحي من الله أن أوصي بهما إلى غيره. انظر: الثقات٤٦٥/٦، وتقريب التهذيب٢٧٤/١، والمعرفة والتاريخ للفسوي٢٤٤/٢-٢٤٥.

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخه ٢٣٩/٢٢ ، وأورده الحافظ ابن كثير في تفسيره ٧٣/٧ ، والسيوطي في الدر المنثور ٥٩١/١٢ ، وعزاه إلى الحكيم الترمذي وابن المنذر وابن عساكر .

المبحث الثالث

طلب العلم الشرعي

إن طلب العلم الشرعي بإخلاص من أعظم أسباب تحقيق الخشية في قلب العبد ؛ ولذلك تواترت نصوص العلماء في تعريف العلم بأنه : الخشية من الله تعالى.

فعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال : « كفى بخشية الله علماً ، وكفى بالاغترار بالله جهلاً » [١] .

وقد بوب الدارمي في سننه : باب من قال : العلم هو الخشية [٢] .

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما – أنه قال : «من خشي الله فهو عالم»[٣] .

وعن ابن مسعود – رضي الله عنه – أنه قال : « ليس العلم بكثرة الرواية ولكن العلم بالخشية »[٤] .

وعن عائشة - رضي الله عنها – أنها قالت : « أفضل العلم الخشية »[٥] .

وسئل الإمام أحمد عن معروف الكرخي [٦] : هل كان معه علم ؟ فقال : كان معه أصل العلم : خشية الله عز وجل »[٧] .

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة ٣٤٣/١٤ ، وابن المبارك في الزهد (٤٦) .

(٢) سنن الدارمي ٣٣٣/١ .

(٣) أخرجه الدارمي في سننه برقم (٣٤٥) .

(٤) الورع لأبي بكر المروزي ٩٠/١ ، والزهد للإمام أحمد ١٥٨/١ .

(٥) حديث أبي الفضل الزهري ١٣/٢ .

(٦) هو معروف الكرخي أبومحفوظ ، من عباد أهل العراق ، روى عنه ابن المبارك وغيره ، وكان الإمام أحمد يجلّه ، وذكره ابن حبان في الثقات . انظر الثقات ٢٠٦/٥ .

(٧) الفروع ٤٧٧/١ ، والآداب الشرعية ٢٢٦/٢ ، وجامع العلوم والحكم ٢٥١/١ .

وعن معاذ بن جبل – رضي الله عنه – أنه قال : « تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية ، وطلبه عبادة ، ومدارسته تسبيح ... »[١] .

والآثار في ذلك كثيرة جداً ، وقد ذكرت طرفاً منها في بيان أن المقصود بالعلم خشية الله تعالى .

وفي قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر : ٣٨] دليل على أن العلم بالله عز وجل وبأوامره يورث الخشية منه سبحانه ، فأعلم الناس بالله هم رسله وأنبياؤه – عليهم الصلاة والسلام - ، ثم يأتي في المرتبة الثانية من بعدهم من أصحابهم وأتباعهم .

قال الحافظ ابن كثير : « إنما يخشى الله حق خشيته العلماء العارفون به ؛ لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسنى - كلما كانت المعرفة به أتم والعلم به أكمل ؛ كانت الخشية له أعظم وأكثر »[٢] .

والحاصل أن العلم الحقيقي هو الذي يورث الخشية في قلب صاحبه ، وأما العلم الذي لا يورث الخشية في قلب صاحبه فهو في الحقيقة وبال على صاحبه .

أخرج الدارمي في سننه عن سفيان بن عيينة أنه قال : « كان يقال العلماء ثلاثة: عالم بالله يخشى الله ليس بعالم بأمر الله ، وعالم بالله عالم بأمر الله يخشى الله فذاك العالم الكامل ، وعالم بأمر الله ليس بعالم بالله لا يخشى الله ، فذلك العالم الفاجر»[٣] .

وقد ذكر الحافظ ابن رجب وجوهاً كثيرة في بيان أن العلم يوجب الخشية ، وأن فقده يستلزم فقدان الخشية ، فذكر منها ما يلي :

---

(١) جامع بيان العلم وفضله ٥٥/١ ، وأخلاق العلماء للآجري (٣٤) .

(٢) تفسير القرآن العظيم ٥٥٤/٣ .

(٣) سنن الدارمي (٣٦٣) .

الأول: أن العلم بالله تعالى وما له من صفات الجمال والجلال مما يوجب الخشية.

الثاني : أن العالم بأوامر الله ونهيه المصدق بما يترتب عليها من الثواب والعقاب، مع علمه بمراقبة الله له واطلاعه عليه ، كل هذا مما يوجب الخشية من الله ، وإنما يمنع الخشية ويوجب الوقوع في المحظورات الغفلة عن استحضار هذه الأمور .

الثالث : أن تصور حقيقة المخوف يوجب الهرب منه، وتصور حقيقة المحبوب يوجب طلبه ، ولا يكون ذلك إلا بتحقيق الخشية في القلب [1] .

وبالجملة فإن العلاقة بين العلم الحقيقي والخشية كالعلاقة بين الشمس والضياء، فإذا تحقق الأول لابد أن يعقبه تحقق الثاني ، ما لم يطرأ عليه ما يحجب أنواره أو يضعفها من ظلمات المعاصي والذنوب .

* * *

(١) مجموع رسائل ابن رجب ٧٨٩/٢-٨٠٠ .

المبحث الرابع

العلم بأسماء الله وصفاته والتأمل في معانيها

إن العلم بأسماء الله الحسنى وصفاته العلى من أعظم الأسباب الباعثة على الخشية من الله تعالى .

ولكن لابد مع العلم بها العمل بمقتضاها ، وقد ورد كثيراً ذكر أسماء الله وصفاته في القرآن الكريم ، وهذا مما يوجب على العبد الاعتناء بها والحرص على فهمها وتدبر معانيها والتعبد لله تعالى بها .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « والقرآن فيه من ذكر أسماء الله وصفاته وأفعاله أكثر مما فيه من الأكل والشرب والنكاح في الجنة ، والآيات المتضمنة لذكر أسماء الله وصفاته أعظم قدراً من آيات المعاد ، فأعظم آية في القرآن آية الكرسي المتضمنة لذلك كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لأبي بن كعب : « **أتدري أي آية** في **كتاب الله أعظم** ؟ » قال: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] فضرب بيده في صدره وقال : «**ليهنك العلم أبا المنذر**»[١] ، وأفضل سوره سورة أم القرآن ، كما ثبت ذلك في حديث أبي سعيد بن المعلى في الصحيح قال له النبي صلى الله عليه وسلم : « **إنه** لم **ينزل** في **التوراة ولا** في **الإنجيل ولا** في **الزبور ، ولا** في **القرآن مثلها ، وهي السبع** المثاني **والقرآن العظيم الذي أوتيته** »[٢] . وفيها من ذكر أسماء الله وصفاته أعظم مما فيها من ذكر المعاد ، وقد ثبت في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم من غير وجه أن ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: ١] تعدل ثلث القرآن[٣] ، وثبت في

---

(١) أخرجه مسلم (٨١٠) .

(٢) أخرجه البخاري (٤٤٧٢) ، وأحمد (٨٦٦٧) واللفظ له .

(٣) رواه البخاري (٥٠١٣) ، ومسلم (٨١١) .

الصحيح أنه بشر الذي كان يقرأها ويقول : إني لأحبها ؛ لأنها صفة الرحمن : بأن الله يحبه[١] ، فبين أن الله يحب من يحب ذكر صفاته سبحانه وتعالى ، وهذا بـاب واسع .... »[٢] .

وقال العز بن عبدالسلام : « فهم معاني أسماء الله تعالى وسيلة إلى معاملته بثمراتها من الخوف والرجاء ... » [٣] .

وقال أيضاً : « وهو من أفضل الأعمال شرفاً ، وثماراً وآثاراً ... »[٤] .

وصفات الله عز وجل منها ما يمكن التخلق به ، كصفات الجمال مثـل الجـود والحياء والحلم والعدل والصدق وغير ذلك ، ومنها لا يمكن التخلق به كـصفات الجلال كالعظمة والكبرياء والجبروت ؛ لأنها في حق المخلوق صفة ذم ونقص ، وفي حق الخالق صفة مدح وكمال .

وأسماء الله تعالى وصفاته مقتضية لآثارها من العبودية القلبية والبدنية ، فمتى علم العبد أن ربه سميعاً بصيراً لا تخفى عليه خافية ؛ أوجب ذلك له من الخشية بقـدر علمه ويقينه ، قال تعالى: ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾ [غافر : ١٩].

قال الأصمعي[٥] : كنت أطوف بالبيت فرأيت أعرابياً يطوف فذكر أعرابيـة ، قال: قلت: وبينك وبين من تهوى شيء ؟ قال: لا، إلا ليلة فإني رمت منها شـيئاً، فقالت : أما تستحي ! قلت : وممن استحي فلا يرانا إلا الكواكب ! فقالت : فأين

---

(١) البخاري (٧٣٧٥) ، ومسلم (٨١٣) .

(٢) درء تعارض العقل والنقل ٥/٣١٠-٣١٢ .

(٣) شجرة المعارف ص٨١ .

(٤) المصدر السابق ص٢٠ .

(٥) هو عبدالملك بن قريب الأصمعي ، يكن بأبي سعيد ، من أهل البصرة ، واشـتهر بعلـم اللغـة والأخبار، وثقه العلماء كأبي حاتم وابن معين وغيرهما . وتوفي سنة ٢١٥هـ . انظر : الكاشـف للذهبي ١/٦٦٨ .

مكوكبها؟ [١] .

فالذي أوجب لهذه المرأة الخشية من الله تعالى في اقتراف هذه المعصية هو علمها باطلاع الله عليها ، وأنه سبحانه قد أحاط بكل شيء علماً .

كذلك أيضاً إذا علم العبد بعدل الله تعالى وغضبه وانتقامه وشدة عقوبته وسخطه أوجب له ذلك من الخشية من الله تعالى بقدر علمه ويقينه .

قال تعالى :﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [البقرة : ١٩٦] ، وقال تعالى: ﴿ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ﴾ [الحجر : ٥٠] ، وقال تعالى : ﴿إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البروج : ١٢] .

قال ابن القيم رحمه الله : « وإذا تجلى بصفات العدل والانتقام والغضب والسخط والعقوبة ، انقمعت النفس الأمارة ، وبطلت وضعفت قواها من الشهوة والغضب واللهو واللعب والحرص على المحرمات ، وانقبضت أعنة رعونتها ، فأحضرت المطية حظها من الخوف والخشية والحذر ... » [٢] .

وفي ذكر قول الله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ بعد قوله : ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ﴾ تعليل لوجوب الخشية منه سبحانه وتعالى ؛ لأن العزة دالة على كمال القدرة على الانتقام ، ولا يوصف بالمغفرة والرحمة إلا القادر على العقوبة ، ومن كانت هذه صفته فحري أن يخشى منه ويمتثل أمره ويجتنب نهيه »[٣] .

قال الفخر الرازي : « ذكر ما يوجب الخوف والرجاء ، فكونه عزيزاً ذا انتقام يوجب الخوف التام ، وكونه غفوراً لما دون ذلك – أي دون الشرك - يوجب الرجاء البالغ »[٤] .

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي ٨٥٢/٢ .

(٢) الفوائد ٧٩/١-٧٠ .

(٣) انظر : تفسير الكشاف ٢٧٠/٣.

(٤) التفسير الكبير ٢٠/٢٦ .

وغالباً ما تقترن الخشية باسم الرحمن أو الرب جل جلاله، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴾ [يس : ١١] ، وقوله تعالى : ﴿ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴾ [ق: ٣٣] ، وقوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ [الملك : ١٢] وهذا مما يشعر بوجود الأنس والطمأنينة في الخشية من الله عز وجل ؛ ولـذلك لم يأت في القرآن الكريم قوله : من خشي الجبار أو من خشي القهار ونحو ذلك .

فالعلم بأسماء الله الحسنى وصفاته العلى أصل كل علم ، وذلك لما يترتب علـى فهم معانيها ومداركها والعمل بمقتضاها من أنواع العبودية لله عز وجل ، ولذلك ختم الله عز وجل كثيراً من آيات كتابه الكريم بأسمائه الحسنى وصـفاته العلـى ، وهذا مما يوحي أن ما سبق ذكره من كلام الله تعالى له متعلق بذلك الاسم الكريم الذي ختمت به الآية الكريمة ، ولذلك ينبغي على قارئ القرآن أن يتأمل ويتـدبر مناسبة ختم كل آية بهذه الأسماء الحسنى والصفات العلى ، حتى يفقه معنى الآيـة على أكمل وجه .

قال ابن القيم : « وإذا تأملت ختم الآيات بالأسماء والصفات وجدت كلامـه مختتماً بذكر الصفة التي يقتضيها المقام ، حتى كأنها ذُكرت دليلاً عليـه وموجبـة له»[1] .

وبالجملة فإن الفقه في أسماء الله الحسنى والعمل بها له أثره الكبير على العبـد في الدنيا والآخرة ، والكلام في هذا الباب واسع يطول وصفه، ويضيق بهذا البحـث شرحه، ولكن المقصود هو الإشارة لمن له أدنى علم ودراية .

* * *

(١) شفاء العليل ١/٢٠٠ .

المبحث الخامس
تذكر أهوال يوم القيامة

إن تذكر أهوال يوم القيامة والنظر إليها بعين اليقين من أعظم الأسباب الباعثة على الخشية من الله عز وجل .

وأول أهوال الآخرة القبر لأنه أول منازلها ، قال عليه الصلاة والسلام : « **إن القبر أول منازل الآخرة ، فإن نجا منه فما بعده أيسر ، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه** » .

وأهوال يوم القيامة ورد ذكرها كثيراً جداً في القرآن الكريم ، وخاصة في المفصل منه ، وذلك لترسيخ عقيدة الإيمان بالبعث والنشور وباليوم الآخر وما فيه من الأهوال والشدائد التي تشيب منها مفارق الولدان .

والغفلة عن ذكر أهوال القيامة يورث الإقدام والجرأة على ارتكاب الذنوب والمعاصي ، ولذلك كان عليه الصلاة والسلام وأصحابه الكرام يكثرون من ذكر الموت وما بعده من الأهوال والشدائد والكرب . فقد صح عنه – عليه الصلاة والسلام – أنه كان يقول : « **أكثروا ذكر هادم اللذات – يعني الموت**»[1] .

ومن الآيات القرآنية في ذكر أهوال القيامة قوله تعالى في أول سورة الحج : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ۝١ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ۝٢﴾ [الحج : ١-٢] .

---

(١)« صحيح » أخرجه الترمذي (٢٣٠٧) ، والنسائي (١٨٢٣) ، وابن ماجه (٤٢٥٨) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٢١٠) والمشكاة (١٦٠٧) والإرواء (٦٨٢) .

ففي مطلع هذه السورة الكريمة مشهد عظيم و مخيف ، وتحذير أكيد ووعيد شديد، ترتجف لهوله القلوب، وتتصدع منه الأفئدة، يبدأ بالنداء الشامل للناس جميعاً مؤمنهم وكافرهم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ يدعوهم إلى الخشية من الله تعالى ﴿ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ﴾ أي: اخشوه بامتثال أمره واجتناب نهيه[1]، ويخوفهم ذلك اليوم العصيب ﴿إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ﴾ ثم يأتي الإخبار عن بعض أحواله بما يكون يومئذ من هول المرضعات ووضع الأحمال وكون الناس سكارى من غير خمر أو شراب لمُسكر يذهب العقل، ثم يبين سبحانه علة صيرورتهم إلى تلك الحال بقوله : ﴿ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ﴾ أي: بسبب شدة العذاب وهول المطلع حصل لهم ما حصل، وهذا مما يوجب الاستعداد والتأهب لذلك اليوم العظيم بالأعمال الصالحة، وكل ما ذُكر من تلك الأوصاف العظيمة هو في الحقيقة تعليل للأمر الوارد بالتقوى في أول السورة، قال الألوسي في تفسيره : ((فإن ملاحظة عظم ذلك وهوله وفظاعة ما هو من مباديه ومقدماته من الأحوال والأهوال التي لا ملجأ منها سوى التدرع بلباس التقوى مما يوجب مزيد الإعتبار بملابسته وملازمته لا محالة))[2].

فياله من تخويف شديد ووعيد عظيم، تتزلزل فيه الأرض بأهلها، وتنزاح العقول عن محلها !

وهكذا جميع مشاهد القيامة وأهوالها في القرآن الكريم إذا تفكر فيها العبد وأيقن بوقوعها حصل له في قلبه الخشية والاستكانة لله عز وجل وخمدت نار الشهوة في نفسه ، وسطع نور التقوى في قلبه .

قال ابن القيم : « فمن استقر في قلبه ذكر الآخرة وجزائها ، وذكر المعصية والتوعد عليها ، وعدم الوثوق بإتيانه بالتوبة النصوح ، هاج في قلبه من الخوف ما

---

(١) انظر: تفسير السمرقندي ٤٤٧/٢.

(٢) روح المعاني ١١٠/١٧.

لا يملكه ولا يفارقه حتى ينجو »[١] .

وقال ابن بطال : «فمن نور الله قلبه وكشف الغطاء عن بصيرته ، وعلم ما حباه الله من النعم ، وما يجب عليه من الطاعة والشكر ، وأفكر فيما يستقبل من أهوال يوم القيامة ، وما يلقى العباد في تلك المواقف من الشدائد ، وما يعاينوه من مساءلة الله عباده عن مثاقيل الذرة وعن الفتيل والقطمير ؛ كان حقيقاً بكثرة الحزن والبكاء... »[٢] .

وبالجملة فإن يوم القيامة وما فيه من أهوال عظيمة وشدائد عصيبة هو من الأمور الغيبية التي لا يدرك كيفيتها أحد من الخلق ، والمؤمن الحق يوقن بوقوع ذلك وحدوثه وبحسب قوة اليقين وضعفه في القلب ؛ يقوى جانب الخشية أو يضعف في قلب العبد.

* * *

(١) طريق الهجرتين ، لابن قيم الجوزية ٤٢٥/١ .

(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال ١٩٥/١٠-١٩٦ .

المبحث السادس

التفكر في كون الخشية عبادة لله تعالى

إن من المعلوم أن أوامر الله عز وجل هي ما تعبد الله بها خلقه بامتثالها ، والخشية هي من أوامر الله عز وجل ، وقد أمر الله تعالى عباده بها في آيات كثيرة من القرآن الكريم ، وسبق ذكرها في مبحث الأمر بالخشية في القرآن الكريم[1] .

إذا تقرر هذا ؛ فإن العبد المؤمن إذا تفكر في كون الخشية من الله تعالى من العبادات العظيمة التي أمر الله بها في كتابه العزيز ، كان هذا دافعاً له إلى السعي في بذل الجهد لتحصيلها .

ولذلك اشتد حرص السلف في تحقيق الخشية من الله تعالى ، حتى تركوا ما لا بأس به خشية مما به بأس .

لذا فإنه ينبغي على العبد أن يجاهد نفسه في تحقيق هذه العبودية العظيمة لربه عز وجل ، والله سبحانه وتعالى وعد من كانت هذه حاله بالهداية إلى سبيل الخير والفلاح في الدنيا والآخرة ، قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا ﴾ [العنكبوت : ٦٩] .

فإذا جاهد العبد نفسه وشيطانه وهواه في تحقيق الخشية من الله عز وجل فهو موعود بالهداية من الله تعالى ، والمجاهدة في هذه الآية عامة في كل مجاهدة تقرب إلى الله عز وجل ، فمن جاهد نفسه في طلب العلم فهو موعود بتحصيله ، كذلك الهداية في هذه الآية تتناول جميع أنواع الهدايات في الدنيا والآخرة .

ومن الأسباب الباعثة على الخشية من الله تعالى التفكر في الأجر والثواب المترتب على تحقيق هذه العبادة العظيمة .

فإذا تفكر العبد فيما أعده الله عز وجل لمن خشيه بالغيب من المغفرة والأجر الكبير كان ذلك التفكر عوناً له في السعي إلى تحقيق الخشية من الله تعالى ، قال

---

(١) انظر : ص٤٣ من هذا البحث .

تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ﴾ [الملك : ١٢].

وإذا تفكر العبد أيضاً في أن هذه العبادة العظيمة إذا تحققت في القلب استنار بنور المعرفة بالله عز وجل وتعظيمه وإجلاله ؛ فحينئذ ينتفع بسماع الذكر والمواعظ، قال تعالى : ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ﴾ [فاطر : ١٨] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ ﴾ [يس : ١١] .

وإذا تفكر العبد في أن أهل الخشية هم العلماء الذين أثنى الله عليهم في الكتاب العزيز ؛ حرص أن يكون منهم أو ممن سار في ركابهم في طلب العلم ، قال تعالى : ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر :٢٨] .

قال ابن القيم رحمه الله : « أخبر سبحانه أن أهل العلم هم أهل خشيته ، وخصهم من بين الناس بذلك، وهذا حصر لخشيته في أولي العلم ... » [(١)] .

وإذا تفكر العبد في عظيم منزلة الخشية وأنها نعمة من نعم الله تعالى يمن بها على من يشاء من عباده ، كان ذلك من الأسباب الباعثة إليها وسؤال الله إياها ، وجاء في تفسير « النعمة » في قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا ﴾ [المائدة :٢٣] بأنها نعمة الخوف من الله تعالى [(٢)] .

وبالجملة فإن عبادة الخشية من الله تعالى من أعظم العبادات وأشرفها ، وفضائلها كثيرة ، وآثارها عظيمة ، فإذا أمعن العبد فكره بالنظر في ذلك بعين اليقين ، وبقلب صادق سليم ؛ كان هذا من الأسباب الدافعة إلى تحقيق الخشية من الله عز وجل .

قيل للحسن : سبقنا القوم على خيل دهم ، ونحن على حمر معقرة. فقال : إن كنت على طريقهم فما أسرع اللحاق بهم[(٣)] .

* * *

(١) مفتاح دار السعادة ٥١/١ .

(٢) جامع البيان ١٧٨/٦.

(٣) الفوائد لابن القيم ٤٣/١ .

الفصل الخامس

آثار خشيـــة الله تعالى

وفيه سبعة مباحث :

المبحث الأول: البعد عن الوقوع في المعاصي .

المبحث الثاني: نزول السكينة والطمأنينة على القلب .

المبحث الثالث : الانتفاع بالمواعظ والتذكير والعبر .

المبحث الرابع : البكاء ودمع العين .

المبحث الخامس : ظهور السمت والوقار على هيئة العبد .

المبحث السادس : وجل القلب عند ذكر الله عز وجل .

المبحث السابع : قشعريرة الجلد .

المبحث الأول : البعد عن الوقوع في المعاصي

إن من أعظم الآثار المترتبة على تحقيق الخشية من الله تعالى البعد عن اقتراف الذنوب والمعاصي ؛ ولذلك يقول سعيد بن جبير – رحمه الله - : « الخشية أن تخشى الله ، حتى تحول خشيته بينك وبين معصيته ، فتلك الخشية » [(١)] .

فالخشية الصادقة هي التي تبعث إلى التوبة من الذنوب والمعاصي ، فهي الجالبة لكل خير ، والدافعة لكل شر .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : « والخشية تمنع اتباع الهوى ، قال تعالى : ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات : ٤٠-٤١] »[(٢)] .

وفي قوله تعالى : ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن : ٤٦] قال مجاهد : « هو الرجل يهم بالمعصية فيذكر الله عز وجل فيدعها » [(٣)] .

قلت : ولا يضرهم ما قد يطرأ على قلوبهم من الغفلة في بعض الأحيان ، فيقع منهم ارتكاب لبعض المعاصي ، لكنهم سرعان ما ينتبهوا من غفلتهم ، فيقلعوا عن ذلك ، ويستغفرون الله عز وجل .

قال تعالى في وصفهم : ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ ..﴾ [آل عمران : ١٣٥] .

فقوله : ﴿ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أي : ذكروا كل ما يوجب خشية الله تعالى من عظمته وجلاله ، وأليم عقابه .

---

(١) الزهد لابن المبارك ، ٣٥/٢ .

(٢) مجموع الفتاوى ٥٤٥/١٠ .

(٣) جامع البيان ١٤٥/٢٧ .

ومن الأمثلة التي يتضح معها أثر الخشية من الله في ترك الذنوب والمعاصي ، مـا جاء في حديث السبعة الذين يظلّهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله[١] ، وذكر منهم : ذلك الإمام العادل ، فيا ترى ما الذي منع ذلك الإمام من الجور والظلم ؟ مع أنه ليس فوقه أحد من ملوك الدنيا فيخشى من عقوبته إن ظلم أوجار !

إنها الخشية من الله تعالى ؛ إذا تغلغلت في القلوب ، أورثت حجباً مـن أنـوار التقوى تمنع من مقارفة المعاصي والذنوب .

قال الحافظ ابن رجب – رحمه الله - : « والإمام العادل هو أقرب الناس من الله يوم القيامة ، وهو على منبر من نور على يمين الرحمن ، وذلك جـزاء لمخالفتـه الهوى، وصبره عن تنفيذ ما تدعوه إليه شهوته وطمعه وغضبه ، مع قدرتـه علـى بلوغ غرضه من ذلك ، فإن الإمام العادل دعته الدنيا كلها إلى نفسها ، فقال : إني أخاف الله رب العالمين ... »[٢] .

وجاء أيضاً في الحديث السابق ذكْر الرجل الذي دعته امرأة ذات منصب وجمال إلى نفسها ، فامتنع من ذلك خشيةً من الله تعالى .

هكذا تكون الخشية الحقيقية في مواطن الابتلاء ، تحجز صاحبها عـن انتـهاك حرمات الله عز وجل .

ومن الأمثلة أيضاً : ما جاء في حديث أصحاب الغار الثلاثة الـذين انطبقـت عليهم الصخرة فلم يستطيعوا الخروج من الغار ، فقال بعضهم لـبعض : انظـروا أعمالاً عملتموها لله صالحة ، فادعوا الله بها ؛ لعله يفرجها ... ، فقال أحـدهم : «اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي ابنة عم من أحب الناس إليّ ، وإني راودتها عـن نفسها ، فأبت إلا أن آتيها بمئة دينار ، فطلبتها حتى قدرت ، فأتيتها بها ، فدفعتها إليها فأمكنتني من نفسها فلما قعدت بين رجليها قالت : اتق الله ولا تفض الخـاتم إلا بحقه ، فقمت وتركت المائة دينار ، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٠) ، ومسلم (١٠٣١) .

(٢) فتح الباري لابن رجب ٥٩/٤ .

ففرج عنا ... »[1] .

قلت : ويؤخذ من هذه القصة فضيلة الخشية من الله تعالى حتى ولـو ضـعف جانبها ، فإن سلطانها سرعان ما يقوى بحسب ما يتأثر به ، فهذا الرجل لما سمـع تلك الكلمة العظيمة من المرأة بعد أن قدر عليها استيقظ من غفلته ، وقوي جانب الخشية في قلبه ، فكان سبباً في إعراضه عن الوقوع في المعصية.

ويؤخذ من هذه القصة أيضاً فضيلة الأمر بتقوى الله عز وجل ، وقد ورد الأمـر بها كثيراً في القرآن الكريم ، وهي وصية الله تعالى للأولين والآخرين . قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [النساء : ١٣١] .

فالحاصل أن للخشية أثراً كبيراً في قمع شهوات النفس وتكدير لذاتها، فتـصير المعاصي المحبوبة عندها مكروهة، كما يصير العسل مكروهاً عند من يشتهيه إذا علم أن فيه سماً، فقوة المراقبة والمحاسبة بحسب قوة الخشية، وقوة الخشية بحسب قـوة المعرفة بجلال الله تعالى وعظمته وأسمائه وصفاته .

* * *

(١) أخرجه البخاري (٣٤٦٥) ، ومسلم (٢٧٤٣) .

المبحث الثاني : نزول السكينة والطمأنينة على القلب

إن العبد المؤمن إذا خشي الله عز وجل في السر والعلن ، كان أحرى بنـزول السكينة والطمأنينة على قلبه ، لا سيما في المواطن التي يحتاج فيها العبد إلى التثبيت من الله عز وجل .

ولما كان الصحابة رضوان الله عليهم أخشى هذه الأمة لله تعالى كانوا أحق الناس بنـزول السكينة والطمأنينة على قلوبهم . قال تعالى : ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة : ٢٦] ، وقال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾ [الفتح : ٤] .

وقال تعالى : ﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ ﴾ [الفتح : ١٨] .

أي : علم ما في قلوبهم من صدق النية ، والصبر واليقين ، وتقديم خشية الله عز وجل على ما سواه .

قال ابن القيم : « علم ما في قلوبهم حينئذ من الصدق والوفاء ، وكمال الانقياد والطاعة ، وإيثار الله ورسوله على ما سواه ، فأنزل السكينة والطمأنينة والرضى في قلوبهم ... »[(١)] .

قلت : وغالباً ما يكون نزول السكينة على العبد المؤمن مقروناً بنـزول الملائكة – عليهم السلام -، وهذا – والله أعلم – من تمام حفظ الله تعالى وكلاءته[(٢)] لعبده المؤمن .

ويشهد لذلك أحاديث كثيرة منها :

ما وقع للصحابي أُسيد بن حضير – رضي الله عنه – عند قراءته للقرآن حيث رأى ظلة فوق رأسه فيها مثل نور المصابيح فأخبر بذلك الرسول – عليه الصلاة

---

(١) زاد المعاد ٣١٢/٣ .

(٢) قال ابن منظور : الكلاءة بالكسر الحفظ والحراسة، انظر: لسان العرب مادة (كلأ) .

والسلام – فقال : « **تلك الملائكة دنت لصوتك** »[١] وفي رواية قال : « **السكينة تنـزلت بالقرآن** »[٢] .

قال ابن بطّال : « فمرة أخبر – عليه الصلاة والسلام – عن نزول الـسكينة ، ومرة أخرى عن نزول الملائكة ، فدلّ على أن السكينة كانت في تلك الظلة وأنهـا تنـزل أبداً مع الملائكة ، والله أعلم ، ولذلك ترجم البخاري : باب نزول السكينة والملائكة عند القراءة »[٣] .

ومن ذلك قوله – عليه الصلاة والسلام - : « **وما اجتمع قوم** في **بيـت مـن بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينـهم إلا نزلـت علـيهم الـسكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة ...** »[٤] .

فأهل الخشية لله عز وجل هم أحرى بهذا الاجتماع من غيرهم ، فهـم دائمـاً مشغولو البال بالتفكر في عظمة الله وجلاله ، والحذر من عصيانه وأليم عقابه .

وأحوج ما يكون العبد إلى نزول السكينة على قلبه إذا كان في حالـة المـرض وضعف القوة ، حيث يتسلط عليه عدو الله الشيطان ليفتنه عن دينه ، فقـد روي عن عبدالله وصالح ابني الإمام أحمد أنهما قالا : لما احتضر الإمام أحمد جعل يكثر أن يقول : لا بعد ، لا بعد . فلما أفاق سألاه عن ذلك ، فقال : إن إبليس واقف في زاوية البيت وهو عاض على إصبعه ويقول : فُتني يا أحمد . فأقول : لا بعد . يعني: لا يفوته حتى تخرج نفسه من جسده على التوحيد[٥] .

قال ابن القيم : « السكينة إذا نزلت على القلب اطمأنّ بها ، وسـكنت إليهـا الجوارح وخشعت واكتسبت الوقار ، وأنطقت اللسان بالـصواب والحكمـة ،

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٣٠) .

(٢) أخرجه البخاري (٤٥٥٩) .

(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال ٢٥٤/١٠ .

(٤) أخرجه مسلم (٢٦٩٩) .

(٥) البداية والنهاية ٣٤١/١٠ .

وحالت بينه وبين قول الخنا والفحش واللغو والهجر وكل باطل»[١] .

قلت : وآيات السكينة في القرآن الكريم لها تأثير على القلب بتسكين روعه وبذهاب قلقه [٢].

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – إذا اشتدت عليه الأمور وضاق به الصدر قرأ آيات السكينة .

قال ابن القيم : « وسمعته – أي شيخ الإسلام – يقول في واقعة عظيمة جرت له في مرضه ، تعجز العقول والقوى عن حملها من محاربة أرواح شيطانية ظهرت له إذ ذاك في حال ضعف القوة ، قال: فلما اشتد علي الأمر، قلت لأقاربي ومن حولي : اقرأوا آيات السكينة ، قال : ثم أقلع عني ذلك الحال ، وجلست وما بي قَلَبة»[٣].

ثم قال ابن القيم : « وقد جربت أنا أيضاً قراءة هذه الآيات عند اضطراب القلب بما يرد عليه ، فرأيت لها تأثيراً عظيماً في سكونه وطمأنينته ، وأصل السكينة هي : الطمأنينة والوقار ، والسكون الذي ينزله الله في قلب عبده عند اضطرابه من شدة المخاوف ، فلا ينزعج بعد ذلك لما يرد عليه ، ويوجب له زيادة الإيمان ، وقوة اليقين والثبات » [٤] .

والحاصل أن نزول السكينة على القلب لا تكون إلا لعبد يخشى الله تعالى ، قد عرف الله عز وجل في الرخاء فعرفه الله في الشدة ، وهو مع ذلك لا يأمن من مكر الله سبحانه وتعالى ؛ لأن مقام الخشية يقتضي غلبة عدم الأمن من مكر الله عز وجل.

* * *

(١) مدارج السالكين ٥٠٦/٢.

(٢) انظر: مدارج السالكين ٥٠٢/٢ حيث بين ابن القيم آيات السكينة في القرآن الكريم .

(٣) قال الفيروزآبادي: القَلَبة ، محركة: الداء والتعب. انظر : القاموس المحيط ،(باب الباء فصل القاف).

(٤) مدارج السالكين٥٠٣/٢.

المبحث الثالث : الانتفاع بالمواعظ والتذكير والعبر

لقد أثنى الله عز وجل في كتابه العزيز على أهل الخشية منه بأنهم هم المنتفعـون بالعبر والتذكير والنِذارة ، فهم أصحاب القلوب الحية الرقيقة اللينة ، الـتي تتـأثر بسرعة عند سماع المواعظ والعبر ، قال تعـالى : ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ﴾ [فاطر : ١٨] ، وقـال تعـالى : ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ ﴾ [يس : ١١] .

وللانتفاع بالذكر شروط ذكرها الله عز وجل بقولـه : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق : ٣٧] :

الأول : أن يكون له قلب حي ، كما قـال تعـالى : ﴿ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيّٗا ﴾ [يس: ٧٠] أي حي القلب .

الثاني: أن يكون ذا أُذن صاغية واعية، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسۡمَعُونَۘ ﴾ [الأنعام : ٣٦] .

قال محمد بن أبي نصر الحميدي : « يعني : الذين يصغون إليك إصغاء القبـول والطاعة »[(١)] .

الثالث : أن يكون شاهد الفكر وحاضر الذهن .

وصاحب الخشية هو أحرى الخلق بتوفر هذه الشروط فيه ، قال تعالى : ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰٓ﴾ [النازعات : ٢٦] ، وقال تعالى : ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخۡشَىٰهَا ﴾

---

(١) تفسير غريب ما في الصحيحين للحميدي ٢٩٩/١ .

والحميدي هو : محمد بن أبي نصر فتوح بن عبدالله بن حميد الأندلسي ، قدم بغداد وسمع الحديث ، وكان حافظاً مكثراً ، أديباً ماهراً ، عفيفاً نزيهاً ، وله من الكتب « الجمع بين الصحيحين » وغيره. وكتب مصنفات الإمام ابن حزم والخطيب ، ولد قبل سنة ٤٢٠هـ ، وتوفي سنة ٤٨٨هـ . انظر: البداية والنهاية لابن كثير ١٥٢/١٢، وتذكرة الحفاظ للذهبي ١٢٢١/٤ .

[النازعات :٤٥] ، وقال تعالى : ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ﴾ [الأعلى : ١٠] .

قال قتادة : « ما خشي الله عبد قط إلا ذكره »[١] .

وقال الماوردي : « وتذكرة الخاشي أبلغ من تذكرة الراجي ، فلذلك علقها بالخشية دون الرجاء فقال : ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ﴾»[٢] .

قلت : وكلام الماوردي فيه نظر ؛ لأن الخشية الحقيقية مستلزمة للرجاء ، وكذلك الرجاء الحقيقي مستلزم للخشية ، ولا ينفك أحدهما عن الآخر، ولكن قد يكون جانب أحدهما أقوى من الآخر بحسب المقام والحال .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « والخشية أبداً متضمنة للرجاء ولولا ذلك لكانت قنوطاً ، كما أن الرجاء يستلزم الخوف ولولا ذلك لكان أمناً ... »[٣] .

وفي مناسبة ذكر اسم الرحمن دون غيره من أسماء الله عز وجل كما في قوله تعالى: ﴿وَخَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾ دليل على أن هذه الخشية متضمنة للرجاء ، وصاحبها متعرض لرحمة الله عز وجل.

قال شيخ الإسلام : « وذلك لأن الذي يخشى الله لابد أن يرجوه ويطمع في رحمته ، فينيب إليه ويحبه ويحب عبادته وطاعته ...»[٤] .

قال الزمخشري : « فإن قلت : كيف قرن بالخشية اسمه الدال على سعة الرحمة ؟ قلت : للثناء البليغ على الخاشي وهو خشيته ، مع علمه أنه الواسع الرحمة »[٥] .

إن أهل الخشية لله عز وجل يستحيون من الله تعالى إذا تذكروا نعمه وآلائه عليهم التي لا تعد ولا تحصى أن يقابلوها بالجحود والكفران ، وإذا حصل لهم شيء من ذلك بسبب غفلة أو شهوة خفية؛ بادروا إلى التوبة والاستغفار ،

---

(١) جامع البيان ٣١٧/٢٤ .

(٢) النكت والعيون ٢٥٤/٦ .

(٣) مجموع الفتاوى ٢١/٧ .

(٤) المصدر السابق ١٧٦/١٦ .

(٥) الكشاف ٣٩٣/٤ .

والتضرع والانكسار بين يدي الله عز وجل ، فربما تكون حالهم أحسن مما قبل .

وقد جعل الله عز وجل إنزال هذا القرآن العظيم على رسوله الكريم – عليه الصلاة وأتم التسليم – تذكرة للخاشين وعبرة للمعتبرين ، فقال سبحانه : ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ ۝٣﴾ [طه: ١-٣] .

فأهل الخشية هم أولو الألباب الذين مدحهم الله تعالى في كتابه الكريم بانتفاعهم بالآيات والعبر، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [الزمر: ٢١].

وبالجملة فإن صاحب الخشية الذي راقب الله عز وجل في سره وعلانيته ، فاستوى عنده الأمران ، وأيقن بالآخرة وما فيها من الأهوال والشدائد العظام ، هو الذي ينتفع بالآيات والنذر، وبحسب قوة الخشية ودرجتها في القلب يحصل التأثر في قلب العبد ، عند سماع المواعظ ومشاهدة الآيات والعبر .

وأما من انعدمت الخشية من قلبه فلو تناطحت جبال الدنيا أمام عينيه ما اتعظ ولا اعتبر ، قال تعالى : ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ۝٤٦﴾ [الحج : ٤٦] .

وقد حكي عن السري[1] أنه قال : « من الناس من لو مات نصف أحدهم؛ ما انزجر النصف الآخر ، ولا أحسبني إلا منهم »[2] .

وصدق والله ، فلقد رأيت رجلاً أصاب نصف جسمه شلل ، ومع ذلك كان عاكفاً على معصية الله تعالى بالنظر إلى الحرام وشربٍ للدخان .

نسأل الله لنا وله الهداية .

---

(١) هو السري بن المغلس السقطي ، الإمام القدوة الزاهد الورع التقي ، صاحب معروف الكرخي ، ولد في حدود سنة : ١٦٠هـ ، اشتهر بكثرة عبادته . قال أبوعبدالرحمن السلمي : كان أول من أظهر ببغداد لسان التوحيد وتكلم في علوم الحقائق . توفي سنة ٢٥٣هـ . انظر : سير أعلام النبلاء ١٨٥/١٢ .

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني ١٢٦/١٠ .

المبحث الرابع : البكـاء ودمـع العيـن

إن من الآثار الظاهرة لخشية الله تعالى : البكاء ودمع العين ، وقد أثنى الله عـز وجل في كتابه العزيز على الباكين من خشيته ، فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ [الإسراء : ١٠٩] ، وقال تعالى : ﴿تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ [المائدة : ٨٣] ، وقال تعالى : ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾ [مريم : ٥٨] .

وقد أنكر الله عز وجل على من يسمع قوارع القرآن وعظاته تتلى عليـه ومـع ذلك لا يتأثر قلبه ولا يبكي من خشية ربه ! قال تعـالى : ﴿ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [النجم: ٥٩-٦٠] .

والرسول – عليه الصلاة والسلام – كان أخشى الناس لله ومن بعده صـحابته الكرام – رضوان الله عليهم – وكان أثر الخشية ظاهراً على هيئتهم مـن البكـاء ودمع العين .

فعن عبدالله بن مسعود – رضي الله عنه – أنه قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **اقرأ علي القرآن** » ، قال : قلت : يا رسول الله كيف أقرأ عليك وإنما أُنزل عليك ؟ قال : « **إني أحب أن اسمعه من غيري** » ، قال : فقرأت عليـه سورة النساء حتى مررت بهذه الآية ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء :٤١] قال : فنظرت إليه وعيناه تذرفان»[1] .

قال ابن بطّال – رحمه الله - : « وبكاؤه – عليه الصلاة والسلام – من هـذه الآية إشارة منه إلى معنى الوعظ ؛ لأنه مثل لنفسه أهوال يوم القيامة وشدة الحـال الداعية له إلى شهادته لأمته بتصديقه والإيمان به ، وسؤاله الشفاعة لهم يريحهم من

(١) أخرجه البخاري (٤٣٠٦) ، ومسلم (٨٠٠) .

طول الموقف وأهواله ، وهذا أمر يحق له طول البكاء والحزن » [١] .

وكان الصحابة – رضوان الله عليهم – أشد الناس تأثراً بالمواعظ والعبر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فها هو العرباض بن سارية – رضي الله عنه – يحكي لنا حالهم عند سماع الموعظة ، فيقول : « وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب » [٢] .

ولما سمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « **ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً** » [٣] غطوا رؤوسهم ولهم خنين من البكاء من خشية الله تعالى .

هكذا يكون أثر الخشية الحقيقية ظاهراً على العبد المؤمن ، مما يكون دافعاً له إلى المسارعة لفعل الخيرات وترك المنكرات .

والحديث عن سير الصحابة – رضي الله عنهم – مع البكاء من خشية الله تعالى حديث ذو شجون لا يمل ، ولكن المقصود في هذا المبحث هو الإشارة إلى أن البكاء أثر من آثار خشية الله تعالى .

وقد جاءت نصوص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تبين فضل البكاء من خشية الله عز وجل ، فمن ذلك ما جاء في حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ، وذكر منهم : «**ورجلٌ ذكر الله خالياً ففاضت عيناه**» [٤] .

قال ابن الملقن [٥] : « وفي هذا الحديث فضيلة البكاء من خشية الله تعالى ،

---

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال ٢٨١/١٠ .

(٢) سلف تخريجه ص ٥٥ .

(٣) أخرجه البخاري (٦١٢٠) ، ومسلم (٢٣٥٩) .

(٤) سلف تخريجه ص١١٣ .

(٥) هو العالم الجليل عمر بن علي بن أحمد الأنصاري الشافعي ، كنيته أبوحفص ، ويعرف بابن الملقن، من فحول العلماء والمصنفين ، ولد سنة ٧٢٣هـ في القاهرة ، صنف نحو ثلاثمائة كتاباً في مختلف العلوم والفنون ، من أشهرها شرحه للبخاري ، وشرحه لعمدة الأحكام ، وتخريج أحاديث الرافعي

وفضل طاعة السر ؛ لكمال الإخلاص ، وهو على حسب حال الذاكر وبحسب ما يتكشف له من أوصافه تعالى ، فإن انكشف له غضبه وسخطه فبكاؤه من خوف ، وإن انكشف جلاله وجماله فبكاؤه من محبة وشوق ... » [١] .

ومن الأحاديث المرغبة في البكاء من خشية الله تعالى قوله – عليه الصلاة والسلام - : « **لا يلج النار أحد بكى من خشية الله تعالى حتى يعود اللبن في الضرع**»[٢] . وقال أيضاً : « **عينان لا تمسهما النار ، عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس في سبيل الله** »[٣] .

وإذا كان سبب البكاء من خشية الله تعالى ناتجاً عن إجلال وتعظيم وحذر، كان ذلك سبباً في المنع من دخول النار .

وهذا الوعد والفضل الذي ذُكر في الحديث ليس المقصود به كل من ذرفت عيناه فحسب ، بل من كان سبب بكائه ذكر عظمة مولاه ، وتقصيره في فعل أوامره وارتكاب محارمه ، وتفكره في أليم عقابه وشدة عذابه ، وحمله ذلك على التغيير من حاله ، والإنابة إلى ربه .

قال الحكيم الترمذي[٤]: «ومن ضروب البكاء، بكاء الخدعة ، وهو بكاء اللصوص ،

وغيرها مما هو مشتهر عنه ، توفي في القاهرة سنة ٨٠٤هـ . انظر : الأعلام ٥٧/٥ .

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن ٤٥٣/٦-٤٥٤ .

(٢) « صحيح » : أخرجه أحمد (١٠٥٦٧) والترمذي (١٦٣٣) وقال : هذا حديث حسن صحيح ، والنسائي (٣١٠٧) وصححه الألباني في صحيح الترمذي (١٣٣٣) .

(٣) « صحيح » : أخرجه الترمذي (١٦٣٩) ، وأبويعلى (٤٣٤٦) ، والحاكم (٢٤٣١) وصححه ، ووافقه الذهبي . وصححه الألباني في المشكاة (٣٨٢٩) ، وفي صحيح الجامع (٤١١٣) .

(٤) هو أبوعبدالرحمن محمد بن علي بن الحسن بن بشر ، المعروف بالحكيم الترمذي ، أحد العلماء المعروفين بالزهد والتصوف ، وله مصنفات كبار في أصول الدين ومعاني الحديث ، ولقي عدداً كبيراً من العلماء الكبار وأخذ عنهم مثل علي بن حجر وابن عبيدة وابن أبي السفر وغيرهم ، توفي سنة ٣٢٠هـ وله من العمر ثمانون سنة ، انظر : تذكرة الحفاظ ٦٤٥/٢ ، وطبقات المفسرين للداودي ٥٦/١-٥٨ .

يبكون والسرقة في أحضانهم لا يفارقونها ، وتورث من القسوة والمقت»[١] .

وقال إسحاق بن خلف [٢] : « ليس الخائف الذي يبكي ويمسح عينيه ، إنما الخائف الذي يترك ما يخاف أن يعاقبه الله عليه » [٣] .

وجاء عن سفيان الثوري ومالك بن دينار أنهما قالا : « إذا كمل فجور العبد ملك عينيه ، فيبكي متى شاء » [٤] .

لذا فإنه ينبغي على العبد أن يحذر من هذا البكاء الذي لا يعقبه صلاح واستقامة، ولا توبة وندم ؛ لأنه في الحقيقة يكون وبالاً على صاحبه .

* * *

(١) نوادر الأصول في معرفة أحاديث الرسول ٤٠٨/١ .

(٢) هو إسحاق بن خلف الزاهد ، صاحب الحسن بن صالح ، أحد العباد ، نزل بالشام ، وكان من الخائفين لله تعالى ، وروى عن حفص بن غياث ، وروى عنه أحمد بن أبي الحواري ، وثقه أبوحاتم، انظر : تاريخ دمشق لابن عساكر ٢٠٥/٨-٢٠٧، وتاريخ الإسلام للذهبي ٦٤/١٥-٦٥ .

(٣) المجالسة وجواهر العلم للدينوري ٣٦/١ .

(٤) الزهد للإمام أحمد ٣٢٣/١ ، وشعب الإيمان للبيهقي (٩٥٣) .

المبحث الخامس : ظهور السمت والوقار على هيئة العبد

إن من سمات أهل خشية لله تعالى ظهور السمت والوقار على هيئتهم ، وهـذا ناتج عن أثر الخشية من الله عز وجل في قلوبهم ، فلما عظم توقيرهم لله تعالى عظم توقير الناس لهم .

والسمت والوقار من صفات الأنبياء والمرسلين – عليهم الصلاة والـسلام – ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: « **إن الهـدي الصالح والسمت الصالح والاقتصاد جزءٌ من خمسة وعشرين جزءً من النبوة**»[١] .

قال الخطابي – رحمه الله - : « والمعنى أن هذه الخلال من شمائـل الأنبيـاء – صلوات الله عليهم – ومن الخصال المعدودة من خصالهم ، وأنها جزء من أجـزاء فضائلهم فاقتدوا بهم فيها وتابعوهم عليها ، وقد يحتمل وجهاً آخر وهـو أن مـن اجتمعت له هذه الخلال لقيه الناس بالتعظيم والتوقير ، وألبسه الله لبـاس التقـوى الذي يلبسه أنبياؤه .. » [٢] .

ولما كان السمت والوقار له أثره الظاهر في عدم اضطراب الأمور عند الاختلاف في الآراء كان الصحابة – رضوان الله عليهم – يأمرون الناس بالتخلّق به ، فقـد أخرج البخاري في صحيحه أن جرير بن عبدالله البجلي – رضي الله عنـه – لمـا توفي المغيرة بن شعبة – رضي الله عنه – وكان آنذاك والياً على الكوفة قام جريـر فحمد الله وأثنى عليه وقال للناس : « عليكم باتقاء الله وحـده لا شـريك لـه ، والوقار والسكينة حتى يأتيكم أمير .. »[٣] .

---

(١) « حسن » : أخرجه أبوداود في سننه (٤٧٧٦) ، و الترمذي (٢٠١٠) وقال عنه : حسن غريـب . وأحمد في مسنده (٢٦٩٨) ، والبخاري في الأدب المفرد (٤٦٨) ، وحسنه الألبـاني في صـحيح الجامع (١٩٩٣) ، وصحيح النسائي (٥٢١٧) وصحيح الترغيب والترهيب (١٦٩٦) .

(٢) معالم السنن للخطابي ١٠٦/٤-١٠٧ .

(٣) أخرجه البخاري برقم (٥٨) .

قال العيني[١] : « فإن قلت : لم نصحهم بالحلم والسكون ؟ قلت : لأن الغالب أن وفاة الأمراء تؤدي إلى الفتنة والاضطراب بين الناس ، والهرج والمرج ، وأما ذكره الاتقاء فلأنه ملاك الأمر ورأس كل خير ، وأشار به إلى ما يتعلق بمصالح الدين ، وبالوقار والسكينة إلى ما يتعلق بمصالح الدنيا » [٢] .

وقد وصف الله عز وجل عباده الصالحين بأنهم يمشون على الأرض بوقار وسكينة فقال تعالى : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ [الفرقان : ٦٣] .

قال الألوسي – رحمه الله - : « والمراد : يمشون هينين في تؤدة وسكينة ووقار وحسن سمت ... » [٣] .

وقال الإمام مالك – رحمه الله - : « إن حقاً على من طلب العلم أن يكون له وقار وسكينة وخشية ، وأن يكون متبعاً لأثر من مضى قبله » [٤] .

والصحابة – رضي الله عنهم – من أعظم الناس خشية لله تعالى بعد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، ولذلك كان أثر السمت والوقار ظاهراً عليهم ، فعن أسامة بن شريك – رضي الله عنه – قال : أتيت النبي - صلى الله عليه وسلم – وإذا أصحابه كأنما على رؤوسهم الطير [٥] .

قال ابن الأثير – رحمه الله - : « وصفهم بالسكون والوقار ، وأنهم لم يكن فيهم

---

(١) هو العالم المحدث بدرالدين محمود بن أحمد العيني الحنفي ، ولد سنة ٧٦٢هـ في عينتاب وإليها نسبته ، وتولى القضاء في القاهرة ، وله مصنفات كثيرة من أشهرها ، شرحه لصحيح البخاري ، وشرح الكلم الطيب ، وعقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، وغيرها مما هو معروف ومشهور ، توفي سنة ٨٥٥هـ . انظر : فهرس الفهارس والأثبات للكتاني ٨٣٩/١، والأعلام ١٦٣/٧ .

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٥٠٣/١ .

(٣) روح المعاني ٤٣/١٩ .

(٤) الآداب الشرعية لابن مفلح ٤٥/٢ .

(٥) «صحيح» : أخرجه أبوداود (٣٨٥٥) ، وأحمد (١٨٤٥٣) ، والطيالسي (١٢٣٢) ، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٣٠٤) ، ومختصر الشمائل ص٢٥ .

طيش ولا خفة ؛ لأن الطير لا تكاد تقع إلا على شيءٍ ساكن » [١] .

ولما كان العلم من الأسباب الباعثة على خشية الله تعالى ، كان العلماء أسعد الناس بذلك ، فظهرت آثار الخشية عليهم من الوقار والسكينة وحسن السمت ، وقد كتب أهل التاريخ والسير في ذلك عنهم شيئاً كثيراً .

أخرج البيهقي بسنده أن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – قال : « تعلّموا العلم وعلموه الناس ، وتعلموا له الوقار والسكينة ... » [٢] .

وروى ابن بطة عن الإمام أحمد أنه قال : « لا ينبغي للرجل أن ينصب نفسه – يعني للفتوى – حتى يكون فيه خمس خصال : أما أولاها فأن يكون له نية ، فإنه إن لم تكن له فيه نية لم يكن عليه نور ولا على كلامه نور ، وأما الثانية فيكون له خلق ووقار وسكينة ... » [٣] .

قال ابن القيم – رحمه الله - : « وقد جرت عادة الله التي لا تبدل وسنته التي لا تحول أن يلبس المخلص من المهابة والنور والمحبة في قلوب الخلق وإقبالهم إليه ما هو بحسب إخلاصه ونيته ومعاملته لربه .. وليس صاحب العلم والفتيا إلى شيء أحوج منه إلى الحلم والسكينة والوقار ، فإنها كسوة علمه وجماله ، وإذا فقدها كان علمه كالبدن العاري من اللباس ... » [٤] .

قلت : وظهور البهاء والنور والسمت والوقار على هيئة العلماء العاملين أمر مشاهد ومحسوس ، لا ينكره إلا مكابر أو جاهل ، بخلاف علماء السوء والضلال، فإن الأنفس تنفر عند رؤيتهم، وأثر الظلمة والسواد واضح على هيئتهم .

---

(١) الجامع في غريب الحديث ٥١٩/٣ .

(٢) شعب الإيمان (١٧٨٩) .

(٣) إبطال الحيل لابن بطة ٢٤/١ ، وابن بطة هو : عبيدالله بن محمد بن حمران العكبري ، يكنى بأبي عبيدالله ويعرف بابن بطة ، من علماء الحنابلة ، وقد صنف في مختلف الفنون والعلوم ، وكان رجلاً صالحاً مجاب الدعوة ، توفي سنة ١٨٧هـ . انظر : البداية والنهاية ٣٢١/١١-٣٢٢ ، والوافي بالوفيات للصفدي ٢٧١/١٩.

(٤) إعلام الموقعين ٢٠٠/٤ .

المبحث السادس : وجل القلب عند ذكر الله عز وجل

إن من آثار الخشية من الله تعالى وجلُ القلب عند ذكر الله عز وجل ، سواءً أكان ذلك ذكراً بالقلب وحده ، أم باللسان مع تواطئ القلب ، والثاني أكمل حالاً من الأول .

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ [الأنفال : ٢-٤] .

ففي هذه الآية الكريمة ذكر بعض آثار الخشية من الله تعالى :

فالأول : وجل القلب عند ذكر الله . قال السعدي : « أي إذا أراد أن يظلم مظلمة قيل له : اتق الله ، كف ووجل قلبه »[١] .

قلت : والصواب أن هذا الوجل ناتج عن ذكر الله تعالى ، أيا كان هذا الذكر، سواءً كان ذكراً لعظمة الله عز وجل وكبريائه ، أو ذكراً لسخطه وأليم عقابه ، أو ذكراً لآلائه ونعمه على عباده .

الثاني : زيادة الإيمان و الخشية لله تعالى في قلب العبد .

قال الربيع بن أنس في قوله تعالى : ﴿زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ أي زادتهم خشية [٢] .

الثالث : التوكل على الله عز وجل وتفويض الأمور إليه مع الأخذ بالأسباب المشروعة .

الرابع : إقام الصلاة والإنفاق من الأموال على من يستحقها سواءً كان الإنفاق واجباً أو تطوعاً .

وبعد أن ذكر سبحانه أعمال القلوب من الخشية والإخلاص والتوكل ، وأعمال الجوارح من الصلاة والصدقة؛ وصفهم بقوله : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ أي :

---

(١) جامع البيان ٢٩/١١ .

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ١٦٥٦/٥ .

حققوا الإيمان بالله تعالى كما يحبه ويرضاه ، من دون أدنى شك في إيمانهم .

قال ابن عباس – رضي الله عنهما - : « برئوا من الكفر » [١] .

وقال تعالى : ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الحج : ٣٤-٣٥] .

قال مجاهد في قوله ﴿ٱلْمُخْبِتِينَ﴾: أي : المطمئنين[٢] .

وقيل ﴿ٱلْمُخْبِتِينَ﴾ بمعنى المتواضعين ، أو المخلصين ، أو الخاشعين ، وكل هذه المعاني من قبيل اختلاف التنوع لا التضاد [٣] .

ففي الآيات السابقات ثناء ومدح لمن اتصف بتلك الصفات الحميدة من التواضع والخشية والصبر وإقام الصلاة والإنفاق في سبل الخير .

قال ابن عطية : « وهذا مثال شريف من خلق المؤمن الهين اللين ، وقال مجاهد : هم المطمئنون بأمر الله ، ووصفهم تعالى بالخوف والوجل عند ذكر الله وذلك لقوة يقينهم ومراعاتهم لربهم ، وكأنهم بين يديه ، ووصفهم بالصبر وبإقامة الصلاة...»[٤] .

وأما ما يحصل لبعض الناس عند ذكر الله تعالى من رفع الصوت والصياح وحصول الغشيان ، فليس هذا من هدي الرسول صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه الكرام – رضي الله عنهم - ، بل هو من صنيع أهل البدع ، وغالبه يكون رياءً للناس .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « وأما ما يحصل عند السماع والذكر المشروع من وجل القلب ودمع العين واقشعرار الجسوم فهذا أفضل الأحوال التي نطق بها

---

(١) تفسير القرآن لابن أبي حاتم ١٦٥٨/٥ .

(٢) تفسير مجاهد ٤٢٥/٢ .

(٣) تفسير القرآن للسمعاني ٤٣٩/٣ .

(٤) المحرر الوجيز ١٢٢/٤ .

الكتاب والسنة »[١] .

وقال أيضاً : « وإذا كان وجل القلب من ذكره سبحانه يتضمن خشيته ومخافته، فذلك يدعو صاحبه إلى فعل المأمور وترك المحظور ... »[٢] .

وليس الوجل لأهل الخشية من ذكر الله تعالى فحسب ، بل هم وجلون أيضاً من خشية إتيانهم بالعمل على الوجه الذي لا يرضي الرب سبحانه وتعالى .

قال جل وعلا : ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠] . قال أبوالسعود : « ومناط الوجل أن لا يقبل منهم ذلك ، وأن لا يقع على الوجه اللائق ، فيؤاخذوا به حينئذ ، لا مجرد رجوعهم إلى الله تعالى»[٣].

* * *

(١) مجموع الفتاوى ٥٢٢/٢٢ .

(٢) المصدر السابق ٢٠/٧ .

(٣) إرشاد العقل السليم ١٤٠/٦ .

المبحث السابع : قشعريرة الجلـــد

إن من آثار خشية الله تعالى في قلب المؤمن قشعريرة جلده عند سماعـه كـلام الرب جل جلاله . قال تعالى : ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ﴾ [الزمر : ٢٣] .

قال قتادة : « هذا نعت أولياء الله، نعتهم الله تعالى فقال : تقـشعر جلـودهم وتبكي أعينهم وتطمئن قلوبهم إلى ذكر الله تعالى ، ولم ينعتهم الله تعالى بـذهاب عقولهم والغشيان عليهم ، إنما هذا في أهل البدع ، وإنما هو من الشيطان »[1] .

ولا شك ولا ريب أن أهل الخشية لله تعالى يتأثرون تأثراً ظاهراً عند سماع المـواعظ والعبر ، فينشأ عنه قشعريرة الجلد ووجل القلب ودمع العين ، وما ذاك إلا أن قلـوبهم حية ، وآذانهم واعية ، فأبصرت عيونهم عين اليقين ، وأيقنت قلوبهم حق اليقين .

والقرآن الكريم هو أعظم ما يؤثر في النفوس السامعة ، حتى ولو كانت كافرة ، فكيف إذا كانت مؤمنة خاشعة ؟ وهذا من خصائص إعجاز القرآن الكريم ، فكم من كافر كان يكيد للإسلام والمسلمين ، فلما استمع إلى كلام الله تعالى تـأثرت نفسه وتغيرت حاله ، وليس تأثيره على من كان لسانه عربياً فحسب ، بل كذلك أيضاً من كان أعجمياً فإنه بمجرد استماعه للقرآن الكريم من صوت حسن فلابـد أن يتأثر بذلك ، والقصص في ذلك كثيرة مشهورة ، ولست في هذا المبحث بصدد سرد القصص و الروايات ، ولكن هي إشارات وعلامات واضحات .

قال القاضي عياض – رحمه الله - : « ومن وجوه إعجاز القرآن : الروعة الـتي تلحق قلوب سامعيه وأسماعهم عند سماعه ، والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته لقـوة حاله ، وإنافة خطره[2] ، وهي على المكذبين به أعظم ... ويدل على أن هذا شيء

---

(١) أخرجه عبدالرزاق في التفسير ١٧٢/٣ .

(٢) أي علو قدره ومنزلته ، فالإنافة مأخوذة من النوف وهو العلو والارتفاع، والخطر هو ارتفاع المنزلة والقدر والشرف، انظر: لسان العرب مادة (نوف) ومادة (خطر) .

خص به ، أنه يعتري من لا يفهم معانيه ، ولا يعلم تفاسيره ، كما روي عن نصراني أنه مر بقارئ فوقف يبكي ، فقيل له : مم بكيت ؟ قال : للشجا والنظم . وهذه الروعة قد اعترت جماعة قبل الإسلام وبعده ، فمنهم من أسلم لها لأول وهلة وآمن به ، ومنهم من كفر »[١] .

وإذا كان الكفار يحصل لهم عند سماع القرآن الكريم شيء من الرهبة والقشعريرة، فمن باب أولى أن يحصل ذلك لأهل الإيمان والخشية ، وذلك لصلاحية المحل ، وقوة المؤثر في قلوبهم ، فازدادوا هدى بعد هدى، وإيماناً بعد إيمان، وخشية بعد خشية، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ﴾ [محمد: ١٧] قال الربيع بن أنس: «﴿زَادَهُمۡ هُدٗى﴾: أي زادهم علماً، و﴿وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ﴾: أي آتاهم الخشية»[٢] .

وقد كان الصحابة – رضي الله عنهم – تقشعر جلودهم من خشية الله تعالى ، وهذا نعتهم في القرآن الكريم ، قال ابن عباس – رضي الله عنهما - : « لم أر رجلاً يجد من القشعريرة ما يجد عبدالرحمن بن عوف عند القراءة »[٣] .

ولقد كان السلف – رحمهم الله – يتحرون الساعة التي يقشعر منها الجلد من خشية الله عز وجل ، فيدعون الله تعالى فيها ؛ لأنها مظنة تحقق إجابة الدعاء ، فعن أم الدرداء – رضي الله عنها – أنها قالت : « إنما الوجل في قلب الرجل كاحتراق السعفة ، أما تجد لها قُشعريرة ؟ قلت : بلى، قالت : فادع الله ، فإن الدعاء عند ذلك مستجاب »[٤] .

وعن ثابت البناني[٥] قال : « إني لأعلم متى يستجاب لي . قالوا : ومن أين تعلم

---

(١) الشفا في شرف المصطفى للقاضي عياض ٢٠٨/١ .

(٢) النكت والعيون ٢٩٨/٥ .

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه بترتيب ابن بلبان ١٥٢/٢ ، والمروزي في مختصر قيام الليل ١١/١.

(٤) شعب الإيمان للبيهقي (١١٣٨) .

(٥) هو ثابت بن أسلم ، يكنى بأبي محمد ، تابعي جليل ، روى عن كثير من الصحابة كعبدالله بن عمر

ذلك؟ قال : إذا اقشعر جلدي ، ووجل قلبي ، وفاضت عيناي ، فـذلك حـين يستجاب لي » [١] .

فأهل الخشية من الله تعالى لهم أحوال عظيمة ، وأسرار بديعة ، يعجز اللسان عن ذكرها ، والبنان عن تسطيرها .

قال الحسن – رحمه الله - : « إن لله عباداً هم والجنة كمن رآها فهـم فيهـا متكئون ، وهم والنار كمن رآها فهم فيها معذبون ، قلوبهم محزونة ، وشـرورهم مأمونة ، وحاجتهم خفيفة ، وأنفسهم عفيفة ، أما الليل فصافّي أقدامهم ، مفترشي جباههم ، يناجون ربهم في فكاك رقابهم ، وأما النهار فحكماء علماء، أبرار أتقياء، قد براهم الخوف ، فهم أمثال القداح فينظر إليهم الناظر فيقول : مرضى وما بهـم من مرض ، ويقول : قد خولطوا وقد خالط القوم أمر عظيم » [٢] .

ولقد أحسن الإمام الشافعي – رحمه الله – حين قال :

إن الله عبـــاداً فُطنـــاً طلقوا الـدنيا وخـافوا الفتنـا
نظروا فيهـا فلمـا علمـوا أنهـا ليـست لحـي وطنـا
جعلوهـا لُجـة واتخـذوا صالح الأعمال فيهـا سـفنا[٣]

* * *

وابن الزبير وأنس بن مالك وغيرهم . قال عنه الإمام أحمد : ثبت في الحديث من الثقات ، وهو من زهاد أهل البصرة ، وروى عنه خلق كثير مثل حماد بن زيد وحماد بن سلمة وشـعبة وغيرهـم ، وتوفي سنة ١٢٧هـ . انظر : طبقات الحفاظ ٥٧/١ .

(١) ذكره الحكيم الترمذي في نوادر الأصول ٢٥٢/١ .

(٢) التهجد وقيام الليل لابن أبي الدنيا ٣٤٣/١ .

(٣) ديوان الإمام الشافعي ١٠٩/١ .

الفصل السادس

ثواب الخشية من الله تعالى

وفيه خمسة مباحث :

المبحث الأول: الهداية إلى الصراط المستقيم .

المبحث الثاني: الفوز التام في الدارين .

المبحث الثالث : المغفرة والأجر الكبير .

المبحث الرابع : نيل رضى الله عز وجل .

المبحث الخامس : الأمن في الدارين .

المبحث الأول : الهداية إلى الصراط المستقيم

إن أهل الخشية لله تعالى لما جعلوا مراقبة الله عز وجل في السر والعلن هي أكبر همهم ، هداهم الله جل وعلا إلى صراطه المستقيم .

قال تعالى : ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥﴾ [البقرة ١-٥] .

وهذه الصفات العظيمة في مطلع هذه السورة الكريمة هي ألصق الصفات بأهل الخشية من الله عز وجل من غيرهم ؛ وذلك لأن أهل الخشية لله تعالى جمعوا بين فرائض العبادات ونوافلها ، سواءً أكانت عبادة قلبية أم قولية أم بدنية ، واجتنبوا كبائر المحرمات وصغائرها ، وانكفوا عن دقائق المكروهات والتبسط في فضول المباحات فحصل بذلك ما حصل من قوة اليقين والهداية إلى الصراط المستقيم .

فأهل الخشية يؤمنون بالغيب ويصدقون ما جاء عن الله عز وجل أو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم أيضاً يخشون ربهم بالغيب ، وقد فسر بعض أهل العلم الإيمان في قوله : ﴿يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ بالخشية فقد أخرج ابن جرير عن الربيع بن أنس أنه قال في قوله : ﴿يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ أي يخشون بالغيب »[1] .

قال ابن كثير : « والخشية خلاصة الإيمان والعلم » كما قال تعالى : ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر /٢٨] »[2] .

وأهل الخشية يقيمون الصلاة ويؤدون الزكاة المفروضة وغيرها من التطوعات ، ويؤمنون بأن القرآن كلام الله تعالى أنزله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ،

---

(١) جامع البيان ١٠١/١ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ٤٢/١ .

ويؤمنون بالكتب الأخرى التي أنزلها الله سبحانه وتعالى على رسله ، ويوقنون بالآخرة كأنهم يرونها رأي العين ؛ لقوة إيمانهم ويقينهم وخشيتهم لله تعالى، وقد جاء وصفهم في نهاية الآيات بقوله : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ أي من توفرت فيه تلك الصفات الكريمة فهو المهتدي إلى صراط الله المستقيم الموصل إلى الفلاح والاهتداء في الدنيا والآخرة ، فأهل الخشية لله تعالى هم من تحققت فيهم هذه الصفات الحميدة المذكورة في أول سورة البقرة ، وقد أثنى الله تعالى عليهم بصفات أخرى في القرآن الكريم ، فقال تعالى : ﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٨﴾ [التوبة : ١٨].

قال البقاعي : « والحاصل أن من اتصف بالأوصاف الأربعة؛ كان صالحاً وخليقاً وجديراً وحقيقاً بأن يتحرك طمعه، ويمتد أمله إلى أن يكون من جملة أهل الهدى ...»[1] .

وقد وعدهم الله عز وجل بالهداية إلى صراطه المستقيم ، قال تعالى : ﴿وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [آل عمران :١٠١] ، وقال تعالى : ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا﴾ [النساء :١٧٥] .

ولما كانت الهداية ناتجة عن الخشية من الله تعالى ؛ جعلها الله سبحانه من جملة النعم التي يمتن بها على أهل خشيته، قال تعالى:﴿ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِي وَلِأُتِمَّ نِعۡمَتِي عَلَيۡكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴾[البقرة :١٥٠] .

قال البقاعي في قوله: ﴿وَلَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴾: « أي ولتكونوا على رجاء عند أنفسكم ومن يراكم ممن لا يعلم العواقب من أن تهتدوا إلى الثبات على هذه القبلة

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٢٨٣/٣ .

وغيرها من أمر هذا الدين، بسبب خشيتي فإنها جالبة لكل خير ودافعة لكل ضير »[١] .

وفي قوله تعالى : ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾ [النازعات :١٩] دلالة واضحة على تلازم الهدى والخشية ؛ لأن من حقق خشية الله تعالى فقد هدي إلى الصراط المستقيم ، والله سبحانه وتعالى يهدي من يشاء بفضله ، ويضل من يشاء بعدله ، والخشية من علامات الهداية إلى صراط الله المستقيم .

قال الزمخشري في قوله : ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾ : « أي أرشدك إلى معرفة الله وأنبهك عليه فتعرفه فتخشى ؛ لأن الخشية لا تكون إلا بالمعرفة ، قال تعالى : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر /٢٨] أي العلماء به ، وذكر الخشية لأنها ملاك الأمر ، فمن خشي الله أتى منه كل خير ، ومن أمن اجترأ على كل شر»[٢].

وقال الشوكاني في معنى الآية السابقة : « أي أرشدك إلى عبادته وتوحيده فتخشى عقابه ، والفاء لترتيب الخشية على الهداية ؛ لأن الخشية لا تكون إلا من مهتد راشد » [٣]

قلت: وكلام الشوكاني هو الصواب في تفسير الآية ؛ لأن الله عز وجل فطر الناس على معرفته، وفساد الفطرة أمر عارض يحصل بأسباب خارجية ، وما بعث الله الرسل والأنبياء – عليهم السلام – إلا لتقويم الفطر وتصحيح الاعتقاد .

* * *

(١) المصدر السابق ٢٧٤/١ .

(٢) الكشاف ٦٩٥/٤ .

(٣) فتح القدير ٣٧٦/٥ .

المبحث الثاني : الفوز التام في الدارين

إن أهل الخشية لله تعالى من أسعد الناس بالحياة الطيبة وبالفوز العظيم في الدنيا والآخرة ؛ وذلك لأن قلوبهم حية بالإيمان واليقين ، وألسنتهم رطبة تلهج بذكر الله عز وجل ، فأورثهم ذلك طمأنينة في قلوبهم ، وانشراحاً في صدورهم قال تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل : ٩٧] والحياة الطيبة ليس المراد بها كثرة الأموال والأولاد ؛ لأن هذا يشترك فيه المؤمنون والكفار ؛ بل الحياة الطيبة هي الأنس بالله تعالى ، والالتذاذ بطاعته ، والبهجة والسرور بنور معرفته ، قال تعالى : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ [النور : ٥٢] ففي هذه الآية الكريمة أوصاف جليلة، وخصال عظيمة، فالطاعة والخشية والتقوى؛ هي في الحقيقة أوصاف متلازمة ، وقد وعد الله سبحانه وتعالى أهلها بالفوز التام في الدنيا والآخرة .

قال ابن كثير في بيان حقيقة الفوز في الآية السابقة : « يعني الذين فازوا بكل خير ، وأمنوا من كل شر في الدنيا والآخرة »[١] .

وقال الشوكاني : « والإشارة بقوله : ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ إلى الموصوفين بما ذكر من الطاعة والخشية والتقوى أي هم الفائزون بالنعيم الدنيوي والأخروي لا من عداهم»[٢].

ولما كانت الخشية من الله تعالى لها أثرها الظاهر على العبد في امتثال ما أمر الله به، وترك ما نهى عنه؛ جعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد المنجيات من العذاب الدنيوي والأخروي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **ثلاث مهلكات ، وثلاث منجيات ، فالثلاث المهلكات : شح مطاع ، وهوى متبع ،**

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٧٥/٦ .

(٢) فتح القدير ٤٦/٤ .

وإعجاب المرء بنفسه ، وثلاث منجيات : خشية الله في السر والعلن ، والقصد في الفقر والغنى ، والعدل في الغضب والرضا»[١] .

قال المناوي[٢] : « وقُدم السر على العلانية في خشية الله ؛ لأن تقوى الله فيه أعلى درجة من العلن لما يخاف من شوب رؤية الناس ، وهذه درجة المراقبة ، وخشيته فيهما تمنع من ارتكاب كل منهي وتحثه على فعل كل مأمور ، فإن حصل للعبد غفلة عن ملاحظة خوفه وتقواه، فارتكب مخالفة مولاه، لجأ إلى التوبة ثم داوم الخشية ... »[٣] .

وقال تعالى : ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب : ٧١] فأهل الخشية هم أكمل الناس طاعة لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم ؛ لأنهم راقبوا الله عز وجل في حركاتهم وسكناتهم وفي جوارحهم وسائر أعمالهم فأكرمهم الله جلّ وعلا بالفوز العظيم .

قال الزمخشري : « لما قال : ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ أتبعه قوله : ﴿ إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ ﴾ [الأحزاب :٧٢] وهو يريد بالأمانة الطاعة ، فعظّم أمرها وفخم شأنها...»[٤] .

قلت : وأهل الخشية لله تعالى قد عظموا أمر الله عز وجل وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم ولذلك اشتركوا مع السماوات والأرض والجبال بوقوع الإشفاق منهم

---

(١) « حسن » : أخرجه الشهاب في مسنده (٣٢٦) ، والطبراني في الأوسط (٥٤٥٢) ، والبيهقي في الشعب (٧٤٥) ، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٨٠٢) .

(٢) هو : محمد بن عبدالرؤوف المناوي وله سنة ٩٥٢هـ بالقاهرة ، وهو من كبار العلماء والمصنفين، وقد تفرغ للتأليف ، وكان قليل الطعام كثير السهر ، فمرض وضعفت أطرافه ؛ فجعل يملي مؤلفاته على ولده تاج الدين ، وقد بلغت مؤلفاته نحو ثمانين مصنفاً في مختلف الفنون والعلوم ، ومن أشهرها : فيض القدير شرح الجامع الصغير للسيوطي ، وكنوز الحقائق ، وآداب المعلمين وغيرها. وتوفي سنة ١٠٣١هـ . انظر : الأعلام ٢٠٤/٦ .

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير ٣٠٧/٣ .

(٤) الكشاف ٥٧٣/٣ .

جميعاً خشية من عدم القيام بهذه الأمانة على الوجه المطلوب .

* * *

المبحث الثالث : المغفرة والأجر الكبير

لقد وعد الله سبحانه وتعالى من خشيه بالغيب بالمغفرة والأجر الكبير ، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ﴾ [الملك : ١٢] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِۖ فَبَشِّرۡهُ بِمَغۡفِرَةٖ وَأَجۡرٖ كَرِيمٍ ﴾ [يس : ١١] . وقال تعالى : ﴿ وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ غَيۡرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٖ ﴿٣٢﴾ مَّنۡ خَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ وَجَآءَ بِقَلۡبٖ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾﴾ [ق: ٣١-٣٣] .

فكل هذه الآيات الكريمة بشارات ووعود لأهل الخشية من الله تعالى ؛ لأنهم عرفوا حق الله عليهم ومراقبته إياهم في السر والعلن ، فهم دائماً في إنابة إلى ربهم ، وإقبال على طاعته .

ومما يبين عظيم فضل الخشية من الله تعالى وأنها سبب لمغفرة الذنوب ودخول الجنة هذا الحديث الذي رواه أبوهريرة - رضي الله عنه – عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « **كان رجل يسرف على نفسه فلما حضره الموت قال لبنيه : إذا أنا مت فأحرقوني** ، ثم **اطحنوني** ، ثم **ذروني** في **الريح** ، **فوالله لئن قدر علي ربي ليعذبني عذاباً ما عذبه أحداً** ، **فلما مات فُعل به ذلك** ، **فأمر الله الأرض فقال: اجمعي ما فيك منه ففعلت فإذا هو قائم، فقال: ما حملك على ما صنعت ؟ قال : يا رب خشيتك . فغفر له** »[1] ، وفي رواية قال : « **فغفر له بها** ، **ولم يعمل خيراً قط إلا التوحيد** »[2] .

فهذا الرجل لما غلبت عليه خشية الله عز وجل عند تفكره في كثرة ذنوبه

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٩٢) ، ومسلم (١٨٤٠) .

(٢) « صحيح » أخرجه أحمد برقم (٣٧٨٦) عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ، وبرقم (٨٠٤٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٠٤٨) .

وتفريطه في جنب الله ، أمر أبناءه أن يفعلوا به ما فعلوا ، ولا شك أن هذا الرجل عنده شيء من الجهل لمّا أمر أبناءه أن يفعلوا به ذلك العمل ، ولكن هذا لا يخرجه من دائرة الإيمان ؛ لأن الله سبحانه وتعالى تفضل عليه بمغفرة ذنوبه ، والكافر أو المشرك محروم من ذلك .

قال ابن عبدالبر : « والدليل على أن الرجل كان مؤمناً قوله حين قيل له : « لم **فعلت هذا؟**» فقال: «**من خشيتك يا رب!**» والخشية لا تكون إلا لمؤمن صادق ، بل ما تكاد تكون إلا لمؤمن عالم ، كما قال تعالى : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر :٢٨] ، قالوا : كل من خاف الله فقد آمن به وعرفه ، ومستحيل أن يخافه من لا يؤمن به ، وهذا واضح لمن فهم وألهم رشده»[١] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : « وهذا الرجل كان قد وقع له الشك والجهل في قدرة الله تعالى على إعادة ابن آدم بعد ما أُحرق وذُري ، وعلى أنه يعيد الميت ويحشره إذا فعل به ذلك ، وهذان أصلان عظيمان :

أحدهما : متعلق بالله تعالى وهو الإيمان بأنه على كل شيء قدير .

الثاني : متعلق باليوم الآخر وهو الإيمان بأن الله يعيد الميت ويجزيه على أعماله ، ومع هذا فلما كان مؤمناً بالله في الجملة ومؤمناً باليوم الآخر في الجملة؛ وهو أن الله يثيب ويعاقب بعد الموت وقد عمل عملاً صالحاً وهو خوفه من الله أن يعاقبه على ذنوبه غفر الله له بما كان منه من الإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح...»[٢].

ومن عظيم فضل الخشية من الله تعالى أنها سبب لسقوط الحد عن الجاني إذا كانت توبته من خشية الله عز وجل ، فقد ذُكر أن امرأة خرجت على عهد النبي صلى الله عليه وسلم تريد الصلاة ، فتلقاها رجل فتجللها[٣] فقضى حاجته منها ،

---

(١) التمهيد لابن عبدالبر ١٨/٤٠-٤١ .

(٢) مجموع الفتاوى ١٢/٤٩١ .

(٣) قال السيوطي: « (فتجللها) بالجيم أي علاها وهو كناية عن الجماع » ، انظر: مرقاة الصعود إلى سنن أبي داود للسيوطي ٤/٥١٩، وانظر أيضاً: عون المعبود شرح سنن أبي داود ١٢/٢٨ .

فصاحت فمر عليها رجل فقالت : إن ذاك فعل بي كذا وكذا . ومرت عصابة من المهاجرين فقالت : إن ذلك الرجل فعل بي كذا وكذا ، فانطلقوا فأخذوا الرجل الذي ظنت أنه وقع عليها فأتوا به فقالت : نعم هو هذا ، فأتوا به النبي صلى الله عليه وسلم فلما أُمر به قام صاحبها الذي وقع عليها ، فقال : يا رسول الله أنا صاحبها، فقال لها : **اذهبي فقد غفر الله لك** ، وقال للرجل قولاً حسناً ، [قال أبوداود : يعني الرجل المأخوذ] وقال للرجل الذي وقع عليها : ارجموه ، فقال : «**لقد تاب توبة لو تابها أهل المدينة لقُبل منهم** »[1]. وفي رواية : فقال عمر : ارجم الذي اعترف بالزنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **ألا إنه قد تاب إلى الله توبة لو تابها أهل يثرب لقُبل منهم** »[2].

قال ابن القيم: « والأشبه أنه لم يرجمه كما رواه أحمد والنسائي وأبو داود ولم يذكروا غير ذلك، ورواته حفظوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل رجمه فأبى وقال: لا، والذي قال إنه أمر برجمه إما أن يكون جرى على المعتاد، وإما أن يكون اشتبه عليه أمره برجم الذي جاءوا به أولاً وقال إنه أمر برجم المعترف، وأيضاً فالذين رجمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في الزنا مضبوطون معدودون، وقصصهم محفوظة معروفة ...»[3] .

قال الشيخ الألباني : « والصحيح أن هذا الرجل لم يرجم ، وفي الحديث فائدة:

---

(١) « حسن » : أخرجه أبوداود (٤٣٧٩) ، والترمذي (١٤٥٤) ، والنسائي في الكبرى (٧٣١١) ، وأحمد (٢٧٢٤٠)، والبيهقي في السنن (١٧١٠٠) . وقال ابن القيم : إسناده على شرط مسلم ، انظر : الطرق الحكمية ٨٦/١ ، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٩٠٠) وفي المشكاة (٣٥٧٨)، وضعف الألباني قوله: (ارجموه)، انظر: صحيح سنن أبي داود ٤٩/٣.

(٢) « حسن » أخرجه الطبراني في الكبير١٥/٢٢ وابن الجارود في المنتقى (٨٢٣) وابن حزم في المحلى ١١/١٣، والبيهقي في الكبرى (١٧١٠٠) وقال ابن القيم في إسناده : وليس فيه بحمد الله إشكال، انظر: إعلام الموقعين٩/٣.

(٣) الطرق الحكمية ٨٧/١.

أن الحد يسقط عمن تاب توبة صحيحة »[١].

ولا شك ولا ريب أن الذي حمل ذلك الرجل على الاعتراف بالزنا هو خشية الله تعالى أن يقتل رجل مسلم بسببه مع ما ارتكبه من الزنا ؛ ولذلك لما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم بصدق توبته وخشيته لله تعالى أسقط عنه الحد .

قال ابن القيم – رحمه الله - : « وأما سقوط الحد عن المعترف ، فإذا لم يتسع له نطاق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه – فأحرى له أن لا يتسع له نطاق كثير من الفقهاء ، ولكن اتسع له نطاق الرؤوف الرحيم صلى الله عليه وسلم فقال : « **إنه قد تاب إلى الله** » وأبى أن يحده ، ولا ريب أن الحسنة التي جاء بها من اعترافه طوعاً واختياراً خشية من الله وحده ، وإنقاذاً لرجل مسلم من الهلاك، و تقديم حياة أخيه على حياته ، واستسلامه للفعل ، أكبر من السيئة التي فعلها ، فقاوم هذا الدواء لذلك الداء ، وكانت القوة صالحة ، فزال المرض ، وعاد القلب إلى حال الصحة ... »[٢] .

وقال أيضاً : « فإن قيل: فماعز جاء تائباً والغامدية جاءت تائبة وأقام عليهما الحد؟

قيل : لا ريب أنهما جاءا تائبين ، ولا ريب أن الحد أُقيم عليهما . وسألت شيخنا – أي ابن تيمية – عن ذلك فأجاب بما مضمونه بأن الحد مطهر وأن التوبة مطهرة ، وهما – أي ماعز والغامدية – اختارا التطهير بالحد على التطهير بمجرد التوبة ، وأبيا إلا أن يطهرا بالحد ، فأجابهما النبي – صلى الله عليه وسلم – إلى ذلك ، وأرشد إلى اختيار التطهير بالتوبة على التطهير بالحد ، فقال في حق ماعز : « **هلا تركتموه يتوب ، فيتوب الله عليه**»[٣] ، ولو تعين الحد بعد التوبة لما جاز تركه ، بل الإمام مخير بين أن يتركه كما قال لصاحب الحد الذي اعترف به :

---

(١) السلسلة الصحيحة (٩٠٠).

(٢) إعلام الموقعين ١٠/٣ .

(٣) « حسن » أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٥١٣٠) ، والنسائي في الكبرى (٧٢٠٦) ، وأبو داود (٤٤١٩) ، و الترمذي (١٤٢٨) . وقال : حديث حسن ، وحسنه الألباني في الإرواء ٣٥٨/٧ .

«**اذهب فقد غفر الله لك حدك**»[١] وبين أن يقيمه ، كما أقامه على ماعز والغامدية لما اختارا إقامته وأبيا إلا التطهير به ، ولذلك ردهما النبي – صلى الله عليه وسلم – مراراً[٢]، وهما يأبيان إلا إقامته عليهما ، وهذا المسلك وسط بين من يقول : لا تجوز إقامته بعد التوبة البتة ، وبين مسلك من يقول : لا أثر للتوبة في إسقاطه البتة، وإذا تأملت السنة رأيتها لا تدل إلا على هذا القول الوسط ، والله أعلم»[٣].

وقد اختار العيني هذا القول فقال : « إذا أقر شخص بالحد عند الإمام بأن قال: إني أصبت ما يوجب الحد ، هل للإمام أن يستر عليه ؟

فجوابه : له أن يستر عليه ، ألا ترى إلى قوله – صلى الله عليه وسلم – للرجل الذي قال : إني أصبت حداً فأقمه علي : « **أليس قد صليت معنا ؟** » فلم يستكشفه عنه ، فدلّ على أن الستر أولى ؛ لأن في الكشف عنه نوع تجسس منهي عنه ، وجعلها شبهة دارئة للحد»[٤] .

وأسباب مغفرة الذنوب ودخول الجنة كثيرة معلومة في الكتاب والسنة ، والخشية من الله تعالى هي من أعظمها ؛ لكونها باعثة على كل خير وصارفة عن كل شر .

وفي قوله تعالى:﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾[الرحمن :٤٦] قال الفخر الرازي : «إذا كان هذا للخائف فما ظنك للخاشي؟»[٥] .

* * *

(١) أخرجه البخاري (٦٤٣٧) ، ومسلم (٢٧٦٥) .

(٢) أخرجه مسلم (١٦٩٤) .

(٣) إعلام الموقعين ٩٨/٢ .

(٤) عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني ٥/٢٤ .

(٥) مفاتيح الغيب ١٠٨/٢٩ .

المبحث الرابع : نيل رضا الله عز وجل

إن خشية الله عز وجل في الغيب والشهادة من أعظم الأسباب الجالبة لمرضاة الله سبحانه وتعالى ، ولذلك كان أهل الخشية أحرص الناس على نيل الرضا من الله تعالى عنهم ، فهم في جميع أحوالهم يتقربون إلى الله عز وجل طلباً لمرضاته وخشية من عقابه .

قال تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ٢٠٧] ، وقال تعالى : ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة : ٢٦٥] ، وقال تعالى : ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء : ١١٤] .

فهم يبذلون أنفسهم وأموالهم رخيصة طلباً لمرضاة الله ، ويفعلون أنواعاً كثيرة من أعمال البر كالصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإصلاح ذات البين ، كل ذلك طلباً لمرضاة الله عز وجل ، وقد وعدهم الله جل وعلا بالأجر العظيم في الدنيا والآخرة .

ولما كان الصحابة – رضي الله عنهم – أخشى هذه الأمة بعد رسولها صلى الله عليه وسلم كان لفظ الرضا ملازماً لهم ، فلا يذكرون إلا ويقال بعد ذكرهم – رضي الله عنهم - .

وقد أخبر الله عز وجل بالرضا عنهم في آيات كثيرة من كتابه العزيز فقال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾ [التوبة : ٣] ، وقال تعالى : ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ [الفتح : ١٨] .

والرضا عن الله عز وجل من أعلى درجات اليقين ولذلك امتدح الله عز وجل به عباده المؤمنين في كثير من الآيات في القرآن الكريم بقوله : ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ

وَرَضُواْ عَنْهُ ﴾ .

قال أبوطالب المكي[١] : « فمن الرضا سرور القلب بالمقدور في جميع الأمور، وطيب النفس وسكونها في كل حال ، وطمأنينة القلب عند كل مفزع مهلع من أمور الدنيا ، وقناعة العبد بكل شيء ، واغتباطه بقسمة ربه وفرحه بقيام مولاه عليه ...»[٢] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ۝٨ ﴾ [البينة : ٧-٨] .

ففي هاتين الآيتين الكريمتين أوصاف عظيمة ، وأجور كبيرة ، جعلها الله عز وجل لأهل الخشية منه سبحانه وتعالى ، فمن أوصافهم الكريمة : الجمع بين الإيمان والعمل الصالح ، ولذلك أكرمهم الله عز وجل بهذا الوصف العظيم بأنهم خير البرية ثم أعقب ذلك بذكر ثوابهم عنده سبحانه وتعالى ، وهو قرب المنزلة والكرامة من الله جل جلاله ، كما سألت امرأة فرعون ربها قائلة : ﴿رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ ﴾ [التحريم :١١] فقدمت الجوار قبل الدار ، وأهل الخشية أكرمهم الله عز وجل بجواره في دار كرامته بأن أدخلهم جنات عدن خالدين فيها أبد الآباد ، بلا انفصال ولا انقضاء ولا فراغ ، ثم أخبر سبحانه برضوانه عنهم حيث أطاعوه بالغيب وامتثلوا أمره واجتنبوا نهيه ، وأنهم أيضاً رضوا عن ربهم حيث بلغهم من المنازل العالية والكرامات العظيمة ما لا يخطر ببالهم ، كما قال تعالى في الحديث القدسي : « **أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا**

---

(١) هو محمد بن علي بن عطية الحارثي ، يكنى بأبي طالب المكي ، من أهل الوعظ والتصوف ، سكن بغداد ، وله مصنفات في الوعظ والرقاق منها : قوت القلوب ، وطريق المريد ، وغيرهما ، وتوفي سنة: ٣٨٦هـ ، انظر : ميزان الاعتدال في نقد الرجال ٢٦٦/٦، و هداية العارفين إلى أسماء المؤلفين ٥٥/٦ ، والأعلام ٢٧٤/٦ .

(٢) قوت القلوب لأبي طالب المكي ٦٦/٢ .

خطر على قلب بشر»[١] .

وأما بعد دخولهم الجنة فيناديهم الرب جل جلاله بصوت يسمعونه : « **فيقـول لهم : يا أهل الجنة ، فيقولون : لبيك ربنا وسعديك ، فيقول لهم : هل رضيتم ؟ فيقولون : وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك ؟ فيقـول : أنا أعطيكم أفضل من ذلك. قالوا: يا رب وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول : أحلّ عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً** »[٢] .

هكذا أصبح أهل الخشية من الله تعالى بعد دخولهم الجنة في أمان دائم من سخط الله عز وجل ، بخلاف ما كانوا عليه في الدنيا من عدم الأمن من مكر الله تعـالى وسخطه .

ثم قال تعالى في نهاية سورة البينة : ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾ أي أن ما ذُكر مـن النعيم وحصول الرضوان ودخول الجنان؛ هو لمن حقق الخشية لربه عز وجـل ، ويدخل العلماء في ذلك دخولاً أولياً، لأن الخشية من الله تعالى من ألصق الصفات بهم، وهي شعار لهم .

قال الألوسي : « فإن الخشية ملاك السعادة الحقيقية ، والفوز بالمراتب العلية ، إذ لولاها لم تترك المناهي والمعاصي، ولا استعد ليوم يؤخذ فيه بالأقدام والنواصـي ، وفيه إشارة إلى أن مجرد الإيمان والعمل الصالح ليس موصلاً إلى أقـصى المراتـب ورضوان من الله أكبر ، بل الموصل له خشية الله تعالى ، وإنما يخشى الله من عباده العلماء ... »[٣] .

* * *

(١) أخرجه البخاري (٥٤٠١) ، ومسلم (٢٨٢٤) .

(٢) أخرجه البخاري (٧٠٨٠) ، ومسلم (٢٨٢٩) .

(٣) روح المعاني ٢٠٦/٣٠ .

المبحث الخامس : الأمن في الدارين

إن تحقيق عبودية الخشية من الله تعالى من أسباب حصول الأمن في الدارين ، وذلك أن العبد إذا اجتمع همه وفكره في ابتغاء مرضاة الله تعالى والانشغال به عما سواه ؛ كفاه الله سبحانه وتعالى ما أهمّه من أمور دنياه وأُخراه .

فإن قال قائل : كيف يمكن حصول الأمن في الدنيا لأهل الخشية وقد أخبر الله عز وجل عنهم بقولهم : ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴾ [الطور : ٢٦] .

فالجواب عن ذلك : أن هذه الشفقة المذكورة في الآية السابقة هي من جراء خشيتهم من الله عز وجل ، وهذا مما يحمدون عليه وهو سبب نجاتهم من عذاب الله تعالى .

قال الشنقيطي : « وما تضمنته هذه الآية الكريمة من أن الإشفاق الذي هو الخوف الشديد من عذاب الله في الدار الدنيا سبب للسلامة منه في الآخرة ، يفهم من دليل خطابه ، أعني مفهوم مخالفته : أن من لم يخف من عذاب الله في الدنيا لم ينج منه في الآخرة .. »[1] .

وجميع آيات القرآن الكريم التي فيها نفي الحزن والخوف عن أهلها يدخل أهل الخشية فيها دخولاً أولياً . قال تعالى : ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة : ٣٨] ، وقال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة : ٢٧٤] ، وقال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ ﴾ [البقرة : ٢٧٧] .

---

(١) أضواء البيان ٧٣٣/٧ .

قال أبوالسعود : « والمعنى أن من اتبع هداي منكم فلا خوف عليهم ولا هـم يحزنون ، ولا أنه يعتريهم نفـس الخوف والحزن أصلاً ، بل يـستمرون علـى السرور والنشاط ، كيف لا واستشعار الخوف والخـشية اسـتعظاماً لجـلال الله سبحانه وهيبته واستقصاراً للجد والسعي في إقامة حقوق العبودية من خـصائص الخواص والمقربين » [١] .

وقال تعـالى : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأنعام : ٨٢] .

ففي هذه الآية وعد كريم من الله عز وجل لعباده الموحدين الذين اجتنبوا الشرك وحققوا التوحيد لله وحده لا شريك له بالأمن التام في الدنيا والآخرة .

قال ابن القيم : « فالتوحيد من أقوى أسباب الأمن من المخـاوف ، والـشرك أعظم أسباب حصول المخاوف ، ولذلك من خاف شيئاً غير الله سـلّط عليـه ، وكان خوفه منه هو سبب تسليطه عليه ، ولو خاف الله دونه ولم يخفه لكان عدم خوفه منه وتوكله على الله من أعظم أسباب نجاته ... » [٢] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : « والخوف الذي يحصل في قلوب النـاس هـو الشرك الذي في قلوبهم قال الله تعالى : ﴿سَنُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ بِمَآ أَشۡرَكُواْ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران : ١٥١] » [٣] .

وقال تعـالى : ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ [يونس : ٦٢-٦٤] . فأهل الخشية من الله تعالى هم من جملة أولياء الله المـتقين ، فالبشرى لهم في الدنيا بالثناء والذكر الحسن ومحبة الخلق لهم ، والرؤيا الصالحة يراها

---

(١) إرشاد العقل السليم ٩٣/١ .

(٢) مفتاح دار السعادة ٢٧٣/٢ .

(٣) مجموع الفتاوى ٣٥/٢٨ .

المؤمن أو ترى له،كما جاء وصفه في الحديث بقوله عليه الصلاة والسلام : « **تلك عاجل بشرى المؤمن**»[١] ، وقوله عليه الصلاة والسلام: «لم **يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له** »[٢]، وقد سئل الرسول عليه الصلاة والسلام عن قوله تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [يونس : ٦٤] فقال: «**هي الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له**»[٣].

فكل ذلك يعد من البشارات العاجلة لهم في الدنيا قبل الآخرة ، وأما عند الموت فتبشرهم الملائكة بالجنة ، قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت :٣٠] فلما أقروا لله عز وجل بالربوبية وأفردوه بالألوهية واستقاموا على دينه ، ولم يروغوا روغان الثعلب ، أكرمهم الله تعالى بهبوط الملائكة عليهم عند نزول الموت وساعة الاحتضار ، حيث أنهم في تلك الساعة أحوج إلى ما يكون من التثبيت والتسكين، فتبشرهم الملائكة بالأمان وعدم الخوف والحزن ، وبدخول الجنان ، ونيل الرضوان من الكريم الرحمن ، هذا في حال خروجهم من الدنيا ، وأما في البرزخ فلهم فيه حياة أخرى ونعيم آخر لا يعلمه إلا الله عز وجل ، وقد وردت نصوص كثيرة مشهورة تبين بأن المؤمن في سكينة وأمان ، وأنه ينعم في قبره ، فمن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « **إن هذه الأمة تبتلى** في **قبورها ، فإذا الإنسان دفن فتفرق عنه أصحابه جاءه ملك** في **يده مطراق فأقعده ، قال : ما تقول** في **هذا الرجل ؟ فإن كان مؤمناً قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، فيقول : صدقت .** ثم **يفتح له باب** إلى

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٤٢) .

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٨٩) ومسلم (٤٧٩) واللفظ له .

(٣) « حسن » أخرجه أحمد من حديث أبي الدرداء (٢٧٥٥٠) وعبدالله بن عمرو (٧٠٤٤) وعبادة بن الصامت، (٢٢٧٣٩) والترمذي (٢٢٧٣) وقال: حديث حسن، وابن ماجه (٣٨٩٨) والدارمي (٢١٣٦) وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٧٨٦).

النار فيقال هذا كان منزلك لو كفرت بربك ، فأما إذ آمنت فهنا منـزلك ، فيفتح له باب إلى الجنة فيريد أن ينهض إليه . فيقول له : اسكن ، ويفسح له في قبره »[١] ، وكذلك في يوم القيامة ينالهم من الأمن بقدر أعمالهم وخشيتهم لربهم عز وجل .

قال تعالى : ﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [الأنبياء :١٠٣] .

قال ابن القيم : « لا تظن أن قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾ [الانفطار : ١٣-١٤] مختص بيوم المعاد فقط ، بل هؤلاء في نعيم في دورهم الثلاثة ، وهؤلاء في جحيم في دورهم الثلاثة ، وأي لذة ونعيم في الدنيا أطيب من بر القلب وسلامة الصدر ومعرفة الرب تبارك وتعالى ومحبته والعمل على موافقته ، وهل العيش في الحقيقة إلا عيش القلب السليم »[٢] .

والحاصل أن العبد المؤمن كلما قويت وكملت خشيته لربه عز وجل ، قوي الأمن والإيمان في قلبه وكمل ، وقد تحقق لشيخ الإسلام ابن تيمية من ذلك ما جعله يقول كلمته المشهورة فيما نقله تلميذه ابن القيم عنه : « ما يصنع أعدائي بي؟! أنا جنتي وبستاني في صدري أنى رحت فهي معي لا تفارقني ، إن حبسي خلوة ، وقتلي شهادة ، وإخراجي من بلدي سياحة » ثم قال ابن القيم : « وعلم الله ما رأيت أحداً أطيب عيشاً منه قط ، مع كل ما كان فيه من ضيق العيش وخلاف الرفاهية والنعيم ، بل ضدها ، ومع ما كان فيه من الحبس والتهديد والإرهاق وهو مع ذلك أطيب الناس عيشاً وأشرحهم صدراً ، وأقواهم قلباً ، وأسرهم نفساً ، تلوح نضرة النعيم على وجهه ، وكنا إذا اشتد بنا الخوف وساءت

---

(١) « صحيح » أخرجه أحمد في مسنده (١١٠١٣) واللفظ له، والبخاري (١٣٠٨) ، ومسلم (٢٨٦٧) بنحوه ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٣٩٤)، وفي ظلال الجنة (٨٦٥)، وفي المشكاة (١٢٩).

(٢) الجواب الكافي ٨٤/١ .

منا الظنون وضاقت بنا الأرض؛ أتيناه فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه فيـذهب ذلك كله ، وينقلب انشراحاً وقوة ويقيناً وطمأنينة ، فسبحان من أشـهد عبـاده جنته قبل لقائه وفتح لهم أبوابها في دار العمل فأتاهم من روحها ونسيمها وطيبها ما استفرغ قواهم لطلبها والمسابقة إليها»[1] .

هكذا تكون حال العبد المؤمن إذا راقب الله عز وجل في سره وعلنه ، وخـشيه في الغيب والشهادة ، وتوكل عليه في كل أمره ، فإن الله تعالى بفـضله وكرمـه يحفظه من كل سوء ومكروه ، ويؤمنه من كل ما يخاف ويحذر ، ويجعله ظـاهراً على عدوه ، ومصداق ذلك من كتاب الله قوله تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ﴾ [النور : ٥٥] ، وهذا الوعد الكريم يعم جميع الأمة إلى قيام الساعة ، وليس مقصوراً على زمن دون غيره من الأزمان، ولكنه تحقق في الصحابة – رضوان الله عليهم – لتحقق الشرط وصلاحية المحل.

* * *

(١) الوابل الصيب ١/٦٩-٧٠ .

الفصل السابع

آثار ضعف الخشية من الله عز وجل وزوالها

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول: الوقوع في الشرك .

المبحث الثاني: الأمن من مكر الله عز وجل .

المبحث الثالث : الطغيان والفساد في الأرض .

المبحث الرابع : ضعف الأمن والاهتداء في الدنيا والآخرة .

المبحث الأول : الوقوع في الشرك

إن العبد إذا ضعف سلطان الخشية من الله تعالى في قلبه أو زال ، كان ذلك سبباً في جره إلى الوقوع في المعاصي والذنوب ، وللشيطان خطوات يستدرج بها العبـد حتى يوقعه في المهالك ، قال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ﴾ [النور : ٢١] ولا يملئُ عين الشيطان من ابن آدم إلا بعد أن يخرجه من الدين بالكلية .

فإذا ضعفت الخشية من الله تعالى في قلب العبد ، قوي سلطان الشيطان عليـه حتى يكون إلهه ومعبوده من دون الله عز وجل .

وعبادة الشيطان في الغالب لا تكون لذاته ولشخصه ، كعبادة الله تعالى [1] ، بل

---

(١) قد يسأل سائل فيقول : هل يجوز وصف الله عز وجل بأنه (شخص) ؟ وهل هناك فرقة عبـدت الشيطان بعينه وشخصه ؟

الجواب عن السؤال الأول : اختلف عامة أهل العلم في ذلك والأكثر على عدم جواز إطلاق ذلك على الله تعالى ، ولكن جاء الحديث المتفق على صحته بإثبات هذه الصفة لله عز وجل وهو قولـه عليه الصلاة والسلام : « **ولا شخص أغير من الله ولا أحب إليه المعاذير ، ولذلك بعث النبـيين مبشرين ومنذرين ، ولا شخص أحب إليه المدح من الله ولذلك وعد الجنة** » ، أخرجه البخاري (٧٤١٦) ، ومسلم (١٤٩٩) ، وأصول اعتقاد أهل السنة والجماعة في باب الصفات هو : إثبـات ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تكييف ولا تمثيل ولا تحريـف . والصواب جواز إطلاق هذه الصفة على الله تعالى ولا محذور في ذلك ؛ لأن من معاني هذه الـصفة الارتفاع والظهور ، فلا أرفع ولا أظهر من الله عز و جل ، وإذا ثبت الخبر ارتفع النظر ، وقد عقد ابو إسماعيل الهروي في كتابه الأربعين في دلائل التوحيد/ ص٥٠، باباً بعنوان ((باب بيان أن الله عز وجل شخص)) وانظر: زاد المعاد لابن القيم ٦٨١/٣ ، ومعجم مقاييس اللغة ٢٥٤/٣ .

وأما الجواب عن السؤال الثاني وهو : هل يوجد فرقة عبدت الشيطان بعينه وشخصه ؟

الجواب : نعم ، هناك فرقة تدعى (اليزيدية) ويعرفون بأنهم عبدة الشيطان ، نشأت هذه الفرقة سنة ١٣٢هـ ، كان أول أمرهم بموالاة يزيد بن معاوية ومحبته خاصة بعد لعن الرافضة الشيعة لـه ، ثم بعد ذلك أنكروا اللعن عامة حتى نفوه عن إبليس ، ويعتقدون أن إبليس موحد لأنه لم ينس وصـية الرب بعدم السجود لغيره في حين نسيها الملائكة فسجدوا ، وأصبحت هذه العقيدة تتطور قرناً بعد

تكون بطاعته في ما يأمر به ويزينه للعبد ، وعبادة الأصنام في الحقيقة هي عبـادة الشيطان كما قال تعالى عن إبراهيم – عليه السلام – عندما أنكر على أبيه عبادة الأصنام ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَ﴾ [مريم : ٤٤] ، كذلك في قولـه تعـالى ﴿أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ [يس : ٦٠] .

قال الشيخ السعدي – رحمه الله - : « وهذا التوبيخ يدخل فيه التوبيخ عن جميع أنواع الكفر والمعاصي ؛ لأنها كلها طاعة للشيطان » (١) .

وقـال تعـالى : ﴿إِن يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثٗا وَإِن يَدۡعُونَ إِلَّا شَيۡطَٰنٗا مَّرِيدٗا ١١٧ لَّعَنَهُ ٱللَّهُۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنۡ عِبَادِكَ نَصِيبٗا مَّفۡرُوضٗا ١١٨﴾ [النساء : ١٧-١٨] قال القرطبي: «يريد إبليس لأنهم إذا أطاعوه فيما سول لهم فقد عبدوه ، ونظيره : ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة : ٣١] أي أطاعوهم فيما أمروهم به ، لا أنهم عبدوهم » (٢) .

فإذا تقرر هذا ، علم أن الشيطان ليس له سلطان على من عظمت خشية الله في قلبه ، بل إنما سلطانه على من تولاه وأطاعه فيما أمر به ، ولا يكـون ذلـك إلا لضعف الخشية من الله تعالى أو زوالها بالكلية .

قال تعالى : ﴿إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ ١٠٠﴾ [النحل : ١٠٠] .

فالعبد قد يكون مشركاً وإن لم يسجد لصنم أو يعبد حجراً ، فمجرد طاعتـه للشيطان ومعصيته للرحمن يكون مشركاً بذلك ، ويختلف هذا الـشرك بحـسب

قرن حتى أصبح عندهم كتاب مقدس يأخذون منه تعاليمهم ، وعندهم طقوس كثيرة من العبادات ، ويبلغ عددهم حوالي ١٢٠ ألف نسمة ، وأما أماكنهم في الوقت الحالي فأكثرهم في العراق حيـث بلغ عددهم سبعون ألفاً، والبقية مشتتون في العالم، ولغتهم الرسمية الكردية وبها كتبهم وأدعيتهم .. إلخ . [انظر : الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ٣٧٤/١] .

(١) تيسير الكريم الرحمن ص٦٩٨ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٣٨٧/٥ .

اختلاف الطاعة ، قال تعـالى : ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحشر : ١٦-١٧] . فقول الشيطان في هـذه الآية بأمره للإنسان بالكفر ليس قولاً صريحاً تسمعه الأذن ، بل بتزيين الباطل لـه وتحسينه في عينه ، فلما حصل مراد عدو الله من الإنسان تبرأ منه ، وهذه عادته مع أوليائه ، فإنه يدعوهم ويدليهم بالغرور والأماني ، حتى إذا وقعوا في شباك الشرك والكفر تخلى عنهم ، وقد أخبر الله تعالى عنه أنه يخطب في الناس بعد دخولهم معـه في جهـنم فيقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ﴾ [إبراهيم : ٢٢] .

كذلك إذا ضعفت الخشية في قلب العبد أو زالت فإنه يكـون أسـيراً لهـواه ، والهوى قد يكون إلهاً يعبد من دون الله ، فيكون صاحبه بذلك واقعاً في الشرك .

قال تعالى : ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الفرقان : ٤٣] .

قال قتادة : «كلما هوى شيئاً ركبه ، وكلما اشتهى شيئاً أتاه ، لا يحجزه عـن ذلك ورع ولا تقوى »[١] .

وقال الشعبي : «إنما سمي الهوى لأنه يهوي بصاحبه »[٢] .

وما ذكر الهوى في القرآن إلا كان مذموماً ، وأكثر من يقع في اتبـاع الهـوى أصحاب العشق والغرام ؛ لأن قلوبهم تعلقت بغير خالقها جل وعلا .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « لا يبتلى بهذا العشق إلا من فيه نوع شـرك في الدين وضعف إخلاص لله »[٣] .

وقال ابن القيم مبيناً شدة تعلق العاشق بمعشوقه وأنه لربما فداه بنفسه ومالـه : «

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم ٢٧٠٠/٨ .

(٢) سنن الدارمي (٣٩٥) .

(٣) قاعدة في المحبة لشيخ الإسلام ابن تيمية ٨٠/١ .

ويقوى هذا السمع والطاعة عند كثير من العشاق ، حتى يبذل نفسه ويسلمها للتلف في طاعة معشوقه كما يبذل المجاهد نفسه لربه حتى يقتل في سبيله »[١] .

قلت : وأخبار أولئك القوم مبسوطة في كتب ذم الهوى والعشاق ومصارعه[٢] ، فمنهم من مات من شدة فراقه لمعشوقه ، ومنهم من جعل يذكر اسم معشوقه وهو في سكرات الموت .

والحاصل أن اتباع الهوى أصل جميع المعاصي والذنوب ، فقد ادعى فرعون الربوبية بسبب الهوى ، وما عبد بنو إسرائيل العجل إلا بسبب الهوى ، وما منع قريشاً من الاستجابة لأمر الله تعالى وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم إلا اتباع الهوى، قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾ [القصص : ٥٠] .

وذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم أن اتباع الهوى يؤدي إلى الفساد العظيم والدمار الكبير ، فقال سبحانه : ﴿ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾ [المؤمنون : ٧١] .

ووعد الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز أن من خافه وتذكر عظمته ووقوفه بين يديه ، ونهى نفسه عن اتباع الهوى بأن الجنة مثواه ، قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ [النازعات : ٤٠-٤١] فكلما قويت الخشية من الله تعالى في قلب العبد قوي إيمانه وإخلاصه ، وكملت عبوديته لله عز وجل ، فكان بعيداً عن الوقوع في الشرك به .

---

(١) إغاثة اللهفان ١٥٣/٢ .

(٢) انظر : كتاب ذم الهوى لابن الجوزي ، ومصارع العشاق لأبي محمد جعفر الحسيني ، وكيف يموت العشاق لأبي عبدالرحمن ابن عقيل الظاهري .

المبحث الثاني : الأمن من مكر الله عز وجل

من أعظم أسباب حصول الأمن من مكر الله تعالى ضعف الخشية من الله عز وجل في قلب العبد ، فمتى ضعفت أو زالت ، غلب الأمن من مكر الله تعالى ، وذلك يوجب الكبر والغرور عند العبد ، وقد ذم الله عز وجل في كتابه العزيز من أمن مكره ولم يخش بأسه وعقابه ، فقال تعالى : ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾﴾ [الأعراف : ٩٧-٩٨] .

وقال تعالى : ﴿أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [يوسف : ١٠٧] .

وقال تعالى : ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾﴾ [النحل : ٤٥-٤٧] .

ومكر الله سبحانه وتعالى بعبده لا يكون ابتداءً منه جل وعلا ، بل على سبيل المقابلة والجزاء ، كقوله تعالى : ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف :٥] .

والأمن من مكر الله قد يكون كفراً مخرجاً عن ملة الإسلام وقد يكون من جملة الكبائر التي صاحبها مهدد بالوعيد .

فإن كان صاحبه يعتقد أن الله سبحانه وتعالى عاجز عن المكر بأعدائه الذين يمكرون برسله وأنبيائه ويصدون عن سبيله فهذا كفر بواح ؛ لأنه مخالف لسنن الله تعالى في كتابه العزيز وفي أخبار رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم .

وأما إن كان صاحبه لا يعتقد ذلك ، ولكنه مغتر بعفو الله وكرمه ورحمته ، وهو مع ذلك منهمك في ارتكاب المعاصي والموبقات فهذا على خطر عظيم من إساءة

الظن بالله عز وجل ، وهو من صفات المنافقين .

ومقام الخشية من الله عز وجل قائم على عدم غلبة الأمن من مكر الله تعـالى ، فأهل الخشية جمعوا بين الإحسان في العمل وعدم الأمن من مكر الله جل وعـلا ، وهذا من باب إساءة الظن بأنفسهم لا بربهم جلّ شأنه ، وذلك أن يكونـوا قـد أخلّوا بشيء من أركان العبودية لله تعالى .

وقد مدحهم الله عز وجل بذلك فقـال : ﴿وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾﴾ [المعارج :٢٧-٢٨] .

ومن الآيات القرآنية التي تحذّر من الأمن من مكر عز وجـل قولـه تعـالى : ﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾﴾ [الإسراء : ٦٨-٦٩] .

وقال تعالى : ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾﴾ [الملك : ١٦-١٧].

وقد عد ابن مسعود رضي الله عنه الأمن من مكر الله من أكبر الكبائر ، وقرنـه بالشرك بالله ، فقال : « **أكبر الكبائر : الإشراك بالله ، والإياس مـن روح الله ، والقنوط من رحمة الله ، والأمن من مكر الله** »[1] .

فالخشية من الله عز وجل منافية للأمن من مكره سبحانه وتعالى ، ولذلك يقول الإمام الذهبي : « كل من لم يخش أن يكون في النار فهو مغرور ، قد أمن مكر الله به»[2] .

---

(١) « صحيح » : أخرجه الطبراني في الكبير (٨٧٨٥) ، وعبدالرزاق في مصنفه (١٩٧٠١) ، وصـحح إسناده الحافظ ابن كثير في تفسيره ٢٧٩/٢ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٢٩١/٦ .

قلت : ولما عظمت الخشية من الله تعالى في قلوب الصحابة – رضي الله عنهم – عظم خوفهم من مكر الله عز وجل ، وأخبارهم في ذلك أشهر من أن تذكر .

ولذا فإنه ينبغي على العبد أن يحذر أشد الحذر من الأمن من مكر الله تعـالى ، ويعلم أن ذلك علامة دالة على ضعف الخشية في القلب .

* * *

المبحث الثالث : الطغيان والفساد في الأرض

إن من الآثار المترتبة على ضعف الخشية من الله عز وجل وزوالها؛ حصول الطغيان والفساد في الأرض ، فإن العبد لا يقدم على ارتكاب الفساد والطغيان في الأرض إلا بعد أن تضعف خشية الله تعالى في قلبه ، عندها لا رادع يردعه عن ذلك، ولا زاجر يزجره ، فينشأ عنه الفساد العام لأهل الأرض ، فشؤم المعاصي والذنوب لا حد له ولا نهاية ، فهو يورث الحرمان ويعقب الخذلان .

وقد جاءت آيات كثيرة في القرآن الكريم تنهى عن الفساد في الأرض ، منها قوله تعالى : ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [الأعراف : ٥٦] .

وقوله تعالى : ﴿وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [البقرة : ٦٠] .

وقال تعالى : ﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف : ١٤٢] .

ولما ضعفت خشية الله عز وجل في قلوب بني إسرائيل واستهانوا بأمره وعصوه أصبح الطغيان والفساد في الأرض وصفاً لازماً لهم إلى يوم القيامة .

قال تعالى : ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [المائدة : ٦٤] .

وقال تعالى : ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾﴾ [الإسراء : ٤] .

قال الشيخ السعدي مبيناً معنى السعي بالفساد في الأرض : « أي يجتهد على أعمال المعاصي التي هي إفساد في الأرض .. فالزروع والثمار والمواشي تتلف وتنقص وتقل بركتها بسبب العمل في المعاصي ، والله لا يحب الفساد ، ويبغض

العبد المفسد في الأرض غاية البغض ، وإن قال قولاً حسناً » [١] .

وقد مضى الكلام فيما سبق على أن ارتكاب المعاصي هو نوع من الطغيان والفساد في الأرض ، وهو ناتج عن انعدام الخشية أو ضعفها في القلب ، وحدوث الفساد في الأرض مرتبط بفعل المعاصي والذنوب ، قال تعالى : ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الروم: ٤١] .

قال الحافظ ابن كثير : « أي بان النقص في الزروع والثمار بسبب المعاصي، وقال أبوالعالية : من عصى الله في الأرض فقد أفسد في الأرض ؛ لأن صلاح الأرض والسماء بالطاعة ولهذا جاء في الحديث الذي رواه أبوداود : « **لحد يقام في الأرض أحب إلى أهلها من أن يمطروا أربعين صباحاً**»[٢] ، والسبب في هذا أن الحدود إذا أُقيمت انكف الناس أو أكثرهم عن تعاطي المحرمات ، وإذا تركت المعاصي كان سبباً في حصول البركات من السماء والأرض .. »[٣] .

وارتكاب المعاصي يعتبر من محاربة الله عز وجل ، قال الشوكاني في تفسير المحاربة في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ...﴾ الآية [المائدة : ٣٣] : « والأولى أن تفسر محاربة الله سبحانه بمعاصيه ومخالفة شرائعه » [٤] .

وإذا ضعفت الخشية في قلب العبد أو زالت انقلبت عنده الحقائق والأمور ، فأصبح يرى المنكر معروفاً ، والمعروف منكراً ، وهذا أعظم جرماً من يرتكب

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص٩٤ .

(٢) « صحيح » ولم أعثر عليه عند أبي داود ، وهو عند النسائي (٤٩٠٤) ، وابن حبان (٤٣٩٨) ، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٣١) .

(٣) تفسير القرآن العظيم ٣٢٠/٦ .

(٤) فتح القدير ٣٥/٢ .

المعصية مع اعتقاده بحرمتها ، فأما أهل الفساد والطغيان فهم دائماً يدعون إلى الفساد باسم الإصلاح ، وهذا دأبهم وديدنهم في كل عصر ومصر . قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [البقرة : ١١-١٢] فجمعوا بين العمل بالفساد في الأرض وبين دعوى الإصلاح ، وهذا غاية العناد والتكبر عن قبول الحق. قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ [البقرة: ٢٠٦] .

فمن أعظم آثار ضعف الخشية من الله تعالى أو زوالها : الكبر عن قبول النصيحة من الآخرين ، وهذا مناقض لمقام الخشية من الله تعالى ؛ لأن الخشية من الله عز وجل تورث التذلل لله سبحانه والتواضع لعباده ، وإذا تقرر هذا علم أن أصل الطغيان والفساد في الأرض ناشئ عن انعدام الخشية في القلب .

* * *

المبحث الرابع : ضعف الأمن والاهتداء في الدنيا والآخرة

لما كان حصول الأمن والاهتداء في الدنيا والآخرة من آثار الخشية من الله عز وجل والإيمان به ؛ كان ضعف الأمن والاهتداء من آثار ضعف الخشية من الله تعالى في قلب العبد ؛ لأن قوة الاهتداء مترتبة على قوة المعرفة والتعظيم لله جل وعلا .

قال تعالى : ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾﴾ [النازعات: ١٨-١٩] .

قال الألوسي : « وجعلُ الخشية غاية للهداية لأنها ملاك الأمر ... وتقديم التزكية على الهداية لأنها تخلية ... »(١) .

قلت : ولما كان فرعون الطاغية ممن قد تلطّخ بأدران الكفر وأنجاس المعاصي والذنوب ، كان أول ما عرض عليه نبي الله موسى – عليه السلام – في دعوته إلى الله تعالى بترغيبه في التزكية .

وتزكية النفس من الأدران والأنجاس لا تكون إلا بتحقيق الخشية من الله تعالى ومراقبته في السر والعلن ، ولذلك جاء ذكر الهداية والخشية عقيب ذكر التزكية كما في الآية السابقة .

قال الحكيم الترمذي : « الخشية ميراث صحة الهداية ، ألا ترى الله يقول : ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾»(٢) .

وبحسب ضعف الخشية في القلب يضعف الأمن والاهتداء في الدنيا والآخرة ، وربما استحق العبد بعض الأوصاف المانعة من سلوك طريقة الهداية مثل : الكفر ، والظلم ، والفسق ، وغيرها ، مما يكون سبباً في الصد عن الحق وقبوله .

---

(١) روح المعاني ٢٩/٣٠ .

(٢) حقائق التفسير لأبي عبدالرحمن السلمي ٣٧٠/٢ .

قال تعالى : ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة : ٢٦٤] .

وقال تعالى : ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة : ٢٥٨] .

وقال تعالى : ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [المائدة : ١٠٨] .

فلما كان الصحابة – رضي الله عنهم – أكمل الناس خشية لله تعالى بعد رسوله صلى الله عليه وسلم كانت هدايتهم في هذه الدنيا أكمل الهـدايات وأنفعهـا ، وكذلك من كان مقتدياً بهم من أهل الخشية لله تعالى ، فهو يتقلب من هدايـة إلى هداية أخرى حتى يصل إلى الهداية العظمى في الآخرة وهي هداية دخول الجنة .

قال ابن القيم : «فإن الهداية لا نهاية لها ولو بلغ العبد فيها ما بلغ ، ففوق هدايته هداية أخرى وفوق تلك الهداية هداية أخرى إلى غير غاية ، فكلما اتقى العبد ربه ارتقى إلى هداية أخرى فهو في مزيد هداية ما دام في مزيد من التقوى ، وكلمـا فوت حظاً من التقوى فاته حظ من الهداية بحسبه ، فكلما اتقى زاد هداه ، وكلما اهتدى زادت تقـواه .. قـال تعـالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡ﴾ [يونس : ٩] فهداهم أولاً للإيمان ، فلما آمنوا هـداهم للإيمان هداية بعد هداية، ونظيره قوله : ﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ هُدٗىۗ﴾ [مريم: ٧٦] ، وقال تعـالى : ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ﴾ [لقمـان : ٣١] فأخبر عن آياته المشهودة العيانية أنها إنما ينتفع بها أهل الصبر والشكر كما أخبر عن آياته الإيمانية القرآنية أنها إنما ينتفع بها أهل التقوى والخشية والإنابة ومن كان قصده اتباع رضوانه ، وأنها يتذكر بها من يخشاه سبحانه كما قـال ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ ۝٣﴾ [طه:١-٣]، وقال في الساعة: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخۡشَىٰهَا﴾ [النازعات : ٤٥] ، وأما من لا يؤمن بها ولا يرجوها ولا يخشاها فلا تنفعه الآيات العيانية ولا القرآنية ...» [١] .

---

(١) الفوائد ١/١٣٠-١٣١ .

ولما كان وقوع الظلم ينعدم معه وجود الأمن أشار إليه سبحانه وتعالى مخاطباً موسى عليه السلام ومطمئناً له بقوله : ﴿يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفۡ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ۝١٠ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسۡنَۢا بَعۡدَ سُوٓءٖ فَإِنِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝١١﴾ [النمل : ١٠-١١] .

قال الشيخ السعدي في قوله : ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسۡنَۢا بَعۡدَ سُوٓءٖ﴾ : « أي : فهذا الذي هو محل الخوف والوحشة بسبب ما أسدى من الظلم ، وما تقدم له من الجرم ، وأما المرسلون فما لهم وللوحشة والخوف !؟ ومع هذا من ظلم نفسه بمعاصي الله ، وتاب وأناب ، فبدل سيئاته حسنات ، ومعاصيه طاعات ، فإن الله غفور رحيم »[1] .

وبهذا يتضح ويتبين أن الظلم بأنواعه الثلاثة من أسباب ضعف الأمن والاهتداء في الدنيا والآخرة ، ومنشأ الظلم من ضعف خشية الله عز وجل في قلب العبد .

والظلم أنواع :

النوع الأول: الشرك الأكبر ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴾ [لقمان :١٣] .

والثاني : ظلم العباد بعضهم بعضاً .

والثالث : ظلم العبد نفسه بارتكاب المعاصي والذنوب .

فعن أنس – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «**الظلم ثلاثة : فظلم لا يتركه الله ، وظلم يغفر ، وظلم لا يغفر ، فأما الظلم الذي لا يغفر فالشرك لا يغفره الله ، وأما الظلم الذي يغفر فظلم العبد فيما بينه وبين ربه ، وأما الظلم لا يتركه فيقص الله بعضهم من بعض** »[2] **.**

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص٦٠١ .

(٢) « حسن » : أخرجه الطيالسي في مسنده (٢٨٢) ، والطبراني في معاجمه الثلاثة الكبير (٦١٣٣) ، والأوسط (٧٥٩٥) ، والصغير (١٠٢) ، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٩٢٧) ، وفي صحيح الجامع (٣٩٦١) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « فمن سلم من أجناس الظلم الثلاثة كان له الأمن التام والاهتداء التام ، ومن لم يسلم من ظلم نفسه كان له الأمن والاهتداء مطلقاً بمعنى أنه لابد أن يدخل الجنة كما وعد الله بذلك ، ولكن يحصل له من نقص الأمن والاهتداء بحسب ما نقص من إيمانه بظلمه نفسه ... » [١] .

❊ ❊ ❊

(١) مجموع الفتاوى ٨١/٧ .

الباب الثاني
الرجاء في القرآن الكريم

وفيه ستة فصول :

الفصل الأول : الرجاء معناه وأقسامه .

الفصل الثاني : أنواع الرجاء في القرآن الكريم .

الفصل الثالث : الأسباب الباعثة على الرجاء .

الفصل الرابع : آثار الرجاء .

الفصل الخامس : آثار ضعف الرجاء في الدنيا والآخرة وزواله .

الفصل السادس : تلازم الخشية والرجاء وأحوال العبد في الجمع بينهما .

الفصل الأول
الرجاء معناه وأقسامه

وفيه ستة مباحث :

المبحث الأول : تعريف الرجاء لغة واصطلاحاً .

المبحث الثاني : الوجوه والنظائر لكلمة الرجاء في القرآن .

المبحث الثالث : الفروق بين الرجاء وبين المعاني الشبيهة به .

المبحث الرابع : حروف الرجاء في القرآن الكريم (عسى ، ولعل) .

المبحث الخامس : أساليب الأمر بالرجاء .

المبحث السادس : أقسام الرجاء .

المبحث الأول : تعريف الرجاء لغة واصطلاحاً

١- الرجاء لغة : بالمد : مأخوذ من رجى يرجـو وهـو نقـيض اليـأس ، وبالمقصور: ناحية كل شيء .

والهمزة في كلمة الرجاء منقلبة إلى واو بدليل ظهورها في كلمة رجاوة ، ويقال: ما أتيتك إلا رجاوة الخير ، أي : أهلاً للخير[١] .

والرجو المبالاة ، يقال : ما أرجو أي : ما أبالي ، ويأتي بمعنى الخوف ، يقال : ما رجوتك أي ما خفتك . كما قال أبوذؤيب : إذا لسعته النحل لم يـرج لـسعها أي:لم يخف[٢] .

٢- الرجاء اصطلاحاً : لقد تنوعت عبارات العلماء في بيان معنى الرجـاء في الاصطلاح ، وهذا التنوع راجع إلى اختلافهم في الذوق والتعبير ، فكل بحـسب ذوقه ونظره ، وفميا يلي عرض بعض أقوالهم :

قال أبوطالب المكي : « الرجاء وهو اسم لقوة الطمع في الشيء ، بمنزلة الخوف اسم لقوة الحذر من الشيء » [٣] .

وقال الغزالي : « الرجاء هو ارتياح القلب لانتظار ما هو محبوب عنده ، ولكـن ذلك المحبوب المتوقع لابد وأن يكون له سبب » [٤] .

---

(١) انظر: المحيط في اللغة ١٧٤/٧ .

(٢) انظر: لسان العرب مادة (ر ج و) ، وأبوذؤيب هو : الشاعر المشهور ، واسمه خويلد بن خالد بن محرث، من قبيلة هذيل ، أدرك حياة النبي صلى الله عليه وسلم وشهد جنازته ، ورثاه بقصيدة مؤثرة وحضر اجتماع سقيفة بني ساعدة ، وكان غازياً مع ابن الزبير في أفريقية ، وتوفي زمـن خلافـة عثمان بن عفان رضي الله عنه . انظر : الاستيعاب ١٦٤٨/٤، والإصابة ١٣١/٧ .

(٣) قوت القلوب ٣٥٩/١ .

(٤) إحياء علوم الدين ١٤٢/٤-١٤٣ .

وقال أبوهلال العسكري : « الرجاء هو الظن بوقوع الخير الذي يعتري صاحبه الشك فيه إلا أن ظنه أغلب ، وليس هو من قبيل العلم » [١] .

وقال الراغب الأصفهاني : « الرجاء ظن يقتضي حصول ما فيه مسرة » [٢] .

وقال ابن القيم : « الرجاء هو النظر إلى سعة رحمة الله ، والثقة بجود الرب تعالى، وهو استشراف القلب لنيل ما يرجوه » [٣] .

وقال ابن عاشور : « الرجاء هو الإخبار عن تـهيء وقوع أمـر في المـستقبل وقوعاً مؤكداً » [٤] .

وبعد عرض أقوال وتعريفات هؤلاء العلماء للرجاء نجد أنها تدور حول معـان معينة ، ويمكن أن تجمع هذه التعريفات وتصاغ في تعريف واحد شامل ، فيقال : «**الرجاء : هو الترقب والانتظار مع بذل الأسباب لأمر محبوب** في **المـستقبل ، مقروناً بحسن الظن واليقين من هو أهل أن يرجى ويؤملُ جوده وكرمه** » .

* * *

(١) الفروق في اللغة ص٤٣٣ .

(٢) المفردات في غريب القرآن ١٩٠/١ .

(٣) مدارج السالكين ٣٥/٢-٣٦، ٤٧ .

(٤) التحرير والتنوير ٣٢٨/١.

المبحث الثاني : الوجوه والنظائر لكلمة الرجاء في القرآن

ورد ذكر الوجوه والنظائر[١] لكلمة الرجاء في القرآن الكريم بمعان عديدة بحسب السياق والاشتقاق ، وبحسب اختلاف المفسرين في معناها .

من خلال التأمل والاطلاع في كتب الوجوه والنظائر وأقوال المفسرين في بيـان معنى كلمة الرجاء في القرآن الكريم تبين لي أنها لا تخرج عن سبعة أوجه، وهـي : (الخشية والخوف ، العلم ، الطمع ، عدم المبالاة بالشيء ، ترقب حـصول الخـير والثواب ، الترك والتأخير ، ناحية الشيء) .

الوجه الأول : الخشية والخوف ، قال الله تعالى : ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ [الكهف : ١١٠] أخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير في قوله : ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ قال : «من كان يخشى البعث في الآخرة » [٢] وهذا اختيار مقاتل بن سليمان [٣] .

وقال تعالى : ﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٍۚ﴾ [العنكبوت: ٥] .

عن سعيد بن جبير في قوله : ﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ﴾ قال : « من كان يخشى » [٤] .

وهذا اختيـار ابـن أبي زمـنين[٥] .....

---

(١) قد مضى الكلام في بيان المراد بالوجوه والنظائر فيما سبق ، ولا حاجة إلى إعادة ذلـك، انظـر: ص٢٢ من هذا البحث .

(٢) تفسير القرآن لابن أبي حاتم ٢٣٩٥/٧ برقم (١٣٠١٦).

(٣) تفسير مقاتل ٣٠٤/٢ .

(٤) تفسير القرآن لابن أبي حاتم ٣٠٣٤/٩ برقم (١٧١٥٢) .

(٥) تفسير القرآن العزيز ٣٤٠/٣ . وابن أبي زمنين هو : أبوعبدالله محمد بـن عبـدالله بـن عيـسى الأندلسي، شيخ قرطبة ، من أهل الزهد والصلاح . ولد سنة ٣٢٤هـ ، وعاصر عدداً من كبـار

ومقاتل [١] ، وقد نسبه البغوي في تفسيره إلى ابن عباس رضي الله عنهما [٢] .

وقال تعالى : ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ﴾ [العنكبوت :٣٦] قال أبوعبيدة : ﴿وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ﴾ مجازه : واخشوا اليوم الآخر[٣].

وممن قال بهذا القول يونس النحوي[٤] ، كما ذكره القرطبي[٥] عنه ، واختار هذا القول جمع من المفسرين منهم أبوالمظفر السمعاني[٦] ، والبغوي[٧] ، وابن الجوزي [٨] وغيرهم .

قال تعالى : ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح : ١٣] . أخرج ابن أبي حاتم عن ابن

العلماء بالأندلس ، وتتلمذ عليه عدد من المشاهير من أبرزهم أبوعمرو الداني وأبوعمرو بن الحذاء ، وصنف كتباً كثيرة منها : اختصار المدونة ، واختصار تفسير يحيى بن سلام وهو تفسيره الذي ينسب إليه، وحياة القلوب، وأصول السنة وغيرها ، وتوفي سنة ٣٩٩هـ . انظر : سير أعلام النبلاء ١٨٨/١٧-١٨٩ .

(١) تفسير مقاتل ٥١١/٢ .

(٢) معالم التنزيل ٤٦١/٣ .

(٣) مجاز القرآن ٩٥/١ ، وأبوعبيدة : هو معمر بن المثنى التيمي ، بصري لغوي حافظ ، وثقه أهل العلم ، وكان يتهم برأي الخوارج ، وكان عالماً بالشعر والغريب والأنساب والأخبار ، وتوفي سنة ٢٢٠هـ . وقيل : ٢٠٩هـ . انظر : تذكرة الحفاظ ٢٧١/١-٢٧٢ .

(٤) هو يونس بن يحيى بن نباتة القرشي المدني ، النحوي ، صدوق يروي عن سلمة بن وردان وابن أبي ذئب ، ويروي عنه محمد بن الحسن البرجلاني ، توفي سنة ٢٠٦هـ . انظر : الكاشف للذهبي ٤٤/٢.

(٥) الجامع لأحكام القرآن ٣٦١/١٦ .

(٦) تفسير القرآن للسمعاني ١٨٠/٤ .

(٧) معالم التنزيل ٤٦٧/٣ .

(٨) تذكرة الأريب في تفسير الغريب لابن الجوزي ٦٦/٢ .

عباس في قوله ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ قال : «لا تخافون لله عظمة »[١] .

ورجحه ابن جرير بقوله : « وأولى الأقوال عندنا بالصواب قول من قال : معنى ذلك : ما لكم لا تخافون لله عظمة ، وذلك أن الرجاء قد تضعه العرب إذا صحبه الحمد في موضع الخوف ، كما قال أبوذؤيب :

إذا لسعته النحل لم يرج لسعها وخالطها في بيت نوب عواسل

يعني بقوله : لم يرج : لم يخف »[٢] .

قال أبوبكر ابن العربي في قوله : ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾ يعني : « لا تخشون لله عقاباً ، وعبر عن العقاب بالوقار؛ لأن من عظمه فقد عرفه، وعن الخشية بالرجاء لأنها نظيرته »[٣].

والآيات التي فُسر فيها الرجاء بالخشية أو الخوف كثيرة ، وأكتفي بما ذكرت منها ؛ لأن المقصود هو الإشارة إلى ذكر الأوجه التي فُسرت بها كلمة الرجاء في القرآن الكريم .

الوجه الثاني : العلم ، قال تعالى : ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾ [نوح : ١٣] .

أخرج أبوداود في الزهد بإسناده عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أنه قال في قوله : ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ قال : « ما لكم لا تعلمون لله عظمة »[٤] وهذا قول الحسن[٥] ذكره أبوبكر بن العربي في أحد أجوبته عن قوله تعالى : ﴿ وَإِمَّا

---

(١) تفسير القرآن لابن أبي حاتم ٣٣٧٥/١٠ .

(٢) جامع البيان ٢٩٧/٢٣ .

(٣) أحكام القرآن لابن العربي ٣١١/٤ .

(٤) الزهد لأبي داود ٣٦٨/١ ، وأخرجه ابن جرير في تفسيره ٢٩٦/٢٣ ، والبيهقي في شعب الإيمان ٤٦٥/١.

(٥) شعب الإيمان للبيهقي ٤٦٥/١.

تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾ [الأنفال: ٥٨] حيث قال : « إن قيل كيف يجوز نقض العهد مع خوف الخيانة ، والخوف ظن لا يقين معه؟ فكيف يسقط يقين العهد بظن الخيانة ؟ فعنه جوابان :

أحدهما : أن الخوف هاهنا بمعنى اليقين كما يأتي الرجاء بمعنى العلم كقوله : ﴿لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾ ...»[١] . انتهى محل الغرض من كلامه .

وحكى ابن الأنباري عن بعض أهل اللغة أن الرجاء يأتي بمعنى العلم كما في قوله تعالى : ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا ﴾ [الكهف: ١١٠] معناه : فمن كان يعلم لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ، ثم عقب ابن الأنباري على هذا القول قائلاً : « وقولهم عندي غير صحيح ؛ لأن الرجاء لا يخرج أبداً عن معنى الشك...»[٢].

قلت : هذا في حال إذا كان الرجاء على بابه فإنه لا يخرج عن معنى الشك ، وأما إن كان على غير بابه كما في تفسير الآية السابقة فيكون خارجاً عن معنى الشك ، وذكر أبوبكر بن السراج أن العرب يتوسعون فيحملون (رجوت) على علمت إذا استقر عندهم الرجاء »[٣] .

الوجه الثالث : الطمع ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة : ٢١٨] .

قال ابن أبي زمنين في قوله ﴿يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ﴾: «أي: يطمعون في رحمة الله،

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي ٤٢٠/٢.

(٢) كتاب الأضداد لابن الأنباري ص١٧ .

(٣) انظر : الأصول في النحو ٢٠٩/٢ لأبي بكر بن السراج ، وأبوبكر بن السراج هو : محمد بن السري بن سهل بن السراج البغدادي ، من أئمة النحو وفحول أهل اللغة ، له مصنفات كثيرة من أشهرها : الأصول في النحو ، وشرح كتاب سيبويه ، والاشتقاق وغيرها ، وتوفي سنة ٣١٦هـ . انظر : معجم الأدباء ٣٤١/٥-٣٤٣ .

يعني الجنة»[١] .

وقال ابن عطية : « قوله ﴿يَرْجُونَ﴾ معناه : يطمعون ويتقربون »[٢] .

قلت : ويؤيده ما أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم بإسنادهما عن عروة بن الزبير أنه قال : « أنزل الله عز وجل القرآن بما أنزل من الأمر وفرج الله عن المسلمين في أمر عبد الله بن جحش وأصحابه يعني في قتلهم ابن الحضرمي ، فلما تجلى عن عبدالله بن جحش وأصحابه ما كانوا فيه حين نزل القرآن ؛ طمعوا في الأجر فقالوا: يا رسول الله ، أنطمع أن تكون لنا غزوة نعطى فيها أجر المجاهدين ؟ فأنزل الله عز وجل ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ فوضعهم الله من ذلك على أعظم الرجاء»[٣].

قال الخازن في قوله : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ﴾ أي : « يطمعون في نيل رحمة الله ، أخبر أنهم على رجاء الرحمة ... »[٤] .

قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ...﴾ [يونس : ٧]

فقوله : ﴿لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ أي : لا يطمعون في ثوابنا كما قال الشاعر سوار بن المضرب[٥] :

أترجو بني مروان سمعي وطاعتي وقومي تميم والفلاة ورائيا

---

(١) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ٢١٨/١ .

(٢) المحرر الوجيز ٢٩٢/١ .

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره ٦٦٨/٣، وابن أبي حاتم في التفسير ٢٠٤٢/٢ ، والبيهقي في السنن الكبرى ٥٨/٩ ، وفي دلائل النبوة له ٢٠/٣ .

(٤) لباب التأويل في معاني التنزيل ٢٠٧/١ .

(٥) هو سوار بن المضرب السعدي أحد بني ربيعة بن كعب بن زيد مناة ، من قبيلة تميم ، وهو من شعراء الإسلام المشهورين في القرن الثاني من الهجرة . انظر : المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء للآمدي ٨٣/١ .

وهذا المعنى هو أحد الوجهين في الآية ، وحكاه جمع من أهل التفسير كأبي المظفر السمعاني[١] ، والماوردي[٢] ، والقرطبي[٣] ، والشوكاني[٤] ، ورجحه الفخر الرازي[٥] .

ومن الآيات في هذا المعنى قوله تعالى : ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء : ٥٧] فسر مقاتل بن سليمان الرجاء في هذه الآية بالطمع[٦] ، وكذلك الدامغاني[٧] ، وابن العماد الحنبلي[٨] .

وفي وقوله تعالى : ﴿وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ [الزمر : ٩] قال السمعاني : « أي يطمع في رحمة ربه »[٩] .

قال تعالى : ﴿ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا ﴾ [النور : ٦٠] .

فقوله: ﴿لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا﴾ أي «لا يطمعون في الزواج» وهذا قول ابن جرير[١٠]،

---

(١) تفسير القرآن للسمعاني ٣٦٧/٢ .

(٢) النكتب والعيون للماوردي ٤٢٣/٢ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٣١١/٨ .

(٤) فتح القدير ٤٢٦/٢ .

(٥) مفاتيح الغيب ٣٢/١٧ .

(٦) الأشباه والنظائر لمقاتل بن سليمان ص١٦٨ .

(٧) الوجوه والنظائر للدامغاني ص٣٤٥ .

(٨) كشف السرائر في معنى الوجوه والأشباه والنظائر لابن العماد الحنبلي ص٢٢٤ ، وابن العماد الحنبلي هو : عبدالحي بن أحمد بن محمد العكبري الحنبلي ، مؤرخ وفقيه وعالم بالآداب ، ولد في دمشق سنة ١٠٣٢هـ ، وله تصانيف كثيرة من أشهرها شرح المنتهى في الفقه ، وغيرها . توفي وهو حاج سنة ١٠٨٩هـ في مكة المكرمة . انظر : الأعلام ٢٩٠/٣ .

(٩) تفسير القرآن للسمعاني ٤٦١/٤ .

(١٠) جامع البيان ١٦٥/١٨ .

والزمخشري[١] ، وتبعه البيضاوي[٢] ، والنسفي[٣] .

الوجه الرابع : عدم المبالاة بالشيء ، وهذا الوجه لم يذكره أحد من أصحاب كتب الوجوه والنظائر ، وهو مشهور في اللغة ومعروف ، قال تعـالى : ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾ [نوح : ١٣] حكى الحافظ ابن حجر عن ابن أبي حاتم بإسناده إلى سعيد بن جبير عن ابن عباس – رضي الله عنهما – في قوله : ﴿لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾ قال : « لا تبالون لله عظمة »[٤] .

وقال الحافظ ابن حجر : « ويستعمل الرجاء في موضع الاكتراث ، يقال : لقيته فما رجوته »[٥] . أي : فما باليت به .

قال ابن منظور : « يقال ما اكترثت به : أي ما أُبالي به »[٦] .

وأخرج ابن جرير بإسناده عن مجاهد في قوله : ﴿لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾ قـال : « لا تبالون لله عظمة »[٧] قال قطرب : هذه لغة حجازية ، وهذيل وخزاعة ومـضر يقولو : لم أرج : لم أبال[٨] .

قال تعالى : ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ ﴾ [الجاثيـة : ١٤]

---

(١) الكشاف ٢٦٠/٣ .

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي ٢٠٠/٤.

(٣) مدارك التنـزيل وحقائق التأويل للنسفي ١٥٧/٣ .

(٤) تغليق التعليق لابن حجر ٣٤٨/٤-٣٤٩ ، وقد رجعت إلى المطبوع من تفسير ابن أبي حـاتم ولم أجد هذا الإسناد مذكوراً فيه ، ولعله سقط منه ، أو كان في نسخة أخرى من المخطوط .

(٥) غراس الأساس لابن حجر ص١٧٠ .

(٦) لسان العرب مادة (كرث) .

(٧) جامع البيان ٩٤/٢٩ ، وشعب الإيمان للبيهقي ٤٦٥/١ .

(٨) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣٠٣/١٨ .

أخرج ابن جرير بإسناده عن مجاهد في قولـه : ﴿لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾ قـال : « لا يبالون نعم الله »[١] .

قال تعالى : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ [النبأ : ٢٧] .

أخرج ابن جرير بإسناده عن مجاهد في قوله : ﴿لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ قـال : « لا يبالون فيصدقون بالغيب »[٢] .

وأخرج ابن أبي حاتم عن عبدالله بن عبيد بن عمير [٣] في قوله : ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ [الفرقان :٢١] قال : « لا يبالون » وأنشد قول خبيب – رضي الله عنه - :

لعمرك ما أرجو إذا كنت مسلماً

على أي حال كان في الله مصرعي [٤]

الشاهد قوله : « ما أرجو » أي : ما أبالي .

الوجه الخامس : ترقب حصول الخير والثواب ، قال تعالى : ﴿وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ [النساء :١٠٤] .

أي : تترقبون نصر الله – عز وجل – وإظهار دينه على كل الأديان ، وحصول الأجر والثواب على أعمالكم الصالحة .

فالرجاء في هذه الآية الكريمة على بابه ، وهو أجود من حمله على معـنى آخـر

---

(١) جامع البيان ١٤٤/٢٥، وتفسير مجاهد ٥٩١/٢ .

(٢) جامع البيان ١٦/٣٠ .

(٣) هو عبدالله بن عبيد بن عمير بن قتادة بن سعد بن عامر بن جندع الليثي المكي ، كنيته أبوهاشـم ، وثقه يحيى بن معين ، كان عالماً فصيحاً صالحاً ، توفي سنة ١١٣هـ . انظـر : حليـة الأوليـاء ٣٥٤/٣، والمنتظم في التاريخ لابن الجوزي ١٥٨/٧ .

(٤) تفسير القرآن لابن أبي حاتم ٢٦٤٦/٨ برقم (١٥٠٥٢)، والنكت والعيون للماوردي ١٣٩/٤.

بدلالة السياق في الآية .

قال الواحدي في قوله : ﴿وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ﴾ أي : « من نصر الله إياكم وإظهار دينكم في الدنيا وثوابه في العقبى » [١] .

ومن الآيات في هذا المعنى قوله تعالى : ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا﴾ [الإسراء : ٢٨] .

أخرج ابن جرير عن عكرمة ومجاهد وسعيد بن جبير وغيرهم في قوله تعالى : ﴿ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا﴾ قالوا : « انتظار رزق الله » [٢] وهو اختيار ابن جرير وأبي الليث السمرقندي[٣] وابن أبي زمنين[٤] ، والماوردي[٥] ، والبغوي[٦] ، وغيرهم .

الوجه السادس : الترك والتأخير ، قال تعالى : ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة : ١٠٦] قال أبوعبيدة معمر بن المثنى : « مرجون : أي مؤخرون ، يقال : أرجأتك : أي أخرتك »[٧] . وهذا قول جمهور المفسرين .

قال أبوالليث السمرقندي : « يعني موقوفون لأمر الله » وقال القتبي [٨] : مرجون

---

(١) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي ٢٨٧/١ .

(٢) جامع البيان ٧٥/١٥ .

(٣) بحر العلوم للسمرقندي ٣٠٨/٢ .

(٤) تفسير القرآن العزيز ٢٠/٣ .

(٥) النكت والعيون ٢٣٩/٣ .

(٦) معالم التنزيل ١١٢/٣ .

(٧) مجاز القرآن ٤٨/١ .

(٨) هو ابن قتيبة صاحب التصانيف في علوم القرآن والحديث ، وقد مضت ترجمته ص ٢٥، وقوله هذا مذكور في كتابه تفسير غريب القرآن ص١٩٢ .

على أمر الله ، و يقال : متروكون لأمر الله تعالى لهم » [١] .

قال تعالى : ﴿تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ﴾ [الأحزاب : ٥١] .

أخرج ابن جرير بإسناده ، عن ابن عباس – رضي الله عنهما – في قوله : ﴿تُرْجِي﴾ يقول : « تؤخر »[٢] وقال الحسن : «تترك نكاح من تشاء»[٣] .

ونسبه الفيروزآبادي إلى ابن عباس[٤] ، ولا اختلاف بين اللفظين : الترك والتأخير ؛ لأن معناهما واحد ، وعلى هذا القول عامة أهل التفسير .

قال تعالى : ﴿قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾ [الأعراف: ١١١].

ومثله قوله تعالى : ﴿قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾ [الشعراء : ٣٦] أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم بإسنادهما عن ابن عباس – رضي الله عنهما – في قوله ﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ قال : « أخره » [٥] وعلى هذا القول جمهور المفسرين .

وروي عن قتادة والكلبي أنهما قالا في معنى الآية : « أحبسه وأخاه » [٦] وقال به مقاتل بن سليمان[٧] ، والفراء[٨] ، والسمرقندي[٩] ، والثعلبي[١٠] ، وعده الدامغاني

---

(١) بحر العلوم ٨٧/٢ .

(٢) جامع البيان ٢٥/٢٢ .

(٣) المصدر السابق ، وزاد المسير ٤٠٧/٦ .

(٤) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس للفيروزآبادي ٣٥٥/١ .

(٥) جامع البيان ١٧/٩ ، وتفسير ابن أبي حاتم ١٥٣٣/٥ .

(٦) جامع البيان ١٧/٩ ، واللباب في علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي ٢٥٥/٩ .

(٧) تفسير مقاتل بن سليمان ٤٤٩/٢ .

(٨) معاني القرآن للفراء ٣٨٨/١ .

(٩) بحر العلوم ٥٥٣/١ .

(١٠) الكشف والبيان للثعلبي ٢٦٨/٤ .

من الوجوه والنظائر لكلمة الرجاء في القرآن الكريم [١] .

قلت : والراجح في نظري – والله أعلم – أن المعنى الأول هو المراد في تفسير الآية ، وذلك لموافقة السياق القرآني ، ولأن أصل الإرجاء في اللغة هو التأخير ، وقد نظرت في كتب أهل اللغة فلم أر أحداً منهم ذكر أن الإرجاء يأتي بمعنى الحبس، ولو كان المراد في الآية المعنى الثاني – أي الحبس – لما طلب فرعون عند تحديه لموسى – عليه السلام – تحديد موعد للزمان والمكان كما في قوله تعالى : ﴿فَٱجۡعَلۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكَ مَوۡعِدٗا لَّا نُخۡلِفُهُۥ نَحۡنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانٗا سُوٗى﴾ [طه : ٥٨] .

قال الفخر الرازي : « قال المحققون : هذا قول ضعيف لوجهين :

الأول : أن الإرجاء في اللغة هو التأخير لا الحبس .

الثاني : أن فرعون ما كان قادراً على حبس موسى – عليه السلام – بعد ما شاهد حال العصا ...»[٢] .

الوجه السابع : ناحية الشيء . قال تعالى : ﴿وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ﴾ [الحاقة : ١٧] .

قال الزجاج في قوله تعالى : ﴿وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَا﴾ « والمعنى الملائكة على جوانبها ، ورجا كل شيء ناحيته»[٣] .

قال ابن جرير : « والملك على أطراف السماء حين تشقق وحافتها » .

ثم ساق الأسانيد بعد ذلك عن الصحابة والتابعين في هذا المعنى ، فروى بإسناده عن ابن عباس – رضي الله عنهما - أنه قال : « والملك على حافات السماء حين تشقق».

---

(١) الوجوه والنظائر للدامغاني ص٣٤٦ .

(٢) مفاتيح الغيب ١٦٢/١٤ .

(٣) معاني القرآن للزجاج ٢١٦/٥ .

وعن مجاهد قال : « أرجائها أطرافها »[١] .

وعلى هذا القول عامة أهل التفسير واللغة .

قال ابن منظور : « والرجاء مقصور : ناحية كل شيء ، وجمعه : أرجاء ، ومنه قوله تعالى : ﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَآ﴾ أي : نواحيها » قال ذو الرمة [٢] :

بين **الرجاء والرجا من جنب واجبة**

بـهماء ضابطها بالخوف معكوم [٣]

والأرجاء تهمز ولا تهمز »[٤] .

قال الزمخشري : « وتقول : فناؤه فسيح الأرجاء مقصد لأهل الرجاء »[٥] .

وهذا المثل يضرب للمدح بالسخاء والكرم لمن كانت داره واسـعة ، وأبوابهـا مفتوحة لمن جاء يرجو حاجة من رب الدار .

* * *

(١) جامع البيان ٥٧/٢٩ .

(٢) هو غيلان بن عقبة العدوي ، من قبيلة مضر ، يكنى بأبي الحارث ، ولد سنة ٧٧هـ . وهـو مـن فحول الشعراء في عصره . وطبع ديوانه في مجلد ضخم ، توفي سنة ١١٧هـ . انظـر : طبقـات فحول الشعراء ٥٣٤/٢ ، والأعلام ١٢٤/٥ .

(٣) ديوان ذو الرمة ٩٤/١ .

(٤) لسان العرب مادة (ر ج ا) .

(٥) أساس البلاغة للزمخشري ٢٢٤/١ .

المبحث الثالث : الفروق بين الرجاء وبعض المعاني الشبيهة به

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : الفرق بين الرجاء والتمني :

اختلفت عبارات العلماء في التفريق بين الرجاء والتمني ، إلا أنها في نهاية الأمـر ترجع إلى معنى واحد .

قال أبوحامد المدائني : « و الفرق بين الرجاء والتمني ، وكون أحدهما محمـوداً والآخر مذموماً أن التمني ألا يسلك فيه طريق الاجتهاد والجد ، والرجاء بخـلاف ذلك ، فلهذا كان التمني يورث صاحبه الكسل » [١] .

قلت : والرجاء والتمني كلاهما يكون منه ما هو مذموم وما هو محمود ، وأدلـة ذلك مشهورة وليس هذا محل ذكرها .

قال ابن القيم : « والفرق بين الرجاء والتمني ، أن الرجاء يكون مع بذل الجهد واستفراغ الطاقة في الإتيان بأسباب الظفر والفوز ، والتمني حديث النفس بحصول ذلك مع تعطيل الأسباب الموصلة إليه »[٢] وهذا اختيار السفاريني الحنبلي[٣] .

قال السبكي : « فإن قلت ما الفرق بين الترجي والتمني؟ قلـت : الترجـي لا

---

(١) شرح نهج البلاغة لأبي حامد المدائني ١١١/١١ ، وأبوحامد المدائني هو : عبدالحميد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن أبي الحديد ، فقيه وشاعر وأديب معتزلي ، ولد سنة ٥٨٦هـ ، ولـه ديـوان مشهور وتوفي سنة ٦٥٦هـ . انظر : تاريخ الإسلام للذهبي ٢٠٣/٤٨ .

(٢) كتاب الروح لابن القيم ٢٤٥/١ .

(٣) غذاء الألباب شرح منظومة الآداب للسفاريني الحنبلي ٣٥٩/١ . والسفاريني هو : محمد بن أحمـد بن سالم السفاريني ، يكنى بأبي العون ، محقق أصولي ومحدث ، وأديب ، ولد في سفارين من قـرى نابلس سنة ١١١٤هـ ، ورحل في طلب العلم ، وله مصنفات كثيرة منها : كشف اللثام شـرح عمدة الأحكام ، ولوائح الأنوار البهية ، والملح الغرامية ، وغيرها . وتوفي سنة ١١٨٨هـ . انظر : الأعلام ١٤/٦ .

يكون في المستحيلات ، والتمني يكون في المستحيلات وفي الممكنات » [١] .

قال شهاب الدين الحسيني الحنفي : « والفرق بين الرجاء والتمني ، أن الرجاء يكون في الممكن فقط ، والتمني فيه وفي المستحيل أيضاً » [٢] .

وقال في المعجم الوسيط : « والفرق بين الترجي والتمني : أن التمني هو محبة حصول الشيء سواء أكنت تتوقع حصوله أم لا ، وأنه يكون في الممكن نحو : ليت المسافر قادم ، والمحال نحو : ليت الشباب يعود ، بخلاف الترجي فيهما » [٣] .

فمن خلال النظر والتأمل في أقوال هؤلاء العلماء في ذكر الفرق بين الرجاء والتمني نجد أن بينهما تشابهاً كبيراً ، ويمكن تلخيص ذلك في العناصر التالية :

١- أن الرجاء يكون مع بذل الأسباب في طلب تحققه ، بخلاف التمني .

٢- أن الرجاء يكون في الممكنات دون المستحيلات ، بخلاف التمني فإنه يكون في الممكنات والمستحيلات .

٣- أن التمني يورث صاحبه العجز والكسل ، والعيش مع أحلام اليقظة ، بخلاف الرجاء فإنه يدفع صاحبه إلى الجد والاجتهاد في تحصيل المطلوب.

---

(١) الإبهاج في شرح المنهاج للسبكي ٢٢٠/١ ، والسبكي هو : علي بن عبدالكافي بن تمام بن حامد الأنصاري الشافعي السبكي ، كنيته أبوالحسن ، برز في كثير من العلوم كالفقه والحديث والتفسير والأصول والأدب واللغة وغيرها . وهو من كبار علماء الشافعية ، وله مصنفات كثيرة من أشهرها الدر النظيم في تفسير القرآن العظيم ، وتكملة شرح المهذب للنووي ، والإبهاج ، و غيرها ، توفي سنة ٧٥٦هـ . انظر: طبقات المفسرين للداودي ٢٨٦/١ .

(٢) غمز عيون البصائر ٣٩/١ ، وشهاب الدين هو : أحمد بن محمد مكي ، يكنى بأبي العباس ، من علماء الحنفية ، اشتغل بالتدريس وتولى الإفتاء ، وله مصنفات عديدة منها : غمز عيون البصائر في شرح الأشباه والنظائر لابن نجيم ، ونفحات القرب والاتصال ، والدر الفريد في بيان حكم التقليد، وغيرها ، وتوفي سنة ١٠٩٨هـ . انظر : الأعلام ٢٣٩/١ .

(٣) المعجم الوسيط ٨٢٩/٢ .

المطلب الثاني : الفرق بين الرجاء والطمع :

لا يكاد المرء أن يفرق بين الرجاء والطمع وذلك لاشتراكهما في ترقب حصول الشيء المحبوب للنفس ، ومع ذلك فقد فرق بعض العلماء بينهما ، فقال أبـو هلال العسكري: « الفرق بين الرجاء والطمع ، أن الرجاء هو الظن بوقوع الخير الـذي يعتري صاحبه الشك فيه ؛ إلا أن ظنه فيه أغلب ، وليس هو من قبيل العلم ، ولا يكون الرجاء إلا عن سبب يدعو إليه من كرم المرجو أو ما به إليه، والطمـع مـا يكون من غير سبب يدعو إليه ، فإذا طمعت في الشيء فكأنك حدثت نفسك به من غير أن يكون هناك سبب يدعو إليه ، ولهذا ذُم الطمع ولم يذَم الرجاء»[(١)] .

قلت : كلام أبي هلال غير واضح في التفريق بين الرجاء والطمع ولا منضبط ، وبعض عباراته فيها نظر ، فقوله : « والطمع ما يكون من غير سبب يدعو إليـه » هذا قول مخالف لواقع الحال ، فإن الإنسان لا يطمع في شيء إلا وله سبب يـدعو إليه، والله عز وجل أمر به عباده عند الدعاء ، فقال تعالى : ﴿وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًا﴾ [الأعراف :٥٦]، وأما قوله : «ولهذا ذُم الطمع ولم يذم الرجاء» فهذا غير صحيح، فكما أن من الرجاء ما هو مذموم وما هو محمود ، فكذلك من الطمع مـا هـو مذموم وما هو محمود، وهذا مبين وواضح في كتاب الله تعالى .

وقال ابن المدائني : « والفرق بين الرجاء والطمع أن الرجاء توقع منفعة ممن سبيله أن تصدر تلك المنفعة عنه، والطمع توقع منفعة ممن يستبعد وقوع تلـك المنفعـة منه»[(٢)] .

قلت: ما ذكره المدائني في التفريق بين الرجاء والطمع ليس على إطلاقه وفيه نظر، فيم يجاب عن قوله تعالى فيما ذكره عن دعاء خليله إبراهيم – عليه الـسلام – بقوله: ﴿ وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾[الشعراء :٨٢] فهل طمـع

(١) الفروق في اللغة لأبي هلال العسكري ، ص٤٣٣ .

(٢) شرح نهج البلاغة لأبي حامد المدائني ١٢٥/١٨ .

إبراهيم – عليه السلام – توقع منفعة ممن يستبعد وقوع تلك المنفعة منه ؟!

وماذا يجاب عن أمر الله تعالى عباده عند الدعاء بالطمع والخوف ، قال تعـالى : ﴿وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [الأعراف :٥٦].

فهذا دليل على أن من دعا الله عز وجل خوفاً وطمعاً ؛ حري بالإجابة ، وهـو من عباد الله المحسنين .

ويم يجاب عن قوله تعالى عن أهـل الأعـراف : ﴿لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ ﴾ [الأعراف :٤٦] .

وطمعهم هذا في يوم القيامة ، ومن المعلوم أن الشك ينتفي في ذلك اليوم ؛ لأن العلم بذلك كله اضطرار ، والطمع فيه يقين .

أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم بإسنادهما عن الحسن في قوله : ﴿لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ ﴾ قال : «والله ما جعل ذلك الطمع في قلوبهم إلا لكرامة يريدها بهم»[1].

والذي يظهر لي والعلم عند الله عز وجل أن الطمع أقوى من الرجاء أو هو غاية الرجاء ، قال أبوالمظفر السمعاني: «والطمع هو : تعلق النفس بالشيء مع قوة»[2].

ولا يكون الطمع إلا بعد رؤية علامات تحقق حصول المطموع فيه ، وهذا معلوم بالتتبع والاستقراء .

* * *

(١) جامع البيان ١٩٦/٨، وتفسير ابن أبي حاتم ١٤٨٨/٥ .

(٢) تفسير القرآن للسمعاني ٥٩/٢ .

المطلب الثالث : الفرق بين الرجاء والأمل :

أكثر اللغويون لا يفرقون بين الرجاء والأمل ، فيفسرون أحدهما بالآخر ، ومنهم من يجعل الأمل أخص من الرجاء ، كما ذكره أبوعلي مسكويه [١] ، ومنهم من يصفه بأنه رجاءٌ يستمر ولأجل هذا قيل للنظر في الشيء إذا استمر وطال « تأمل » وأصله من « الأميل » وهو الرمل المستطل ، وهذا قد ذكره أبوهلال العسكري في فروقه [٢] .

قال الفيومي في المصباح : « أكثر ما يستعمل الأمل فيما يستبعد حصوله ، كما قال كعب بن زهير :

أرجو وآملُ أن تدنو مودتهما

وما إخال لدينا منك تنويل

وأما الطمع فلا يكون إلا فيما قرب حصوله ، والرجاء بين الأمل والطمع»[٣].

وهذا اختيار ابن عاشور حيث قال : « والأمل : هو ظن حصول أمر مرغوب في حصوله ، مع استبعاد حصوله ، فهو واسطة بين الرجاء والطمع »[٤] .

---

(١) الهوامل والشوامل لأبي علي مسكويه ٢٧١/١ ، وأبوعلي مسكويه هو : أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه ، يكنى بأبي علي ، مؤرخ بحاث ، اشتغل بالفلسفة والمنطق وكان عمله خازناً لمكتبة ابن العميد ، له مؤلفات كثيرة منها : تجارب الأمم وتعاقب الهمم ، وطهارة النفس ، والفوز الأصغر، وغيرها ، توفي سنة ٤٢١هـ بمدينة أصفهان ، انظر : الأعلام ٢١١/١-٢١٢ .

(٢) الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص٤٣٣ .

(٣) المصباح المنير ص٢٩ ، والفيومي هو : شهاب الدين أبوالعباس أحمد بن محمد بن علي الفيومي ويعرف بابن ظهير ، انشغل بتحصيل العلوم ، وبرز في علم العربية ، ولد له في حماة ابنه أبوالثناء محمود بن أحمد سنة ٧٥٠هـ والمعروف بابن خطيب الدهشة ، وهو من علماء الشافعية ، وله عدة مؤلفات من أشهرها : المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، نثر الجمان في تراجم الأعيان ، شرح عروض بن الحجاب ، وغيرها ، واختلف في سنة وفاته ، فقيل : ٧٦٠هـ أو ٧٧٠هـ انظر : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوي ١٢٩/١٠-١٣٠ ، والأعلام ٢٢٤/١ .

(٤) التحرير والتنوير ١٤/١٤ .

وقيل : « إن الأمل يكون في الممكن والمستحيل ، والرجاء يخص الممكن»[١] .

ومن خلال ما سبق ذكره يمكن أن نلخص هذه الفروق في العناصر التالية :

١- أن الأمل أخص من الرجاء أو هو رجاءٌ يستمر دون انقطاع .

٢- أن الأمل أكثر ما يستعمل فيما يستبعد حصوله بخلاف الرجاء .

٣- أن الأمل واسطة بين الرجاء والطمع ويكون في الممكن والمستحيل ، بخلاف الرجاء فإنه لا يكون إلا في الممكن .

* * *

(١) روح المعاني للألوسي ٢/١٥ .

المبحث الرابع : حروف الرجاء في القرآن الكريم (عسى ، لعل)

إن الكلام عن حروف الرجاء في القرآن الكريم وبيان معانيها ، وذكر خلاف العلماء فيها يحتاج إلى كتاب مستقل ، فضلاً أن يكون أحد المباحث في إحدى الرسائل ، ولكن سأشير في هذا المبحث إلى ذلك على وجه الاقتضاب فيما يتعلق بكتاب الله عز وجل .

فهذان الحرفان (عسى ، ولعل) إذا وجد أحدهما في آية من آيات القرآن الكريم كان ذلك علامة ودلالة على وجود الرجاء في هذه الآية ، وليس الرجاء في القرآن مقيداً بوجود هذين الحرفين أو أحدهما ، بل هناك آيات كثيرة متضمنة لمعنى الرجاء، مع خلوها من أحد هذين الحرفين .

أولاً (عسى) :

قال الأزهري : « عسى حرف من حروف المقاربة ، وفيه ترج وطمع »[(١)] .

وقال ابن هشام : « عسى فعل مطلقاً ، لا حرف مطلقاً ، ومعناه : الترجي في المحبوب ، والإشفاق في المكروه ، وقد اجتمعا في قوله تعالى : ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۗ﴾ [البقرة : ٢١٦] »[(٢)] .

والذي يظهر لي أنها فعل جامد ، لا ينصرف ، وهو الذي جعل الأزهري ومن

---

(١) تهذيب اللغة للأزهري ٥٥/٣ ، والأزهري هو : أبومنصور محمد بن أحمد بن الأزهر ، ولد بهراة سنة ٢٨٢هـ ، وكان فقيهاً صالحاً وإماماً في اللغة وصنف كتابه الشهير بـ « تهذيب اللغة » ، وقد توفي سنة ٣٧٠هـ . انظر : طبقات المفسرين للداودي ٨٣/١ ٨٣/١ .

(٢) مغني اللبيب لابن هشام ٢٠١/١، و ابن هشام هو : عبدالله بن يوسف بن هشام الأنصاري ، وكان مخالفاً لسيبويه وأبي حيان في بعض المسائل النحوية ، وألف كتاب المشهور « مغني اللبيب عن كتب الأعاريب » وقد توفي سنة ٧٦١هـ ورثاه كثير من علماء زمانه . انظر البدر الطالع للشوكاني ٤٠٠/١-٤٠٣ .

وافقه يسمونه حرفاً ، والحروف غير منصرفة .

وأما تسمية هذا المبحث بحروف الرجاء فهذا من باب التغليب ، حيث إن (عسى) فيها خلاف كما تقدم في كونها حرفاً أم فعلاً ، وأما (لعل) فهي حرف بالاتفاق.

وقد ذُكرت (عسى) في القرآن الكريم في نحو ثلاثين موضعاً، منها أحد عشر موضعاً جاءت فيها مسندة ومضافة إلى اسم الجلالة (الله) عز وجل، وهي كالآتي :

١- قال تعالى : ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [النساء : ٨٤] .

٢- قال تعالى : ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ﴾ [النساء : ٩٩] .

٣- قال تعالى : ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ﴾ [المائدة : ٥٢] .

٤- قال تعالى : ﴿فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة : ١٨] .

٥- قال تعالى : ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة : ١٠٢] .

٦- قال تعالى : ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ [الإسراء : ٨] .

٧- قال تعالى : ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء : ٧٩] .

٨- قال تعالى : ﴿فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ﴾ [القصص : ٦٧] .

٩- قال تعالى : ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَٱللَّهُ قَدِيرٌ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الممتحنة :٧]

١٠- قال تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾ [التحريم : ٥] .

١١- قال تعالى : ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ [التحريم : ٨] .

وقد ذكر المفسرون أن (عسى) تأتي لعدة معان :

الأول : للرجاء والإطماع ، كقوله تعالى : ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ﴾

[النساء : ٩٩] (١) .

الثاني : للإشفاق كقوله تعالى : ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ ﴾ [البقرة : ٢١٦] (٢) .

الثالث : التوقع ، كقوله تعالى : ﴿هَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُواْۖ ﴾ [البقرة : ٢٤٦] (٣) .

الرابع : التعليل، كقوله تعالى: ﴿وَأَنۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقۡتَرَبَ أَجَلُهُمۡ﴾ [الأعراف: ١٨٥] (٤) .

الخامس : اليقين ، كقوله تعالى : ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ﴾ [المائدة : ٥٢] (٥) .

السادس : بمعنى خليق ، كقوله تعالى : ﴿قَالَ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ [التوبة : ١٨] (٦) .

السابع : بمعنى (قد) ، كقوله تعالى : ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡ﴾ [البقرة : ٢١٦] (٧) .

فمن خلال ما سبق ذكره يتبين أن (عسى) لها سبعة معان وهي :

---

(١) انظر : معالم التنزيل ٤٧٠/١ ، والبحر المحيط ٣٤٩/٣ ، وإرشاد العقل السليم ٢٢٤/٢ .

(٢) انظر : همع الهوامع للسيوطي ٤٧١/١ ، وروح المعاني ١٠٧/٢ .

(٣) انظر : الكشاف للزمخشري ٣١٩/١، ٣٢٧/٤ ، ولباب التأويل للخازن ١٨٢/٦.

(٤) انظر : معالم التنزيل للبغوي ٢١٩/٢ ، والكشاف ١٧٢/٢ ، وأسرار التنزيل للبيضاوي ٧٩/٣ .

(٥) انظر : المحكم والمحيط الأعظم ٢٢٠/٢ ، ولسان العرب ٥٥/١٥ .

(٦) انظر : جامع البيان ٩٤/١٠ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٩١/٨ ، ونظم الدرر للبقاعي ٢٨٣/٣، وفتح القدير للشوكاني ٣٤٤/٢ .

(٧) انظر : تفسير العز بن عبدالسلام ٢٠٧/١ ، والنكت والعيون ٢٧٣/١ ، والجامع لأحكام القرآن ٣٩/٣ ، واللباب في علوم الكتاب ٥٢٨/٣ ، وفتح القدير ٢١٦/١ .

[الرجاء والإشفاق، والتوقع ، والتعليل ، واليقين ، وبمعنى: خليق ، وبمعنى: قد]

قال البقاعي : « مادة عسى في جميع تصاريفها تدور على الحركة »[١] ثم توسع بعد ذلك في ذكر تصاريفها والأمثلة عليها .

وقال الشيخ تقي الدين الهلالي: «فإن قيل فما فائدة التعبير بعسى في قوله: ﴿فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ﴾؟ ولماذا لم يقل: فأولئك من المفلحين؟ فالجواب والله أعلم : أن فائدتها أن يكون العبد بين الخوف والرجاء ؛ لئلا يتكل على عمله ، ولـذلك كان كبار الصحابة رضي الله عنهم – يخافون على أنفسهم النفاق ...»[٢] .

وقد اختلف المفسرون في (عسى) هل تقتضي الوجوب في كل القـرآن ؟ أم أن ذلك فقط فيما أُضيف إلى الله تعالى؟

القول الأول : أن (عسى) في جميع القرآن واجبة .

فقد أخرج ابن أبي حاتم والبيهقي بإسنادهما عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال : « كل عسى في القرآن فهي واجبة »[٣] . وهو اختيار ابن جرير[٤] ، وقـد حكاه ابن الأنباري عن بعض المفسرين[٥] ، وكـذلك الـسمعاني[٦] ، واختـاره

---

(١) نظم الدرر ٢٨٣/٣ .

(٢) سبيل الرشاد في هدي خير العباد ١٤٧/٢-١٤٨ ، وتقي الدين الهلالي : هو محمد بن عبـدالقادر الهلالي ، يرجع نسبه إلى الحسين بن علي – رضي الله عنه- ، ولد سنة ١٣١١هـ في بلاد المغرب العربي ، ونشأ في طلب العلم ، فحفظ القرآن على جده وهو ابن اثنتي عشرة سنة ، ورحل إلى عدة أقاليم في طلب العلم ، وصنف مؤلفات كثيرة منها : سبيل الرشاد ، والإلهـام في تفـسير سـورة الأنعام، والدعوة إلى الله وغيرها ، وله مقالات ومشاركات في كثير من المجلات بمختلف اللغات ، وتوفي سنة ١٤٠٧هـ . انظر : المجلد الأول من سبيل الرشاد ص٩٢-١٠٥ .

(٣) تفسير العظيم لابن أبي حاتم ١٧٦٦/٦، والسنن الكبرى للبيهقي ١٣/٩ .

(٤) جامع البيان ٩٤/١٠ .

(٥) الأضداد لابن الأنباري ص٢٢ .

(٦) تفسير القرآن للسمعاني ١٥٢/٤ .

الشوكاني[١] .

القول الثاني : أن (عسى) إذا أُضيفت إلى الله فهي واجبة ، وما عداها فلا تدل على ا لوجوب .

قال مجاهد : « كل شيء في القرآن (عسى) فإن (عسى) من الله واجب »[٢] .

وقال مقاتل: «والعسى من الله عز وجل واجب»[٣] وهو قول الخليل بن أحمد،[٤] واختيار أبي عبيدة[٥]، وابن عطية[٦] ، وأبي حيان[٧] ، وعلى هذا القول أكثر أهـل التفسير .

قال النووي : « قال المفسرون كلهم : (عسى) من الله عز وجل واجب ، وقال أهل المعاني : وإنما كذلك لأن معنى (عسى) في اللغة : التقريب والإطماع ، ومـن أطمع إنساناً في شيء ثم حرمه ، كان عاراً ، والله تعالى أكرم من أن يطمع إنساناً في شيء ، ثم لا يعطيه ذلك » [٨] .

القول الثالث : أن (عسى) من الله واجبة إلا في موضعين :

الأول : قوله تعالى : ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ [الإسراء : ٨] .

---

(١) فتح القدير ٣٤٥/٢ .

(٢) الدر المنثور ٥٨٧/١ .

(٣) تفسير مقاتل ٢٦٩/٢ .

(٤) انظر: تفسير غرائب القرآن لنظام الدين النيسابوري ٥٩٤/١، والخليل بن أحمد هو: الخليـل بـن أحمد الأزدي الفراهيدي، يكنى بأبي عبد الرحمن ، من كبار علماء اللغة، ألف كتاب العين في اللغة، وكتاباً في العروض، وتوفي سنة : ١٧٥هـ ، انظر: تهذيب التهذيب ١٤١/٣.

(٥) مجاز القرآن ٤١/١ .

(٦) المحرر الوجيز ١٦/٣ .

(٧) البحر المحيط لأبي حيان ٢١/٥ .

(٨) تهذيب الأسماء للنووي ٢٠٧/٣ .

والثاني: قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرًا مِّنكُنَّ﴾ [التحريم: ٥].

وحكى هذا القول ابن الأنباري عن بعض المفسرين فقال : « وقال غيره (عسى) في القرآن واجبة إلا في موضعين : في سورة بني إسرائيل : ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يَرۡحَمَكُمۡ﴾ يعني بني النضير فما رحمهم ربهم ، بل قاتلهم رسول الله ﷺ ، وأوقع العقوبة بهم ، وفي سورة التحريم : ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرًا مِّنكُنَّ﴾ فما أبدله الله بهن أزواجاً ، ولا بِن منه ، حتى قُبض – عليه الصلاة والسلام –»[1] .

القول الرابع : أن (عسى) من الله واجبة إلا في موضعين :

الأول : قوله تعالى : ﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [محمد : ٢٢] .

الثاني: قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرًا مِّنكُنَّ﴾ [التحريم : ٥].

وانفرد بهذا القول القاضي مجير الدين العليمي في تفسيره ، حيث قال : «و(عسى) تكون للوجوب في ألفاظ القرآن إلا في موضعين : أحدهما في سورة محمد ﷺ ﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ﴾ أي : علمتم وتمنيتم ، والثاني : قوله : ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرًا مِّنكُنَّ﴾ لأن الطلاق معلق بالشرط، فلما لم يوجد الشرط، لم يوجد التبديل »[2] .

---

(١) الأضداد لابن الأنباري ص٢٣ .

(٢) فتح الرحمن في تفسير القرآن للعليمي ٩٨/٧ .

والعليمي هو : القاضي مجير الدين عبدالرحمن بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي ، يكنى بأبي اليمن ، ولد سنة ٨٦٠هـ بالقدس ، ونشأ في حجر والده الشيخ القاضي شمس الدين محمد بن عبدالرحمن ، وتفقه عليه ، واشتغل بحفظ القرآن الكريم والمتون العلمية ، وولي القضاء ، وتفرغ بعد ذلك للتصنيف ، فمن أشهر مصنفاته : المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد ، والإعلام بأعيان دول الإسلام، والإتحاف بمختصر الإنصاف ، وتفسير فتح الرحمن في تفسير القرآن وغيرها ، توفي سنة ٩٢٨هـ ببيت المقدس . انظر : السحب الوابلة ص٥١٦ ، ورفع النقاب عن تراجم الأصحاب ص٣٥٢ ، والأعلام ٣٣١/٣ .

القول الخامس : أن (عسى) من الله واجبة إلا على موضع واحد ، هـو قولـه تعالى : ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرٗا مِّنكُنَّ﴾ [التحريم : ٥] .

وحكى هذا القول السمعاني في تفسيره[١] ، والقرطبي كـذلك[٢] . واختـاره الجوهري[٣] .

والذي يظهر لي من الأقوال السابقة أن القول الثاني هو الأقرب للصواب؛ لعظيم كرم الله عز وجل وإحسانه الذي هو من مقتضى أسمائه الحسنى وصـفاته العلـى، ولأن هذا القول قد قال به أكثر أهل التفسير.

وأما الإجابة عن استثناء آية الإسراء من دخولها في القاعدة الكلية « كل (عسى) من الله في القرآن فهي واجبة » هو أنهم جعلوها في يهود بني النضير ، وهم الـذين قاتلهم الله وأوقع بهم النكال ، و هذا التفسير مخالف لدلالة السياق القـرآني ؛ لأن الآيات التي قبلها كانت في بني إسرائيل المتقدمين .

قال ابن جرير : « وعسى من الله واجب ، وفعل الله ذلك بهم ، فكثّر عـددهم بعد ذلك ، و رفع خساستهم ، وجعل منهم الملوك والأنبياء ، فقال جل ثناؤه لهم : وإن عدتم يا معشر بني إسرائيل لمعصيتي وخلاف أمري وقتل رسلي ، عدنا عليكم بالقتل والسباء وإحلال الذل والصغار بكم ، فعادوا فعاد الله عليهم بعقابه وإحلال سخطه بهم »[٤] .

وقال القرطبي في قوله : ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يَرۡحَمَكُمۡۚ﴾ وهذا مما أُخبروا به في كتابهم ، و(عسى) وعد من الله أن يكشف عنهم و(عسى) من الله واجبة ﴿رَبُّكُمۡ أَن يَرۡحَمَكُمۡۚ﴾

---

(١) تفسير القرآن للسمعاني ١٥٢/٤ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٩٣/١٨ .

(٣) الصحاح ٢٤٢٦/٦ .

(٤) جامع البيان ٤٤/١٥، وانظر أيضاً: الجواهر الحسان للثعالبي ٣/ ٤٥٤.

بعد انتقامه منكم ، وكذلك كان فكثّر عددهم وجعل منهم الملوك ... »[١] .

وأما آية التحريم وهي قوله تعالى : ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرٗا مِّنكُنَّ﴾ [التحريم : ٥] ، فقد أجاب عنها بعض المفسرين بأن (عسى) فيها للوجوب ، ولكن الله عز وجل علقه بشرط وهو التطليق، ولم يطلقهن ، وقيل هذا وعد من الله تعالى لرسول الله ﷺ لو طلقهن في الدنيا أن يزوجه في الدنيا نساءً خيراً منهن ، والله سبحانه وتعالى كان عالماً بأنه كان لا يطلقهن ولكن أخبر عن قدرته على أنه إن طلقهن أبدله خيراً منهن تخويفاً لهن كقوله تعالى : ﴿وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ [محمد :٣٨] [٢] . وهذا اختيار أبي الليث السمرقندي [٣] .

وقال البغوي في قوله تعالى : ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ﴾ : «أي وجب من الله إن طلقكن رسوله أن يبدله أزواجاً خيراً منكن ...»[٤] .

قال ابن عرفة في رده على أبي حيان في استثناء هذه الآية من وجوب (عسى) فيها ما نصه : « بل هي للتحقيق لما تقدم من أن القضية الشرطية تقتضي صحة ملزومية الجزاء للشرط ، ولا تقتضي الثبوت والوقوع ، والقضية الحملية تقتضي الثبوت والوقوع أو بعض الوقوع في الآية باعتبار المتكلم بهذا الشرط ، والرجاء واقع من الله تعالى » [٥] .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٢٢٤/١٠ .

(٢) انظر : المصدر السابق ١٩٣/١٨ .

(٣) بحر العلوم للسمرقندي ٤٤٦/٣ .

(٤) معالم التنزيل ٣٦٦/٤ .

(٥) تفسير ابن عرفة ٦١٧/٢، وابن عرفة هو : محمد بن محمد بن عرفة الورغمي ، يكنى بأبي عبدالله فقيه أصولي وعالم بالتفسير والقراءات ، وهو من أئمة علماء المالكية في تونس ، وله تصانيف كثيرة منها: تفسيره ، المنسوب إليه ، والمبسوط في الفقه ، والهداية الكافية وغيرها ، وتوفي في سنة ٨٠٣هـ في المدينة المنورة ، ودفن بالبقيع. انظر : الديباج المذهب للبعمري المالكي ٣٣٧/١-٣٤٠، والأعلام ٤٣/٧ .

وأما استثناء القاضي مجير الدين العليمي قوله تعالى : ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ﴾ [محمد : ٢٢] من القاعدة أن كل (عسى) من الله تعالى في القرآن فهي واجبة، فيجاب عنه بأن دخول الاستفهام على عسى في هذه الآية يدل على أنها فعل خبري لا إنشائي، والمشهور أن (عسى) إنشاء لأنه ترج [١] ، ولذلك قال الرازي : « وهذا الاستفهام للتقرير المؤكد » [٢] .

أي : أن هذا الأمر الذي جاء الاستفهام عنه متقرر ومتأكد عند هؤلاء الذين من صفاتهم الإفساد في الأرض وقطيعة الرحم .

قال الراغب الأصفهاني: « وكثير من المفسرين فسروا لعل وعسى في القرآن باللازم وقالوا إن الطمع والرجاء لا يصح من الله ، وفي هذا منهم قصور نظر ، وذاك أن الله تعالى إذا ذكر ذلك يذكره ليكون الإنسان منه راجيا لا لأن يكون هو تعالى يرجو » [٣].

قلت : إن الترجي والطمع يكون على وجه التوقع والظن إذا كان قائله ممن لا يعلم بعواقب الأمور وغاياتها، وأما من علم عواقب الأمور قبل فعلها ووقوعها، وعلم ما كان وما يكون، ومالم يكن لو كان كيف يكون؛ فإن الرجاء منه إخبار على وجه الحقيقة لا على وجه الظن، ويستحيل أن يكون ذلك لغير الله تعالى؛ إلا أن يكون معصوماً كالأنبياء والرسل – عليهم الصلاة والسلام – فإنهم يبلغون عن الله عز وجل ولا ينطقون عن الهوى، والرجاء منهم واقع على وجه التبشير للناس، وإحسان الظن بالله جل وعلا، ومن المتقرر عقلاً وشرعاً أن الله تعالى غني عن عباده لا يرجو منهم شيئاً، بل هم مفتقرون إلى أن يرجوا بره وإحسانه، وهذا الرجاء الصادر منه سبحانه وتعالى، هو على سبيل التطميع والتبشير لعباده، لتكون نفوسهم متعلقة به، راجية له.

---

(١) انظر : البحر المحيط لأبي حيان ٢٦٤/٢ .

(٢) مفاتيح الغيب ٥٥/٢٨ .

(٣) المفردات في غريب القرآن ٣٣٥/١.

ومعنى قولهم : « عسى من الله في القرآن واجبة » أي : أنها متحققة الوقـوع لا محالة ، وفي نظري أن التعبير بعدم الوجوب أولى ، بأن يقال : « وعسى من الله في القرآن متحققة الوقوع أو هي وعد منجز » ؛ لأن إطلاق لفظ الوجوب علـى الله تعال لا دليل عليه، لا من الكتاب ولا من السنة ، وقد أشار النسفي في تفسيره إلى هذا المعنى عند قوله تعالى: ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام :١٢][١].

وأما "عسى" إذا كانت مضافة إلى الرسول أو إلى النبي في القرآن الكريم؛ فهـي تأخذ حكم "عسى" إذا كانت مضافة إلى الله عز وجل، قال ابن حبان: «عسى من الله واجِب و أرجو من النبِي حق »[٢]، وقال الحافظ ابن حجر : « قال العلمـاء: الرجاء من الله ومن نبيه واقع »[٣]، وأشار إلى ذلك الزرقاني في شرحه لموطأ الإمام مالك.[٤] ، وقد نظرت في معظم كتب السنة فتتبعت "عسى" الصادرة من نبينـا محمد - عليه الصلاة والسلام – على وجه الرجاء ؛ فوجدتها متحققة .

وجاءت "عسى" مضافة إلى الرسول أو النبي في خمسة مواضع من القرآن الكريم:

الأول: قوله تعالى إخباراً عن قول نبي بني إسرائيل لقومه: ﴿قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟﴾[البقرة :٢٤٦] .

الثاني: قوله تعالى إخباراً عن قول نبيه موسى – عليه السلام – مرجياً ومبـشراً

---

(١) انظر : تفسير مدارك التنزيل للنسفي ٣١٥/١.

(٢) صحيح ابن حبان ٨ / ٢٠٧.

(٣) فتح الباري ٢٩/٧.

(٤) شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك ٦٨/٣، والزرقاني هو: محمد بن عبد البـاقي بـن يوسـف الزرقاني المصري الأزهري المالكي، ولد سنة: ١٠٥٥هـ بالقاهرة، يكنى بأبي عبد الله، من علمـاء المالكية وخاتمة المحدثين بالديار المصرية، له تصانيف عديدة منها: تلخيص المقاصد الحسنة، وشـرح البيقونية، وشرح المواهب اللدنية، وشرحه لموطأ مالك، وغيرها، وتوفي بالقاهرة سنة: ١١٢٢هـ ـ انظر: الأعلام ١٨٤/٦.

قومه بالنصر على عدوهم: ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾[الأعراف:١٢٩] .

قال الألوسي:« وفيه إدماج معنى من عادى أولياء الله تعالى فقد بارزه بالمحاربة وحق له الدمار والخسار وعسى في مثله قطع في إنجاز الموعود والفوز بالمطلوب »[١].

الثالث: قوله تعالى إخباراً عن قول نبيه يعقوب – عليه السلام – راجياً ربه عز وجل أن يأتي بأبنائه إليه: ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف:٨٣] . وقد حقّق الله عز وجل له ذلك الرجاء.

الرابع: قوله تعالى إخباراً عن رجاء خليله إبراهيم – عليه السلام – في حال الدعاء،﴿وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾[مريم:٤٨] .

قال ابن كثير: « وعسى هذه موجبة لا محالة، فإنه – عليه السلام – سيد الأنبياء بعد محمد صلى الله عليه وسلم »[٢].

الخامس : قوله تعالى إخباراً عن رجاء نبيه موسى – عليه السلام – في النجاة من كيد فرعون وقومه،﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [القصص: ٢٢]، وقد تحقق له ما كان يرجوه .

ثانياً : (لعل) :

قال شهاب الدين ابن الهائم : « (لعل) توقع تكون للترجي في المحبوب ، وللإشفاق في المكروه ، ولا يستعمل إلا في الممكن»[٣] .

---

(١) روح المعاني ٣٠/٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم ١٢٥/٣.

(٣) التبيان في تفسير غريب القرآن لابن الهائم ٦٥/١ . وابن الهائم هو : أحمد بن عماد بن علي المصري، ولد سنة ٧٥٣هـ بالقاهرة ، واشتغل بتحصيل العلم ، ومهر في علم الفرائض والحساب ، بالإضافة إلى العلوم الأخرى ، وتولى التدريس بالقدس وكلامه مؤثر في قلوب الناس ، وله مصنفات

وقال السيوطي : « و (لعل) حرف ينصب الاسم ويرفع الخبر ، وله معان:

الأول : (التوقع) وهو الترجي في المحبوب نحو: ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [البقرة : ١٨٩]، و(الإشفاق) في المكروه نحو : ﴿لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ [الشورى: ١٧] .

الثاني : التعليل ، وخرج عليه ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾[طه:٤٤].

الثالث : الاستفهام ، وخرج عليه : ﴿لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ [الطلاق : ١] [١] .

الرابع: من معانيها أن تكون بمعنى (التعرض للشيء) كأنه يقول : افعلوا ذلك متعرضين لأن تعقلوا كما في قوله : ﴿لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف : ٢] أو لأن تذكروا كما في قوله : ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل : ٩٠] ، أو لأن تتقوا كما في قوله : ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة : ٢١] [٢] .

والخامس : بمعنى (كي) كما في قوله تعالى : ﴿لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف : ٢] وقد اختار هذا المعنى كثير من المفسرين كالبغوي [٣] ، والقرطبي[٤] والنسفي[٥] وأبي السعود[٦] وغيرهم .

والسادس : بمعنى (النهي) كقوله تعالى : ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ﴾

منها : تفسير غريب القرآن ، والعجالة في استحقاق الفقهاء أيام البطالة ، وغيرها . توفي بالقدس سنة ٨١٥هـ . انظر طبقات الشافعية لابن شهبة ١٨/٤ .

(١) الإتقان في علوم القرآن ٢٣٢/٢-٢٣٣ . وانظر: حروف المعاني لأبي القاسم الزجاجي ٣٠/١ .

(٢) وإلى هذا أشار القرطبي في تفسيره ٢٢٧/١ .

(٣) معالم التنزيل ٤٠٨/٢ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن ١١٩/٩ .

(٥) مدارك التنزيل ١٧٧/٢ .

(٦) إرشاد العقل السليم ٢٥٠/٤ .

[الكهف: ٦] وحكى هذا المعنى أبوعبدالرحمن السلمي في تفسيره[١]، وابن عطيـة[٢]، والرازي[٣] ، ورجحه الشنقيطي [٤] .

والسابع : بمعنى (التشبيه) كما في قولـه تعـالى : ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ [الشعراء : ١٢٩] أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم بإسنادهما عـن ابـن عباس – رضي الله عنهما – في قوله ﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ قال: «كأنكم تخلدون»[٥] وجمهور المفسرين على هذا المعنى في هذه الآية .

الثامن : بمعنى (عسى) كقوله تعالى إخباراً عن قول فرعـون : ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ﴾ [غافر : ٣٦] أي : عسى أبلغ ، وقد ذكر هذا المعنى ابن فارس [٦] والثعلبي [٧] .

وقد ذُكرت (لعل) في القرآن الكريم في نحو مائة وثلاثين موضعاً معظمها مضافة ومسندة إلى الله تعالى .

وكثير من العلماء يرى أن (لعل) مثل (عسى) إذا كانت مـسندة إلى الله فهـي واجبة، وهذا القول مروي عن عون بـن عبـدالله[٨]، و أبي بكـر الـوراق[١] ،

---

(١) حقائق التفسير ٤٠١/١ .

(٢) المحرر الوجيز ٤٩٦/٣ .

(٣) مفاتيح الغيب ٦٧/٢١ .

(٤) أضواء البيان ٢٠١/٣ .

(٥) جامع البيان ٩٦/١٩، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٢٧٩٥/٩، وذكره البخاري معلقـاً في كتاب التفسير باب (٢٦) تفسير سورة الشعراء ، وجزم به في صحيحه .

(٦) انظر : الصاحبي في فقه اللغة لابن فارس ١٢٤/١. وابن فارس هو : أحمد بن فارس بـن زكريـا الرازي ، يكنى بأبي الحسين ، أحد الأعلام الكبار في الفقه الشافعي ، وفي اللغة والتفسير ، وله كتب كثيرة من أشهرها : جامع التأويل في تفسير القرآن ، والمجمل في اللغة ، ومعجم مقـاييس اللغـة ، وغيرها . وتوفي سنة : ٣٩٥هـ . انظر : طبقات المفسرين للسيوطي ٢٦/١-٢٨ .

(٧) انظر: الكشف والبيان للثعلبي ١٨/٢ .

(٨) انظر : تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ١٠٨/١ . وعون بن عبدالله هو : عون بن عبدالله بـن

والليث بن سعد[٢] ، وابن أبي زمنين[٣]، وابن بطال [٤] ، والثعلبي[٥]، وابن الأثير[٦] ، وابن القيم[٧] ، والزركشي[٨] ، والعيني[٩]، والمناوي[١٠]، والكفوي[١١] ، ومحمد بن عبدالوهاب [١٢] وغيرهم .

وقد ذكر أبوالفضائل أحمد بن المختار الرازي في كتابه « حجج القرآن » ثلاث آيات فيها إشكال على القول بأن لعل إذا كانت من الله فهي واجبة .

الآية الأولى : قوله تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ ﴾ [هود : ١٢].

عتبة بن مسعود الهذلي ، تابع ثقة ، سمع من أبي هريرة ، وأدرك ابن أبي أوفى وأبا جحيفة وروى عنه المسعودي ، و مسعر بن كدام . انظر : الثقات لابن حبان ٢٦٣/٥ .

(١) انظر : معالم التنزيل للبغوي ٢١٩/٣ ، وأبوبكر الوراق هو : محمد بن عمر ، ويعرف بالحكيم ، وأصله من ترمذ ، اشتهر بالزهد والتصوف ، وله كتب مشهورة في التصوف والآداب ، وله إسناد بالحديث عن موسى بن حزام الترمذي. انظر: صفوة الصفوة ١٦٦/٤، وحلية الأولياء ٣٥/١٠.

(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٩/١ . والليث بن سعد هو : الليث بن سعد الفهمي ، مولى فهم بن قيس بن غيلان ، ويكنى بأبي الحارث ، ولد سنة ٩٤هـ ، وكان أحد الأئمة الكبار في الفقه والورع والزهد ، وكان مضرب المثل في الكرم والجود والسخاء في زمانه ، وتوفي سنة ١٧٥هـ . انظر : مشاهير الأمصار لابن حبان ١٩١/١.

(٣) تفسير القرآن العزيز لابن زمنين ١٢٩/٢ .

(٤) شرح ابن بطال على صحيح البخاري ٤٢٢/٣.

(٥) الكشف والبيان للثعلبي ٨٨/٥ .

(٦) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٢٥٥/٤ .

(٧) إعلام الموقعين لابن القيم ١٣٠/٤ .

(٨) البرهان في علوم القرآن ١٨٣/١ .

(٩) عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني ٣١/١٩ .

(١٠) التعاريف للمناوي ٦٢١/١ .

(١١) الكليات للكفوي ص٦٣٥ .

(١٢) مبحث الاجتهاد والخلاف لمحمد بن عبدالوهاب ١٤/١ .

الآية الثانية : قوله تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ ﴾ [الكهف: ٦] .

الآية الثالثة: قوله تعالى: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴾ [طه: ٤٤][1].

وقد أُجيب عن الآية الأولى بأن معنى التوقع في (لعل) راجع إلى الكفار ، والمعنى: أنك بلغ بك الجهد في تبليغهم ما أُوحي إليك أنهم يتوقعون منك ترك التبليغ لبعضه، وهناك أجوبة أخرى على هذه الآية ، ولكن ما ذُكر هو الأقرب عندي.

وأجيب عن الآية الثانية أن (لعل) بمعنى النهي ، ومن الأدلة على أن المراد بها النهي عن ذلك كثرة ورود النهي صريحاً عنه في القرآن الكريم كقوله تعالى : ﴿فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ ﴾ [فاطر : ٨] .

وقوله تعالى : ﴿وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ ﴾ [الحجر : ٨٨] ، وقوله تعالى : ﴿فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [المائدة : ٦٨] إلى غير ذلك من الآيات في هذا المعنى [2] .

وأجيب عن الآية الثالثة أن الرجاء في (لعل) يتعلق بموسى وهارون ، قال ابن أبي زمنين : « والمعنى : اذهبا به رجائكما وطمعكما ، وقد علم الله عز وجل أنه لا يتذكر ولا يخشى»[3] . وجمهور المفسرين على هذا المعنى في هذه الآية .

قال القشيري : والمعنى في قوله ﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾ : « أي كُونا على رجاء أن يؤمن ولم يخبرهما أنه لا يؤمن لئلا تتداخلهما فترةٌ في تبليغ الرسالة ، علماً منه بأنه لا يؤمن ولا يقبل»[4] .

---

(١) انظر : حجج القرآن لأبي الفضائل الرازي ٨٣/١ .

(٢) انظر : أضواء البيان ٢٠١/٣-٢٠٢ .

(٣) تفسير القرآن العزيز ١١٦/٣ .

(٤) لطائف الإشارات للقشيري ٢٦٣/٢ . والقشيري هو : عبدالكريم بن هوازن بن عبدالملك القشيري النيسابوري ، يكنى بأبي القاسم ، ولد سنة ٣٧٦هـ ، زاهد صوفي ، اشتغل بتحصيل العلم ، فكان إماماً قدوة لأهل عصره ، وكان واعظاً بليغاً مؤثراً . وله تفسير كبير اسمه : التيسير في علم التفسير، وله كتب في التصوف وأعمال القلوب ، و توفي سنة ٤٦٥هـ . انظر: طبقات المفسرين للسيوطي

قلت : وقول القشيري عندي له وجه من الصواب ، وهذا من حكمة الله عز وجل بعباده أن أخفى عنهم أمور الغيب ، وذلك أن الإنسان إذا يئس من أمر ما وأيقن بعدم حصوله وتحققه ؛ فإنه يعرض عنه بالكلية ، ولما قال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن علموا علم اليقين بأن مصيرهم قد فُرغ منه بتقدير الله تعالى وكتابته قبل أن يخلقوا بخمسين ألف سنة [1] قالوا : يا رسول الله فلم نعمل؟ أفلا نتكل ؟ فأرشدهم عليه الصلاة والسلام بقوله : « اعملوا فكل ميسر لما خلق له ، ثم قرأ ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦﴾ إلى قوله : ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل : ٥-١٠] [2] .

وقال الثعلبي : « فإن قيل : كيف قال : لعله يتذكر أو يخشى وعلمه سابق في فرعون أنه لا يتذكر ولا يخشى ؟ قال الحسين بن الفضيل[3] : هو مصروف إلى غير فرعون ، ومجازه : لكي يتذكر متذكر أو يخشى خاش إذا رأى بري وإلطافي بمن خلقته ورزقته وصححت جسمه وأنعمت عليه ثم ادعى الربوبية دوني، وقال أبوبكر محمد بن عمر الوراق : (لعل) هاهنا من الله واجب ، ولقد تذكر فرعون حيث لم ينفعه الذكرى والخشية ، وذلك حين ألجمه الغرق في البحر ، قال تعالى مخبراً عن قول فرعون عندما ألجمه الغرق : ﴿قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس : ٩٠] فقال تعالى : ﴿آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ

ص٧٣- ٧٤، وطبقات المفسرين للأدنروي ١٢٧/١.

(١) أخرجه مسلم (٢٦٥٣) .

(٢) أخرجه البخاري (١٢٩٦) ، ومسلم (٢٦٤٧) .

(٣) هو الحسين بن الفضل بن عمير البجلي ، إمام في التفسير والحديث واللغة ، ولد قبل سنة ١٨٠هـ ، وسمع من يزيد بن هارون وإسماعيل بن أبان وغيرهم ، وكان كثير العبادة والزهد ، وتوفي سنة ٢٨٢هـ وقد بلغ من العمر مائة وأربع سنين . ا نظر سير أعلام النبلاء ٤١٤/١٣.

قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ [يونس : ٩١] »[١] .

قلت : والذي يترجح لي في (لعل) أنها تأخذ حكم (عسى) إذا أُضيفت إلى الله تعالى، فتفيد التحقق والوقوع على وجه اليقين، وهذا هو اللائق بالله عز وجـل، والعلم بتحقق وقوعها قد يخفى على قوم دون آخرين، وقد يتحقق في زمـن دون غيره من الأزمان، فالقرآن الكريم خطاب للناس كـافة، وهو معجزة الله عز وجل والرسالة الخالدة إلى قيام الساعة، ولذلك يقول الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - : « إذا سمعت الله يقول: يا أيها الذين آمنوا فأصغ لها سمعك، فإنها خير تؤمر به أو شر تصرف عنه »[٢]وهذا يعم جميع المؤمنين من غير اسـتثناء مصرٍ أوعرقٍ أو زمن.

* * *

(١) انظر : الكشف والبيان للثعلبي ٢٤٥/٦ ، وانظر : معالم التنزيل للبغوي ٢١٩/٣ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٠١/١١.

(٢) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٨٤٨).

المبحث الخامس : أساليب الأمر بالرجاء

من أساليب الأمر بالرجاء في القرآن الكريم ما يلي :

١- **فعل الأمر الصريح** ، وقد جاء في آية واحدة من كتاب الله تعالى على لسان نبيه شعيب – عليه السلام – قال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾[العنكبوت: ٣٦].

وقد اختلف المفسرون في قوله : ﴿وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ﴾ فمنهم من فسر الرجاء في هذه الآية بالخشية أو الخوف ، كأبي الليث السمرقندي [١] ، وأبي المظفر السمعاني[٢] ، والبغوي[٣] ، وابن كثير[٤] ، وغيرهم .

ومنهم من جعل الرجاء في هذه الآية على بابه .

قال ابن جرير في قوله : ﴿وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ﴾ : « وارجوا بعبادتكم إياي جزاء اليوم الآخر وذلك يوم القيامة »[٥] .

وقال الزمخشري : « أي وافعلوا ما ترجون به العاقبة فأقيم المسبب مقام السبب، أو أمروا بالرجاء والمراد : اشترط ما يسوغه من الإيمان ، كما يؤمر الكافر بالشرعيات على إرادة الشرط »[٦] .

---

(١) بحر العلوم للسمرقندي ٦٣٢/٢ .

(٢) تفسير القرآن للسمعاني ١٨٠/٤ .

(٣) معالم التنزيل ٤٦٧/٣ .

(٤) تفسير القرآن العظيم ٤١٣/٣ .

(٥) جامع البيان ١٤٩/٢٠ .

(٦) الكشاف للزمخشري ٤٥٧/٣ .

ومال إلى هذا القول ابن عطية[١] ، واختاره البيـضاوي[٢] ، و النـسفي [٣] ، والبقاعي[٤] وغيرهم .

قلت : والذي يظهر لي في هذه الآية أن الرجاء على بابه ، حيـث أن نـبي الله شعيب – عليه السلام – أمرهم بعبادة الله تعالى وتوحيـده أولاً ، ثم رغّبـهم في الثواب والأجر المترتب على ذلك في يوم القيامة وهو الفوز بدخول الجنات والنجاة من النيران .

٢- ومن أساليب الأمر بالرجاء ، ذكر أهله في معرض الثناء والمدح وغيرهم في معرض الإنكار والـذم . قـال تعـالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة : ٢١٨] .

أخرج ابن جرير بإسناده عن قتادة قال : « أثنى الله على أصحاب نبيه محمد ﷺ أحسن الثنـاء فقـال : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ هؤلاء أخيار هذه الأمة ثم جعلهم الله أهل رجاء كما تسمعون ، وأنه من رجا طلب ومن خاف هرب»[٥] .

ففي هذه الآية الكريمة رتب الله عز وجل على استحقاق الوصف بالرجاء أسباباً ثلاثة ، وهي الإيمان وما يشتمل على وجه العموم ، والهجرة بعمومها ، والجهاد في سبيل الله بعمومه ، ومن ثم مدحهم الله تعالى وأثنى عليهم بأنهم من أهل الرجـاء، وشهادة الله عز وجل لهم بذلك لا تعدلها أي شهادة ، وشرفهم بذلك لا يوازيه أي شرف .

---

(١) المحرر الوجيز ٣١٦/٤ .

(٢) أنوار التنـزيل للبيضاوي ٣١٦/٤ .

(٣) مدارك التنزيل للنسفي ٢٥٨/٣ .

(٤) نظم الدرر للبقاعي ٥٥٨/٥ .

(٥) جامع البيان ٣٥٦/٢ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣٨٨/٣ عن الربيع بن أنس .

فعلم من خلال هذه الآية الكريمة أن الرجاء لابد له من أسباب تعين على تحققه والوصول إليه .

قال تعالى : ﴿إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ [النساء : ١٠٤] ففي هذه الآية الكريمة بشارة من الله عز وجل لعباده المؤمنين ، وثناء ومدح لهم بكونهم من أهل الرجاء ، وفيها أيضاً تسلية لقلوبهم ، وتعبيراً لهم مما أصابهم من ألم الجراح في الحرب .

قال ابن عطية في هذه الآية : «وهذا تشجيع لنفوس المؤمنين وتحقير لأمر الكفرة... ثم تأكد التشجيع بقوله تعالى : ﴿وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ وهذا برهان بين بحسبه أن تقوى نفوس المؤمنين ... » [(١)] .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴾ [فاطر : ٢٩] .

قال ابن جرير : « وكان مطرف بن عبدالله[(٢)] يقول : هذه آية القُراء »[(٣)] .

وفي هذه الآية الكريمة أوصاف جليلة لأهل الرجاء فمنها الإكثار من تلاوة القرآن والتعبير بالفعل المضارع (يتلون) يفيد الاستمرار في هذا العمل ، ومن صفاتهم إقامة الصلاة والمحافظة عليها بشروطها وأركانها وواجباتها ، ومن صفاتهم الإنفاق في السر والعلن ، ففي الإنفاق في السر يتحقق الإخلاص ، وفي العلانية يتحقق الاقتداء بهم ، وبعد هذه الصفات الجميلة والأعمال الجليلة أخبر سبحانه وتعالى عنهم بأنهم من أهل الرجاء ، وفي هذا الإخبار ثناء ومدح لهم ، وتعريض

---

(١) المحرر الوجيز ١٠٨/٢ .

(٢) هو مطرف بن عبدالله بن الشخير تابعي ثقة ولد في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو من عباد أهل البصرة وزهادهم ، ومناقبه كثيرة ، مات في إمارة الحجاج بعد الطاعون الذي كان سنة ٨٧هـ . انظر : الإصابة لابن حجر ٢٦١/٦ .

(٣) جامع البيان ١٣٢/٢٢ .

بالاقتداء بهم ، قال الشوكاني : « والإخبار برجائهم لثواب ما عملوا بمنزلة الوعد بحصول مرجوهم»[١] .

قال تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ﴾ [الزمر : ٩] .

وفي هذه الآية الكريمة وصف عظيم لأهل الرجاء بكثرة تهجدهم وصلاتهم بالليل سجداً وقياماً ، يرجون رحمة الله تعالى ويخشون عذابه .

فهم مع كثرة عبادتهم لله عز وجل لم يصبهم الغرور والعجب ، بل هم على حال الرجاء في رحمة الله ولطفه بعباده وعلى حال الخشية من عدم قبول أعمالهم أن يكون فيها شيء من التقصير أو الإخلال .

ومن خلال الآيات السابقة يتضح أن وصف الرجاء لا يتحقق إلا بعد فعل الأسباب الموصلة إليه ، ولذلك لم يصف الله عز وجل أحداً بالرجاء إلا بعد أن يذكر شيئاً من أعماله الصالحة .

قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [يونس : ٧-٨] .

ففي هذه الآية الكريمة يذكر الله عز وجل صفات أهل الشقاء فكان من أول صفاتهم انعدام الرجاء في الشوق إلى لقاء الله تعالى والفوز بجنته ودار كرامته ، ولذلك ترتب على هذا الانعدام صفات سيئة أخرى ، مثل الرضى والقناعة بالدنيا والركون إليها ، وجعلها غاية الأمل ، ومبلغ العلم ، وإيثار الأدنى الخسيس على الأعلى النفيس ، مما يترتب عليه حصول الغفلة عن الله تعالى وعن آياته ، ولذلك كان مصيرهم إلى النار بسبب أعمالهم السيئة وصفاتهم الذميمة .

قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ

---

(١) فتح القدير ٣٤٨/٤ .

بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ﴾ [يونس : ١٥] وفي هذه الآية الكريمة يبين الله عز وجل أثر انعدام الرجاء في حصول التعنت والتكذيب ورد الحق .

قال الفخر الرازي : «وصفهم بأنهم لا يرجون لقاء الله أُريد به كونهم مكـذبين بالحشر والنشر ، منكرين للبعث والقيامة، قال الأصم: ﴿لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ﴾ أي: لا يرجون في لقائنا خيراً على طاعة ، فهم من السيئات أبعد أن يخافوها ... »[١] .

وقال تعالى : ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴾ [الفرقان : ٢١] .

وفي هذه الآية الكريمة يظهر أثر انعدام الرجاء في قلوب الكفار مـن الـسخرية والاستكبار والتهكم بالأنبياء والمرسلين ، وذلك بطلب أن ينـزل الله عز وجـل عليهم الملائكة بالوحي من عنده ، أو أن يروا الله تعالى عياناً ، مع أن الحجة قائمة عليهم ، بإرسال هذا الرسول الأمين – عليه الصلاة والسلام – وإنزال هذا الكتاب المبين، وقد عجزوا أن يأتوا بسورة من مثله فضلاً أن يأتوا بمثله كله ، فكل هـذه آيات ومعجزات لمن تدبرها ونظر فيها بعين البصيرة والاعتبار ، ولذلك أخـبر الله عز وجل عن حقيقة هذه المطالب من هؤلاء الكفار الذين انعدم الرجاء في قلوبهم، فقال سبحانه : ﴿لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴾ وأخبر أن رؤيتـهم للملائكة علامة شر لهم فقـال جـل شـأنه : ﴿ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾ [الفرقان : ٢٢] .

قال ابن عطية : « فإذا نفي الرجاء عن أحد فإنما أخبر عنه أنه مكذب بالبعث ، لنفي الخوف والرجاء ، وفي ذكر الكفار بنفي الرجاء تنبيه على غبطة ما فاتهم من رجاء الله تعالى »[٢] .

---

(١) مفاتيح الغيب ٤٥/١٧ .

(٢) المحرر الوجيز ٢٠٥/٤ .

والحاصل أن ذكر الرجاء وأهله في القرآن الكريم في معرض المدح والثناء؛ فيه الأمر به والترغيب في تحصيله ، والاقتداء بأهله ، وفي ذكر من انعدم الرجاء في قلوبهم في معرض الذم لهم ؛ فيه التحذير من فعلهم ، والنهي عن مشابهتهم ، فدل ذلك أنه ينبغي على العبد أن يحذر من أسباب ضعف الرجاء ، ويسعى حثيثاً في تحقيق عبودية الرجاء لربه عز وجل .

٣- ومن أساليب الأمر بالرجاء؛ النهي عن ضد الرجاء كاليأس والقنوط من رحمة الله عز وجل.

قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾[الزمر: ٥٣] ففي هذه الآية الكريمة نهي عن ضد الرجاء وهو القنوط من رحمة الله ، وهذا يستلزم الأمر بالرجاء في رحمة الله تعالى ؛ لأن النهي عن الشيء أمر بضده .

قال الفخر الرازي : « نهاهم عن القنوط فيكون هذا أمراً بالرجاء، والكريم إذا أمر بالرجاء فلا يليق به إلا الكرم » (١) .

وقال أبوحيان : « والنهي عن القنوط يقتضي الأمر بالرجاء » (٢) .

ومثله قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[يوسف: ٨٧].

* * *

(١) مفاتيح الغيب ٥/٢٧.

(٢) البحر المحيط لأبي حيان ٤١٦/٧ .

المبحث السادس : أقسام الرجاء

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الرجاء الصادق وعلاماته :

إن الرجاء الصادق هو الذي يبنى على أساس متين من التقوى والرضوان ، وإحسان الظن بالكريم الرحمن ، فيكون باعثاً إلى المسارعة لفعل الخيرات واجتناب المنكرات .

ولذلك لم يذكر الرجاء الصادق في القرآن الكريم إلا ويكون مقروناً بفعل الأعمال الصالحة ، فالرجاء الصادق هو الذي يقود صاحبه إلى الطمع في رحمة الله ومغفرته وجوده وكرمه وإحسانه ، ولا يتحقق ذلك إلا بفعل أسبابه من الأعمال الصالحة.

قال الغزالي : « الرجاء يورث طول المجاهدة بالأعمال ، والمواظبة على الطاعات كيفما تقلبت الأحوال ، ومن آثاره التلذذ بدوام الإقبال على الله تعالى ، والتنعم بمناجاته والتلطف في التملق له ، فإن هذه الأحوال لابد وأن تظهر على كل من يرجو ملكاً من الملوك أو شخصاً من الأشخاص ، فكيف لا يظهر ذلك في حق الله تعالى !؟ » [(١)] .

والرجاء الصادق يقوم على أركان ثلاثة هي : المحبة لما يرجوه ، والخشية من فواته ، وبذل الجهد والسعي في تحصيله ؛ لأن كل عبادة لله عز وجل لا تقوم إلا على هذه الأركان الثلاثة .

والرجاء من أعظم العبادات لله تعالى ، فالمؤمن بحق يرجو أن يدخله الله عز وجل الجنة ، ويخشى من الله عز وجل أن يحرمه منها ، وهو مع ذلك يجتهد في بذل الوسع والطاقة في تحصيل محبوبه ، بالأعمال الصالحة التي تكون سبباً في دخول الجنة والنجاة من النار .

---

(١) إحياء علوم الدين ٤/ ١٤٤ .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « اعلم أن محركات القلوب إلى الله عز وجل ثلاثة: المحبة ، والخوف ، والرجاء ، وأقواها المحبة، وهي مقصودة تراد لذاتها ، لأنها تراد في الدنيا والآخرة بخلاف الخوف فإنه يزول في الآخرة قال الله تعالى : ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس :٦٢] والخوف المقصود منه الزجر والمنع من الخروج عن الطريق ، فالمحبة تلقي العبد في السير إلى محبوبه ، وعلى قدر ضعفها وقوتها يكون سيره إليه ، والخوف يمنعه أن يخرج عن طريق المحبوب ، والرجاء يقوده ، فهذا أصل عظيم يجب على كل عبد أن يتنبه له ، فإنه لا يحصل له العبودية بدونه ، وكل أحد يجب أن يكون عبداً لله لا لغيره»[١] .

وقال البيهقي : « وأفضل الرجاء ما تولّد من مجاهدة النفس ، ومجانبة الهوى ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [البقرة : ٢١٨] »[٢] .

إذا تقرر هذا علم أن الرجاء الحقيقي الصادق الذي ينفع صاحبه هو ما كان العمل الصالح فيه علامة شاهدة على صحته وصدقه ، وبذلك يكون صاحبه محموداً بسلوكه والتمسك به .

قال أبوعبدالله المحاسبي : « ومن علامة صدق الرجاء شدة الطلب ، والجد والاجتهاد ليدرك ما رجا »[٣] .

وقال شاه الكرماني : « وعلامة صحة الرجاء حسن الطاعة »[٤] .

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٩٥/١ .

(٢) شعب الإيمان ١٥/٣ .

(٣) أدب النفوس لأبي عبدالله المحاسبي ١٥١/١ .

(٤) مدارج السالكين لابن القيم ٣٦/٢ . وشاه الكرماني هو : شاه بن شجاع أبوالفوارس ، من كبار أهل الزهد والتصوف ، وله كتاب في الحكمة سماه (مرآة الحكماء) ، وتوفي قبل سنة ٣٠٠هـ . انظر : طبقات الصوفية ص١٥٦ لأبي عبدالرحمن الأزدي .

المطلب الثاني : الرجاء الكاذب وعلاماته :

لما كان في الغالب أن لكل مسمى له من اسمه نصيب ، كان لصاحب الرجاء الكاذب نصيب من هذا الاسم ، حيث إن أعماله تكذّب قوله وادعاءه بإحسان الظن بربه ، فهو مغرور بستر الله عليه وإمهاله له .

قال سعيد بن جبير: «من الاغترار بالله المقام على الذنب ورجاء الغفران»[(١)] .

وقال الحسن : « إن قوماً ألهتهم المغفرة حتى خرجوا من الدنيا وليست لهم حسنة ، يقول: إني أحسن الظن بربي وكذب، لوأحسن الظن بربه لأحسن العمل، ثم تلا قوله تعالى : ﴿ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [فصلت : ٢٣] [(٢)] .

قال أبوطالب المكي : « فأما الرجاء الذي يتوهمه كثير من الناس من الإقامة في المعاصي والانهماك في الخطايا ، وهو يرجو المغفرة وينتظر الكرامة ، فليس هذا برجاء عند العلماء ؛ لأن الرجاء مقام اليقين ، وليس هذا وصف الموقنين ؛ لأن هذا اسمه : اغترار بالله ، وغفلة عن الله تعالى ، وجهل بأحكام الله تعالى ، وقد تهدد الله تعالى قوماً ظنوا مثل هذا ، وأصروا على حب الدنيا والرضا بها ، وتمنوا المغفرة على ذلك فسماهم الله خلفاً ، والخلف الردي من الناس ... فقال تعالى : ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا ﴾ [الأعراف : ١٦٩] » [(٣)] .

إن من علامة الرجاء الكاذب الجرأة على اقتراف المعاصي والذنوب مع إحسان الظن بعلام الغيوب ، وهذا في الحقيقة ليس إحسان ظن بالله تعالى ، بل هو إساءة الظن به عز وجل، وهذا الرجاء المزعوم إنما هو أماني كاذبة، وأحلام يقظة ،

---

(١) محاضرات الأدباء لأبي القاسم الأصفهاني ٤٢٣/٢ .

(٢) الوجل والتوثق بالعمل لابن أبي الدنيا ٢٨/١ .

(٣) قوت القلوب لأبي طالب المكي ٣٧٣/١ .

فإنه لا رجاء إلا بفعل الأسباب الشرعية ، وهذا أمر معلوم قد أجمع عليه أهل الفطر المستقيمة ، والعقول السليمة ، فإنه لا يرجو الولد من لم يتزوج ، ولا يرجو إنبات الأرض إلا من خدمها بالحراثة ونحوها ، وألقى البذر فيها ، وهكذا من كان يرجو من الله مغفرة الذنوب ، ودخول الجنان والنجاة من النيران ، فعليه بفعل الأسباب التي شرعها الله عز وجل لذلك ، فمن فعل تلك الأسباب فهو راجٍ لربه رجاء المنيب الذي يحسن الظن به ، و أما من لم يفعل الأسباب المشروعة لذلك، ورجى المسببات، وتمنى على الله الأماني؛ فهو كما قيل:

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها إن السفينة لا تجري على اليبس[1]

ومن أمثلة الرجاء الكاذب ما حكاه ابن الجوزي عن أبي عمرو بن العلاء[2] أنه قال : « بلغني أن الفرزدق جلس[3] إلى قوم يتذاكرون رحمة الله فكان أوسعهم في الرجاء صدراً فقالوا له : لم تقذف المحصنات ؟ فقال : أخبروني لو أذنبت إلى والدي ما أذنبته إلى ربي عز وجل أتراهما كانا يطيبان نفساً أن يقذفاني في تنور مملوءٍ جمراً ؟ قالوا : لا ، إنما يرحمانك ، قال : فإني أوثق برحمة ربي منهما ! فقال ابن الجوزي معلقاً على هذا الكلام : « وهذا هو الجهل المحض ؛ لأن رحمة الله عز وجل ليست برقة طبع ، ولو كانت كذلك ما ذُبح عصفور ، ولا أُميت طفل ،

---

(١) المشهور أن نسبة هذا البيت لأبي العتاهية الشاعر المشهور بالوعظ والزهد ، وقد أنشده من جملة أبيات يعظ بها هارون الرشيد . انظر : روضة العقلاء لابن حبان ١٨٥/١ والأغاني لأبي الفرج الأصبهاني ١١٢/٤ وزهرة الآداب لأبي إسحاق القيرواني٢٠٦/٢ ، ولكني لم أجده في ديوانه المطبوع، وقد وجدته منسوباً إلى الشافعي وعبد الله بن المبارك في ديوانهما، انظر: ديوان الشافعي ص٥٧ وديوان ابن المبارك ص٩.

(٢) أبوعمرو بن العلاء هو : زبان أو العريان أو يحيى بن عمار المازني والراجح هو الأول ، وهو من كبار علماء أهل اللغة، ومن المقرئين ، وثقه ابن حجر وغيره ، ولد سنة ٧٠هـ ، وتوفي سنة ١٥٤هـ . انظر : معرفة القراء الكبار للذهبي ١٠٠/١، وتقريب التهذيب ٦٦٠/١ .

(٣) الفرزدق هو الشاعر المشهور من بني تميم ، يكنى بأبي فراس واسمه : همام بن غالب ، له مرويات في الحديث عن ابن عمرو وأبي هريرة ، وقد ضعفه ابن حبان فقال : يجب مجانبة روايته، ومات سنة ١١٠هـ . انظر : المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين لابن حبان ٢٠٤/٢.

ولا أُدخل أحد إلى جهنم ... »[١] .

ولله در أبي الحسن التهامي إذ يقول :

وإذا رجوت المستحيل فإنما تبني الرجاء على شفير هار [٢]

ويضرب ابن القيم مثالاً يوضح فيه حقيقة الرجاء الصادق والرجاء الكاذب فيقول : « ... فمثله – أي صاحب الرجاء الصادق – مثل رجل خطب امرأة كريمة في منصب وشرف إلى أهلها ، فلما آن وقت العقد واجتماع الأشراف والأكابر ، وإتيان الرجل إلى الحضور؛ علم عشية ذلك اليوم ليتأهب الحضور فتراه المرأة وأكابر الناس، فأخذ في التأهب والتزيين والتجميل، فأخذ من فضول شعره وتنظّف وتطيب ، ولبس أجمل ثيابه وأتى تلك الدار متقياً في طريقه كل وسخ ودنس ، فلما وصل إلى الباب رحب به ربها ومكّن له في صدر الدار على الفرش والوسائد ، ورمقته العيون ، وقُصد بالكرامة من كل ناحية ، فلو أنه ذهب بعد أخذه هذه الزينة فجلس في المزابل وتمّرغ عليها وتمّعك بها ، وتلطخ في بدنه وثيابه بما عليها من عذرة وقذر ، ودخل ذلك في شعره وبشره وثيابه ، فجاء على ذلك الحال إلى تلك الدار وقصد دخولها للوعد الذي سبق له ، لقام إليه البواب بالضرب والطرد ، والصياح عليه والإبعاد له من بابها وطريقها ، فرجع متحيزاً خاسئاً ، فالأول حال الراجي ، وهذا حال المتمني ... » [٣] .

وصور الرجاء الكاذب وأمثلته كثيرة ، وهو من تلبيس الشيطان على الناس كما قال تعالى : ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [النساء : ١٢٠]

---

(١) تلبيس إبليس لابن الجوزي ٤٧٠/١ .

(٢) انظر : الثبات عند الممات لابن الجوزي٢٦/١، وأبو الحسن التهامي هو: علي بن محمد بن فهد ، شاعر معروف من أهل اليمن، له ديوان مشهور باسمه، وذاع صيته بعد رثائه لابنه في قصيدة يقول في أولها :

حكم المنية في البرية جاري ما هذه الدار بدار قرار

وتوفي مقتولاً في سجنه بالقاهره سنة: ٤١٦هـ، انظر: الوافي بالوفيات ٧٤/٢٢-٧٥.

(٣) الروح ٢٤٥/١-٢٤٦ .

فيعدهم بالمغفرة والرحمة ودخول الجنة مع كثرة معاصيهم وإصرارهم عليها ، ويلبس عليهم أن ذلك من باب إحسان الظن بالله تعالى .

والمقصود أن كل رجاء لا يبعث على فعل الخيرات وترك المنكرات؛ فإنما هو غرور وأمانيّ كاذبة في صورة رجاء كاذب ؛ لأن من علامة صدق الرجاء كما سبق ذكره ، فعل الطاعة وترك المعصية مع حسن الظن بالله تعالى .

* * *

الفصل الثاني
أنواع الرجاء في القرآن الكريم

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول: الرجاء المأمور به

المبحث الثاني: الرجاء المذموم .

المبحث الثالث : الرجاء المباح .

المبحث الرابع : أرجى آية في القرآن الكريم .

المبحث الأول : الرجاء المأمور به

وفيه ثلاثة عشر مطلباً :

المطلب الأول : رجاء رحمة الله تعالى .

المطلب الثاني : رجاء الثواب والأجر من الله عز وجل .

المطلب الثالث : رجاء لقاء الله تعالى .

المطلب الرابع : رجاء اليوم الآخر .

المطلب الخامس : رجاء المغفرة .

المطلب السادس : رجاء النصر على الأعداء .

المطلب السابع : رجاء الهداية إلى الرشد .

المطلب الثامن : رجاء الفرج من الله في كشف الكروب.

المطلب التاسع : رجاء قبول الدعاء من الله عز وجل.

المطلب العاشر : رجاء حسن الخاتمة .

المطلب الحادي عشر : رجاء نعيم القبر.

المطلب الثاني عشر : رجاء النجاة من أهوال يوم القيامة .

المطلب الثالث عشر : رجاء دخول الجنة .

المبحث الأول : الرجاء المأمور به .

وفيه ثلاثة عشر مطلباً :

المطلب الأول : رجاء رحمة الله تعالى :

إن رجاء رحمة الله تعالى يشمل عموم ذلك في الدنيا والآخرة، فإن رحمة الله عز وجل لا حد لها ولا نهاية، وقد جاء ذكر الرجاء في رحمة الله تعالى في القرآن الكريم في أربعة مواضع :

الموضع الأول : قوله تعـالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [البقرة: ٢١٨] .

في هذه الآية الكريمة بيان لأعظم أسباب نيل رحمة الله تعالى ومغفرته وهي :

السبب الأول : الإيمان ، والمقصود به كل ما تحتويه هذه الكلمة مـن المعـاني الشرعية ، فتشمل الإيمان الاعتقادي والقولي والعملي .

السبب الثاني : الهجرة ، وهي شاملة لكل ما تحتوي عليه هذه الكلمة من معنى شرعي ، فيدخل في ذلك الهجرة من بلاد الشرك والكفـر إلى بـلاد الإسـلام ، ويدخل فيها أيضاً هجرة القلب إلى الله عز وجل بفعل الطاعات وترك المحرمات ، وهذه الهجرة هي الأصل ، وهجرة البدن تابعة لها .

السبب الثالث : الجهاد ، ويدخل فيه جميع ما تحتويه هذه الكلمة من المعـاني الشرعية ، فيدخل فيه جهاد الكفار في ساحة الحرب ، ويدخل فيه جهاد الـنفس والهوى والشيطان ، قال السمعاني : « الجهاد هو الصبر على الشدة ، ثم قد يكون الصبر على الشدة في الحرب على ما أمر به الشرع ، وقد يكون الصبر على الشدة في مخالفة النفس بأي معنى كان » [1] .

ويدخل فيه الجهاد بالقرآن وذلك بتبيينه للناس ودعوتهم إليه ، قال تعالى : ﴿فَلَا

(١) تفسير السمعاني ١٦٧/٤ .

تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ [الفرقان : ٥٢] ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « فأمره الله سبحانه وتعالى أن يجاهد الكفار بالقرآن جهاداً كبيراً ، وهذه السورة مكية نزلت بمكة قبل أن يهاجر النبي صلى الله عليه وسلم، وقبل أن يؤمر بالقتال ولم يؤذن له ، وإنما كان هذا الجهاد بالعلم والقلب والبيان والدعوة، لا بالقتال .... »[1] .

وقال ابن القيم : « ولهذا كان الجهاد نوعين : جهاد باليد واللسان ، وهذا المشارك فيه كثير ، والثاني : الجهاد بالحجة والبيان ، وهذا جهاد الخاصة من أتباع الرسل ، وهو جهاد الأئمة ، وهو أفضل الجهادين لعظيم منفعته ، وشدة مؤنته ، وكثرة أعدائه ... »[2] .

فهؤلاء الذين قاموا بهذه الأعمال الثلاثة الجليلة ، حقيق أن يكونوا هم الراجين لرحمة الله تعالى ومغفرته ، حيث أنهم فعلوا ما يكون سبباً لهم في نيل رحمة الله عز وجل ومغفرته ، فكان ذلك شاهد على صدق رجائهم في الله تعالى ، ولذلك ختم الله عز وجل هذه الآية الكريمة بهذين الاسمين العظيمين ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ مما يشعر بأن الله عز وجل قد حقّق لهم ما يرجونه .

الموضع الثاني : قال تعالى : ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ [الإسراء : ٢٨] .

في هذه الآية الكريمة إرشاد من الله عز وجل لنبيه – عليه الصلاة والسلام – ولكل من يصلح له الخطاب من عموم المسلمين إلى مكارم الأخلاق، وأدب الإسلام في المعاملة مع الناس، والضمير في قوله ﴿عَنْهُمُ﴾ عائد على من تقدم ذكرهم من أولي القربى والمساكين وابن السبيل ، فأمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم إذا سأله أحد منهم ولم يجد ما يعطيه من رزق الله فأعرض عنه؛ أن يرده رداً جميلاً فيه رفق

(١) منهاج السنة النبوية ٨٦/٨ .

(٢) مفتاح دار السعادة ٧٠/١ .

ولين، يرجو بذلك من الله سبحانه وتعالى أن يرزقه من فضله ليعطيهم منه.

ونظير هذا الأدب الكريم في قوله تعالى : ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى﴾ [البقرة : ٢٦٣] .

وعامة أهل التفسير على أن تفسير الرحمة في قوله تعالى: ﴿ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا﴾ بالرزق .

قال ابن عاشور : « وفيه إشارة إلى أن الرزق سبب للرحمة ؛ لأنه إذا أعطاه مستحقه أُثيب عليه »[1] .

قال الشيخ السعدي : « وهذا من لطف الله تعالى بالعباد ، أمرهم بانتظار الرحمة والرزق منه ؛ لأن انتظار ذلك عبادة ، وكذلك وعدهم بالصدقة والمعروف عند التيسر عبادة حاضرة ؛ لأن الهم بفعل الحسنة حسنة ، ولهذا ينبغي للإنسان أن يفعل ما يقدر عليه من الخير وينوي فعل ما لم يقدر عليه ؛ ليثاب على ذلك ، ولعل الله ييسر له بسبب رجائه »[2] .

قلت : وقد سبق الإشارة إلى أن الرجاء في رحمة الله عز وجل يشمل عموم ذلك في الدنيا والآخرة ، ومن ذلك حصول الرزق للعبد ، فإنه ناشئٌ عن رحمة الله سبحانه وتعالى .

الموضع الثالث : قال تعالى : ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ ﴾ [الإسراء :٥٦-٥٧] أخبر الله تعالى في هذه الآية الكريمة أن المعبودين الذين عبدهم الكفار من دونه هم ممن يتقربون إلى ربهم بفعل الطاعات وترك المحرمات ، راجين بذلك رحمة الله عز وجل ، والخشية من عذابه ، وهذا ثناء ومدح من الله تعالى عليهم بهذه

---

(١) التحرير والتنوير ٨٣/١٥ .

(٢) تيسير الكريم الرحمن ٤٥٧/١ .

الصفات العظيمة .

وفي ذلك تعريض للمؤمنين والكفار ، فأما بالنسبة للمؤمنين ففيه الحث على امتثال هذه الصفات الجليلة ، والاقتداء بأولئك القوم ، وأما بالنسبة للكفار ففيه إنكار عليهم زعمهم الباطل أن ما يعبدونه من دون الله تعالى ينفع أو يضر ، سواءً أكان ذلك في الدنيا أم في الآخرة ؛ لأنهم أي المعبودين لا يملكون نفعاً لأنفسهم ولا ضراً، وهم يطلبون الوسيلة إلى الله تعالى بالقرب منه، بامتثال أمره ، واجتناب نهيه، رجاءً في رحمته ، وخشية من عذابه ، فإذا كانت هذه حالهم مع أنفسهم ، فكيف يرفعون الضر أو يجلبون النفع لغيرهم !؟

قال شيخ الإسلام : « ورحمته سبحانه وتعالى : اسم جامع لكل خير ، وعذابه : اسم لكل شر ، ودار الرحمة الخالصة هي الجنة ، ودار العذاب الخالص هي النار»[1].

الموضع الرابع : قال تعالى : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر : ٩] .

في هذه الآية الكريمة وصف لحال أهل الخشية والرجاء ، فهم مع كثرة صلاتهم وتهجدهم لربهم عز وجل بالليل ما بين سجود وقيام، وتسبيح واستغفار؛ إلا أنهم على جانب عظيم من الخشية من الله تعالى ، حذراً من سخطه وأليم عقابه ، وعلى جانب عظيم من الرجاء في رحمة الله عز وجل ومغفرته ، وبذلك وصفهم الله عز وجل بأنهم من العلماء به .

قال أبوطالب المكي : « فسمى الله تعالى أهل الرجاء والحذر ، وأهل التهجد آناء الليل؛ علماء... »[2] .

قال ابن عاشور : « وإنما ينشأ الرجاء على وجود أسبابه ؛ لأن المرء لا يرجو إلا ما يظنه حاصلاً ، ولا يظن المرء أمراً إلا إذا لاحت له دلائله ولوازمه ... ، فالرجاء

---

(١) التحفة العراقية في الأعمال القلبية ٦٦/١ .

(٢) قوت القلوب لأبي طالب ٣٦٤/١ .

يتبع السعي لتحصيل المرجو ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾ [الإسراء : ١٩] فإنْ ترقب المرء المنفعة من غير أسبابها ، فذلك الترقب يسمى غروراً » [١] .

والحاصل أن الرجاء في رحمة الله تعالى لا يتحقق إلا مع بذل أسبابه بفعل الطاعات وترك المنكرات ، وأما الرجاء بدون ذلك فهو في الحقيقة سراب من الأماني الكاذبة ، واللهو الباطل .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : «فلابد من العمل المأمور به ، ولابد من رجاء رحمة الله وعفوه وفضله ، وشهود العبد لتقصيره ولفقره إلى فضل ربه وإحسانه إليه... » [٢] .

* * *

(١) التحرير والتنوير ٣٤٧/٢٣ .

(٢) جامع الرسائل لشيخ الإسلام ابن تيمية ١٥١/١.

المطلب الثاني : رجاء الثواب والأجر من الله تعالى

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ ﴾ [فاطر : ٢٩-٣٠] .

هذه الآية الكريمة من جملة الآيات التي تؤكد أهمية العمل الصالح في تحقيق الرجاء ، وأنه لا رجاء لثواب الله تعالى إلا بالأعمال الصادقة .

ومن الأعمال الصالحة التي ذُكرت في هذه الآية تلاوة القرآن الكريم ، وهو من أعظم التجارة مع الله عز وجل . لمن يرجو ثوابه ومغفرته ، والنصوص في فضل ذلك كثيرة جداً ، فمنها ما أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن بريدة بن الحصيب – رضي الله عنه – أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « **وإن القرآن يلقى صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب ، فيقول: هل تعرفني؟ فيقول : ما أعرفك ، فيقول : أنا صاحبك القرآن الذي أظمأتك في الهواجر ، وأسهرت ليلك ، وإن كل تاجر من وراء تجارته ، وإنك اليوم من وراء كل تجارة ، فيعطى المُلك بيمينه ، و الخُلد بشماله ، ويوضع على رأسه تاج الوقار، ويكسى والداه حلتين لا يقوم لهما أهل الدنيا ، فيقولان : بم كُسينا هذا؟ فيقال لهما: بأخذ ولدكما القرآن ، ثم يقال له : اقرأ واصعد في درج الجنة وغرفها ، فهو في صعود ما دام يقرأ هذّاً كان أو ترتيلاً** »[1] .

ومن صفات هؤلاء الراجين لثواب الله عز وجل إقامة الصلاة بشروطها وأركانها وواجباتها ، والإنفاق في سبل الخير في السر وهو أدعى للإخلاص ، وفي العلانية وهو أدعى للاقتداء ، وحالهم في ذلك كلهم يرجون من الله تجارة لن تبور ، أي :

---

(١) « حسن » : أخرجه أحمد في مسنده (٢٣٠٠٠) ، والدارمي (٣٣٩١) ، والطبراني في الأوسط (٥٧٦٤) ، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٠٠٢٥) ، وحسن إسناده الحافظ ابن كثير في تفسيره ٣٤/١ ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٨٢٩) .

لن تخسر ولن تكسد ، لأنها ليست كسائر التجارات الدائرة بين الربح والخسارة ، بل الخسران منها معدوم .

قال الشيخ السعدي في تفسيره : « وهذا فيه الإخلاص بأعمالهم ، وأنهم لا يرجون بها من المقاصد السيئة، والنيات الفاسدة شيئاً ، وذكر أنهم حصل لهم ما رجوه ، فقال : ﴿ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ ﴾ »[1] .

وهكذا تكون حال المؤمن الصادق في رجائه ، فإنه لا يقدم على أي عمل صالح إلا ويرجو ثوابه من الله تعالى ، وهذا من كمال الإخلاص لله عز وجل ، وأما أصحاب الرياء فإنهم لا يرجون بأعمالهم إلا المدح والثناء من الناس .

وفي الآية رد على بعض أصحاب العقائد الضالة القائلين : نعبد الله تعالى لا رجاءً في ثوابه وجنته ، ولا خشية من عذابه ونقمته ، وإنما حباً له وشوقاً.

وهذا القول ينافي ما أمر الله به عباده في القرآن الكريم ، فقال سبحانه : ﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴾ [الزمر: ١٦] ، وينافي أيضاً ما عليه رسل الله – عليهم السلام - من الخشية والخوف من عذاب الله تعالى ، كما أخبر الله عنهم في كتابه الكريم بقوله : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ﴾ [الأنبياء : ٩٠] ، وأخبر عن نبينا محمد – عليه الصلاة والسلام – أنه قال لقومه : ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [يونس : ١٥] فإذا كان هذا حال خير الخليقة عند الله عز وجل الذي غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؛ فكيف تكون حال من هم دونه من أرباب المعاصي والذنوب !؟

والحاصل أنه يجب على المؤمن أن يرجو بأعماله الصالحة ما عند الله عز وجل من الأجر العظيم والثواب الجزيل لمن أطاعه واتقاه ، وعصى شيطانه ونفسه وهواه ، وهذا كله من لوازم محبة الله عز وجل ، قال ابن القيم : « الرجاء يطرح العبد على

---

(١) تيسير الكريم المنان ص٦٨٩ .

عتبة المحبة ، ويلقيه في دهليزها [١] ، فإنه كلما اشتد رجاؤه وحصل له ما يرجوه ، ازداد حباً لله تعالى ، وشكراً له ، ورضي به وعنه » [٢] .

❊ ❊ ❊

(١) الدهليز بالكسر : ما بين الباب والدار ، وهو فارسي معرب . انظر : لسان العرب مادة (دهلز) .

(٢) مدارج السالكين ٥٠/٢ .

المطلب الثالث : رجاء لقاء الله تعالى

لما كان المؤمن الصادق يوقن بلقاء الله تعالى وأنه راجع إليه ، كانت الأعمال الصالحة خفيفة على نفسه ، غير ثقيلة ؛ بخلاف الجاحد أو المرتاب الذي عنده شك في ذلك ، فإن الأعمال الصالحة تكون ثقيلة على نفسه وكبيرة عليها .

قال تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [البقرة : ٤٥-٤٦] .

قال ابن جرير : « وإنما أخبر الله جل ثناؤه أن الصلاة كبيرة إلا على من هذه صفته ؛ لأن من كان غير موقن بمعاد ، ولا مصدق بمرجع ولا ثواب ولا عقاب ، فالصلاة عنده عناء وضلال ، لأنه لا يرجو بإقامتها إدراك نفع ولا دفع ضر ، وحق لمن كانت هذه الصفة صفته أن تكون الصلاة عليه كبيرة ، وإقامتها عليه ثقيلة ، وله فادحة ، وإنما خفت على المؤمنين المصدقين بلقاء الله الراجين عليها جزيل ثوابه، الخائفين بتضييعها أليم عقابه ، لما يرجون بإقامتها في معادهم من الوصول إلى ما وعد الله عليها أهلها ، ولما يحذرون بتضييعها ما أوعد مضيعها » [1] .

والمقصود أن من أيقن بلقاء الله تعالى وعلم أنه صائر إليه ، وواقف بين يديه ، فإن فعله للطاعات وتركه للمنكرات يكون سهلاً وخفيفاً على نفسه ، وهو بذلك يكون قد بذل أسباب تحقق الرجاء في لقاء الله تعالى ؛ لأنه يعلم أن ما عند الله خير وأبقى ، فهو مشتاق لملاقاة ربه عز وجل ، وقد أشار الله تعالى في كتابه العزيز إلى ذلك فقال : ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف : ١١٠] .

قال الشنقيطي : « قوله : ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ يشمل كونه يأمل ثوابه ورؤية وجهه الكريم يوم القيامة ، وكونه يخشى عقابه ، أي فمن كان راجياً من

---

(١) جامع البيان ٢٦٤/١-٢٦٥ .

ربه يوم يلقاه الثواب الجزيل والسلامة من الشر فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً » [١] .

ولما كان أكبر هم المؤمن مرضاة ربه عز وجل ، ولذته وراحته في طاعة مولاه جلّ شأنه ، كانت نفسه تتشوف وتشتاق إلى لقاء الكريم الرحمن ، فجاء التطمين من الرحيم الودود بقوله : ﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٍۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [العنكبوت : ٥] .

قال السعدي : « يعني : يا أيها المحب لربه المشتاق لقربه ولقائه ، المسارع لمرضاته ، أبشر بقرب لقاء الحبيب ، فإنه آت ، وكل ما هو آت قريب ، فتزود للقائه ، وسر نحوه ، مستصحباً الرجاء مؤملاً الوصول إليه ... » [٢] .

وهذه الآية الكريمة فيها تسلية لقلب المؤمن الراجي لقاء ربه تعالى ، بأن يصبر على ما يلاقيه من المصائب والمتاعب في سبيل مرضاة ربه عز وجل ، وأن يجاهد نفسه على ذلك حتى يلقى ربه سبحانه وتعالى وهو راضٍ عنه ، ومحباً للقائه غير كاره له .

فعن عبادة بن الصامت – رضي الله عنه – عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: « **من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه** » قالت عائشة – رضي الله عنها – أو بعض أزواجه – رضي الله عنهن - : إنا لنكره الموت، قال : « **ليس ذاك ، ولكن المؤمن إذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته ، فليس شيء أحب إليه مما أمامه فأحب لقاء الله وأحب اللهُ لقاءه ، وإن الكافر إذا حضر بشر بعذاب الله وعقوبته ، فليس شيءٌ أكره إليه مما أمامه فكره لقاء الله وكره الله لقاءه** » [٣] .

إذا تقرر هذا علم أن الأعمال الصالحة هي من أسباب رجاء المؤمن في لقاء ربه

---

(١) أضواء البيان ٣٥٦/٣ .

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص٦٢٦ .

(٣) أخرجه البخاري (٦١٤٢) ، ومسلم (٢٦٨٣) .

عز وجل ، ومن هذا الباب قوله - عليه الصلاة والسلام - : « **للصائم فرحتان يفرحهما ، إذا أفطر فرح ، وإذا لقي ربه فرح بصومه** »[١] .

ففرحه عند فطره بما وفقه الله عز وجل وأعانه على إتمام عبادة الصوم ، وفرحه عند لقاء ربه تعالى لما يرى من جزيل ثوابه وعظيم كرمه وإحسانه .

ولما كان الرجاء في لقاء الله تعالى من خير ما يسأله العبد من ربه عز وجل؛ كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يسأل الله تعالى قائلاً : « **اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء ، وبرد العيش بعد الموت ، ولذة النظر إلى وجهك ، والشوق إلى لقائك** »[٢] .

والشاهد من هذا الحديث قوله : « **والشوق إلى لقائك** » .

قال ابن القيم : « والشوق أثر من آثار المحبة وحكْم من أحكامها »[٣] .

فإذا تحقق الشوق إلى لقاء الله تعالى في قلب العبد المؤمن؛ هانت عليه الدنيا بزخرفها وزينتها ، ورخصت في عينه ؛ لأنه مشغول الفكر والبال بلقاء محبوبه الأعظم سبحانه وتعالى .

ومن أعظم أسباب محبة العبد للقاء الله تعالى تحقيق الإيمان لله عز وجل ، والشهادة لنبيه محمد – صلى الله عليه وسلم – بالرسالة ، وهي إفراده بالمتابعة والاقتداء ، فمن حقق هذين الأصلين ، فقد أتى على جميع أصول الدين وفروعه ، ولذلك دعا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لمن حقق ذلك بتحبيب لقاء الله تعالى إليه، فقال : « **اللهم من آمن بك ، وشهد أني رسولك فحبب إليه لقاءك ،**

---

(١) أخرجه البخاري (١٨٠٥) ، ومسلم (١١٥١) .

(٢) « صحيح » : أخرجه أحمد في مسنده (١٨٣٥١) ، والنسائي في المجتبى (١٣٠٥) ، وابن حبان (١٩٧١) ، والطبراني في الكبير (٨٢٥) ، وفي الأوسط (٦٠٩١) ، والحاكم في مستدركه (١٩٢٣) ، وصححه ووافقه الذهبي ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٣٠١) ، وظلال الجنة (٤٢٥) ، وصفة الصلاة (١٦٥) .

(٣) مدارج السالكين ٥٢/٣ .

وسهل عليه قضاءك ، وأقلل له من الدنيا »[١] . وبالمقابل لما انعدم الإيمان في قلوب الكفار والمشركين وأشربت نفوسهم بالتكذيب، كان لقاء الله تعالى بالنسبة إليهم من أبغض الأمور ، ولذلك كره الله عز وجل لقاءهم ، وأصبح وصفهم في القرآن الكريم بأنهم لا يرجون لقاء الله تعالى كالعلم عليهم على وجه الخصوص.

* * *

(١) « صحيح » : أخرجه ابن حبان في صحيحه (٢٠٨) وصححه ، وحسن إسناده الشيخ شعيب الأرناؤوط في تحقيقه لصحيح ابن حبان ٤٣٨/١، وأخرجه الطبراني في الكبير (٨٠٨)،وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٣٣٨) .

المطلب الرابع : رجاء اليوم الآخر

إن رجاء المؤمن في اليوم الآخر مع فعل أسباب النجاة من أهوال ذلك اليوم ، لهو من أعظم علامات صدق الرجاء .

وقد جاء الأمر برجاء اليوم الآخر على لسان نبي الله شعيب – عليه السلام – قال تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ [العنكبوت : ٣٦] فأمرهم أولاً بإفراد الله عز وجل بالعبادة وعدم الإشراك به .

ثم أرشدهم إلى الرجاء في اليوم الآخر ، قال الزمخشري : « قوله : ﴿وَٱرْجُوا۟ ﴾ أي: افعلوا ما ترجون به العاقبة » (١) .

ومن المعلوم أن قوم شعيب – عليه السلام – كانوا ينقصون في الكيل والوزن عند البيع ، ويبخسون أموال الناس ، وكانوا يقطعون الطريق ويسلبون الأموال ، فكان هذا دليلاً على شغفهم بحب الدنيا والبقاء فيها لجمع الأموال من شتى الطرق، ولذلك رغّبهم نبي الله شعيب – عليه السلام – بالرجاء في اليوم الآخر ، وهو كفيل بتحويلهم عما كانوا يرجونه في هذه الحياة الدنيا من المكاسب المحرمة إلى الثواب الجزيل والأجر الكريم في ذلك اليوم العظيم .

والرجاء في اليوم الآخر يشمل ما يكون فيه من الثواب والجزاء على أعمال بني آدم وغيرهم ، وتخصيصه بالذكر في القرآن الكريم من باب إطلاق اسم المحل على الحال .

وإن من علامة صدق الرجاء في اليوم الآخر المسارعة إلى الأعمال الصالحة؛ لأن كل من يرجو ما عند الله عز وجل من الخير والثواب، فسوف يقوم ببذل الأسباب، كان الصحابة – رضي الله عنهم – يحذّر بعضهم بعضاً من الرجاء بدون عمل ، فقد جاء من وصايا علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – أنه قال

---

(١) الكشاف ٤٥٧/٣ .

لابن عباس – رضي الله عنهما - : « ولا تكن ممن يرجو الآخرة بغير عمل ، ويؤخر التوبة بطول الأمل، فكأنّ قد نزل بك الأجل »[١] .

ومن الآيات الكريمة التي ربط الله عز وجل فيها صدق النية والرجاء في طلب الآخرة بالإيمان والعمل الصالح قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾ [الإسراء : ١٩] فذكر الله تعالى في هذه الآية ثلاثة شروط لتحقق الرجاء في الآخرة بنيل الثواب وقبول العمل بالشكر عليه .

فالشرط الأول : الإرادة الصادقة في رجاء الآخرة ، ولا يكون ذلك إلا بإقبال القلب على الله عز وجل ، والتوكل عليه ، وتفويض الأمور عليه ، والالتفات عن النظر في زخارف الدنيا وزينتها الفانية إلى نعيم الآخرة ولذتها الباقية .

الشرط الثاني : بذل الأسباب في تحقيق المراد ، وهو السعي في المسارعة إلى الأعمال الصالحة التي تكون سبباً في نيل الثواب والنعيم في الآخرة .

قال ابن القيم : « فالراجي على الحقيقة لما صارت الجنة نصب عينه ورجائه وأمله ، امتد إليها قلبه وسعى لها سعياً ... »[٢] .

الشرط الثالث : تحقيق الإيمان ، وهذا الشرط هو الأصل في كل عمل ؛ لأن الأعمال الصالحة متوقفة عليه في الصحة والقبول ، وكذلك صدق الإيمان متوقف على الأعمال الصالحة ، فليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي ، ولكنه ما وقر في القلوب ، وصدقته الأعمال.

فإذا حقق العبد هذه الشروط الثلاثة استحق وصف الله تعالى بأن سعيه كان مشكوراً ، وهذا الوصف يقتضي مغفرة الذنوب وقبول الأعمال والفوز بالرضوان ودخول الجنان .

والحاصل أن المؤمن الصادق في رجائه لليوم الآخر ، حريص كل الحرص على

---

(١) أدب الدنيا والدين للماوردي (١٢٣/١) .

(٢) الروح لابن القيم (٢٤٦/١) .

كل عمل صالح يكون سبباً في تحقيق رجائه في ذلك اليوم العظيم ، ومن ذلك كظم الغيظ الذي لو شاء صاحبه أن يمضيه لأمضاه ، ولكنه كظمه وأخفاه ، ابتغاء وجه ربه عز وجل .

فقد جاء الخبر عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « **ومن كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه أمضاه ؛ ملأ الله قلبه رجاءً يوم القيامة** »[1] .

إن وجود الرجاء في قلب المؤمن في ذلك اليوم العظيم وما فيه من الأهوال والشدائد؛ لهو من أعظم علامات فوزه وفلاحه في الآخرة، وفي هذا الحديث يظهر أثر الرجاء في سلوك المسلم ومعاملته مع الناس .

فهكذا تكون حال المؤمن الصادق في رجاء اليوم الآخر ، فإن الله عز وجل بمنه وكرمه يحقق له ما كان يرجوه في ذلك اليوم من الثواب العظيم والنعيم المقيم ؛ لأنه يعمل بطاعة الله تعالى على نور من ربه يرجو بذلك ثوابه ، ويجتنب معصيته على نور من ربه، يخشى عقابه ، فحقيق بمن هذا دأبه ، وهذا سمته ، أن يكون من عباد الله المتقين الراجين لثوابه ، والخاشين من عقابه .

* * *

(١) « حسن » : أخرجه الطبراني في الكبير (١٣٦٤٦) ، وفي الصغير (٨٦١) ، وحسنه الألباني بشواهده في السلسلة الصحيحة (٩٠٦) .

المطلب الخامس : رجاء المغـفرة

لما كان عامة الخلق مذنبين، ولا يخلو أحد من الذنب، كان المؤمن الصادق يرجو من ربه تعالى مغفرة الذنوب وستر العيوب.

ومن الأدلة على ذلك ما جاء في الحديث القدسي : أن الله عز وجل يقول : « **يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار ، وأنا أغفر الذنوب جميعـاً ، فاسـتغفروني أغفر لكم** »[١]، وقوله صلى الله عليه وسلم: « **والذي نفْسِي بيده لـو** لم **تـذْنِبوا لَذَهب الله بِكُم ولَجاءَ بِقَومٍ يذْنِبونَ فَيستغفرونَ الله فَيغفر لهم** »[٢]، وقوله أيضاً عليه الصلاة والسلام: «**كل** بني **آدم خطّاء وخير الخطّائين التوابون**»[٣].

ولا يتحقق رجاء العبد من ربه عز وجل بمغفرة الذنوب إلا بفعل أسباب المغفرة، ومن أعظم أسباب المغفرة أن العبد إذا أذنب ذنباً لم يرج مغفرته من غير ربه تعالى، ويعلم علم اليقين أنه لا يغفر الذنوب إلا هو سبحانه وتعالى ، فعن أبي هريـرة – رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يحكي عن ربه عز وجل قال : «**أذنب عبد ذنباً فقال : اللهم اغفر** لي ذنبي **، فقال تبارك وتعالى : أذنب عبدي ذنباً فعلم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب ،** ثم **عاد فأذنب ، فقـال : أي رب اغفر** لي ذنبي **، فقال تبارك وتعالى : عبدي أذنب ذنباً فعلم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب ،** ثم **عاد فأذنب ، فقال : أي رب اغفر** لي ذنبي **، فقـال تبارك وتعالى : أذنب عبدي ذنباً فعلم أن له رباً يغفر ويأخذ بالذنب ، اعمل ما شئت فقد غفرت لك** »[٤] .

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٧) .

(٢) المصدر السابق (٢٧٤٩).

(٣) « حسن » : أخرجه أحمد (١٣٠٧٢) ، والترمذي (٥٤٩٩) ، وابن ماجه (٤٢٥) ، والـدارمي (٢٧٢٧) ، والحاكم (٧٦١٧) ، وصححه ووافقه الذهبي ، وحسنه الألباني في صـحيح الجـامع (٤٥١٥) ، وفي المشكاة (٢٣٤١) ، وفي صحيح الترغيب والترهيب (٣١٣٩) .

(٤) أخرجه البخاري (٧٥٠٧) ، ومسلم (٢٧٥٨) .

ففي هذا الحديث العظيم بيان لفضل التوبة والاعتراف بالذنب مع رجاء المغفرة وطلبها ، قال الحافظ المنذري : « معناه والله أعلم أنه ما دام كلما أذنب ذنباً استغفر وتاب منه ولم يعد إليه ، بدليل قوله : « ثم أصاب ذنباً آخر » فليعمل إذا كان هذا دأبه ما شاء ، لأنه كلما أذنب كانت توبته واستغفاره كفارة لذنبه فلا يضره ، لا أن المعنى أنه يذنب فيستغفر منه بلسانه من غير إقلاع ثم يعاوده ، فإن هذه توبة الكذّابين»[١] .

وقد وعد الله عز وجل من دعاه ورجا مغفرته بأن يغفر له ، ففي الحديث القدسي أن الله عز وجل يقول : « **يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالي**»[٢] .

ولما كان رجاء المغفرة من الله عز وجل من أعلى المطالب وأغلاها ؛ كان أنبياء الله – عليهم الصلاة والسلام – يسألون الله تعالى إياها ، فها هو خليل الله إبراهيم – عليه السلام – يخبر الله عز وجل عن رجائه في المغفرة من ذنوبه وخطاياه فيقول : ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴾ [الشعراء : ٨٢] فلما أيقن أنه لا يغفر الذنوب إلا الله علق رجاءه وطمعه بمغفرة ربه عز وجل .

قال العز بن عبد السلام : «الطمع في الغفران وسيلة إلى السعي في أسبابه»[٣].

إن المؤمن الصادق في رجاء مغفرة ربه عز وجل ؛ ليجتهد كل الجهد في تحقيق أسباب المغفرة ؛ لأنه يوقن أن الرجاء في مغفرة الذنوب من غير بذل الأسباب يكون رجاءً كاذباً .

وأسباب مغفرة الذنوب كثيرة جداً في الكتاب والسنة ، وليس هذا محل بسطها ،

---

(١) الترغيب والترهيب للمنذري ٤٧/٤ .

(٢) « حسن » : أخرجه أحمد (٢١٥١٠) ، والترمذي (٣٥٤٠) ، والدارمي (٢٧٨٨) ، والطبراني في الكبير (١٣٣٤٦) ، وفي الأوسط (٥٤٨٣)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٢٧) ، وفي صحيح الترغيب والترهيب (١٦١٦) .

(٣) شجرة المعارف للعز بن عبدالسلام ص٨٥ .

وإنما المقصود هو الإشارة إلى فضل الرجاء في مغفرة الذنوب ، وتحقق المرجو والمطلوب .

ومن ذلك ما حكاه الله عز وجل في كتابه العزيز عن سحرة فرعون عندما سلك الله عز وجل الإيمان في قلوبهم ، وجعل فرعونُ الطاغية يتهددهم بالقتل والصلب في جذوع النخل ، فلم يبالوا بما توعدهم به هذا الطاغية ، بل أجابوه بلسان صادق، وقلب مؤمن واثـق ﴿فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ ﴾[طـه : ٧٢] أي: افعل ما تشاء بنا من أصناف العذاب والتنكيل ، فلن نرجع إلى ما كنا عليه من السحر والكفر بالله تعالى ، ثم علّقوا رجاءهم بربهم عز وجل بعد أن هداهم للإيمان أن يكرمهم بمغفرة ذنوبهم ، فقالوا: ﴿إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغۡفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكۡرَهۡتَنَا عَلَيۡهِ مِنَ ٱلسِّحۡرِۗ وَٱللَّهُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ﴾[طه : ٧٣] .

وفي موضع آخر من القرآن الكريم أنهم قالوا : ﴿ إِنَّا نَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الشعراء : ٥٠-٥١] .

هكذا يكون قلب المؤمن إذا باشره نور الهداية والإيمان ، فإنه يهون عليه كـل شيء حتى نفسه تكون رخيصة عليه في سبيل مرضاة ربه عـز وجـل ، فهـؤلاء السحرة لما دخل الإيمان في قلوبهم وأشرقت أنواره في صدورهم ، زالـت عنـهم حظوظهم الدنيوية ، وهانت عليهم أنفسهم الغالية ، في سـبيل الرجـاء لمغفـرة الذنوب ، من علام الغيوب . قال ابن عباس – رضي الله عنهما - : « كـانوا في أول النهار سحرة ، وفي آخر النهار شهداء »[1] .

ولقد كان صحابة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من أشد الناس حرصـاً على تحقيق أسباب مغفرة الذنوب ، فها هو أبو بكر الصديق – رضي الله عنه – لما أنزل الله عز وجل براءة عائشة – رضي الله عنها – من الإفك ؛ حلف أن لا ينفق على ابن بنت خالته الفقير مسطح بن أثاثة – رضي الله عنه – وكان ممن خاض مع الخائضين في حديث الإفك ، فأنزل الله عز وجل هذه الآية الكريمة ﴿ وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ

(١) جامع البيان ٢٤/٩ .

ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور: ٢٢] (١) .

قال ابن كثير : « وهذا في غاية الترفق والعطف على صلة الأرحام ، وهو من حلمه تعالى وكرمه ولطفه بخلقه مع ظلمهم لأنفسهم » (٢) .

وقال الزمخشري : « والمعنى : أن لا يحلفوا على أن لا يحسنوا إلى المستحقين للإحسان ... فليعودوا عليهم بالعفو والصفح ، وليفعلوا بهم مثل ما يرجون أن يفعل بهم ربهم » (٣) .

لذلك قال أبو بكر – رضي الله عنه – بعد نزول هذه الآية : « بلى والله إنا لنحب أن يغفر لنا ، وعاد أبو بكر لمسطح بما كان يصنع به من النفقة التي كان ينفق عليه ، وقال : والله لا أنزعها منه أبداً » (٤) .

وفي هذه القصة يظهر أثر الرجاء في مغفرة الذنوب على سلوك المؤمن الصادق، وذلك بالعفو والصفح عن إخوانه المسلمين ، والتجاوز عن زلاتهم ، والإنفاق على فقيرهم ، وكل ذلك في سبيل الرجاء من الغفور الرحيم أن يغفر ذنوبهم ويرحمهم .

ومن هذا الباب ما حكاه الله عز وجل في كتابه العزيز عن خبر الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك بدون عذر ، وهم كعب بن مالك ، ومرارة بن الربيع ، وهلال بن أمية – رضي الله عنهم - ، فلما قدم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من الغزو جاءه المتخلفون يعتذرون إليه بسبب تخلفهم عن غزوة تبوك ، فمنهم الصادق ومنهم الكاذب ، وأما هؤلاء الثلاثة فاعترفوا بذنبهم أمام رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وعلموا أنه لا ينجيهم مما وقعوا فيه إلا الصدق، رجاء

---

(١) انظر : جامع البيان ١٠٢/١٨ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ٢٧٧/٣ .

(٣) الكشاف ٢٢٦/٣ .

(٤) أخرجه البخاري (٤٤٧٣) ، ومسلم (٢٧٧٠) .

أن يتوب الله عليهم ويغفر لهم ذنوبهم ، ولذلك قال كعب بن مالك لرسول الله – صلى الله عليه وسلم - : «والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ، ترضى به عني ليوشكن الله أن يسخطك علي ، ولئن حدثتك حديث صدقٍ تجد علي فيه ، إني لأرجو فيه عفو الله ، والله ما كان لي من عذر ، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلّفت عنك ، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم : «**أما هذا فقد صدق ، فقم حتى يقضي الله فيك ...**»[1] .

وقصتهم مشهورة في كتب السنة ، والشاهد فيها أن هؤلاء الثلاثة – رضي الله عنهم – لما أيقنوا أنه لا ينجيهم إلا الصدق ، علّقوا رجاءهم بالله تعالى وعلموا أنه لا منجا ولا ملجأ منه إلا إليه سبحانه وتعالى ، فأنزل الله عز وجل توبتهم قرآناً يتلى إلى يوم القيامة ؛ تشريفاً لهم ، وتنويهاً بفضل صدقهم ، فقال سبحانه وتعالى : ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [التوبة : ١١٨] . ثم قال سبحانه آمراً بالاقتداء بهم : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [التوبة : ١١٩] .

قال ابن عاشور : « فهذه الآية بمنزلة التذييل للقصة ، فإن القصة مشتملة على ذكر قوم اتقوا الله فصدقوا في إيمانهم وجهادهم ، فرضي الله عنهم ، وذكر قوم كذبوا في ذلك واختلقوا المعاذير ، وحلفوا كذباً فغضب الله عليهم ، وقوم تخلفوا عن الجهاد وصدقوا في الاعتراف بعدم العذر فتاب الله عليهم ، فلما كان سبب فوز الفائزين في هذه الأحوال كلها هو الصدق، لا جرم أمر الله المؤمنين بتقواه ، وبأن يكونوا في زمرة الصادقين مثل أولئك الصادقين الذين تضمنتهم القصة»[2].

ويستفاد من هذه القصة أن الصدق في الحديث من أسباب تحقق الرجاء في عفو الله عز وجل ومغفرته ، وهذا مأخوذ من قول كعب بن مالك رضي الله عنه - : «ولئن حدثتك حديث صدق تجد علي فيه ، إني لأرجو فيه عفو الله » .

---

(١) أخرجه البخاري (٤١٥٦) ، ومسلم (٢٧٦٩) .

(٢) التحرير والتنوير ٥٤/١١ .

قال يحيى بن معاذ في مناجاته لربه عز وجل : « يكاد رجائي لك مع الـذنوب يغلب رجائي لك مع الأعمال ، لأني أجدني أعتمد في الأعمال على الإخـلاص ، وكيف أُصفيها وأحرزها وأنا بالآفات معروف ، وأجدني في الذنوب أعتمد علـى عفوك ، وكيف لا تغفرها وأنت بالجود موصوف!؟ »[1] .

❊ ❊ ❊

(١) انظر: الرسالة القشيرية ١٦٩/١ ، وإحياء علوم الدين ١٥٣/٤، ويحيى بن معاذ هو : يحيى بن معـاذ بن جعفر الرازي ، يكنى بأبي زكريا ، وهو من كبار الوعاظ ومن أهل الزهد والعبادة ، وله كلمات في الحكمة مشهورة، وتوفي بنيسابور سنة ٢٥٨هـ ، انظر : صفة الصفوة لابن الجوزي ٩٨/٤ .

المطلب السادس : رجاء النصر على الأعداء

إن رجاء النصر من الله تعالى على الأعداء مع الأخذ بالأسباب ؛ هو من أنـواع الرجاء المحمود الذي جاء الندب إليه في الكتاب والسنة .

قال تعـالى : ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ ﴾ [النساء : ١٠٤] .

ففي هذه الآية الكريمة يخاطب الله تعالى عباده المؤمنين بالحث على الجهاد والأمر به ، والنهي عن الضعف والوهن في طلب قتال العدو ، فـأخبر سـبحانه أن مـا أصابكم أيها المؤمنون من الألم والجراحات من جراء القتال ، قد أصاب عـدوكم مثله ، ولكنكم أيها المؤمنون الصادقون في إيمانكم ورجائكم ، تفْـضلون علـى الكفار بهذا الرجاء العظيم ،وهو رجاء النصر والتأييد من ربكم جلّ شـأنه علـى هؤلاء الكفار ، مع ما يدخر لكم في الآخرة من النعيم المقيم ، والثواب الجزيل.

وفي هذه الآية الكريمة تسليةٌ لقلوب المؤمنين ، وتثبيت لهم بالصبر على ما نـالهم من أذى الكفار ، وفيها أيضاً بشارة لهم بالنصر والتأييد على عـدوهم ، والفـوز بالأجر العظيم والثواب الجزيل .

قال ناصح الدين ابن الحنبلي في بيان معنى الآية : « ومعناه : التحـريض علـى القتال ، والتسلية لما أصاب من مكروه بالتساوي في الألم، والمزية لكم عليهم بمـا ترجون من ثواب الله تعالى ، فأنتم أولى بطلبهم ، وأحرى بالصبر على المكروه من جهتهم ... » [(١)] .

---

(١) استخراج الجدال في القرآن الكريم لابن الحنبلي ١٦/١، وابن الحنبلي هو : عبدالرحمن بن نجم بـن عبدالوهاب بن عبدالواحد الأنصاري الشيرازي الفقيه الواعظ ناصح الدين ، اشتغل بطلب العلم منذ صغره على يد والده ، ورحل إلى كثير من البلدان لطلب العلم ، واشتهر بـالوعظ وبـرع فيـه ، وانتهت إليه رئاسة المذهب بعد موت موفق الدين ، وله مصنفات عديدة ، وتوفي بدمـشق سـنة ٦٣٤هـ . انظر : المقصد الأرشد ١١٥/٢ لبرهان الدين بن مفلح .

قال الحافظ ابن كثير في معنى الآية : « أي أنتم وإياهم سواء فيما يصيبكم وإياهم من الجراح والآلام ، ولكن أنتم ترجون من الله المثوبة والنصر والتأييد كما وعدكم إياه في كتابه وعلى لسان رسوله – صلى الله عليه وسلم -، وهو وعد حق وخبر صدق ، وهم لا يرجون شيئاً من ذلك ، فأنتم أولى بالجهاد منهم وأشد رغبة فيه وفي إقامة كلمة الله وإعلائها » (١) .

ومما يقوي رجاء المؤمن في النصر من الله تعالى على الكفار ما أخبر الله به في كتابه العزيز عن الوعود الكريمة بنصر أوليائه وعباده المؤمنين، فمن ذلك قوله تعالى:

﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء : ١٤١] .

وقوله تعالى : ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم : ٤٧] .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ [غافر : ٥١] .

وغير ذلك من الآيات الكثيرة التي فيها معنى الوعد بالنصر والتأييد من الله عز وجل لعباده المؤمنين .

قال تعالى : ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ [النساء : ٨٤] .

ففي هذه الآية الكريمة وعد صدق وحق من الله عز وجل بكف كيد الذين كفروا وشدتهم على المؤمنين ، وقد سبق الكلام على أن (عسى) إذا كانت مضافة إلى الله تعالى فإنها تفيد تحقق وقوع ما ذُكر بعدها .

قال ابن عطية في الكلام على (عسى) في هذه الآية : « ففضل الله تعالى يوجب وجوبها ، وفي هذا وعد للمؤمنين بغلبتهم للكفرة ، ثم قوى بعد ذلك قلوبهم بأن عرفهم شدة بأس الله ، وأنه أقدر على الكفرة ، وأشد تنكيلاً لهم ، والتنكيل :

(١) تفسير القرآن العظيم ٥٥١/١ .

الأخذ بأنواع العذاب وترديده عليهم »[١] .

وقال أبو السعود في معنى الآية السابقة : « عدةٌ منه سبحانه وتعالى محققة الإنجاز بكف شدة الكفرة ومكرهم ، فإن ما صدر بِلَعل وعسى مقرر الوقوع من جهته عز وجل » [٢] .

إذا تقرر هذا فإن المؤمن الصادق في إيمانه يكون على رجاءٍ من الله عز وجل أن يحقق ما وعد به عباده المؤمنين بالنصر والظفر على الكفار ووقايتهم من مكائدهم وشرهم .

ومن الآيات في هذا المعنى قوله تعالى : ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ﴾ [المائدة : ٥٢] .

في هذه الآية الكريمة بشارة لأهل الإيمان بتحقق رجائهم بالنصر على أعداء الإسلام ، وهتك أستار المنافقين بفضحهم وكشف سريرتهم ، وخزي اليهود بالقتل أو بالسبي أو بالإجلاء .

قال أبوالسعود : « وقوله تعالى : ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ ﴾ رد من جهة الله تعالى لعللهم الباطلة ، وقطع أطماعهم الفارغة ، وتبشير المؤمنين بالظفر ، فإن عسى منه سبحانه وعد محتوم ، لما أن الكريم إذا أطمع أطعم لا محالة ، فما ظنك بأكرم الأكرمين »[٣]، وقد فعل الله عز وجل ذلك بمنه وكرمه، فأعلى كلمته، وأظهر دينه، ونصر عباده المؤمنين .

فمهما تحالف أهل الباطل على أهل الإيمان ، فإن أمرهم في سفال وعاقبته إلى زوال، وأمر أهل الإيمان في علو، وعاقبته إلى خير، وهذا من سنن الله تعالى الكونية .

قال الشوكاني : « وقوله تعالى : ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ ﴾ رد عليهم ودفع لما وقع لهم من الخشية ، و(عسى) في كلام الله وعد صادق لا يتخلف ، والفتح ظهور

---

(١) المحرر الوجيز ٨٦/٢ .

(٢) إرشاد العقل السليم ٨٦/٢ .

(٣) المصدر السابق ٤٩/٣.

النبي – صلى الله عليه وسلم – على الكافرين ، ومنه ما وقع من قتل مقاتلة بـني قريظة ، وسبي ذراريهم ، وإجلاء بني النضير ... والمراد بالأمر من عنده سـبحانه هو : كل ما تندفع به صولة اليهود ومن معهم، وتنكسر به شوكتهم ...»[1].

ومن الآيات في هذا المعنى ما أخبر الله به عن قول موسى – عليـه الـسلام – مرجياً لقومه بالنصر على فرعون وقومه والخلاص من شرهم ، قال تعالى : ﴿ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٢٩] .

في هذه الآية الكريمة بيان لسنة من سنن الله الكونية ، وهي أن الطغاة إذا أسرفوا في طغيانهم وظلمهم للناس ؛ كان ذلك علامة على قُرب هلاكهم وزوال ملكهم ، وهذا أمر معلوم بالاستقراء والتتبع في آيات القرآن الكريم ، وهو مما يعزز جانـب الرجاء في قلب العبد المؤمن ويقويه ، ويفتح له باب الترقب والطمع في نصر الله عز وجل لأوليائه المتقين على أعدائه الكافرين .

ولما كان المؤمن الصادق في رجائه بنصر الله عز وجل قد فاز بإحدى الفضيلتين إما عاجل غلبة ، أو كريم منقلب ؛ كان ذلك دافعاً له إلى الجهـاد في سـبيل الله وإعلاء كلمته ونصر دينه . وقد أرشد الله عز وجل عباده المؤمنين إلى إعلان هذه الحقيقة العظيمة أمام هؤلاء المنافقين الجبناء الذين يتربصون بالمؤمنين الدوائر ، فقال تعـالى: ﴿ قُلۡ هَلۡ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحۡدَى ٱلۡحُسۡنَيَيۡنِۖ وَنَحۡنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمۡ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٖ مِّنۡ عِندِهِۦٓ أَوۡ بِأَيۡدِينَاۖ فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴾ [التوبة : ٥٢] .

وجاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – أنه قال : قـال رسول الله – صلى الله عليه وسلم - : « **تكفّل الله لمن جاهد** في **سبيله لا يخرجه إلا الجهاد** في **سبيله ، وتصديق كلماته بأن يدخله الجنة أو يرجعه** إلى **مـسكنه**

(١) فتح القدير ٢/٥٠ .

الذي خرج منه مع ما نال من أجر أو غنيمة »[١] .

ولا يكون الرجاء في نصر الله تعالى صادقاً ومحموداً إلا ببذل الأسباب المشروعة ، وأسباب النصر كثيرة وهي مذكورة في القرآن الكريم ، وليس هذا محل بسطها والكلام عليها ، وكما أن أسباب النصر كثيرة ، فكذلك أسباب تخلفه كثيرة[٢].

والحاصل أنه يجب على المؤمن الصادق في رجاء نصر الله عز وجل أن يحرص كل الحرص على الإتيان بأسباب النصر التي شرعت في الكتاب والسنة ، وأن يبتعد كل البعد عن أسباب تخلفه ، حتى يتحقق النصر على الأعداء بإذن الله تعالى ، ويكون رجاؤه بذلك رجاءً محموداً وصادقاً .

* * *

(١) أخرجه البخاري (٢٩٥٥) ، ومسلم (١٨٧٦) .

(٢) انظر : السنن الإلهية في الأمم والأفراد في القرآن الكريم ، للدكتور مجدي عاشور .

المطلب السابع : رجاء الهداية إلى الرشد

إن الهداية إلى الرشد من أشرف المطالب وأعظم المقاصد التي يرجو المؤمن حصولها في نفسه .

ولذلك كان واجباً عليه أن يسأل ربه عز وجل الهداية في اليوم والليلة بما لا يقل عن سبع عشرة مرة ، وذلك حين يقرأ سورة الفاتحة في الصلاة فيقول : ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة : 5] وهذا الدعاء من أجمع الأدعية وأنفعها للعبد ، والهداية في هذا الدعاء ليست محصورة في نوع واحد كما يظن البعض ، بل هي هدايات كثيرة ، وقد أُشير إليها في الكتاب والسنة ، وليس هذا محل بسطها والكلام عليها .

فالمؤمن يرجو ربه عز وجل صباح مساء أن يهديه إلى سبيل الرشاد في الدنيا والآخرة .

ومن أعظم أسباب الهداية إلى سبيل الرشاد الإقبال على كتاب الله العزيز فهماً وتدبراً ، وقراءة واستماعاً ، وعلماً وعملاً ، قال تعالى عن مؤمني الجن : ﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ١ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا ٢ ﴾ [الجن : ١-٢] .

ولا شك أن القرآن الكريم قد أكد على مفهوم الهداية إلى الرشد في أكثر من موضع ، بل إن ذلك من غاياته العظمى ، لأن القرآن الكريم كتاب هداية ودلالة إلى صراط الله المستقيم ، وهذه الهداية متعلقة بالرشد ، ولذلك ما كان من هؤلاء الجن عند استماعهم إليه إلا أن آمنوا به راجين بذلك الهداية إلى الرشاد .

قال المحاسبي : « هذا الأدب والفهم من استماع آيات في مقام واحد في أقل من ساعة ! فكيف بمن وعى القرآن كله من صغره إلى كبره ...»[1] .

---

(١) فهم القرآن للمحاسبي ١/٣٢٠-٣٢١ .

ومن أسباب الهداية إلى الرشد ما ذكره الله عز وجل في هذه الآية ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة : ١٨٦] .

ففي هذه الآية الكريمة علّق الله عز وجل إجابة الدعاء على الاستجابة له والإيمان حتى يتحقق للعبد الغاية العظمى والمرتبة العليا وهي الهداية إلى الرشد .

قال البقاعي في قوله تعالى : ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ : « أي ليكونوا على رجاء من الدوام على إصابة المقاصد والاهتداء إلى طريق الحق » (١) .

هكذا يكون رجاء المؤمن عند استجابته لله عز وجل ، والإيمان به ، فإنه يرجو من ربه تعالى أن يرزقه الهداية إلى الرشد ؛ لأن ذلك غاية سعيه وعلامة فلاحه .

ولما كان العبد عرضة للغفلة والنسيان كان أفضل ما يفعله عند الانتباه من ذلك هو ذكر الله عز وجل ورجاء الهداية إلى أرشد الأمور وأعظمها .

قال تعالى : ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [الكهف :٢٤] .

قال السعدي : « ولما كان العبد مفتقراً إلى الله في توفيقه للإصابة ، وعدم الخطأ في أقواله وأفعاله ، أمره الله أن يقول : ﴿عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴾ فأمره أن يدعو الله ويرجوه ، ويثق به أن يهديه لأقرب الطرق الموصلة إلى الرشد ، وحري بعبد تكون هذه حاله ، ثم يبذل جهده ، ويستفرغ وسعه في طلب الهدى والرشد ، أن يوفق لذلك ، وأن تأتيه المعونة من ربه ، وأن يسدده في جميع أموره... » (٢) .

ولعظم الهداية إلى الرشد وأنها لا تتحقق إلا ببذل أسبابها المشروعة سافر موسى عليه السلام ومعه فتاه في سبيل تحصيل العلم الذي يكون سبباً في الهداية إلى الرشد،

---

(١) نظم الدرر ٣٤٩/١ .

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص٤٧٤ .

حتى التقى بالخضر الذي ذكره الله تعالى لموسى – عليه السلام – وأخبره بأنه أعلم منه ، فقال له موسى – عليه السلام – على وجه التأدب والملاطفـة ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ [الكهف : ٦٦] .

فيستفاد من هذه الآية أن من أسباب الهداية إلى الرشد طلب العلم الشرعي .

وكما أن المؤمن الصادق في رجاء الهداية إلى الرشد حريص على الإتيان بأسباب الهداية؛ فهو أيضاً بالمقابل حريص على اجتناب معوقات الهداية إلى الرشد .

ومن أعظم معوقات الهداية إلى الرشد ؛ الاستكبار عن قبول الحق الـذي هـو أساس كل مفسدة وأصل كل بلية .

فما الذي منع إبليس عن السجود لآدم – عليه السلام – غير الاستكبار! قـال تعـالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [البقرة : ٣٤] .

وما الذي جعل فرعون الطاغية يعرض عن قبول دعوة موسى– عليه السلام – غير الكبر! قال تعالى : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ [يونس : ٧٥] .

وهكذا سائر الطغاة والظلمة من بعده ومن قبله .

والتكبر سبب رئيس من أسباب عدم فهم القرآن الكريم وقبول الحق الذي فيه، قال تعالى : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴾[الأعراف : ١٤٦] .

قال سفيان بن عيينة : « أي أنزع عنهم فهم القرآن وأصرفهم عن آياتي»[1].

والهداية إلى الرشد تتناول كل ما فيه مصلحة، سواءً أكانت دنيوية أو أُخروية.

---

(١) جامع البيان ٦٠/٩ .

وقد أخبر الله عز وجل في كتابه العزيز عن فتية الكهف أنهم دعوا ربهم بهذا الدعاء العظيم الشامل فقالوا : ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ [الكهف :١٠] .

قال ابن القيم : « فإن الرشد هو العلم بما ينفع والعمل به ، والرشد والهدى إذا أفرد كل منهما تضمن الآخر ، وإذا قرن أحدهما بالآخر فالهدى هو العلم بالحق ، والرشد هو العمل به » (١) .

وأخبر الله تعالى عن قول نبيه موسى – عليه السلام – عندما ولّى هرباً وخوفاً من فرعون وقومه أن يقتلوه حيث قال : ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾﴾ [القصص :٢٢] قال ابن عباس : « خرج موسى متوجهاً نحو مدين وليس له علم بالطريق إلا حسن ظنه بربه ، فإنه قال : ﴿عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾»(٢) .

وقال الشوكاني في قوله : ﴿عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ « أي : يرشدني نحو الطريق المستوية إلى مدين » (٣) .

وهكذا المؤمن في جميع شؤونه في هذه الحياة ، فإنه بعد فعل الأسباب المشروعة يكون على رجاء من ربه عز وجل أن يحقق له ما يرجوه ويؤمله .

* * *

(١) إغاثة اللهفان ١٦٨/٢ .

(٢) جامع البيان ٥٣/٢٠ .

(٣) فتح القدير ١٦٥/٤ .

المطلب الثامن : رجاء الفرج من الله في كشف الكروب

لما كان المؤمن الصادق ممن يحسن الظن بربه عز وجل ؛ كان على رجاء من الله تعالى في كشف كُربه وتفريج همومه .

ومن النماذج التي تبين مدى قوة رجاء المؤمن وتعلقه بربه عز وجل عند حصول الشدائد والكُرب ، ما أخبر الله به في كتابه العزيز عن نبيه موسى – عليه السلام – قال تعـالى : ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾﴾ [الشعراء : ٦١-٦٢] ففي هذه الآية الكريمة يتضح أمران :

الأول : ضعف يقين بني إسرائيل ورجائهم بنصر الله تعالى لهم والخلاص من شر فرعون وقومه ، وليس هذا بغريب عليهم ، فمن عادتهم إساءة الظن بالله عز وجل، كما أخبر الله تعالى عنهم في عدة آيات من كتابه ، فمنها قوله : ﴿ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ﴾ [الأعراف : ١٢٩] ، ومنها قوله : ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة : ٢٤] وغير ذلك من الآيـات التي تبين مدى ضعف رجائهم بالله تعالى وإساءة الظن بربهم وتمردهم على أنبيائهم وإساءة الأدب معهم ، ولذلك لما أساء الأدب ذلك الرجل مع رسـولنا محمـد – صلى الله عليه وسلم – عندما قال عن قسمة الرسول عليه الصلاة والسلام للغنـائم يوم حنين: إن هذه القسمة ما أُريد بها وجه الله ، فلما سمع ذلك رسول الله – صلى الله عليه وسلم – غضب غضباً شديداً ، ثم تذكر أخيه موسى – عليه الـسلام – وشدة صبره على بني إسرائيل ، فعزى نفسه بذلك قائلاً : « **يرحم الله موسى قـد أوذي بأكثر من هذا فصبر**»[1] .

والمقصود أن قوة الرجاء تدل على قوة اليقين ، كما أن ضعف الرجاء يدل على ضعف اليقين .

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٢٤) ، ومسلم (١٠٦٢) .

الأمر الثاني : قوة رجاء نبي الله موسى – عليه السلام – بنصر الله تعالى له وثقته به وتوكله عليه ، ولهذا اقتصر على نفسه بقولـه : ﴿كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾ أي سبب توكلي عليه وثقتي به ورجائي بنصره أنه معي وناصري ، وأنتم لستم أهـلاً لذلك بسبب ضعف رجائكم وعدم توكلكم على ربكم وإساءة الظن به .

ويستفاد من تلك الآية أن العبد المؤمن مهما بلغ من قوة يقينه بربـه ورجائـه بنصره إلا أنه لا غنى له عن فعل الأسباب المشروعة ، فموسى – عليه السلام – مع ما آتاه الله من قوة اليقين والثقة به ، والرجاء بنصره إلا أنه بذل الأسباب في سبيل تحقيق ما يرجوه من ربه ، فالهرب من فرعون الطاغية وضرب البحر بالعصا ، كل ذلك يعد من الأسباب المشروعة لتحقق رجائه من ربه عز وجل .

ومن النماذج أيضاً في رجاء الأنبياء من الله تعالى في كشف الكروب وتفـريج الهموم ما أخبر الله في كتابه الكريم عن نبيه يعقوب – عليه السلام – عنـد فقـد أبنائه حيث قـال : ﴿فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [يوسف : ٨٣] .

هكذا يظهر أثر الإيمان واليقين في قلوب صفوة الله من خلقه بالصبر الجميل الذي ليس معه تسخط ولا جزع ، والرجاء العظيم في الله الكريم بتفريج الكربة وكشف الغمة .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « وكلما طمع العبد في فضل الله ورحمته ورجائـه لقضاء حاجته ودفع ضرورته ، قويت عبوديته له وحريته مما سواه ... »[(١)] .

ويستفاد من هذه الآية الكريمة أن المصائب والكروب كلما اشتدت على العبد ، كان ذلك علامة على قرب الفرج منها ، وكما قيـل : « اشـتدي يـا أزمـة تنفرجي»[(٢)] .

ومن النماذج الدالة على قوة رجاء العبد بربه والثقة بنصره ما أخبر الله تعالى به

---

(١) مجموع الفتاوى ١٠/١٨٤ .

(٢) جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري ٢/٨١ .

عن نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم – في حديثه مع صاحبه الصديق وهما في الغار، قال تعالى : ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [التوبة : ٤٠] .

وقد جاء في الصحيحين أن أبا بكر – رضي الله عنه – قال للنبي – صلى الله عليه وسلم – وهما في الغار بعد أن رأى آثار المشركين : يا رسول الله لو أن أحدهم رفع قدمه رآنا ، فقال – عليه الصلاة والسلام - : « **يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما** »[1] .

ونزول السكينة في الآية من آثار الرجاء في الله تعالى، ومن آثاره أيضاً في هذه الآية معية الله عز وجل لرسوله – صلى الله عليه وسلم – وصاحبه أبي بكر – رضي الله عنه - ، وشتان بين قول موسى – عليه السلام – مرجيا قومه ومطمئناً لهم: ﴿كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴾[الشعراء : ٦٢] حيث قصر معية الله عز وجل على نفسه فقط دون بني إسرائيل، لما رأى منهم ما رأى من الضعف والخور أمام العدو، وبين قول رسولنا محمد – صلى الله عليه وسلم - : ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة : ٤٠] فلم يقصر معية الله تعالى على نفسه كما فعل موسى – عليه السلام – بل جعلها شاملة له ولصاحبه ، وأكّدها أيضاً بقوله كما سبق ذكره : « ما ظنك باثنين الله ثالثهما » .

ونقل أبو بكر بن العربي عن جمال الإسلام أبي القاسم القشيري[2] أنه قال : «قال موسى : ﴿كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴾ وقال محمد – عليه الصلاة والسلام - لصاحبه : ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ لا جرم لما كان الله مع موسى وحده ارتد أصحابه بعده ، فرجع من عند ربه ووجدهم يعبدون العجل ، ولما قال محمد

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٥٣) ، ومسلم (٢٣٨١) .

(٢) هو عبدالكريم بن هوازن القشيري النيسابوري ، مضت ترجمته ص ٢٠٥.

صلى الله عليه وسلم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ بقي أبو بكر مهتدياً موحداً عالماً عازماً قائماً بالأمر لم يتطرق إليه اختلال»[١] .

ومن هذا الباب ما وقع لأم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – في حديث الإفك ، حيث أنها علّقت رجائها بالله عز وجل في كشف كربتها وإنزال براءتها ، وتمثلت بقول يعقوب عليه السلام ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ فقد أخرج الشيخان في صحيحيهما عنها أنها قالت بعد ذلك : « تحولت واضطجعت على فراشي والله يعلم إني حينئذ بريئة ، وإن الله مبرئي ببراءتي ، ولكن والله ما كنت أظن أن الله منزلٌ في شأني وحياً يتلى ، لشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله في بأمر، ولكني كنت أرجو أن يرى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في النوم رؤيا يبرئني الله بها ... »[٢] .

قال الحافظ ابن حجر في ذكر الفوائد من حديث الإفك : « وفيه أن الشدة إذا اشتدت أعقبها الفرج ، وفضل من يفوض الأمر لربه ، وأن من قوي على ذلك خف عنه الهم والغم كما وقع في حالتي عائشة قبل استفسارها عن حالها وبعد جوابها بقولها والله المستعان »[٣] .

ومن الفوائد أيضاً عظيم رجاء عائشة – رضي الله عنها – بالله عز وجل بكشف كربتها ، وصبرها على هذه الخطوب المدلهمة .

ومن الفوائد أيضاً أن من تعلّق بالله وحده ورجاه وصرف قلبه عن التعلق بغيره من المخلوقين فإن الله عز وجل بكرمه وإحسانه يحقق له فوق ما رجاه ، وهذا مأخوذ من قول عائشة رضي الله عنها : « والله ما كنت أظن أن الله منزل في شأني وحياً يتلى ، لشأني في نفسي أحقر من أن يتكلم الله في بأمر ... » .

والنماذج في هذا الباب كثيرة جداً ، ولكن المقصود أن العبد المؤمن عندما تنزل

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي ٥١٣/٢ .

(٢) أخرجه البخاري (٣٩١٠) ، و مسلم (٢٧٧٠) .

(٣) فتح الباري ٤٨١/٨ .

به الشدائد والكُرب يفوض أمره إلى الله عز وجل ، ويعلّق رجاءه بـه ، ويعـرض بقلبه عن غيره من المخلوقين ، وينتظر فرج ربه عز وجل ، ويحسن الظـن بـه ، راجياً بذلك تحقيق مراده ونيل ثوابه .

أخرج الشيخان في صحيحيهما عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : قـال النبي – صلى الله عليه وسلم - : « **يقول الله تعالى : أنا عند ظن عبدي** بي **وأنـا معه إذا ذكرني** » [(١)] .

وصح عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « **تعـرف إلى الله** في **الرخاء يعرفك** في **الشدة** » [(٢)] .

فحري بالمؤمن أن يحسن الظن بربه تعالى عند نزول المصائب والـشدائد ، وأن يذكره بأسمائه الحسنى وصفاته العلى ، وأن يتقرب إليه بفرائض العبادات ونوافلـها في زمن الرخاء والشدة ، حتى يكشف الله تعالى ما نزل به من الكـرب والهـم ، ويتحقق له ما يرجوه .

* * *

(١) أخرجه البخاري (٦٩٧٠) ، ومسلم (٢٦٧٥) .

(٢) « صحيح » أخرجه الإمام أحمد في مسند (٢٨٠٤) ، والحاكم في مستدركه (٦٣٠٤) وصـححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٢٩٦١) .

المطلب التاسع : رجاء قبول الدعاء من الله عز وجل

لما كان الدعاء من أعظم العبادات عند الله تعالى وأحبها إليه كان المؤمن حريصاً على الإكثار منه طمعاً فيما عند الله عز وجل من عظيم الأجر وجزيل الثواب .

ولهذا لما أخبر الرسول – صلى الله عليه وسلم – أصحابه بقوله في هذا الحديث: «**ما على الأرض مسلم يدعو الله بدعوة إلا آتاه الله إياها أو صرف عنه من السوء مثلها ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم ، قال بعضهم : إذاً نكثر ، فقال الرسول - عليه الصلاة والسلام - : الله أكثر وأطيب** »[1] .

وقولهم : إذاً نكثر أي : من الدعاء ، وذلك لما ظهرت لهم فوائده العظيمة ومنافعه المتعددة ، فأجابهم الرسول – عليه الصلاة والسلام – بقوله : « الله أكثر » قال الطيبي في معناه : « أي : ما يعطيه من فضله وسعة كرمه أكثر مما يعطيه في مقابله دعائكم ، وقيل : الله أغلب في الكثرة فلا تعجزونه في الاستكثار ، فإن خزائنه لا تنفذ ، و عطاياه لا تفنى ، وقيل الله أكثر ثواباً وعطاءً مما في نفوسكم ، فأكثروا ما شئتم ، فإنه تعالى يقابل أدعيتكم بما هو أكثر منها وأجل »[2] .

وكل الأقوال صحيحة ومحتملة ، وفضل الله عز وجل وكرمه لا حد له ولا نهاية، والمؤمن الصادق يرجو قبول دعائه من الله عز وجل ؛ لأنه على يقين من ربه سبحانه وتعالى ومصدق لما أخبر به عنه رسولُه – عليه الصلاة والسلام – بأن الداعي إذا لم يدع بإثم ولا قطيعة رحم ، فهو رابح غير خاسر .

---

(١) « صحيح » : أخرجه أحمد في مسنده (١١١٤٩) ، والترمذي (٣٥٧٣) وقال عنه : حديث حسن صحيح غريب ، والطبراني في الأوسط (١٤٧) ، وابن أبي شيبة في مصنفه (٢٩١٧٠) ، والبخاري في الأدب المفرد (٧١٠) ، وصححه الألباني في الأدب المفرد ٢٤٨/١ .

(٢) انظر : تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي للمباركفوري ١٨/١٠ ، والطيبي هو : حسن بن محمد بن عبدالله شرف الدين الطيبي ، إمام مشهور في جميع الفنون والعلوم ، وله شروحات كثيرة على كتب الحديث ، وحاشية كبيرة على تفسير الكشاف وتوفي سنة ٧٤٣هـ . انظر : طبقات المفسرين للأدنروي ٢٧٧/١ .

والدعاء بحد ذاته عبادة من العبادات التي أمر الله تعالى بها في كتابه العزيز، قال تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر :٦٠] .

قال الزمخشري : «والدعاء بمعنى العبادة كثير في القرآن ، ويدلّ عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى ﴾ وروى النعمان بن بشير – رضي الله عنه – عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « **الدعاء هو العبادة** » [(١)] وقرأ هذه الآية ، ويجوز أن يريد الدعاء والاستجابة على ظاهرهما ، ويريد بعبادتي : دعائي ، لأن الدعاء باب من العبادة ، ومن أفضل أبوابها ، ويصدقه قول ابن عباس – رضي الله عنهما - : « أفضل العبادة الدعاء »[(٢)] ... »[(٣)] .

والله سبحانه وتعالى يغضب من العبد إذا لم يدعوه ويرجو إجابة دعائه ، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – أنه قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم - : «من لم يدع الله يغضب عليه » [(٤)] .

وأخبر الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز أنه يبتلي عباده بالمصائب والشدائد لكي يتضرعوا إليه بالدعاء ويرجونه أن يكشف ما نزل بهم من الضر ، قال تعالى : ﴿ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟

---

(١) « صحيح » : أخرجه أحمد في مسنده (١٨٣٧٨) ، وأبوداود (١٤٧٩) ، والترمذي (٢٩٦٩) وقال عنه : حديث حسن صحيح ، وابن ماجه (٣٨٢٨) ، والبخاري كما في الأدب المفرد برقم (٧١٤) وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٦٢٧) وفي تحقيقه للأدب المفرد ٢٤٩/١ .

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه (١٨٠٥) وسكت عنه وعزاه السيوطي في الدر المنثور إلى ابن المنذر والحاكم ، وذكر السيوطي أن الحاكم صححه . انظر : الدر المنثور ٣٠٢/٧ .

(٣) الكشاف ١٧٩/٤-١٨٠ .

(٤) « صحيح » : أخرجه أحمد في المسند (٩٧١٧) ، والترمذي (٣٣٧٣) ، وابن ماجه (٣٨٢٧) ، والحاكم في مستدركه (١٨٠٦) وصححه ووافقه الذهبي ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٦٥٤) .

يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الأنعام : ٤٣] .

قال ابن عطية : « ولولا : تحضيض وهي التي تلي الفعل بمعنى : هلا ، و هـذا على جهة المعاتبة لمذنب غائب، وإظهار سوء فعله مع تحسر ما عليه ...»(١) .

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴾ [المؤمنون: ٧٦] .

فإذا تقرر هذا علم أن الدعاء من أعظم العبادات التي فرضها الله سبحانه وتعالى على خلقه ، وأن تاركه يكون متكبراً على ربه عز وجل ومستغنياً عنه ، وهـو في الحقيقة لا غنى له عن لطف ربه وفضله طرفة عين .

وكان أنبياء الله – عليهم الصلاة والسلام – يدعون ربهم عز وجل ويرجونه في إجابة دعائهم .

قال جـل شـأنه : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾ [الأنبياء : ٩٠] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « والعابد الذي يريد وجه الله والنظر إليه هو أيضاً راج خائف ، راغب راهب ، يرغب في حصول مراده ، ويرهب من فواته ، قـال تعالى : ﴿ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾»(٢) .

فإذا كان هذا حال صفوة الله من خلقه في دعائهم الله عـز وجـل ورجـائهم للإجابة وخشيتهم من عدم قبولها ، وهم من هم في المكانة والمنزلة عند الله تعالى ! فمن باب أولى أن يكون من دونهم أشد حرصاً على ذلك .

وقد أخبر الله تعالى عن خليله إبراهيم – عليه السلام – أنه كان يرجو من ربـه قبول دعائه فكـان يقـول : ﴿وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ ﴾ [مريم : ٤٨] .

---

(١) المحرر الوجيز ٢٩٢/٢ .

(٢) مجموع الفتاوى ٢٤٠/١٠ .

قال أبو حيان: « وعرض بشقاوتهم بدعاء آلهتهم في قوله: عسى أن لا أكون بدعاء ربى شقيا (مع التواضع لله في كلمة (عسى) وما فيه من هضم النفس، وفي (عسى) ترج في ضمنه خوف شديد » [١] .

قال الفخر الرازي: « اعلم أنه ما خسر على الله أحد، فإن إبراهيم عليه السلام لما اعتزلهم في دينهم وفي بلدهم واختار الهجرة إلى ربه إلى حيث أمره ؛لم يضره ذلك ديناً ودنيا ، بل نفعه فعوضه أولاداً أنبياء، ولا حالة في الدين والدنيا للبشر أرفع من أن يجعل الله له رسولاً إلى خلقه ويلزم الخلق طاعته والانقياد له، مع ما يحصل فيه من عظيم المنزلة في الآخرة، فصار جعله تعالى إياهم أنبياء من أعظم النعم في الدنيا والآخرة ...» [٢].

وقال الثعلبي في معنى الآية : « عسى أن يجيبني ولا يخيبني ... »[٣] .

وقال أبوالسعود : « وفي تصدير الكلام بعسى من إظهار التواضع ومراعاة حسن الأدب ، والتنبيه على حقيقة الحق من الإجابة والإثابة بطريق التفضل منه عز وجل لا بطريق الوجوب »[٤] .

قال ابن عاشور : « وأدعو أي راجياً أن لا أكون بدعاء ربي شقياً ، وفي إعلانه هذا الرجاء بين ظهرانيهم تعريض بأنهم أشقياء بدعاء آلهتهم »[٥] .

إن دعاء الله تعالى وترقب إجابته هو من أسباب السعادة كما أخبر الله عز وجل عن نبيه زكريا – عليه السلام – أنه قال: ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾[مريم : ٤]

قال أبوحيان في معنى الآية : « ولم أكن : نفي فيما مضى أي : ما كنت بدعائك رب شقياً بل كنت سعيداً موفقاً إذ كنت تجيب دعائي فأسعد بذلك»[٦].

---

(١) تفسير البحر المحيط ١٨٥/٦.

(٢) مفاتيح الغيب ١٩٧/٢١.

(٣) الكشف والبيان للثعلبي ٢١٨/٦ .

(٤) إرشاد العقل السليم ٢٦٩/٥ .

(٥) التحرير والتنوير ١٢٣/١٦ .

(٦) البحر المحيط لأبي حيان ١٦٤/٦ .

قال ابن العربي : « رجاء زكريا ربه في الولد لوجهين :

أحدهما : أنه دعاه لإظهار دينه وإحياء نبوته ومضاعفة أجره في ولد صالح نبي بعده ، ولم يسأله للدنيا .

الثاني : لأن ربه كان عوده الإجابة وذلك لقوله : ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ وهذه وسيلة حسنة أن يتشفع إليه بنعمه ، ويستدر فضله بفضله ، ويروى أن حاتم الجواد[1] لقيه رجل فسأله فقال له حاتم : من أنت ؟ قال : أنا الذي أحسنت إليه عام أول ، قال : مرحباً بمن تشفع إلينا بنا»[2] .

ومن الآيات في هذا الموضوع ما ذكره الله عز وجل في كتابه الكريم عن أصحاب الجنة الذين عاقبهم الله تعالى بإتلاف جنتهم بسبب منعهم حق الفقراء والمساكين منها ، فلما شاهدوا عقوبة الله تعالى في جنتهم ندموا على سوء صنيعهم، ولجأوا إلى التضرع إلى الله عز وجل راجين منه الخَلَف والعوض عن ما حصل لجنتهم من الهلاك ، فقال تعالى مخبراً عن قولهم : ﴿قَالُوا يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [القلم : ٣١-٣٢] ، فاعترفوا بخطيئتهم ، وندموا على تفريطهم ، وأنابوا إلى ربهم .

قال السمعاني في معنى الآية : « هذا إخبار عن توبتهم وندامتهم ، وسؤالهم من الله تعالى أن يبدلهم بجنتهم خيراً منها ، فيعطوا حق المساكين»[3] .

وقال ابن عطية : « ثم انصرفوا إلى رجاء الله تعالى وانتظار الفرج من لدنه في أن

---

(١) هو حاتم الطائي وسمي بحاتم الجواد من باب إضافة الموصوف للصفة ، فقد كان مضرب المثل عند العرب في الجود والكرم ، ومات في الجاهلية ، وأسلم ابنه عدي وأخته ، ولم يدرك حاتم الإسلام بل مات بعد ولادة الرسول صلى الله عليه وسلم بثمان سنوات . انظر : البداية والنهاية لابن كثير ٢١٢/٢ ، والمنتظم لابن الجوزي ٢٨٥/٢ .

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ٢٤٧/٣ .

(٣) تفسير السمعاني ٢٦/٦ .

يبدلهم بسبب توبتهم خيراً من تلك الجنة »[١] .

وقال البغوي : « قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه : بلغني أن القوم أخلصوا، وعرف الله منهم الصدق فأبدلهم بها جنة يقال لها الحيوان ، فيها عنب يحمل البغل منه عنقوداً واحداً ...»[٢] .

والحاصل أنه ينبغي على المؤمن أن يحسن الظن بربه عند الدعاء ، ويكون على يقين بالإجابة ، كما أمر بذلك رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حيث قال: «**ادعو الله وأنتم موقنون بالإجابة** » [٣] .

ولما كان الصحابة – رضي الله عنهم – من أكمل الناس يقيناً ورجاءً بالإجابة ، كان أحدهم لا يحمل هم الإجابة بل يحمل هم الدعاء ، فعن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – أنه كان يقول : « إني لا أحمل هم الإجابة ، ولكن أحمل هم الدعاء ، فإذا أُلهمت الدعاء فإن الإجابة معه » [٤] .

وهذا كله ناتج عن تعظيم الله عز وجل وتوقيره ، لأنهم حريصون على انتقاء الألفاظ في الدعاء ومن ثم الإخلاص في طلب الحاجة ، والرجاء واليقين بتحقق الإجابة .

* * *

---

(١) المحرر الوجيز ٣٥١/٥ .

(٢) معالم التنزيل ٣٨١/٤ . وانظر أيضاً : الكشف والبيان للثعلبي ١٨/١٠، والكشاف للزمخشري ٥٩٦/٤ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٤٥/١٨ . وهذا الخبر عن ابن مسعود لعلّه من جملة الأخبار عن بني إسرائيل ، والله أعلم بصحة ذلك .

(٣) « حسن » : أخرجه أحمد (٦٦٥٥) ، والترمذي (٣٤٧٩) ، والحاكم في المستدرك (١٨١٧) ، والطبراني في الأوسط (٥١٠٩) وحسنه المنذري في الترغيب والترهيب (٢٥٥٤) وكذلك الألباني في السلسلة الصحيحة (٥٩٤) .

(٤) انظر : مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ١٩٣/٨ ، ومدارج السالكين لابن القيم ١٠٣/٣ .
وقد بحثت عنه في كتب المسانيد فلم أجده .

المطلب العاشر : رجاء حسن الخاتمة

لما كانت قلوب بني آدم متقلبة الأحوال ، ولا تثبت على حال بسبب الخـواطر الواردة عليها ؛ كان المؤمن حريصاً على سؤال الله تعالى أن يرزقه الثبات على هذا الدين حتى الممات ، راجياً بذلك حسن الختام .

فعن أبي موسى الأشعري – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليـه وسلم – قال : « **مثل القلب كريشة بأرض فلاة تقلبها الرياح ظهراً لبطن** »[١].

قال الطيبـي : «يعني أن القلب في سرعة تقلبه لحكمـة الابـتلاء بـالخواطر ، ينحرف مرة إلى حق ومرة إلى باطل ، وتارة إلى خير ، وتارة إلى شر»[٢] .

وقد كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يكثر في دعائه أن يقول : « **يـا مقلّب القلوب ثبت قلبي على دينك** » فقال له أصحابه : فهل تخاف علينا؟ قال : «**نعم إن القلوب** بين **أصبعين من أصابع الله عز وجل يقلبها** »[٣] .

وقد فهم الصحابة – رضي الله عنهما – من هذا الدعاء خوف رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم من الزيغ وعدم الثبات على هذا الدين ، وتعليمه إيـاهم أن يدعو بهذا الدعاء العظيم ؛ لأن الرسول – عليه الصلاة والسلام معصوم من الزلل والزيغ عن الصراط المستقيم .

فينبغي على المؤمن في هذه الدنيا أن يكثر من هذا الدعاء ، وأن يكون على رجاء

---

(١) « صحيح » : أخرجه أحمد في مسنده (١٩٧٧٢) ، وابن ماجه في سـننه (٨٨) ، والـشهاب في مسنده (١٣٦٩) ، وعبد بن حميد (٥٣٥) ، وابن الجعد في مسنده (١٤٥٠) ، و ابن أبي عاصم في السنة (٢٣٤) ، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (١٠٣) ، وظلال الجنة (٢٢٧) .

(٢) انظر : فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي ٥٠٨/٥ .

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٥٤) دون زيادة قول الصحابة « فهل تخاف علينا » ، وأخرجه بلفظـه كـاملاً أحمد في المسند (١٢١٢٨) ، والترمذي (٢١٤٠) وقال عنـه : حـديث حـسن ، والحـاكم في المستدرك (٣١٤٠) ، وصححه الألباني في المشكاة (١٠٢) .

من ربه عز وجل أن يحسن خاتمته ؛ لأنه لا يدري بماذا يختم له .

ولما كان حسن الخاتمة من علامة سعادة العبد ، كان أنبياء الله – عليهم الصلاة والسلام – يسألون الله عز وجل إياها ، قال الله عز وجل مخبراً عن قـول نبيـه يوسف – عليه الـسلام – ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [يوسف : ١٠١] .

قال الزمخشري في قوله : ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا﴾ : « طلب للوفاة على حال الإسلام ، ولأن يختم له بالخير والحسنى ، كما قال يعقوب لولـده : ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة : ١٣٢] »[(١)] .

قلت : ليست هي وصية يعقوب – عليه السلام – فحسب ، بل هـي أيـضاً وصية جده إبراهيم الخليل – عليه الصلاة والسلام – كما جاء ذكرها عنه في أول الآية في قولـه تعـالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة : ١٣٢] .

وقول الزمخشري في تفسير الآية هو الصواب ، لا كما توهمه بعض المفسرين من أنه دعا الله عز وجل أن يعجل موته .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « والصحيح من القولين أنه لم يسأل المـوت ولم يتمنه وإنما سأل أنه إذا مات يموت على الإسلام ، فسأل الصفة لا الموصوف ، كما أمر الله بذلك وأمر به خليله إبراهيم وإسرائيل – عليهما السلام - ، وهكذا قـال غير واحد من العلماء منهم ابن عقيل[(٢)] وغيره ، والله تعالى أعلم»[(٣)] .

---

(١) الكشاف ٤٧٨/٢ .

(٢) هو علي بن عقيل البغدادي الظفري الحنبلي ، يكنى بأبي الوفاء ، ويلقب بشيخ الحنابلة ، ولد سنة ٤٣١هـ ، وتبحر في كثير من العلوم ، وألف كتابه « الفنون » الذي بلغ أربع مائة وسبعين مجلداً، وكتابه الواضح في أصول الفقه ، وغيرهما من المصنفات . وتوفي سنته ٥١٣هـ . انظـر : معرفـة القراء الكبار للذهبي ٤٦٩/١.

(٣) مجموع الفتاوى ٣٧٠/٨ .

وأما أمر الله عز وجل بذلك فقد ورد في قوله تعـالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣] .

قال ابن عطية في قوله ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ : « معناه : داومـوا علـى الإسلام حتى يوافيكم الموت وأنتم عليه ، هكذا هو وجه الأمر في المعنى ، وجاءت العبارة على هذا النظم الرائق الوجيز »[١] .

ومن هذا الباب قوله تعالى عن دعاء أولي الألباب : ﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ﴾ [آل عمران : ١٩٣] ، وهذا الدعاء يتضمن طلب الهداية إلى الصراط المستقيم والثبـات عليه حتى الممات.

ومن الآيات في هذا الموضوع ما أخبر الله تعالى به عن قـول سـحرة فرعـون ﴿وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ﴾[الأعراف : ١٢٦] فلما توعدهم فرعون الطاغية بالقتل والصلب ، بسبب إيمانهم بما جاء به موسى – عليه السلام – عن ربه عز وجل سألوا الله تعالى أن يفرغ عليهم الصبر ، والتعبير بلفظ الإفراغ يفيد القوة والكثرة ، فكـأنهم لمـا تخيلوا ما توعدهم فرعون به من تقطيع الأيدي والأرجل من خلاف والـصلب في جذوع النخل خشوا على أنفسهم من عدم الصبر على ذلك العذاب الشنيع .

ثم سألوا الله تعالى حسن الخاتمة فقالوا : ﴿وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ﴾ وهذه هي غاية مـا يرجونه من ربهم عز وجل في هذه الحياة الدنيا ، بأن يتوفاهم وهم على الإسـلام غير مرتدين ولا مبدلين ، وذلك لأن العبرة في هذه الدنيا إنما هي بالخاتمة ، كمـا جاء في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قـال : « **وإنمـا الأعمـال بخواتيمها**»[٢] .

قال ابن بطال : « في تغييب الله عن عبادة خواتيم أعمالهم حكمة بالغة وتـدبير لطيف ، وذلك أنه لو علم أحد خاتمة عمله لدخله الإعجاب والكسل من علم أن

---

(١) المحرر الوجيز ٤٨٣/١ .

(٢) أخرجه البخاري (٦١٢٨) .

يختم له بالإيمان ، ومن علم أنه يختم له بالكفر يزداد غياً وطغياناً وكفراً ، فاستأثر الله تعالى بعلم ذلك ليكون العباد بين الخوف والرجاء ، فلا يعجب المطيع لله بعمله، ولا ييأس العاصي من رحمته ، ليقع كل تحت الذل والخضوع لله والافتقار إليه»[١] .

فيؤخذ مما سبق إيراده أن المؤمن الذي يرجو حسن الخاتمة من الله عز وجل ينبغي أن يسأل ربه تعالى بصدق وإخلاص أن يرزقه الخاتمة الطيبة ، وأن يبذل الأسباب التي يتحقق بها رجاؤه لحسن الخاتمة من الأعمال الصالحة .

* * *

(١) شرح ابن بطال على صحيح البخاري ١/٢٠٣-٢٠٤ .

المطلب الحادي عشر : رجاء نعيم القبر

إن من أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة أن الميت إذا وضع في قبره فإنه إما أن يكون منعماً أو معذّباً ، وقد جاءت النصوص المستفيضة في إثبات ذلك، فمنها قوله تعالى إخباراً عن عذاب آل فرعون في الحياة البرزخية : ﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۖ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴾ [غافر : ٤٦] .

قال ابن بطال : « وقد اتفق المسلمون أنه لا غدوة ولا عشي في الآخرة ، وإنما هما في الدنيا ، فهم يعرضون مماتهم على النار قبل القيامة ، ويوم القيامة يدخلون أشد العذاب » [١] .

وهذه الآية من أصرح الآيات في إثبات عذاب القبر ، وقد جاء ما يؤكد هذا المعنى من السنة النبوية ، فعن عبدالله بن عمر – رضي الله عنهما – أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي ، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار ، فيقال : هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة** » [٢] .

قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ ﴿١٤﴾﴾ [الانفطار : ١٣-١٤] قال ابن القيم : « لا تحسب أن الآية مقصورة على نعيم الآخرة وجحيمها فقط، بل في دورهم الثلاثة كذلك، أعني دار الدنيا ، ودار البرزخ ، ودار القرار...» [٣] .

وأخبر أيضاً – عليه الصلاة والسلام – أن المؤمن في قبره يتنعم ، ويفتح له باب إلى الجنة ليرى منزلته فيها ، فيأتيه من روحها وطيبها ، ويفسح له في قبره مد

---

(١) شرح ابن بطال على صحيح البخاري ٣٥٨/٣ .

(٢) أخرجه البخاري (١٣١٣) ، ومسلم (٢٨٦٦) .

(٣) الجواب الكافي ٥١/١ .

بصره، ثم يسأل ربه عز وجل أن يعجل قيام الساعة[١] ، والأحاديث في ذلك كثيرة وليس هذا محل بسطها ، وهي داخلة في عموم قوله تعـالى : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر : ٧] .

فإذا تقرر هذا وعلم ، فإن المؤمن الصادق يكون على رجاء عظيم من ربه عـز وجل بأن يكرمه بنعيم القبر قبل نعيم الجنة في الآخرة ، ولا يتحقق هذا الرجاء إلا مع الأسباب المشروعة ، وإلا كان هذا الرجاء مذموماً ، وصاحبه كاذب في دعواه بأنه يرجو نعيم القبر والنجاة من عذابه ، وصدق من قال :

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها إن السفينة لا تجري على اليبس

فكما أن عذاب القبر له أسباب موجبة لوقوعه ، فكذلك نعيم القبر لا يحصل إلا بالأسباب الشرعية .

ومن المعلوم أن من رجا شيئاً طلبه ، ومن خاف شيئاً هرب منه .

فمن أسباب الوقاية من عذاب القبر والفوز بنعيمه البعد كل البعد عن المعاصـي صغيرها وكبيرها .

فقد ثبت في الصحيحين عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أنه مر علـى قبرين فقال عن أصحابهما : « **إنهما ليعذّبان وما يعذبان في كبير ، أمـا أحـدهما فكان لا يستتر من البول ، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة** »[٢] ، وفي روايـة لمسلم : «**لا يتنـزه من البول**»[٣] ، وفي حديث آخر أنه قـال : «**أمـا أحـدهما فيعذّب في البول ، وأما الآخر فيعذّب في الغيبة** »[٤] .

---

(١) « صحيح » : أخرجه أحمد (١٨٥٥٧) ، وأبوداود (٤٧٥٣) ، والنسائي (٢٠٠١) ، وابن ماجـه (١٥٤٩) وغيرهم ، وصححه الألباني في المشكاة (١٣١) وصحيح الجامع الصغير (١٦٧٦).

(٢) أخرجه البخاري (٢١٥) ، ومسلم (٢٩٢) .

(٣) صحيح مسلم (٢٩٢) .

(٤) « صحيح » : أخرجه ابن ماجه (٣٤٩) ، وأبـويعلى (٢٠٥٠) ، والبخـاري في الأدب المفـرد (٧٣٥)، وابن أبي شيبة (١٢٠٤٣) ، وعبدالرزاق (٦٧٥٣) وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٨٤١) .

فهذه الأعمال الحقيرة في نظر الناس والتي قلّ أن يسلم منها أحد ، قد أوجبت لهذين الرجلين العذاب في القبر ، فمن باب أولى أن المعاصي الكبيرة قد توجب لصاحبها عذاب القبر .

ومن الأسباب المنجية من عذاب القبر الإكثار من الاستعاذة بالله تعالى منه كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو بهذه الدعوات : « **اللهم إني أعوذ بك من فتنة النار وعذاب النار ، وفتنة القبر ، وعذاب القبر**»[1] .

وثبت عنه - عليه الصلاة - والسلام أنه أمر أصحابه بالاستعاذة من عذاب القبر مرتين أو ثلاثاً [2] .

والحاصل أن المؤمن الذي يرجو نعيم القبر يجب عليه أن يسارع في فعل الطاعات واجتناب المحرمات وإن صغرت ، وأن يحذر كل الحذر من الأسباب الموجبة لعذاب القبر ، حتى يكون رجاؤه في ذلك رجاءً صادقاً محموداً .

* * *

(١) أخرجه البخاري (١٣١١) ، ومسلم (٨٥٩) .

(٢) « صحيح » : أخرجه أحمد (١٨٥٥٧) ، وأبوداود (٤٧٥٣) وصححه الألباني في المشكاة (١٦٣٠) وصحيح الترغيب والترهيب (٣٥٥٨) .

المطلب الثاني عشر : رجاء النجاة من أهوال يوم القيامة

إن الحديث عن يوم القيامة وأهواله حديث مرعب ومخيف ؛ لما في ذلك اليوم العظيم من الأهوال والشدائد التي تشيب منها مفارق الولدان ، قال تعالى : ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾﴾ [المزمل : ١٧] .

والآيات والأحاديث في وصف أهوال القيامة كثيرة جداً ، وليس هذا محل بسطها والكلام عليها ، وإنما المقصود في هذا المطلب ذكر بعض الأسباب المُنجية من أهوال ذلك اليوم وكُربه .

فمن أعظم الأسباب المنجية من أهوال ذلك اليوم العظيم وكربه ، تحقيق التوحيد، وذلك أن التوحيد هو الغاية العظمى والحكمة الأولى من إيجاد الخلق كما قال تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات : ٥٦] قال مقاتل بن سليمان في تفسير قوله تعالى : ﴿لِيَعْبُدُونِ﴾ : « يعني إلا ليوحدون » (١) .

قال ابن القيم : « التوحيد مفزع أعدائه وأوليائه ، فأما أعداؤه فينجيهم من كرب الدنيا وشدائدها ، قال تعالى : ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت :٦٥] وأما أولياؤه فينجيهم به من كربات الدنيا والآخرة وشدائدها ، ولذلك فزع إليه يونس فنجاه الله من تلك الظلمات ، وفزع إليه أتباع الرسل فنجوا به مما عذب به المشركون..... فهو مفزع الخليقة وملجؤها وحصنها وغياثها » (٢).

ولذا فإنه ينبغي على المؤمن الذي يرجو النجاة من أهوال يوم القيامة أن يجاهد نفسه في تحقيق التوحيد ، ويصفي قلبه من شوائب الشرك ، حتى يكون قلبه سليماً حين القدوم على ربه عز وجل ، قال تعالى : ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان ٢٨٠/٣ .

(٢) الفوائد لابن القيم ٥٣/١ .

ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء : ٨٦-٨٩] . ومن الأسباب التي يرجو بها العبد المؤمن النجاة من أهول القيامة : تقوى الله عز وجل، قال تعالى : ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾ [الطلاق : ٢] .

أخرج ابن جرير بإسناده عن ابن عباس – رضي الله عنهما – في تفسير الآيـة السابقة أنه قال : « نجاته من كل كرب في الدنيا والآخرة »[١] .

وأهل التقوى هم الذين يبشرهم الله عز وجل بالأمن وعدم الفـزع والخـوف والحزن يوم القيامة ، كما قال تعـالى : ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ [يونس : ٦٤] ، وقـال تعـالى : ﴿لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنبياء : ١٠٣] .

وقال تعالى : ﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزخرف : ٦٧-٦٨] .

فحري بالعبد المؤمن التقي أن يحقق الله عز وجل رجاءه في يوم القيامة بـالأمن التام وعدم الخوف والحزن .

قال ابن القيم : « فإن الله سبحانه وتعالى لا يجمع على عبده مخافتين اثنتين ، فمن خافه في الدنيا أمنه يوم القيامة ، ومن أمنه في الدنيا ولم يخفه ، أخافه في الآخـرة ، وناهيك شرفاً وفضلاً بمقامٍ ثمرته الأمن الدائم المطلق »[٢] .

ومن الأعمال التي يرجو بها المؤمن النجاة من أهوال يوم القيامة ، تنفيس الكُرب عن عباد الله المؤمنين ، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله صلى الله

---

(١) جامع البيان ١٣٨/٢٨ .

(٢) طريق الهجرتين ٤٣٨/١ .

عليه وسلم قال : « **من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة**»[١] .

ومنها أيضاً ما ذُكر في حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، **إمام العادل ، وشاب نشأ** في **عبادة الله ، ورجل قلبه معلّق بالمساجد ، ورجلان** تحابا في الله **اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إن أخاف الله ، ورجل تصدق أخفى** حتى **لا تعلم** شماله **ما تنفق** يمينه**، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه** »[٢] .

وخصال الخير التي توجب لصاحبها النجاة من أهوال القيامة كثيرة بحمد لله تعالى.

ولذا فإنه ينبغي على المؤمن أن يقرن مع رجائه المسارعة إلى فعل هذه الخصال الحميدة، والأخلاق الجميلة ، لعله أن ينجو من أهوال ذلك اليوم العظيم ، وينال الأمن والأمان في يوم لا يخيب الله عز وجل فيه من رجاه .

قال تعالى : ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ [مريم : ٨٥] .

قال الشيخ السعدي : « والوافد لابد أن يكون في قلبه ، من الرجاء ، وحسن الظن بالوافد إليه ، ما هو معلوم ، فالمتقون ، يفدون إلى الرحمن ، راجين من رحمته، وعميم إحسانه ، والفوز بعطاياه في دار رضوانه ، وذلك بسبب ما قدموه من العمل بتقواه ، واتباع مراضيه ، وأن الله عهد إليهم بذلك الثواب ، على ألسنة رسله فتوجهوا إلى ربهم مطمئنين به ، واثقين بفضله ... »[٣] .

---

(١) أخرجه البخاري (٢٣١٠) ، ومسلم (٢٦٩٩) واللفظ له .

(٢) سلف تخريجه ص ١١٣.

(٣) تيسير الكريم الرحمن ص٥٠٠ .

المطلب الثالث عشر : رجاء دخول الجنة

إن الجنة هي المنـزل الأول لذرية بني آدم ، فقد كانوا في صلب أبيهم آدم عليه السلام عندما كان يتنعم في الجنة مع زوجه .

ولكن شؤم المعصية لا يقتصر على صاحبها بل قد يتعدى إلى غـيره ، ولـذلك احتج موسى على أبيه آدم - عليهما السلام - قائلاً له : « **يا آدم أنـت أبونـا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة ! فرد عليه آدم – عليه السلام – بقوله : يا موسـى اصطفاك الله بكلامه وخطّ لك بيده ، أتلومني على أمر قدره الله علي قبـل أن أخلق بأربعين سنة ؟** »[1] .

قال ابن حجر : « والمعنى أنه لو استمر آدم - عليه السلام - على ترك الأكـل من الشجرة لم يخرج منها ، ولو استمر فيها لولد له فيها ، وكان ولده سكان الجنة على الدوام ، فلما وقع الإخراج فات أهل الطاعة من ولده استمرار الدوام في الجنة وإن كانوا إليها ينتقلون ، وفات أهل المعصية تأخر الكون في الجنة مدة الدنيا ومـا شاء الله من مدة العذاب في الآخرة إما مؤقتاً في حق الموحدين ، وإما مـستمراً في حق الكفار ، فهو حرمان نسبي »[2] .

فالمؤمن الصادق يحن إلى وطنه الأول كما يحن المسافر الغريب بـين النـاس إلى الرجوع إلى وطنه وأهله .

ولهذا أوصى النبي صلى الله عليه وسلم عبدالله بن عمر - رضي الله عنـهما - بقوله : « **كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل** »[3] .

وما أجمل ما قاله ابن القيم في هذه الأبيات :

فحي على جنات عدن فإنـها منازلك الأولى وفيها المخيم

---

(١) أخرجه البخاري (٦٢٤٠) واللفظ له ، ومسلم (٢٦٥٢) .

(٢) فتح الباري لابن حجر العسقلاني ٥٠٨/١١ .

(٣) أخرجه البخاري (٦٠٥٣) .

ولكننا سبي العدو فهل ترى نعود إلى أوطاننا ونسلم[١]

والرجاء في دخول الجنة لا يكون صادقاً إلا مع المسارعة إلى الخيرات بامتثال الأوامر واجتناب المنهيات .

قال تعالى عن حال أهل الجنة : ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الأعراف : ٤٣] .

ففي هذه الآية الكريمة إخبار عن بعض أحوال أهل الجنة ، بأنهم يحمدون الله عز وجل على أن أكرمهم بالهداية في الدنيا والآخرة ، حتى أوصلهم إلى هذا النعيم العظيم في دار الخلود ، ثم خوطبوا بأن ما وصلتم إليه من هذا النعيم المقيم إنما هو بسبب أعمالكم الصالحة في الدنيا ، فكانت سبباً لنيل رحمة الله عز وجل لكم .

قال ابن عطية : « والأعمال أمارة من الله وطريق إلى قوة الرجاء ، ودخول الجنة إنما هو بمجرد رحمة الله تعالى »[٢] .

وقال ابن كثير : « قوله تعالى ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي بسبب أعمالكم نالتكم الرحمة فدخلتم الجنة وتبوأتم منازلكم بحسب أعمالكم »[٣] .

وفي الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **لن يدخل أحداً عمله الجنة** » . قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : « **ولا أنا ، إلا أن يتغمدني الله بفضل ورحمة** »[٤] .

وقد بوب ابن حبان في صحيحه أبواباً بعنوان : « **ذكر رجاء دخول الجنة لمن**

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم ١٢٣/١ .

(٢) المحرر الوجيز ٤٠٢/٢ .

(٣) تفسير القرآن العظيم ٢١٦/٢ .

(٤) أخرجه البخاري (٥٣٤٩) ، ومسلم (٢٨١٦) .

فعل كذا وكذا ..»[١] ثم ساق الأحاديث في ذلك المعنى ، وهذا يدل على أن المؤمن يرجو بعمله أن يكون سبباً من أسباب نيل المغفرة والرحمة حتى يدخله ربه عز وجل الجنة برحمة منه وفضل .

ولما كانت الجنة هي دار الطيبين تعين أن لا يدخلها أدناس الشرك والذنوب، ولذلك طرد ا لله عز وجل إبليس منها بسبب تكبره عن طاعة الله تعالى وحسده لآدم - عليه السلام - قال تعالى : ﴿ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾ [الأعراف : ١٣] . وقال تعالى مخبراً عن قول الملائكة عند استقبالهم لأهل الجنة : ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾ [الزمر : ٧٣] .

قال الزمخشري : « قوله ﴿ طِبْتُمْ ﴾ من دنس المعاصي وطهرتم من خبث الخطايا ﴿ فَٱدْخُلُوهَا ﴾ جعل دخول الجنة مسبباً عن الطيب والطهارة ، فما هي إلا دار الطيبين ومثوى الطاهرين لأنها دار طهرها الله من كل دنس ، وطيبها من كل قذر، فلا يدخلها إلا مناسب لها موصوف بصفتها ، فما أبعد أحوالنا من تلك المناسبة ، وما أضعف سعينا في اكتساب تلك الصفة »[٢] .

وأما حال من يرجو دخول الجنة بلا عمل فهو كحال من بذر أرضاً سبخة وعزم على أن لا يتعاهد بذره بالماء ، ومع ذلك يرجو خروج الزرع !

فالرجاء الحقيقي الصادق هو الذي يدفع صاحبه إلى الجد والاجتهاد في العمل حتى يحصل له ما يرجوه .

وقد أنكر الله عز وجل على من كان يرجو دخول الجنة بلا عمل فقال سبحانه : ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴾ [المعارج : ٣٨] والمعنى : أيرجو هؤلاء

---

(١) انظر : صحيح ابن حبان (٥٠٨/١) ، (١٦٧/٢ ، ٢٦٠ ، ٢٦٧ ، ٣٠١ ، ٣٢٢) ، (١٨/٣) ، (٢٩٩/٦ ، ٤٦٥) .

(٢) الكشاف ١٥٠/٤.

الكفار المنكرين للبعث والمعرضين عن قبول الحق في دخول الجنة ؟

ويأتي الجواب على هذا الاستفهام في الآية التي تليها وهو قوله تعالى : ﴿كَلَّآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [المعارج : ٣٩] .

أي كلا ليس الأمر كما يرجون ويظنون ويتمنون ، بل هو خلاف ذلك ، ثم ذكّرهم بأصل خلقتهم من النطفة القذرة ، وأنه كما خلقكم من هذا الماء المهين فهو قادر على أن يعيدكم من جديد ويبعثكم من بعد موتكم .

وفي تذكيرهم بأصل الخلقة والكناية عن التصريح بذكره إلى قوله : ﴿مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾ مما يفيد كسر كبريائهم ومسحها بتراب الأرض ، فعلى ماذا يتكبرون؟ وعلى من يتجبرون ؟ والكبرياء والجبروت لله وحده لا شريك له .

وقد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه بزق يوماً على كفه ثم وضع أصبعه عليه ، ثم قال : « **قال الله يا ابن آدم أنى تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه ، حتى إذا سويتك وعدلتك مشيت** بين **بردتين وللأرض منك وئيد – يعني شكوى – فجمعت ومنعت ، حتى إذا بلغت التراقي قلت أتصدق ، وأنى أوان الصدقة هذا**» [(١)] .

والحاصل أن الذي يرجو دخول الجنة ينبغي عليه أن يبتعد عن جميع خصال الشر، ومن ذلك الكبر فإنه أحد أسباب المنع من دخول الجنة كما صح الخبر بذلك عن رسول الله صلى الله وسلم حيث قال : « **لا يدخل الجنة من** في **قلبه مثقال ذرة من كبر** » [(٢)] .

وينبغي للمؤمن الذي يرجو دخول الجنة أن لا يلتفت إلى عمله الصالح طرفة عين، بل يكون دائم الفكر في رحمة الله عز وجل وعفوه ومغفرته ؛ لأن دخول

---

(١) « صحيح » : أخرجه الإمام أحمد (١٧٨٧٦) ، وابن ماجه (٢٧٠٧) ، والحاكم في المستدرك (٣٨٥٥) وصححه ووافقه الذهبي ، والطبراني في الكبير (١١٩٣) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١١٤٣) .

(٢) أخرجه مسلم (٩١) .

الجنة - كما سبق بيانه - ليس بمجرد الاستحقاق لأجل العمل ، بـل برحمـة الله تعالى وعفوه عن العبد ؛ لأن أعمال العبد وإن وقعت منه على الوجه الذي يحبه الله ويرضاها فإنها لا تقاوم نِعمه الكثيرة على عبده التي لا تعـد ولا تحـصى ، ولا تعادلها، بل لو حاسبه ربه عز وجل عليها لكانت أعماله كلها في مقابلة اليسير من النعم .

قال ابن عطاء الله: « من علامة الاعتماد على العمل نقصان الرجاء عند وجود الزلل، ولا تفرحك الطاعة لأنها برزت منك، وافرح بها لأنها برزت من الله، قال تعالى:﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾[يونس:٥٨]))[1].

وقد ورد في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **لو أن الله عـذّب أهل سماواته وأهل أرضه عذّبهم وهو غير ظالم لهم ، ولو رحمهم كانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم** »[2] .

قال الشيخ ابن عثيمين : « معنى الحديث أن الله لو عذب أهل سماواته وأرضـه؛ لعذبهم وهم مستحقون للعذاب ، وهو غير ظالم ، وهم يستحقون متى خالفوا ؛ إما بترك الطاعة أو بفعل المعصية » [3] .

فمغفرة الله عز وجل أوسع من ذنوب الخلق ، ورحمته أرجى من أعمالهم ، ولا تنقصه المغفرة ، ولا تضره الذنوب ، ولهذا فإنه ينبغي للعبد أن لا يجعـل رجـاءه متعلقاً بعمله ، بل يكون رجاؤه متعلقاً بربه عز وجل ، فيرجو دخول الجنة برحمـة الله تعالى ، والله سبحانه وتعالى عند حسن ظن عبده المؤمن به .

المبحث الثاني : الرجاء المذموم

---

(١) الحكم العطائية لابن عطاء الله ٢٨٢/١ .

(٢) « صحيح » : أخرجه أحمد (٢١٦٢٩) ، وأبوداود (٤٦٩٩) ، وابن ماجه (٧٧) ، وابـن حبـان (٧٢٧) ، والبيهقي في السنن الكبرى (٢٠٦٦٣) وصححه الألباني في المشكاة (١١٥) ، وفي ظلال الجنة (٢٤٥) ، وفي صحيح الجامع الصغير (٥٢٤٤) .

(٣) شرح العقيدة السفارينية لابن عثيمين ص٧٣٣ .

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : رجاء المشركين لغير الله عز وجل :

لقد أخبر الله عز وجل في كتابه الكريم بأن المشركين يرجون من أصنامهم النفع وكشف الضر عنهم والشفاعة لهم ، قال تعالى : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [يونس : ١٨] ، وقال تعالى مخبراً عن مقالتهم السيئة وزعمهم الباطل ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [الزمر : ٣] . فهؤلاء المشركون عبدوا غير الله عز وجل بزعمهم الباطل في هذه الأصنام بأنها تشفع لهم عند الله تعالى مع أنهم معترفون بوجود الله عز وجل ومقرون بأنه الخالق الرازق المدبر ، ولكن لما علّقوا رجاءهم في هذه المعبودات وقعوا في الشرك الأكبر المخرج من الملة.

قال ابن عاشور : « وإيثار اسم الموصول في قوله: ﴿مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ﴾ لما تؤذن به صلة الموصول من التنبيه على أنهم مخطئون في عبادة ما لا يضر ولا ينفع ، وفيه تمهيد لعطف ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ لتحقير رأيهم من رجاء الشفاعة من تلك الأصنام ، فإنها لا تقدر على ضر ولا نفع في الدنيا ، فهي أضعف مقدرة في الآخرة »[1] .

ولذلك أمر الله عز وجل نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم أن يخاطب المشركين بالحجج والبراهين العقلية في إثبات أن هذه الأصنام لا يرتجى منها نفع ولا ضر ، فقال تعالى : ﴿ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ ﴾ [الأنعام : ٧١] .

وقال تعالى عن محاجة خليله إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – لأبيه وقومه :

---

(١) التحرير والتنوير ١٢٥/١١ .

﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ [الشعراء : ٦٩-٧٤] .

وقد أخبر الله عز وجل في كتابه العزيز بأن المشركين يرجون النصر والإعانة من أصنامهم ، وأن الأصنام سوف تجحد عبادتهم لها في يوم القيامة وتكـون خـصماً ضدهم ، قال تعالى : ﴿ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ ﴾ [مريم : ٨١-٨٢]، وقال تعـالى : ﴿ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [يس : ٧٤-٧٥] قال أبوالـسعود في قولـه تعـالى : ﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ ﴾ : « استئناف سيق لبيان بطلان رأيهم وخيبة رجائهم وانعكاس تدبيرهم » (١) .

وقد ضرب الله عز وجل مثلاً في كتابه العزيز يبين حقارة وضعف ما عليه هؤلاء المشركين من الرجاء لغير الله عز وجل ، فقال سـبحانه : ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [العنكبوت : ٤١] .

قال ابن كثير : « هذا مثل ضربه الله تعالى للمشركين في اتخاذهم آلهة مـن دون الله يرجون نصرهم ورزقهم ويتمسكون بهم في الشدائد ، فهم في ذلـك كبيـت العنكبوت في ضعفه ووهنه ، فليس في أيدي هؤلاء من آلهتهم إلا كمن يتمـسك ببيت العنكبوت فإنه لا يجدي عنه شيئاً » (٢) .

---

(١) إرشاد العقل السليم ٣٧٩/٧ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ٤١٣/٣-٤١٥ .

وقال أبوالقاسم القشيري في معرض حديثه عن وجـه التـشبيه بهـذا المثـل : «العنكبوت يتخذ لنفسه بيتاً ، ولكن كلما زاد نسجاً في بيته ازداد بعداً في الخروج منه ، فهو يبني ولكن على نفسي يبني ... كذلك الكافر يسعى ولكن على نفـسه يجني ، وبيت العنكبوت أكثره في الزوايا من الجدران ، كذلك الكافر أمره علـى التقية والكتمان ، وأما المؤمن فظاهر المعاملة ، وبيت العنكبوت أوهن البيوت ؛ لأنه بلا أساس ولا جدران ولا سقف ولا يمسك على أدون دفع ... كذلك الكـافر لا أصل لشأنه ، ولا أساس لبنيانه ، يرى شيئاً ولكن بالتخييـل ، فأمـا في الحقيقـة فلا..»[1] .

والحقيقة أن رجاء هؤلاء المشركين من هذه الأصنام سوف يكون وبالاً عليهم ، وهذا من سنن الله تعالى الكونية في خلقه ، فما من أحد يتوكل على غير الله عـز وجل ويرجوه إلا وخيب الله ظنه في مرجوه، ولم يتحقق له ما رجاه منه ، والجزاء من جنس العمل .

* * *

(١) لطائف الإشارات للقشيري ٤٥٨/٢ .

المطلب الثاني : رجاء المنافقين لغير الله عز وجل

لما كان المنافقون من أحرص الناس على حب الدنيا والبقاء فيها ؛ كان رجاؤهم متعلقاً بغير الله تعالى ، فكانوا يوالون اليهود ومشركي العرب على الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ويرجون منهم العون والنصرة على المسلمين ، وقد كشف الله عز وجل أسرارهم ، وبين مقابحهم ، وهتك أستارهم ، فما تنطوي عليه السريرة لابد أن يظهر لأهل البصيرة بما يبدو على الأسرة .

قال الله عز وجل : ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ ﴾ [النساء : ١٣٨-١٣٩] .

قال أبوالسعود في تفسير هذه الآية : « قوله : ﴿أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ﴾ إنكار لرأيهم وإبطال له ، وبيان لخيبة رجائهم وقطع لأطماعهم الفارغة ، والجملة معترضة مقررة لما قبلها ، أي : أيطلبون بموالاة الكفار القوة والغلبة ؟ وقوله تعالى : ﴿فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ تعليل لما يفيده الاستفهام الإنكاري من بطلان رأيهم وخيبة رجائهم »[1] .

فهذا دأب المنافقين ، وديدنهم في كل زمان ومكان ، يوالون أعداء الله ويعادون أولياءه ، فإذا ما قويت شوكة الإسلام وأهله رأيتهم كالخفافيش أعشاها النهار بنوره، ولازمها قطع من الليل مظلم ، وغاية رجاء المنافقين أن تحقن دماءهم ، ولذلك تظاهروا بالإسلام أمام المسلمين ، وأعلنوا الكفر أمام المشركين ، وإذا دعاهم داعي الجهاد تعلّلوا بالأعذار الكاذبة فراراً من الموت ، فكشف الله حقيقة أمرهم بقوله : ﴿ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ﴾ [التوبة : ٤٥] .

---

(١) إرشاد العقل السليم ٢٤٤/٢ .

قال الألوسي : « أي إنما يستأذنك المنافقون رجاء أن لا تأذن لهم بالخروج فيستريحوا من نصب الجهاد »[(١)] .

وقد أخبر الله عز وجل عن بعض أحوالهم النفسية التي تبين مدى شدة هلعهم وجبنهم عند القتال ، فقال تعالى : ﴿فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ ﴿١٩﴾﴾ [الأحزاب : ١٩] ، وقال تعالى : ﴿فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ [محمد : ٢٠] .

فإذا جاء الخوف طاشت من الرعب عقولهم ، وطاحت من الهلع بصائرهم ، وتعطّلت عن النصرة جميع أعضائهم ، وإذا زال الخوف رأيتهم يرفعون أصواتهم بأذية المؤمنين .

هكذا تكون حال من لا يرجو لدخول الجنة ثواباً، ولا يخشى من فواتها عقاباً.

ولما كان المنافقون من حزب الشيطان وأولياءه كما أخبر الله عنهم بقوله : ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [المجادلة : ١٩] كان الخسران ملازماً لهم في الدنيا والآخرة ، كما قال تعالى : ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ [النساء : ١٩] ، والشيطان يدعوهم ليكونوا معه في عذاب السعير ، قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر : ٦] ، وقد خيب الله تعالى رجاء المنافقين وتقطعت بهم الأسباب في يوم الحساب ، وظهرت حقيقة تلك الأماني الكاذبة ، والأطماع الفارغة ، من أن دين الإسلام سيضمحل ، ويسفترق أصحابه منهزمين .

قال تعالى مخبراً عن خزيهم وانقطاع رجائهم وظهور حقيقتهم في يوم القيامة :

---

(١) روح المعاني ١٤١/١٠ .

﴿ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ ﴾ [الحديد : ١٣-١٤] .

ومعنى الآية أن الله تعالى يكرم عباده المؤمنين بأن يجعل لكل واحد منهم نوراً على قدر إيمانه في يوم القيامة ؛ لأن يوم القيامة يوم فيه ظلمة شديدة ، وأما المنافقون فيعطيهم الله عز وجل نوراً على سبيل المكر بهم، ثم ينطفئ نورهم بعد ذلك ، حيث أنهم كانوا في الدنيا يخادعون الله تعالى والمؤمنين بإظهار الإسلام وإبطان الكفر ، فخدعهم الله تعالى في يوم القيامة بهذا النور الذي كان معهم ثم انطفأ كُلّية بعد ذلك، فيصيح هؤلاء المنافقون بأعلى صوتهم لمناداة المؤمنين قائلين لهم : انتظرونا نقتبس من هذا النور الذي معكم ، فيجيء الرد بهذا القول : ﴿قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا ﴾، ولا يخفى ما في هذا الرد من التحقير لهم والتهكم بهم ، فيقول المنافقون بعد ذلك : ألم نكن معكم في الدنيا نصلي كما تصلون ونتصدق كما تتصدقون ، فيجيبهم المؤمنون بقولهم : بلى ولكنكم عرضتم أنفسكم لفتنة الشبهات والشهوات وكنت تتربصون بنا الدوائر ، وتشكون في النبي عليه الصلاة والسلام وما جاء به من ربه عز وجل ، وخدعتكم تلك الأماني الكاذبة والأطماع البائسة حتى جاء الموت وأنتم على ذلك ، فكنتم من المعدودين في حزب الشيطان الرجيم ، فيا لعظيم حسرتهم وطول ندامتهم بعد ذلك .

هكذا تكون حال من يرجو الشر والسوء بالإسلام وأهله ، وعلق الرجاء بالشيطان وجنده .

وبالجملة فالكلام يطول عن هؤلاء المنافقين وأطماعهم الفاسدة ، وقد وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم تكشف حقيقة أمرهم وسوء صنيعهم ، حتى قال ابن القيم بعد أن ذكر جملة من أوصافهم : « لا تستطل أوصاف القوم ، فالمتروك والله أكثر من المذكور ، كاد القرآن أن يكون كله في شأنهم لكثرتهم على ظهر الأرض

وفي أجواف القبور ، فلا خلت بقاع الأرض منهم لئلا يستوحش المؤمنون في الطرقات ، وتتعطل بهم أسباب المعايش ، وتخطفهم الوحوش والسباع في الفلوات، سمع حذيفة – رضي الله عنه – رجلاً يقول : اللهم أهلك المنافقين . فقال : يا ابن أخي لو أهلك الله المنافقين لاستوحشتم في طرقاتكم من قلة السالك » [1] .

* * *

(١) مدارج السالكين ٣٥٨/١ ، وهذا الأثر عن حذيفة أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٧٣٩٣) .

المبحث الثالث : الرجاء المباح

الرجاء المباح هو : ما كانت العلة الباعثة عليه تتعلق بأمر من أمور الدنيا مما لا يترتب على حصوله مخالفة شرعية .

ومن أمثلته في القرآن الكريم ما أخبر الله عز وجل به عن قول عزيز مصر لامرأته بعد شرائه لنبي الله يوسف – عليه السلام – قال تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ﴾ [يوسف : ٢١] .

فوجود الفعل (عسى) في هذه الآية يدل على وجود الرجاء فيها ، وهذا الرجاء يتعلق بالأمور المباحة ، فإن علة شراء عزيز مصر ليوسف – عليه السلام – هي رجاء النفع منه عندما يكون كبيراً وقادراً على تحمل المسؤولية .

والعلة الثانية من الشراء هي رجاء أن يتخذه ولداً ، وهذا الحكم قد كان جائزاً في أول الإسلام ثم نسخ بعد ذلك بقوله تعالى : ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [الأحزاب : ٥] .

ونظير هذه الآية ما أخبر الله تعالى به عن قول امرأة فرعون في خطابها لفرعون بعد التقاط موسى – عليه السلام – قال تعالى : ﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [القصص : ٩] .

قال ابن عاشور : « ويتضمن قولها ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ﴾ إزالة ما خامر نفس فرعون من خشية فساد ملكه على يد فتى إسرائيلي بأن هذا الطفل لا يكون هو المخوف منه ؛ لأنه لما انضم في أهلهم وسيكون ربيهم فإنه يرجى منه نفعهم وأن يكون لهم كالولد ... ، ولعل الله حقق لامرأة فرعون برجائها فكان موسى قرة عين لها ولزوجها »[1] .

---

(١) التحرير والتنوير ٢٠/٧٩-٨٠ .

قلت : أما كون موسى – عليه السلام – قرة عين لامرأة فرعون فقد كان كذلك ، بل وأكبر من ذلك ؛ لأنه كان سبباً في سعادتها الأبدية ، حيث هداها الله سبحانه وتعالى به إلى صراطه المستقيم .

وأما قول ابن عاشور مرجياً أن موسى – عليه السلام – كان أيضاً قرة عين لفرعون ، فهذا غير واضح ؛ لأن هلاك فرعون وزوال ملكه كان على يد موسى – عليه السلام – وهذا أمر معلوم في كتاب الله تعالى ، بل ورد من السنة ما يخالف ذلك ، فقد أخرج ابن جرير في تفسيره عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أنه لما قالت امرأة فرعون : ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ﴾ قال فرعون : يكون لك ، فأما لي فلا حاجة لي فيه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **والذي يحلف به لو أقر فرعون أن يكون قرة عين له كما أقرت امرأته لهداه الله كما هداها، ولكن حرمه ذلك**»(١).

ومن الأمثلة على هذا النوع من الرجاء ما أخبر به الله عز وجل عن نبيه موسى – عليه السلام – عندما رأى ناراً فأراد الاقتباس منها رجاءً أن يستضيئ بنورها ، أو يجد هادياً يدله على الطريق الصحيح ، قال تعالى : ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ۝١٠ ﴾ [طه : ٩-١٠] .

فوجود حرف (لعل) في هذه الآية الكريمة يدل على وجود الترجي فيها ، وهذا الرجاء من الأمور المباحة ، فموسى – عليه السلام – عندما شاهد هذه النار عن

---

(١) « رجاله ثقات » : أخرجه ابن جرير في تفسيره ١٦٥/١٦ ، وابن أبي حاتم ٢٩٤٤/٩ ، والنسائي في الكبرى (١١٣٢٦) ، وأبويعلى في مسنده (٢٦١٨) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رجاله رجال الصحيح ، غير أصبغ والقاسم بن أيوب وهما ثقتان، انظر: مجمع الزوائد ٦٦/٧ . وقال ابن كثير في تفسيره : «وهو موقوف من كلام ابن عباس وليس فيه مرفوع إلا قليل منه ، وكأنه تلقاه ابن عباس – رضي الله عنهما – مما أبيح نقله من الإسرائيليات عن كعب الأحبار أو غيره ، والله أعلم ، وسمعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزي يقول ذلك أيضاً». انظر: تفسير القرآن العظيم ١٤٩/٣.

بعد رجا الاستضاءة بنورها والاستدفاء بضوئها ، كما قال تعالى في موضع آخر مخبراً عن قول موسى : ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [النمل : ٧] ويظهر من الآية الثانية أن خروج موسى عليه السلام بأهله كان في ليلة باردة ، ولذلك قال : ﴿تَصْطَلُونَ﴾ أي تستدفئون من البرد .

فمن خلال ما سبق ذكره يظهر أن موسى – عليه السلام – كان يرجو باقترابه من النار ثلاثة أمور :

الأمر الأول : الاستضاءة بنورها .

الأمر الثاني : الاستدفاء بضوئها .

الأمر الثالث : الاسترشاد بأهلها .

قال الزمخشري في كلامه على الآية الأولى : « لما وجد منه الإيناس فكان مقطوعاً متيقناً ، حققه لهم بكلمة (إن) ليوطن أنفسهم ، ولما كان الإتيان بالقبس ووجود الهدى مترقبين متوقعين ، بني الأمر فيها على الرجاء والطمع ، وقال: ﴿لَّعَلِّىٓ﴾ ولم يقطع فيقول : إني آتيكم لئلا يعد ما ليس بمستيقن الوفاء به »[1] .

وقال السعدي في كلامه على الآية الثانية :

« وكان مطلبه – أي موسى عليه السلام – النور الحسي والهداية الحسية ، فوجد ثم النور المعنوي ، نور الوحي ، الذي تستنير به الأرواح والقلوب ، والهداية الحقيقية ، هداية الصراط المستقيم الموصلة إلى جنات النعيم ، فحصل له أمر لم يكن في حسابه ولا خطر بباله »[2] .

قلت: وقد مضى الكلام فيما سبق على أن الرجاء من الله تعالى ومن رسله عليهم السلام متحقق الوقوع، وقد تحقق لموسى – عليه السلام – فوق ما كان

---

(١) الكشاف ٥٥/٣ .

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص٥٠٣ .

يرجوه من قبس النبوة والهدى[١].

والأمثلة على الرجاء المباح كثيرة ، وأكتفي بما ذكرته ؛ لأن المقصود هو الإشارة إلى أن الرجاء لا ينحصر في نوعين اثنين فقط هما المحمود والمذموم ، بل هناك نوع ثالث وهو الرجاء المباح .

ولكن المؤمن الصادق يستطيع بفضل الله عز وجل ثم بنيته الصادقة أن يحـول الرجاء المباح إلى رجاءٍ محمود ، فمثلاً من يرجو بأكله وشرابه الـشبع ، يكـون رجاؤه مباحاً ، ولكن المؤمن الصادق يرجو بطعامه وشرابه التقوي على الطاعـة والعبادة ، فيكون رجاؤه بذلك من الرجاء المحمود .

قال أبو حامد الغزالي : « والمباحات كثيرة ولا يمكن إحصاء النيات فيها ، فقـس بهذا الواحد ما عداه ، ولهذا قال بعض العارفين من السلف : إني أستحب أن يكون لي في كل شيء نية حتى في أكل وشربي ونومي ودخولي إلى الخلاء وكل ذلك مما يمكن أن يقصد به التقرب إلى الله تعالى » [٢] .

* * *

(١) انظر: ص ١٩٨-٢٠٠ من هذا البحث.

(٢) إحياء علوم الدين ٣٧٢/٤ .

المبحث الرابع : أرجى آية في القرآن الكريم

لقد تعددت أقوال المفسرين وتنوعت في وصف بعض آيات القرآن الكريم بأنها أرجى الآيات فيه ، والغرض من هذا المبحث هو ذكر الآيات التي قيل عنها بأنها أرجى الآيات في القرآن الكريم ، و بيان وجه الرجاء فيها .

وقد ذكر الزركشي بأنه قد اختلف في أرجى آية في القرآن الكريم على بضعة عشر قولاً ، ثم ساق ذكر الأقوال في ذلك [١] .

القول الأول : أن أرجى الآيات في القرآن الكريم هي قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر : ٥٣] .

وهذا القول مروي عن عبدالله بن مسعود[٢] وعبدالله بن عمرو[٣] وعلي بن أبي طالب[٤] – رضي الله عنهم -.

وهذا القول هو المشهور عند أكثر الناس .

ووجه الرجاء في هذه الآية ظاهر لا يحتاج إلى توضيح ؛ ولهذا قال الشوكاني : «واعلم أن هذه الآية أرجى آية في كتاب الله لاشتمالها على أعظم بشارة ...»[٥].

القول الثاني : أن أرجى الآيات في القرآن الكريم هي قوله تعالى : ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء : ٨٤] وهذا القول يروى عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وقد حكاه عنه القرطبي في تفسيره فقال :

---

(١) البرهان في علوم القرآن ٤٤٦/١ .

(٢) فضائل القرآن للقاسم بن سلام ٤٩٩/١ ، والأدب المفرد للبخاري (٤٨٩) .

(٣) جامع البيان ٤٩/٣ ، والزهد لأبي داود ٣١٤/١ .

(٤) حسن الظن بالله لابن أبي الدنيا ٧٧/١ .

(٥) فتح القدير ٤٧٠/٤ .

«حكي أن الصحابة رضوان الله عليهم تذاكروا القرآن، فقال أبوبكر الصديق رضي الله عنه : قرأت القرآن من أوله إلى آخره فلم أر فيه آية أرجى وأحسن من قوله تبارك وتعالى: ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ فإنه لا يشاكل بالعبد إلا العصيان ، ولا يشاكل بالرب إلا الغفران»[١] .

القول الثالث : أن أرجى الآيات في القرآن الكريم هي قوله تعالى : ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ﴾ [غافر : ١-٣] .

وهذا القول ذكره القرطبي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه[٢]، ووجه الرجاء في هذه الآية هو تقدم غُفران الذنوب على قبول التوبة .

وقد أخرج ابن جرير في تفسيره أن رجلاً جاء إلى عمر فقال : إني قتلت فهل لي من توبة ؟ قال : نعم اعمل ولا تيأس . ثم قرأ ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ ﴾[٣] .

وأخرج أبوالشيخ الأصبهاني عن الحسن أنه قال : « غافر الذنب لمن لم يتب ، وقابل التوب لمن تاب »[٤] .

قلت : لأن الله تعالى قد يتفضل على عبده بالمغفرة وإن لم يتب من ذنوبه ، كما قال جل شأنه : ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلۡمِهِمۡۖ ﴾ [الرعد : ٦] . والتائب لا يقال له ظالم ، فعلم بذلك تفضله سبحانه وتعالى بالمغفرة على عبده ، ونظير هذا قوله تعالى : ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ ﴾ [الزمر : ٥٣] والتائب لا يقال له مسرف .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٣٢٢/١ .

(٢) المصدر السابق ٣٢٢/١٠ .

(٣) جامع البيان ٤١/٢٤ .

(٤) العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني ٥٢٥/٢ .

وأخرج ابن أبي حاتم بإسناده عن يونس بن الأصم أنه قال: « كان رجل من أهل الشام ذو بأس، وكان ممن يفد إلى عمر بن الخطاب، ففقده عمر فقال: ما فعل فلان ابن فلان ؟ فقالوا : يا أمير المؤمنين يتابع في هذا الشراب – أي يسرف في شرب الخمر – فدعا عمر كاتبه فقال : اكتب ، من عمر بن الخطاب إلى فلان بن فلان ، سلام عليك ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير ، ثم قال لأصحابه : أدعو الله لأخيكم أن يقبل بقلبه ، وأن يتوب الله عليه . فلما بلغ الرجل كتاب عمر ، جعل يقرؤه ويردده ويقول : غافر الذنب وقابل التوب وشديد العقاب ، قد حذرني عقوبته ووعدني بالمغفرة »[1] ، وفي رواية : « فلم يزل يرددها على نفسه حتى بكى ثم نزع فأحسن النزع، فلما بلغ عمر رضي الله عنه أمره قال : هكذا فافعلوا إذا رأيتم أخاً لكم زل زلة فسددوه ووفقوه وادعوا الله له أن يتوب عليه ولا تكونوا أعواناً للشيطان عليه »[2].

القول الرابع : أن أرجى الآيات في القرآن الكريم هي قوله تعالى : ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الحجر : ٤٩] وهذا القول نسبه القرطبي إلى عثمان ابن عفان رضي الله عنه [3].

ووجه الرجاء في هذه الآية تقدم صفة المغفرة والرحمة لله عز وجل على صفة عذابه، و نظير هذا كثير في القرآن الكريم.

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم ٣٢٦٣/١٠، قال ابن كثير: إسناده جيد وفيه انقطاع، انظر: مسند الفاروق لابن كثير ٥١٧/٢، ويزيد بن الأصم هو : يزيد بن الأصم العامري بن أخت ميمونة زوجة النبي صلى الله عليه وسلم أمه برزة بنت الحارث بن حزن بن بجير الهلالية أخت ميمونة يروى عن ميمونة، كنيته أبو عوف، روى عنه الناس مات سنة: ١٠٣هـ في إمارة هشام بن عبد الملك بالرقة وهو ابن ثلاث وسبعين سنة، انظر: الثقات ٥ /٥٣١ .

(٢) انظر: الكشف والبيان للثعلبي ٨/ ٢٦٥، وحلية الأولياء ٩٨/٤، والدر المنثور ٢٧١/٧.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٣٢٢/١٠ .

قال الفخر الرازي : « وفي الآية لطائف : أحدها : أنه أضاف العباد إلى نفسه بقوله : ﴿عِبَادِيٓ﴾ وهذا تشريف عظيم ، ألا ترى أنه لما أراد أن يشرف محمداً صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج لم يزد على قوله : ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ﴾ [الإسراء :١] ، وثانيها : أنه لما ذكر الرحمة والمغفرة بالغ في التأكيد بألفاظ ثلاثة : أولها : قوله : ﴿أَنِّيٓ﴾. وثانيها : قوله : ﴿أَنَا﴾. وثالثها : ادخال حرف الألف واللام على قوله : ﴿ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾، ولما ذكر العذاب لم يقل: أني أنا المعذب وما وصف نفسه بذلك بل قال: ﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ﴾[الحجر :٥٠] . وثالثها : أنه أمر رسوله أن يبلغ إليهم هذا المعنى فكأنه أشهد رسوله على نفسه في التزام المغفرة والرحمة ، ورابعها : أنه لما قال: ﴿نَبِّئۡ عِبَادِيٓ﴾ كان معناه نبىء كل من كان معترفاً بعبوديتي ، وهذا كما يدخل فيه المؤمن المطيع ، فكذلك يدخل فيه المؤمن العاصي، وكل ذلك يدل على تغليب جانب الرحمة من الله تعالى»[1].

القول الخامس : أن أرجى الآيات في القرآن الكريم هي قوله تعالى : ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلۡمِهِمۡۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [الرعد : ٦] وهذا القول نسبه أبو جعفر النحاس إلى ابن عباس – رضي الله عنهما –[2] .

ووجه الرجاء في هذه الآية من وجهين :

الأول : تقدم صفة المغفرة لله تعالى على صفة شدة عقابه .

الثاني : أن الله سبحانه وتعالى في هذه الآية لم يقصر المغفرة على التائبين فحسب، بل جعلها تعم غير التائبين من الظالمين لأنفسهم بارتكابهم للمعاصي والذنوب دون الشرك والكفر الأكبرين ، ولهذا قال سبحانه في هذه الآية ﴿عَلَىٰ

---

(١) مفاتيح الغيب ١٩/١٥٤-١٥٥.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٤/١٦ .

ظُلْمِهِمْ﴾ ولم يقل على إحسانهم أو على توبتهم وإنابتهم .

القول السادس : أن أرجى الآيات في القرآن الكريم هي قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾ [الشورى : ٣٠] .

وقد نسب الزمخشري[١] والقرطبي[٢] هذا القول إلى علي بن أبي طالب – رضي الله عنه - .

وقد حكى ابن سمعون[٣] في أماليه عن الواحدي أنه قال : « إن هذه الآية أرجى آية في القرآن ؛ لأنه جعل ذنوب المؤمنين صنفين : صنف كفّره بالمصائب ، وصنف عفا عنه ، وهو جلّ وعلا كريم لا يعود في عفوه »[٤] .

القول السابع : أن أرجى الآيات في القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء : ٤٨] .

وقد نسب الواحدي هذا القول إلى علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –[٥] وكذلك البغوي[٦] .

ووجه الرجاء في هذه الآية أن من مات وهو لا يشرك بالله شيئاً فإن مصيره إلى الجنة ، ومن مات وهو يشرك بالله الشرك الأكبر فإن مصيره إلى النار خالداً مخلداً فيها .

---

(١) الكشاف للزمخشري ٢٣١/٤ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٣٠/١٦ .

(٣) هو محمد بن أحمد بن إسماعيل بن عنبس أبوالحسين الواعظ ، كان واحد دهره وفريد عصره في الكلام على علم الخواطر والإشارات، واشتغل بعلم الحديث فحدث عن أبي داود السجستاني وأحمد المخرمي وابن مخلد الدوري وغيرهم ، وتوفي سنة ٣٨٧هـ . انظر: تاريخ بغداد ٢٧٥/١-٢٧٧.

(٤) أمالي ابن سمعون ٦/٢ .

(٥) الوسيط في تفسير القرآن المجيد للواحدي ٦٣/٢ .

(٦) معالم التنزيل ٤٤٠/١ .

والنصوص من السنة تعضد ذلك ، فمنها حديث معاذ – رضي الله عنه – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة»[١] .

وأخرج ابن أبي حاتم بإسناده عن ابن عباس – رضي الله عنهما – في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ قال : « فحرم الله المغفرة على من مات وهو كافر ، وأرجأها أهل التوحيد إلى مشيئته ، فلم يؤيسهم من المغفرة»[٢] .

القول الثامن : أن أرجى الآيات في القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ إِنَّا قَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡنَآ أَنَّ ٱلۡعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾ [طه : ٤٨] .

وقد ذكر هذا القول الثعلبي في تفسيره[٣] .

ونسبه القرطبي[٤] وأبوحيان[٥] إلى ابن عباس – رضي الله عنهما - .

ووجه الرجاء في الآية أن الله عز وجل قصر العذاب على من كذّب وتولّى ، والمؤمن لم يكذّب ولم يتولّى .

القول التاسع : أن أرجى الآيات في القرآن الكريم هي قوله تعالى : ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ ﴾ [البقرة : ٢٦٠] .

وهذا القول مروي عن ابن عباس – رضي الله عنهما - ، فقد أخرج ابن جرير وغيره عن سعيد بن المسيب قال : « اتعد عبدالله بن عباس وعبدالله بن عمرو –

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٩) ، ومسلم (٩٣) .

(٢) تفسير ابن أبي حاتم ٩٧٠/٣ .

(٣) الكشف والبيان للثعلبي ٢٤٦/٦ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٢٠٤/١١ .

(٥) البحر المحيط لأبي حيان ٢٣٢/٦ .

رضي الله عنهم – أن يجتمعا . قال : ونحن يومئذ شببة ، فقال أحدهما لصاحبه: أي آية في كتاب الله أرجى لهذه الأمة ؟ فقال عبدالله بن عمرو : ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ حتى ختم الآية ، فقال ابن عباس : أما إن كنت تقول إنها، وإن أرجى آية لهذه الأمة قول إبراهيم – عليه السلام -: ﴿رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ﴾ »[1] .

قال ابن عطية في بيان وجه الرجاء كما في قول ابن عباس – رضي الله عنهما : «فأما قول ابن عباس هي أرجى آية فمن حيث فيها الإدلال على الله تعالى وسؤال الإحياء في الدنيا ، وليست مظنة ذلك ، ويجوز أن يقول هي أرجى آية لقوله : ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن ﴾ أي إن الإيمان كاف لا يحتاج بعده إلى تنقير وبحث »[2] .

القول العاشر : أن أرجى الآيات في القرآن الكريم هي قوله تعالى : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ [الضحى : ٥] وهذا القول ينسب إلى آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم ، ومنهم علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – وأبناؤه .

فقد أخرج ابن خزيمة في كتاب التوحيد عن علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – أنه قال : « إنكم تقولون معشر أهل العراق : إن أرجى آية في كتاب الله سبحانه وتعالى ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ قرأ إلى قول ﴿جَمِيعًا﴾ ولكنا أهل البيت نقول : إن أرجى آية في كتاب الله تعالى ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾»[3] .

ووجه الرجاء في هذه الآية أن الله عز وجل وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرضيه ، والرسول عليه الصلاة والسلام لا يرضى ببقاء أحد من أمته في النار .

---

(١) جامع البيان ٤٩/٣ .

(٢) المحرر الوجيز ٣٥٢/١ .

(٣) كتاب التوحيد لابن خزيمة ٦٧٣/٢ . وأخرجه أبونعيم الأصبهاني في الحلية ١٧٩/٣ .

وقد أنكر ابن عقيل الحنبلي هذا القول في توجيه الرجاء في الآية ، فقال : «فإن النبي صلى الله عليه وسلم يرضى بعذاب الفجار ، كيف وقد لعن في الخمر عشرة ، فدعوى أنه لا يرضى بتعذيب الله عز وجل للفجار دعوى باطلة ...»[(١)] .

قال ابن القيم : « ومنهم يغتر بفهم فاسد فهمه هو وأضرابه من نصوص القرآن والسنة فاتكلوا عليه ، كاتكال بعضهم على قوله تعالى : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ فقال: وهو لا يرضى أن يكون في النار أحد من أمته ، وهذا من أقبح الجهل وأبين الكذب عليه ، فإنه يرضى بما يرضى به ربه عز وجل ، والله تعالى يرضيه تعذيب الظلمة والفسقة والخونة والمصرين على الكبائر ، فحاشا رسوله أن يرضى بما لا يرضى به ربه تبارك وتعالى »[(٢)] .

قلت : كلام الإمامين ابن عقيل وابن القيم خاص بأهل الرجاء الكاذب ، وقد مضى فيما سبق الكلام على هذا النوع .

والرجاء في هذه الآية باقٍ على أصله ، وقد جاء ما يؤيده من السنة النبوية ، فعن عبدالله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا قول الله عز وجل في إبراهيم : ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ﴾ [إبراهيم : ٣٦] وقال عيسى عليه السلام : ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [المائدة : ١١٨] فرفع يديه وقال : « **اللهم أمتي أمتي ، وبكى فقال الله عز وجل : يا جبريل اذهب إلى محمد وربك أعلم فسله ما يبكيك. فأتاه جبريل – عليه السلام- فسأله فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال وهو أعلم ، فقال الله : يا جبريل اذهب إلى محمد فقل : إنا**

---

(١) انظر: تلبيس إبليس لابن الجوزي ٤٢٢/١ ، وقد مضت ترجمة ابن عقيل ص ٢٦٤.

(٢) الجواب الكافي لابن القيم ١٢/١ .

سنرضيك في **أمتك ولا نسوؤك** »[١] .

القول الحادي عشر : أن أرجى الآيات في القرآن الكريم هي قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [النساء : ١١٠] .

وقد نسب أبوحيان في تفسيره هذا القول إلى ابن مسعود – رضي الله عنه –[٢].

ووجه الرجاء في هذه الآية لا يحتاج إلى توضيح أو بيان .

القول الثاني عشر : أن أرجى الآيات في القرآن الكريم هي قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [النور : ٢٢] .

وهذا القول أخرجه مسلم في صحيحه عن عبدالله بن المبارك [٣] .

ووجه الرجاء في هذه الآية هو لطف الله عز وجل بالقذفة العصاة وأمره بالعفو والصفح عنهم ، وإذا كان هذا في الدنيا ففي الآخرة من باب أولى .

القول الثالث عشر : أن أرجى الآيات في القرآن الكريم هي قوله تعالى : ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾ [التوبة : ١٠٢] .

وهذا القول أخرجه ابن أبي الدنيا عن أبي عثمان النهدي[٤] .

---

(١) أخرجه مسلم (٢٠٢) .

(٢) البحر المحيط لأبي حيان ٣٦١/٣ .

(٣) صحيح مسلم (٢٧٧٠) في آخر حديث الإفك .

(٤) كتاب التوبة لابن أبي الدنيا ٨٣/١ ، وأبوعثمان النهدي هو : عبدالرحمن بن مل النهدي من قضاعة، أدرك الجاهلية والإسلام ، وروى عن جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشهد غزوة القادسية ونهاوند وتستر وأذربيجان وغيرها ، توفي سنة ٩٥هـ وعمره ١٣٠سنة. انظر : الثقات لابن حبان ٧٥/٥ ، وتذكرة الحفاظ للذهبي ٦٥/١ .

وكذلك السمعاني نسبه إليه في تفسيره [١] .

ووجه الرجاء في الآية أنها اشتملت على « عسى » المضافة إلى الله عز وجل، وقد سبق البيان بأنها إذا كانت مضافة إلى الله تعالى فإنها تفيد تحقق وقوع ما بعدها.

القول الرابع عشر : أن أرجى الآيات في القرآن الكريم هي قوله تعالى : ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾﴾ [البلد : ١٥-١٦] .

وهذا القول مروي عن الشافعي [٢] .

ووجه الرجاء في هذه الآية أن الله عز وجل لم يهمل رحمته بالناس حتى في حملهم على إحسان بعضهم لبعض ، ومن ذلك الاعتناء بحقوق اليتامى والمساكين.

القول الخامس عشر : أن أرجى الآيات في القرآن الكريم هي قوله تعالى : ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر : ٦] .

وهذا القول نسبه السلمي إلى العابدة الزاهدة رابعة العدوية : وقال السلمي معلقاً على قولها : «كأنه يخاطبنا فيقول : أنا حبيبكم فاتخذوني حبيباً»[٣] وهذا المعنى من التفسير مأخوذ من مفهوم المخالفة في الآية .

وله نظير في آية أخرى من سورة الكهف وهي قوله تعالى : ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف : ٥٠] .

ففي هذه الآية إنكار من الله تعالى على من اتخذ الشيطان ولياً من دونه سبحانه وتعالى ، فبؤساً ثم بؤساً لمن استبدل ولاية الله تعالى بولاية إبليس وذريته .

قال ابن القيم : « ويشبه أن يكون تحت هذا الخطاب نوع من العتاب لطيف

---

(١) تفسير السمعاني ٣٤٥/٢ .

(٢) أحكام القرآن للشافعي ٣٨/١ .

(٣) حقائق التفسير للسلمي ١٥٨/٢. ورابعة العدوية هي : رابعة بنت إسماعيل العدوية البصرية، مولاة آل عتيك الصالحة العابدة المشهورة ، تكنى بأم الخير ، كانت مضرب المثل في كثرة عبادتها وزهدها، وكانت وفاتها سنة ١٣٥هـ في مدينة القدس . انظر : وفيات الأعيان لابن خلكان ٢٨٥/٢ .

عجيب ، وهو أني عاديت إبليس إذ لم يسجد لأبيكم آدم مع ملائكتي ، فكانت معاداته لأجلكم ، ثم كان عاقبة هذه المعاداة أن عقدتم بينه وبينكم عقد المصالحة؟!»[١] .

القول السادس عشر : أن أرجى الآيات في القرآن الكريم هي قوله تعالى : ﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [الأحقاف : ٣٥] .

وهذا القول حكاه جمع من المفسرين منهم أبوجعفر النحاس[٢] والسمعاني[٣] والبغوي[٤] والقرطبي[٥] والشوكاني[٦] وغيرهم .

ووجه الرجاء في هذه الآية كما بينه الزجاج بقوله : « أي أنه لا يهلك مع رحمة الله وتفضله إلا القوم الفاسقون ، وما في الرجاء لرحمة الله شيء أقوى من هذه الآية»[٧] .

والمراد بالفسق في هذه الآية هو الفسق الأكبر ، وهذا هو قول جمهور المفسرين ، ونظيره قوله تعالى عن إبليس : ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ [الكهف : ٥٠] ، ولعل ما يستشهد به لذلك صدر السورة التي بعدها ، قال تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد : ١] .

قال الفخر الرازي : « أول هذه السورة – أي سورة محمد – مناسب لآخر السورة المتقدمة – أي سورة الأحقاف – فإن آخرها قوله تعالى : ﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ

---

(١) الجواب الكافي ٥٦/١ .

(٢) إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس ١٧٥/٤ .

(٣) تفسير السمعاني ١٦٦/٥ .

(٤) معالم التنزيل ١٧٧/٤ .

(٥) الجامع لأحكام القرآن ٢٢٢/١٦ .

(٦) فتح القدير ٢٧/٥ .

(٧) معاني القرآن للزجاج ٤٤٨/٤ .

ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ وفي أول هذه الـسورة قـال : ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ أي : لم يبق لهم عمل ولم يوجد ، فلم يمتنع الإهلاك » [١] .

القول السابع عشر : أن أرجى الآيات في القرآن الكريم هي قوله تعالى : ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ [محمد : ١١] وهذا هو قول أبوالقاسم القشيري ، حيث قال : « ويصح أن يقال : إن هذه أرجى آية في القرآن ، ذلك بأنه سبحانه يقول : ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ ولم يقل : مولى الزهاد والعباد وأصحاب الأوراد والاجتهاد ، فالمؤمن وإن كان عاصياً ، فهو من جملة الذين آمنوا ...»[٢] .

القول الثامن عشر : أن أرجى الآيات في القرآن الكريم هي قوله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٤٧] وهذا القول حكاه ابن عطية عن والده [٣] .

ووجه الرجاء في الآية هو ما ذكره ابن عطية بقوله : « لأن الله تعالى أمر نبيه أن يبشر المؤمنين بأن لهم عنده فضلاً كبيراً ، وقد بين تعالى الفضل الكبير ما هو في قوله تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [الشورى : ٢٢] فالآية التي في سورة

---

(١) مفاتيح الغيب ٣٢/٢٨ . بتصرف يسير .

(٢) لطائف الإشارات للقشيري ٢٠١/٣ .

(٣) المحرر الوجيز ١٧٣/٤، ٣٨٩/٤ .. ووالد ابن عطية هو : غالب بن عبدالرحمن بن غالب بن عطية المحاربي الغرناطي الأندلسي ، يكنى بأبي بكر ، ولد سنة ٤٤١هـ ، وهو إمام في الحديث ، وكـان سبباً في تأليف ابنه عبدالحق للتفسير ؛ لأنه كان يحثه على الكتابة فيه ، وربما أيقظه في الليلة مـرتين يقول له : اكتب كذا وكذا في موضع كذا من تفسيرك ، وتوفي سنة ٥١٨هـ . انظر : تـذكرة الحفاظ ١٢٦٩/٤، وفهرسة ابن عطية ٥٩/١ .

الأحزاب خبر والتي في ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢﴾ [الشورى : ١-٢] تفسير لها»[١].

القول التاسع عشر : أن أرجى الآيات في القرآن الكريم هي قوله تعالى : ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال : ٣٨] .

وهذا القول حكاه الزركشي ثم ذكر عن الشبلي أنه قال : « إذا كان الله أذن للكافر بدخول الباب إذا أتى بالتوحيد والشهادة أفتراه يخرج الداخل فيها والمقيم عليها ؟ »[٢] .

القول العشرون: أن أرجى الآيات في القرآن هي آية الدين قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ﴾ [سورة البقرة : ٢٨٢] .

وقد حكى هذا القول الزركشي ، ووجه الرجاء فيها ما ذكره بقوله : « إن الله تعالى أرشد عباده إلى مصالحهم الدنيوية حتى انتهت العناية بمصالحهم إلى أن أمرهم بكتابة الدين الكبير والحقير ، فبمقتضى ذلك يرجى عفو الله تعالى عنهم ، لظهور أمر العناية العظيمة في مصلحتهم الحقيرة »[٣] .

وقال أبوطالب المكي : « وكان بعض الراجين من العارفين إذا تلا هذه الآية أي آية الدين التي في سورة البقرة يسر بذلك ويستبشر لها ويعظم رجاؤه عندها ، فقيل له في ذلك : إنها ليس فيها رجاء ولا ما يوجب الاستبشار ! . فقال : بلى فيها رجاء عظيم ، قيل : وكيف ذلك ؟ فقال : إن الدنيا كلها قليل ورزق الإنسان فيها قليل من قليل ، وهذا الدين من رزقه قليل ، ثم إن الله تبارك وتعالى احتاط في ذلك، ورفق النظر لي بأن وكّد ديني بالشهود والكتاب ، وأنزل فيه أطول آية في كتابه ، ولو فاتني ذلك لم أُبال به ، فكيف يكون فعله بي في الآخرة التي لا عوض

---

(١) المحرر الوجيز ٣٨٩/٤-٣٩٠ .

(٢) البرهان في علوم القرآن ٤٤٦/١-٤٤٧ .

(٣) المصدر السابق ٤٤٦/١ .

لي من نفسي فيها ... »[١] .

قلت : وليس هذا خاص بآية الدين فحسب ، بل يدخل في ذلك جميع آيات الأحكام المتعلقة بشؤون العباد ومصالحهم مع بعضهم البعض ، مثل آيات المواريث والطلاق وغيرها .

القول الحادي والعشرون : أن أرجى الآيات في القرآن الكريم هي قوله تعالى : ﴿وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾ [سبأ : ١٧] .

وقد حكى هذا القول الزركشي[٢] .

ووجه الرجاء في الآية أن الله عز وجل حصر المجازاة في الكفر ، فمفهومه أن غير الكافر وهو المؤمن لا يجازى ، بل يتفضل الله سبحانه وتعالى عليه بالمغفرة أو بالتكفير لسيئاته ، وقد أشار إلى هذا ابن جرير[٣] والحافظ ابن حجر[٤] .

القول الثاني والعشرون : أن أرجى الآيات في القرآن الكريم هي قوله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام : ٨٢].

وهذا هو قول القرطبي حيث قال : « وقرأت القرآن من أوله إلى آخره فلم أر آية أحسن وأرجى من قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾»[٥] .

ووجه الرجاء في الآية أن الله سبحانه وتعالى وعد عباده المؤمنين بالأمن والاهتداء في الدنيا والآخرة إذا ماتوا على التوحيد غير مشركين به .

---

(١) قوت القلوب لأبي طالب المكي ٣٦٨/١ .

(٢) البرهان في علوم القرآن ٤٤٧/١ .

(٣) انظر : جامع البيان ٨٣/٢٢ .

(٤) انظر : فتح الباري لابن حجر ٥٣٧/٨ .

(٥) الجامع لأحكام القرآن ٣٢٣/١٠ .

لأن الظلم في هذه الآية هو الشرك كما فسره بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد أخرج الشيخان عن عبدالله بن مسعود – رضي الله عنه – قال : لما نزلت ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾ شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا : أينا لا يظلم نفسه ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **ليس هو كما تظنون ، إنما هو كما قال لقمان لابنه** : ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾[لقمان : ١٣] »[١] .

ولأن المؤمن قد يكون في آن واحد مؤمناً وعاصياً معصية لا تخرجه من دائرة الإسلام ، ويستحيل أن يكون مؤمناً ومشركاً في آن واحد ؛ لأن الضدين لا يجتمعان في مكان واحد ، ولا يرتفعان ، فإذا حكم على أحدهما بالثبوت أو الانتفاء كان الآخر مكانه لا محالة .

القول الثالث والعشرون : أن أرجى الآيات في القرآن الكريم هي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّ﴾ [الأنعام : ٦٢] .

وقد حكى هذا القول الألوسي في تفسيره حيث قال : « وذكر بعض أهل الإشارة أن هذه أرجى آية في كتاب الله تعالى بناءً على أن الله تعالى أخبر برجوع العبد إليه سبحانه وخروجه من سجن الدنيا وأيدي الكاتبين واصفاً نفسه بأنه مولاه الحق المشعر بأن غيره سبحانه لا يعد مولى حقاً ، ولا شك أنه لا أعز للعبد من أن يكون مرده إلى مولاه »[٢] .

القول الرابع والعشرون : أن أرجى الآيات في القرآن الكريم هي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ﴾[فاطر : ٣٢] .

وهذا هو قول الشنقيطي ، ووجه الرجاء فيها ما ذكره بقوله : « إن الله تعالى

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٨١) ، ومسلم (١٢٤) .

(٢) روح المعاني ١٩٢/٧ .

بين في هذه الآية الكريمة أن إيراث هذه الأمة لهذا الكتاب دليل على أن الله اصطفاها ، ثم بدأ بذكر الظالم لنفسه وهو الذي يطيع الله ولكنه يعصيه ، ثم المقتصد وهو الذي يطيع الله ولا يعصيه ، ولكنه لا يتقرب بالنوافل من الطاعات، ثم السابق بالخيرات وهو الذي يأتي بالواجبات ويجتنب المحرمات ويتقرب إلى الله بالطاعات والقربات، وهذا أصح الأقوال في تفسير المراد بهؤلاء ، ثم وعد الجميع بجنات عدن وهو لا يخلف الميعاد في قوله : ﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا ﴾ [فاطر : ٣٣] إلى قوله : ﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٞ ﴾ [فاطر : ٣٥] والواو في يدخلونها شاملة للظالم والمقتصد والسابق على التحقيق ، ولذا قال بعض أهل العلم : حق لهذه الواو أن تكتب بماء العينين ، فوعده الصادق بجنات عدن لجميع أقسام هذه الأمة ، وأولهم الظالم لنفسه يدل على أن هذه الآية من أرجى آيات القرآن ، ولم يبق من المسلمين أحد خارج عن الأقسام الثلاثة »[١] .

وهذه الأقوال السابقة خاصة فيما يتعلق بالآيات التي قيل عنها : هي أرجى الآيات في القرآن الكريم ، وإلا فهناك آيات كثيرة وضعت بما يدل على أنها من أرجى الآيات ، كقول عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه – في قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ...﴾ [آل عمران : ١٣٥] قال : « لهي أحب إلي من الدنيا وما فيها » [٢] .

وكقول عبدالله بن عباس – رضي الله عنهما - : « ثماني آيات نزلت في سورة النساء هن خير لهذه الأمة مما طلعت عليه الشمس وغربت :

أولهن : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ وَيَهۡدِيَكُمۡ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَيَتُوبَ عَلَيۡكُمۡۗ ﴾ [النساء : ٢٦] .

والثانية : ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن

---

(١) أضواء البيان ٤٨٩/٥-٤٩٠بتصرف يسير .

(٢) أخرجه ابن المنذر في تفسيره ص٣٨٦ .

تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا ﴿٢٧﴾ ﴾ [النساء : ٢٧] .

والثالثة : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ﴾ [النساء : ٢٨] .

والرابعة : ﴿ إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا ﴿٣١﴾ ﴾ [النساء : ٣١] .

والخامسة : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾ [النساء : ٤٠] .

والسادسة: ﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١١٠﴾ ﴾ [النساء : ١١٠] .

والسابعة: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾ [النساء : ٤٨] .

والثامنة : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾ [النساء : ١٥٢]»[1] .

ومن ذلك ما ذكره السيوطي في كتابه الحاوي عن شهاب الدين الأقفهسي[2] بأن من جملة الآيات التي قيل عنها هي أرجى الآيات في كتاب الله تعالى هي قوله تعالى : ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ ﴾ [المائدة :٣] [3] .

ووجه الرجاء في هذه الآية من عدة أوجه :

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره ٤٥/٥ ، والبيهقي في الشعب (٧١٤٥) .

(٢) هو أحمد بن العماد الأقفهسي الشافعي ، من كبار علماء الشافعية وله مصنفات كثيرة من أشـهرها كتابه : كشف الأسرار عما خفي عن فهم الأفكار ، وتسهيل المقاصد ، والقول التام في أحكـام المأموم والإمام ، وغيرها . توفي سنة ٨٠٨هـ . انظر : طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١٦/٤.

(٣) الحاوي للفتاوى للسيوطي ٢٨٨/٢ .

الوجه الأول : ذكر ابن العربي في أحكامه أن من معاني قوله تعالى : ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ أي استجبت لكم دعاءكم ودعاء نبيكم لكم »[١] .

وهذا من البشارات الربانية لهذه الأمة ، ولا سيما أن هذه الآية اجتمع في نزولها شرف الأزمنة والأمكنة .

الوجه الثاني : أن إتمام النعمة في قوله تعالى : ﴿وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي﴾ يتناول الدنيا والآخرة، فأما في الدنيا فقد تحقق بإكمال الشريعة وظهور العزة وحصول الأمن والأمان ، وأما في الآخرة فلا يتحقق إلا بدخول الجنة ، و الله سبحانه وتعالى بفضله وكرمه لن يحرم عباده المؤمنين من ذلك النعيم المقيم .

قال أبوالقاسم القشيري : « والنعمة على الحقيقة ما لا يقطعك عن المُنعم بل يوصلك إليه ، والنعمة المذكورة هاهنا نعمة الدين ، وإتمامها وفاء المآل ، واقتران الغفران وحصوله ، فإكمال الدين تحقيق المعرفة ، وإتمام النعمة تحصيل المغفرة ، وهذا خطاب لجماعة المسلمين ، ولا شك في مغفرة جميع المؤمنين ، وإنما الشك يعتري الآحاد والأفراد هل يبقى على الإيمان ؟ »[٢] .

الوجه الثالث : أن الرضا في قوله تعالى : ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ يتناول الرضا به ديناً والرضا عن أهله المستمسكين به إلى الممات .

ومن الآيات التي ذكرها السيوطي عن الأقفهسي بأنها من أرجى الآيات قوله تعالى : ﴿وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ﴾ [المائدة : ٦][٣] .

ووجه الرجاء في هذه الآية أن التطهير في هذه الآية الكريمة يتناول التطهير من الأحداث والتطهير من الذنوب والخطايا ، فقد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي ٤٠/٢ .

(٢) لطائف الإشارات للقشيري ٢٤٩/١ .

(٣) الحاوي للفتاوى للسيوطي ٢٨٨/٢ .

وسلم أنه قال : « **إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينيه مع الماء أو مع آخر قطر الماء ، فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتها يداه مع الماء أو مع آخر قطر الماء ، فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء أو مع آخر قطر الماء حتى يخرج نقياً من الذنوب** »[1] .

وهذا من بعض إتمام نعمة الله على عبده المسلم ؛ لأن إتمام النعمة لا يحصل إلا بدخول الجنان وحلول الرضوان والتلذذ بالنظر إلى الكريم الرحمن .

ومن الآيات في هذا الباب ما حدثني به الشيخ عبد الله ابن الشيخ محمد الأمين الشنقيطي ، أنه كان يقرأ على أبيه القرآن في مكة فجعل أبوه يبكي ثم قال له : يا ولدي في كتاب الله آية تفرحني كثيراً ، فسألته عنها فقال : « قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ ﴾ [النجم : ٣١-٣٢] ونحن تجنبنا كبائر الإثم وإن شاء الله نترك ما استطعنا من صغارها »[2] .

وآيات الرجاء في القرآن الكريم كثيرة جداً ، ولولا خشية الإطالة في هذا المبحث لسردت معظمها ، ولكني أختم بذكر واحدة هي من أعظمها إن لم تكن هي أرجى الآيات في القرآن الكريم ، وهي قوله تعالى : ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرًا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٤) .

(٢) وقد ذكر هذه القصة أيضاً الأخ عبدالرحمن السديس في كتابه : « ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي» ص٢٠٤، والشيخ الدكتور عبدالله ابن الشيخ محمد الأمين الشنقيطي من المشايخ الفضلاء الذين تشرفت بمعرفتهم ، وهو يعمل الآن أستاذاً في قسم التفسير بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية .

ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾ [البقرة : ٨٦] .

ووجه الرجاء فيها أنه قد ثبت في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – أن الله عز وجل قال بعد كل دعاء من هذه الأدعية السابقة: «**نعم**»[١]، وفي رواية من حديث ابن عباس – رضي الله عنهما – أن الله عز وجل قال بعد كل دعاء من هذه الأدعية : « **قد فعلت** » [٢] .

قال الشيخ ابن عثيمين في الكلام على هذه الآية : « ومن رحمة الله بالخلق أن علمهم دعاءً يدعونه به ، واستجاب لهم إياه »[٣] .

وقد كنت أغفلت ذكر هذه الآية في آيات الرجاء كما أغفلها أهل التفسير لولا رؤيا رأيتها في المنام جعلتني أذكرها [٤] .

* * *

(١) صحيح مسلم (١٢٥) .

(٢) صحيح مسلم (١٢٦) .

(٣) تفسير سورة البقرة لابن عثيمين ٤٥٦/٣ .

(٤) وهو أني رأيت في المنام أن الشيخ/ عبدالله الحكمة وهو أحد مشائخنا في مرحلة الماجستير ، قال لي: لماذا لم تذكر آخر سورة البقرة في آيات الرجاء ؟ فقلت له : هي من جملة الأدعية التي ذكرها الله عز وجل في كتابه الكريم ، فقال لي : ألم يقل الله في آخرها : قد فعلت؟ فقلت : بلى ، ثم استيقظت على إثر ذلك ، فعزمت على ذكرها في هذا المبحث ضمن آيات الرجاء .

الفصل الثالث

الأسباب الباعثة على الرجاء

وفيه سبعة مباحث :

المبحث الأول: تحقيق التوحيد .

المبحث الثاني: تذكّر سعة رحمة الله تعالى بعباده .

المبحث الثالث : العلم بأسماء الله الحسنى وصفاته والتأمل في معانيها.

المبحث الرابع : التفكّر في كون الرجاء عبادة لله تعالى .

المبحث الخامس : الأعمال الصالحة .

المبحث السادس : التأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم .

المبحث السابع : فتح باب الأمل والتوبة إلى الله .

المبحث الأول : تحقيق التوحيـــد

إن للتوحيد أثراً عظيماً في قطع جذور اليأس من قلب العبد ، ولذلك كان هـو أهم الأسباب والعوامل الباعثة على الرجاء ، وهو أصل دعوة الأنبياء والرسل كما أخبر الله تعالى به في كتابه العزيز بقولـه : ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء : ٢٥] . وقال تعالى : ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ١٨ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ١٩﴾ [الأعلى : ١٨-١٩] .

قال أبو القاسم القشيري : « وإن هذا الوعظ لفي الصحف المتقدمة ، وكـذلك في صحف إبراهيم وموسى وغيرهما ؛ لأن التوحيد والوعد والوعيد .. لا تختلـف باختلاف الشرائع » [١] .

وإن العبد المسلم إذا نظر وتأمل في أحاديث فضل التوحيد وما ينشأ عنـه مـن الآثار الطيبة في الدنيا والآخرة ، انفتح له باب من الرجاء عظيم ، لأن التوحيد من أعظم الأسباب التي يستجلب بها مغفرة الله عز وجل ، وهو المانع من الخلـود في النار .

قال ابن سعدي : « ومن الأدلة العقلية على ذلك ما شاهده العباد بأبصارهم من قديم الزمان وحديثه ، من الإكرام لأهل التوحيد ، والإهانة والعقوبة لأهل الشرك ، وما ذاك إلا لأن التوحيد جعله الله موصلاً إلى كل خير ، دافعاً لكل شـر ديـني ودنيوي ، وجعل الشرك به والكفر سبباً للعقوبات الدينية والدنيوية » [٢] .

وقد عقد الشيخ محمد بن عبد الوهاب[٣] في كتاب التوحيد باباً بعنوان « **فضل**

---

(١) لطائف الإشارات للقشيري ٤١٥/٣ .

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص١٢٥ .

(٣) هو الشيخ محمد بن عبدالوهاب بن سليمان بن علي التميمي ، ولد سنة ١١١٥هـ في بلدة العيينـة

التوحيد وما يكفّر من الذنوب » ثم ساق النصوص الدالة في ذلك[١] .

ومنها قوله تعـالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام : ٨٢] .

وقد مضى الكلام على هذه الآية فيما سبق وأنها من جملة الآيات التي قيل عنها : أرجى آية في القرآن الكريم .

قال الحكيم الترمذي في الكلام على الآيـة الـسابقة: « فوعـد الله في تنزيلـه للمستقيم الأمان من الخوف والحزن والبشرى بالجنة، ولمن لم يلبس إيمانـه بظلـم الأمن والاهتداء، فكل إنما ينال من ذلك الوعد بقدر ما فيه من الاسـتقامة وقلـة اللبس، فالمؤمن لما آمن تقبل الله إيمانه ودخل في أمانه، فله الأمن في الدنيا والآخرة من كل آفة، فلما أذنب خرج من أمان الله بقدر ذلك الذنب، ونقص من الأمـن بقدر ذلك، واستحق العقوبة بقدر ذلك، وهو أن يزيل نعمة من نعمه عنه بقـدر ذلك، وإن شاء تفضل وعفا، وإن عاقب زالت عنه من النعم بقدر ذلك ...»[٢].

وعن عبادة بن الصامت – رضي الله عنه – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـه ، وأن محمـداً عبـده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله ، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منـه ، والجنة حق والنار حق ، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل** »[٣] .

في نجد ، ونشأ نشأة دينية في بيت والده ، ورحل في طلب العلم ، و صدع بالحق في محاربة الشرك والبدع في الجزيرة العربية ، إلى أن قيض الله عز وجل له الإمام محمد بن سعود أمـير الدرعيـة ، فناصره على دعوته إلى التوحيد حتى كان لهما الفضل بعد الله عز وجل لإنقاذ الناس مـن بـراثن الشرك ، وله عدة مؤلفات منها : كتاب التوحيد ، وكشف الشبهات ، وتفسير بعض سور القرآن، وأصول الإيمان ، وغيرها ، توفي سنة ١٢٠٦هـ في الدرعية . انظر : الأعلام ٢٥٧/٦ .

(١) كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبدالوهاب ص١٢ .

(٢) نوادر الأصول ٢٠٩/٤-٢١٠.

(٣) أخرجه البخاري (٣٢٥٢) ، ومسلم (٢٨) .

وعن عتبان بن مالك – رضي الله عنها – قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «**فإن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله**»[١].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «**قال الله تعالى : من لقيني بقُراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئاً ، لقيته بمثلها مغفرة**»[٢].

وفضائل التوحيد كثيرة جداً والنصوص في ذلك غزيرة جمة ، وليس هذا محل بسطها والكلام عليها ، ولكن المقصود في هذا المبحث هو الإشارة إلى أن التوحيد من أعظم الأسباب الباعثة على الرجاء ، إذا كان سالماً مما يقدح فيه أو يضعفه ، وبحسب قوة توحيد العبد يقوى رجاؤه ، والعكس بالعكس .

ولذلك كان بعض السلف يعلّق رجاءه بالتوحيد بعد حسن الظن بربه عز وجل.

فقد أخرج ابن عساكر في تاريخه عن مالك بن مغول[٣] أنه قال : « إني لأرجو على حب أبي بكر وعمر – رضي الله عنهما – ما أرجو بالتوحيد » [٤] .

فحب أبي بكر وعمر – رضي الله عنهما – من أسباب اللحاق بهم والحشر معهم ، وهذا ما كان يرجوه مالك بن مغول في حبه لأبي بكر وعمر – رضي الله عنهما – وهو نظير ما كان يرجوه بتوحيده لله تعالى في النجاة من عذابه وأليم عقابه .

أخرج الشيخان في صحيحيهما عن أنس بن مالك – رضي الله عنهما – أن

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٣٩) ، ومسلم (٢٦٣) .

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٨٧) .

(٣) هو العالم الجليل مالك بن مغول بن عاصم بن غزية البجلي ، الإمام الثقة المحدث ، يكنى بأبي عبدالله ، وثّقه عامة أهل الحديث ، وكان من سادة العلماء والأجلاء ، توفي سنة ١٥٩هـ . انظر : سير أعلام النبلاء ١٧٤/٧ ، ومشاهير علماء الأمصار لابن حبان ١٦٩/١ .

(٤) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ٣٨٥/٤٤ .

رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الساعة فقال : متى الساعة ؟ قال : « **وما أعددت لها ؟** » قال : لا شيء إلا أني أُحب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم . فقال : « **أنت مع من أحببت** » قال أنس : فما فرحنا بشيءٍ فرحنا بقول النبي صلى الله عليه وسلم : « **أنت مع من أحببت** » قال أنس : فأنا أُحب النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم ، وإن لم أعمل بمثل أعمالهم [(١)] .

والمقصود أن التوحيد هو السبب الأعظم لنيل مغفرة الله تعالى ورحمته ، فمن فقده فقد المغفرة والرحمة ، بل وفقد السعادة الأبدية ، وكان من أهل الشقاوة السرمدية .

ومن جاء به فقد أتى بأعظم أسباب المغفرة والرحمة ، و هو رأس مال العبد في هذه الحياة الدنيا ، ولا يصح العمل إلا به ، وكما أن الشرك أعظم الذنوب كما جاء في حديث عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – قال : سألت النبي صلى الله عليه وسلم : أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: «**أن تجعل لله نداً وهو خلقك**»[(٢)].

كذلك التوحيد هو أعظم الحسنات ، وقد كثر وروده والأمر به في كتاب الله تعالى ، وما ذاك إلا لعظيم منزلته عند الله تعالى ؛ لأنه هو الغاية العظمى من خلق الثقلين ، قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات : ٥٦] .

قال مقاتل بن سلمان وغيره من أهل التفسير : « أي إلا ليوحدون »[(٣)] .

قال ابن سعدي : « وأعظم الأصول التي يقررها القرآن ويبرهن عليها توحيد

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٨٥) ، ومسلم (٢٦٣٩) .

(٢) أخرجه البخاري (٤٢٠٧) ، ومسلم (٨٦) .

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان ٢٨٠/٣ ، وبحر العلوم للسمرقندي ٣٣٠/٣ ، ومعالم التنزيل للبغوي ٢٣٥/٤ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٥٥/١٧ . وانظر صحيح البخاري كتاب التفسير باب رقم (٣٣٥) .

الألوهية والعبادة ... » [١] .

❊ ❊ ❊

(١) القواعد الحسان في تفسير القرآن لابن سعدي ص١٦٨ .

المبحث الثاني : تذكر سعة رحمة الله تعالى

إن من أعظم الأسباب الباعثة على الرجاء هو إدمان الفكر والتذكر لسعة رحمة الله تعالى بعباده ، فجميع الخلق في هذه الحياة الدنيا يتقلبون في رحمة الله تعـالى ؛ لأن رحمته في الدنيا شاملة للمسلم والكافر ، وأما في الآخرة فهي خاصة بعبـاده المؤمنين الموحدين .

وتواترت النصوص الكثيرة في الكتاب والسنة في عظم رحمة الله تعالى ، وقد ذُكر لفظ (الرحمة) في ما يقارب مائتي موضع من كتاب الله تعالى ، وهذا إن دل فإنمـا يدلّ على عظيم رحمة الله تعالى وسعتها ، وعلى قوة جانب الرجاء في كتاب الله عز وجل .

قـال تعـالى : ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام : ٥٤] .

وقال تعالى : ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ﴾ [الأنعام : ١٣٣] .

وقال تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء : ٢٩] .

وقال تعـالى : ﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [الإسراء : ٦٦] .

والآيات في هذا المعنى كثيرة جداً ، ويكفي ما سبق ذكره .

ومن الأحاديث ما أخرجه الشيخان عن عمر بن الخطاب – رضي الله عنـه – قال : قدم على النبي صلى الله عليه وسلم سبي فإذا امرأة من السبي تحلب ثـديها تسقي إذا وجدت صبياً في السبـي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته ، فقـال لنـا

النبي صلى الله عليه وسلم : « **أترون هذه طارحة ولدها في النار ؟** » قلنـا : لا ، وهي تقدر على أن لا تطرحه، فقال : «**لله أرحم بعباده من هذه بولدها**»[١] .

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن النبي صلى الله عليه وسلم قـال : « **لمـا خلق الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فـوق العـرش: إن رحمـتي تغلـب غضبي**»[٢].

وعن سلمان الفارسي – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله صلى الله عليـه وسلم : « **إن الله خلق يوم خلق السماوات والأرض مائة رحمة ، كل رحمة طباق ما بين السماء والأرض ، فجعل منها في الأرض رحمة ، فبها تعطف الوالدة على ولدها والوحش والطير بعضها على بعض ، فإذا كان يوم القيامة أكملها بهـذه الرحمة** » [٣] .

ومن الأحاديث كذلك حديث الأعرابي الذي قال : اللهم ارحمني ومحمـداً ولا ترحم معنا أحداً ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « **لقد حجرت واسعاً** »[٤] يريد رحمة الله .

وعن أبي موسى الأشعري – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله صـلى الله عليه وسلم : « **إذا كان يوم القيامة دفع الله عز وجل إلى كل مسلم يهوديـاً أو نصرانياً فيقول : هذا فكاكك من النار** »[٥] .

وفي رواية : « **يجيء يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب أمثال الجبال فيغفرها**

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦٥٣) ، ومسلم (٢٧٥٤) واللفظ له .

(٢) أخرجه البخاري (٦٩٦٩) ، ومسلم (٢٧٥١) .

(٣) أخرجه البخاري (٦١٠٤) ، ومسلم (٢٧٥٣) واللفظ له .

(٤) أخرجه البخاري (٥٦٦٤).

(٥) أخرجه مسلم (٢٧٦٧) .

الله لهم **ويضعها على اليهود والنصارى** »[١] .

قال النووي : « وقد جاء عن عمر بن عبدالعزيز والشافعي – رحمهما الله – أنهما قالا : هذا الحديث أرجى حديث للمسلمين ، وهو كما قالا ، لما فيه من التصريح بفداء كل مسلم وتعميم الفداء ولله الحمد »[٢] .

والأحاديث في هذا الباب كثيرة جداً .

والحاصل أن المسلم إذا نظر في هذه الأحاديث وتدبرها بعين البصيرة واليقين ، حصل له من الفرح والاستبشار والرجاء في رحمة الله وعفوه ما يعجز البيان عن الإفصاح عنه، ولذلك كان المعولُ في دخول الجنة على رحمة الله وليس العمل .

قال ابن القيم : « وكل ما كان من صفة الرحمة فهو غالب لما كان من صفة الغضب ؛ فإنه سبحانه لا يكون إلا رحيماً ، ورحمته من لوازم ذاته كعلمه وقدرته وحياته وسمعه وبصره وإحسانه ، فيستحيلُ أن يكون على خلاف ذلك ، وليس كذلك غضبه ؛ فإنه ليس من لوازم ذاته ، ولا يكون غضبان دائماً غضباً لا يتصور انفكاكه ، بل يقول رسلُه وأعلم الخلق به يوم القيامة : « **إن ربي قد غضب اليوم غضباً** لم **يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله**»[٣] ورحمته وسعت كل شيءٍ ،

---

(١) المصدر السابق (٢٧٦٧) ، قال القرطبي في بيان معنى الحديث : « إن الله تعالى يسقط المؤاخذة عنهم بها حتى كأنهم لم يذنبوا ، ويضعها على اليهود والنصارى ، أي: أنه يضاعف عليهم عذاب ذنوبهم حتى يكون عذابهم بقدر جرمهم ، وجرم مذنبي المسلمين لو أُخذوا بذلك ، وله تعالى أن يضاعف لمن يشاء العذاب ، ويخففه عمن يشاء ، بحكم إرادته ومشيئته، إذا لا يسأل عما يفعل وهم يسألون» . انظر : المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم ٢٠١/٧ . وهذا أحد الاحتمالات التي ذكرها النووي في شرحه للحديث ، انظر : شرح النووي لصحيح مسلم ٨٥/١٧ .
والذي يحتمل في نظري لمعنى الحديث والله أعلم: أن يكون المراد بتلك الذنوب ما سنه اليهود والنصارى للمسلمين من المحرمات ، فتسقط عن المسلمين بعفو الله تعالى ، وتوضع على اليهود والنصارى لكونهم سنوها ، ومن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها .

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ٨٦/١٧ .

(٣) أخرجه البخاري (٤٤٣٥) ، ومسلم (١٩٤) .

وغضبه لم يتسع كل شيء ، وهو سبحانه كتب على نفسه الرحمة ، ولم يكتب على نفسه الغضب ، ووسع كل شيء رحمةً وعلماً، ولم يسع كلّ شيءٍ غضباً وانتقاماً »[١].

وقال أيضاً : « فلولا سعة رحمته ومغفرته وعفوه لما قام العالم ، ومع هذا فالذي أظهره من الرحمة في هذه الدار وأنزله بين الخلائق جزء من مائة جزء من الرحمة، فإذا كان جانب الرحمة قد غلب في هذه الدار ونالت البر والفاجر ، والمؤمن والكافر ، مع قيام مقتضى العقوبة به ومباشرته له وتمكنه من إغضاب ربه والسعي في مساخطه ، فكيف لا يغلب جانب الرحمة في دار تكون الرحمة فيها مضاعفة على ما في هذه الدار تسعة وتسعين ضعفاً ... وظهور آثار الرحمة أعظم من ظهور آثار الانتقام ، والرحمة أحب إليه من الانتقام ، وبالرحمة خلق خلقه ، ولها خلقهم ، وهي التي سبقت غضبه وغلبته وكتبها على نفسه ، ووسعت كل شيء ، وما خلق بها فمطلوب لذاته ، وما خلق بالغضب فمراد لغيره، ... والعقوبة تطهير ، والرحمة إحسان وكرم وجود ، والعقوبة مداواة ، والرحمة عطاء وبذل ... »[٢] .

قال الشيخ السعدي : « والأمل بالرب الكريم ، الرحمن الرحيم ، أن يرى الخلائق منه من الفضل والإحسان ، والعفو والصفح والغفران ، ما لا تعبر عنه الألسنة ، ولا تتصوره الأفكار ، ويتطلع لرحمته إذ ذاك ، جميع الخلائق لما يشاهدونه، فيختص المؤمنون به وبرسله ، بالرحمة ، فإن قيل : من أين لكم هذا الأمل ؟ وإن شئت قلت : من أين لكم هذا العلم ؟ قلنا : لما نعلمه من غلبة رحمته لغضبه ، ومن سعة جوده ، الذي عم جميع البرايا ، ومما نشاهده في أنفسنا وغيرها، من النعم المتواترة في هذه الدار وخصوصاً في فضل القيامة ... »[٣] .

قال ابن القيم: « والرب تبارك وتعالى ليس له ثأر عند عبده فيدركه بعقوبته ولا

---

(١) الفوائد لابن القيم ١٢٥/١ .

(٢) حادي الأرواح لابن القيم ٣٧٢/١-٣٧٣ .

(٣) تيسير الكريم الرحمن ص٥١٣ .

يتشفى بعقابه ولا يزيد ذلك في ملكه مثقال ذرة ولا ينقص مغفرته، ولو غفر لأهل الأرض كلهم لما نقص مثقال ذرة من ملكه ،كيف والرحمة أوسع من العقوبة وأسبق من الغضب وأغلب له ! وهو قد كتب على نفسه الرحمة، فرجاء العبد له لا ينقص شيئا من حكمته، ولا ينقص ذرة من ملكه، ولا يخرجه عن كمال تصرفه، ولا يوجب خلاف كماله، ولا تعطيل أوصافه وأسمائه، ولولا أن العبد هو الذي سد على نفسه طرق الخيرات، وأغلق دونها أبواب الرحمة بسوء اختياره لنفسه ؛ لكان ربه له فوق رجائه وفوق أمله»[1].

ولا شك أن تغليب جانب الرحمة وما يناسبها أكثر ثناءً على الله عز وجل، وأليق به سبحانه وتعالى، وأكثر أسمائه ذكراً في القرآن الكريم مشتق منها، ولذلك كتبها على نفسه وتمدح بها في كتابه العزيز .

وبالجملة فإن رحمة الله تعالى لا حد لها ولا نهاية، وهذه النصوص العظيمة من الكتاب والسنة وكلام أهل العلم؛ تبشر بكرم الله تعالى وجوده، وسعة رحمته وفضله، ولذلك فإنه يجب على المسلم أن لا يغتر بعمله، وأن يعلم علم اليقين أن رحمة الله عز وجل أرجى من عمله ، وأنه لن يدخل الجنة إلا برحمة الله تعالى لا بعمله ، كما صح بذلك الخبر عن أصدق البشر ، قوله صلى الله عليه وسلم : « **لن يدخل أحداً منكم عملُه الجنة ، قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : ولا أنا ، إلا أن يتغمدني الله منه بفضلٍ ورحمة**»[2] وليس المراد من هذا الحديث توهين العمل والاتكال على رحمة الله عز وجل ، بل المراد الاغترار به والعجب منه والامتنان على الله بذلك ؛ لأن الله تعالى هو المتفضل أولاً وآخراً .

ولعل ما ذُكر من النصوص السابقة فيما يتعلق بهذا المبحث فيه كفاية إن شاء الله.

---

(١) مدارج السالكين ٤٥/٢ .

(٢) أخرجه البخاري (٥٣٤٩) ومسلم (٢٨١٦).

المبحث الثالث : العلم بأسماء الله الحسنى والتأمل في معانيها

إن من أعظم ما يقوي الرجاء في قلب المؤمن ويزيده إيماناً ويقيناً ؛ العلم بأسماء الحسنى وصفاته العلى ؛ لأنه من أشرف العلوم الشرعية التي يتعلمها العبد المسلم ، وقد جاء في القرآن الأمر بتعلم هذا العلم العظيم والعناية بهذا الأصل القويم .

قال تعالى : ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة : ٢٠٩] .

وقال تعالى : ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة : ٢٣٥] .

وقال تعالى : ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة : ٢٤٤] .

وقال تعالى : ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [البقرة : ٢٦٧] .

والآيات في هذا المعنى كثيرة ، وقد أمر الله عز وجل عباده أن يتعبدوا له بهذه الأسماء العظيمة فقال سبحانه : ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ﴾ [الأعراف : ١٨٠] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « **إن لله تسعة وتسعين اسماً ، مائة إلا واحدة من أحصاها دخل الجنة** »[1] .

ويدخل في قوله – عليه الصلاة والسلام - : « **من أحصاها** » كلّ ما يقتضي دخوله من العبادات القلبية والبدنية .

وقد ذكر ابن القيم أن إحصاء أسماء الله الحسنى على أربعة مراتب هي :

المرتبة الأولى : إحصاء ألفاظها وعددها .

المرتبة الثانية : فهم معانيها ومدلولاتها .

المرتبة الثالثة : دعاؤه بها كما أمر سبحانه بذلك في كتابه العزيز .

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥٨٥) ، ومسلم (٢٦٧٧) .

وهو على نوعين :

أحدهما : دعاء ثناء وعبادة .

والثاني : دعاء طلب ومسألة .

فلا يثني على الله إلا بأسمائه الحسنى وصفاته العلى ، وكذلك لا يسأل إلا بها ، فلا يقال: يا موجود أو يا شيء ، أو يا ذات اغفر لي وارحمني ، بل يسأل في كل مطلوب باسم يكون مقتضياً لذلك المطلوب ، فيكون السائل متوسلاً إليه بذلك الاسم ، كأن يقول : يا غفور اغفر لي ، ويا رحيم ارحمني ، ونحو ذلك .

المرتبة الرابعة : التخلق أو التعبد لله بها [1] .

وقد عقد العز بن عبد السلام في كتابه شجرة المعارف باباً بعنوان: « **كيفية التخلّق بالأسماء والصفات** » ثم سرد بعض الأسماء الحسنى موضحاً معناها وثمرة العلم بها وكيفية التخلق بها[2].

فمن أسماء الله تعالى الحسنى التي تبعث على قوة الرجاء في قلب العبد « الرحمن الرحيم » إن هذين الاسمين العظيمين إذا تأمل العبد في معناهما وتدبر ما يقتضيانه من معاني العبودية لله تعالى ، أثمرا في قلبه أنواعاً كثيرة من العبودية لله سبحانه وتعالى، ومن أعظمها عبودية الرجاء في رحمة الله عز وجل .

فالرحمن متعلق بصفة الرحمة لله عز وجل ، والرحيم متعلق برحمته بعباده .

كما قال سبحانه : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

وقال سبحانه : ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب : ٤٣] .

قال ابن القيم : « ولم يجيء رحمان بعباده ، ولا رحمان بالمؤمنين ، مع ما في اسم الرحمن الذي هو على وزن (فعلان) من سعة هذا الوصف وثبوت جميع معناه

---

(١) بدائع الفوائد لابن القيم ١/١٧١-١٧٢ .

(٢) شجرة المعارف للعز بن عبدالسلام ص٢٥ .

الموصوف به ... ولهذا يقرن استواؤه على العرش بهذا الاسم كثيراً ، كقوله تعالى : ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[طه : ٥]، وكقوله:﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ [الفرقان:٥٩] فاستوى على عرشه باسم الرحمن لأن العرش محيط بالمخلوقات قد وسعها، والرحمة محيطة بالخلق واسعة لهم، كما قال تعالى: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ﴾ [الأعراف :١٥٦] فاستوى على أوسع المخلوقات بأوسع الصفات فلذلك وسعت رحمته كل شيء » [١] .

وثمرة العلم بهذين الاسمين هو الرجاء والتطلع في رحمته بعباده ، وخاصة بعباده المؤمنين في يوم القيامة وأما التخلّق بهذين الاسمين فهو أن يكون العبد رحيماً بعباد الله تعالى رفيقاً بهم ، حليماً عليهم حتى يتحقق له ما يرجوه من رحمة الله عز وجل به ؛ امتثالاً لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « **الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من** في **الأرض يرحمكم من** في **السماء** » [٢] .

ولقوله – عليه الصلاة والسلام - : « **وإنما يرحم الله من عباده الرحماء** »[٣] .

ومن أسماء الله تعالى الحسنى التي تبعث على الرجاء « الودود » ، قال العز بن عبد السلام : « الودود : هو المعاملُ عباده بثمرات الوداد ، وثمرة معرفته : رجاءُ وده بطاعته، والتخلق به يكون بوداد مولاك، ووداد رسله، والصالحين من عباده»[٤] .

وقد ورد هذا الاسم في القرآن مرتين : **إحداهما :** كان مقترناً باسم الله تعالى الدال على صفة الرحمة كقوله عز وجل : ﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ﴾ [هود : ٩٠] .

---

(١) مدارج السالكين ٣٣/١ بتصرف يسير .

(٢) « صحيح » : أخرجه أبوداود (٤٩٤١) ، والترمذي (١٩٢٤) وقال عنه : هذا حديث حسن صحيح ، والإمام أحمد (٦٤٩٤) ، والحاكم في المستدرك (٧٢٧٤) وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٩٢٥) .

(٣) أخرجه البخاري (١٢٢٤) ، ومسلم (٩٢٣) .

(٤) شجرة المعارف للعز بن عبدالسلام ص٤٦ .

والثاني : مقترناً باسم الله تعالى الدال على صفة المغفرة كقوله سبحانه : ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾ [البروج : ١٤] وهذا مما يقوي الرجاء عند التأمل والتدبر في هذا الاسم الجليل وما فيه من الصفات العظيمة والكريمة لله تعالى .

فمن تودد الله عز وجل لخلقه أنه لم يغلق عنهم باب التوبة ، بل هو مفتوح صباح مساء إلى الوقت المقدر في علم الله ، وذلك عند طلوع الشمس من مغربها.

ومن تودده لعباده أنه يفرح بتوبة أحدهم ويقبلها ، إذا تاب إليه وأقلع عن ذنوبه وندم على ما فات وعزم ألا يعود إليه ، فإن الله عز وجل أشد فرحاً بتوبة هذا العبد كما جاء في الحديث من رجلٍ أضاع راحلته التي عليه طعامه وشرابه فبحث عنها فلم يجدها فيئس منها فجلس في مكان ينتظر الموت حتى نام ، فلما استيقظ وجدها عند رأسه ، فقال من شدة الفرح : **اللهم أنت عبدي وأنا ربك ، أخطأ من شدة الفرح**[1] .

وتودد الله عز وجل لعباده لا حد له ولا نهاية ، وهذه بعض ألطاف بره وإحسانه بعباده .

ومن أسماء الله عز وجل الحسنى « اللطيف » وغالباً ما يرد هذا الاسم في القرآن الكريم مقروناً باسم الله « الخبير » وكأنه تفسير له وبيان لمعناه .

قال تعالى : ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام : ١٠٣] .

وقال تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [الحج : ٦٣] .

وقال تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب : ٣٤] .

قال ابن سعدي : « اللطيف من أسماء الله الحسنى وله معنيان :

أحدهما : بمعنى الخبير ، وهو أن علمه دق ولطف حتى أدرك السرائر والضمائر والخفيات .

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٥٠) ، ومسلم (٢٧٤٧) .

والثاني : اللطيف الذي يوصل أولياءه وعباده المؤمنين إلى الكرامات والخيرات بشتى أنواع الطرق ...»[١] .

فإن التأمل في معاني هذا الاسم العظيم يثمر في قلب العبد الخشية والمهابة من الله، وذلك لعلم الله تعالى بدقائق الأمور ، وخفايا الصدور .

ويوجب الاستحياء منه جل وعلا ، وكذلك أيضاً التأمل في معاني هذا الاسم الجليل يفتح باب الرجاء أمام العبد ، لأنه يرجو من ربه جلا وعلا اللطف به في جميع الأمور حتى يتحقق له ذلك ، فعليه أن يكون لطيفاً بعباد الله عز وجل ، رفيقاً بهم ، ناصحاً لهم ، يحب لهم ما يحب لنفسه .

ومن لطف الله العلي بعباده أن أنزل عليهم هذا الكتاب العظيم المشتمل على هذه اللطائف العديدة في إصلاح دينهم ودنياهم .

ومن لطف الله تعالى بعباده أنه يجيب دعوة المضطر إذا دعاه ، وهذا اللطف منه سبحانه يعم المسلم والكافر ، ومن لطف الله عز وجل بعباده المؤمنين أنه جعل ما أصابهم من المصائب الدنيوية كفارة لسيئاتهم ومغفرة لذنوبهم .

وهذه المصائب تستوجب من العبد الصبر عليها مع الترقب والانتظار لمجيء الفرج من اللطيف الخبير .

قال ابن القيم : « فإن انتظاره – أي الفرج – ومطالعته وترقبه يخفّف حمل المشقة، ولا سيما عند قوة الرجاء أو القطع بالفرج ، فإنه يجد في حشو البلاء من روح الفرج ونسيمه وراحته ؛ ما هو من خفي الألطاف ، وما هو فرج معجل ، وبه وبغيره يفهم معنى اسمه اللطيف »[٢] .

وانتظار الفرج من الله عز وجل وترقب حصوله هو بحد ذاته من العبادات التي يؤجر عليها المسلم؛ لأنه متضمن لحُسن الظن بالله تعالى، ولطف الله عز وجل

---

(١) فتح الرحيم الملك العلام لابن سعدي ص٣٤ بتصرف يسير .

(٢) مدارج السالكين ١٦٧/٢ .

لعباده ليس له حد ولا منتهى ، وإن العبد المؤمن إذا نظر في ألطاف الله عز وجل بخلقه على وجه العموم سواءً كانوا كفاراً أو مسلمين ، - على أن ألطاف الله تعالى في حق المؤمن فيما يتعلق بالدين أكثر من ألطافه في حق الكافر- فإن المؤمن إذا تفكّر في ذلك وتأمل ، انفتح له باب الرجاء في الوصول إلى دار البقاء ، وطمع في لطف الله تعالى به في الدنيا والآخرة ، والله سبحانه وتعالى عند حسن ظن عبده المؤمن به ، و لن يخيب ظنه ؛ لأنه أكرم مسؤول وأرجى مأمول .

وما أجمل ما قاله ابن عطاء الله السكندري : « إذا أردت أن ينفتح لك باب الرجاء ؛ فاشهد ما منه إليك ، وإذا أردت أن ينفتح لك باب الخوف ؛ فاشهد ما منك إليه » [(١)] .

وبالجملة فإن التأمل في معاني أسماء الله الحسنى وصفاته العلى ، والكشف عن معانيها وأسرارها ، والتعبد لله تعالى بها ؛ ليفتح على العبد أنواعاً عديدة من العبودية لله تعالى ، بل ويمتلئ قلبه حباً وتذللاً وخشية ورجاءً لله عز وجل ، وهذا من أفضل العطايا وأعظمها من الله تعالى لعبده ؛ لأنها هي أصل التوحيد وروحه وحياته .

والكلام في هذا الباب طويل جداً ، وليس هذا موضعه ، وفيما لوحت به منه كفاية وبيان إن شاء الله تعالى .

* * *

---

(١) الحكم العطائية لابن عطاء الله السكندي ص٢٨٦ .

وابن عطاء الله السكندري هو : أحمد بن محمد السكندري أحد أعلام الصوفية ، وله كتب عديدة منها : الحكم ، ولطائف المنن ، والتنوير في إسقاط التدبير ، ومفتاح الظلام ، وغيرها ، توفي سنة ٧٠٩هـ . انظر : قطف الثمر في رفع أسانيد المصنفات في الفنون والأثر ٢٤٠/١ لصلاح الغلاني، والأعلام ٢٣٦/٤.

المبحث الرابع : التفكر في كون الرجاء عبادة لله تعالى

إن مما يبعث روح الرجاء في قلب العبد ويقويه التفكر في كون الرجاء من العبادات القلبية التي أمر الله تعالى بها في كتابه الكريم ، فمن ذلك قول الله تعالى مخبراً عن قول نبيه شعيب – عليه السلام – لقومه : ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ ﴾ [العنكبوت : ٣٦] . لما أمرهم بتوحيد الله عز وجل وعدم الإشراك به ، علّقهم بالرجاء في اليوم الآخر وما يحصل فيه من الكرامة والنعيم المقيم ؛ لأن الذي يرجو ذلك اليوم سوف يسعى ويجتهد في نيل مرجوه من ذلك اليوم العظيم ، والأمر بالرجاء أمر بفعل ما يترتب عليه الرجاء.

روى عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أنه قال : « التفكّر في الخير يدعو إلى العمل به»[1] .

ومن الآيات التي تضمنت معنى الأمر بالرجاء قوله تعالى : ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [الزمر : ٥٣] . فإن في هذه الآية الكريمة نهي عن ضد الرجاء وهو القنوط من رحمة الله ، وهذا يستلزم الأمر بالرجاء في رحمة الله تعالى ؛ لأن النهي عن الشيء أمر بضده ، وقد سبق الإشارة إلى ذلك فيما سبق .

قال الفخر الرازي : « نهاهم عن القنوط فيكون هذا أمراً بالرجاء والكريم إذا أمر بالرجاء فلا يليق به إلا الكرم »[2] .

---

(١) ذكره الغزالي في الإحياء ٤٢٥/٤ ، والرازي في مفاتيح الغيب ٥/٢ ، وابن القيم في مفتاح دار السعادة ١٨٠/١ ، وبحثت عنه في كتب الآثار فلم أجده.

(٢) مفاتيح الغيب للرازي ٥/٢٧ .

وقال أبوحيان : « والنهي عن القنوط يقتضي الأمر بالرجاء »[١] .

وقال السبكي : « والرجاء واجب لأنه ضد اليأس ، واليأس حرام ، قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف : ٨٧] .

وقال تعالى: ﴿ قَالَ وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾ [الحجر : ٥٦] .

ولأن في الرجاء التصديق بوعد الله فقد تظاهرت آيات الوعد على الأعمال الصالحة كما تظاهرت آيات الوعيد على الأعمال السيئة والتصديق بوعد الله واجب ... »[٢] .

فإذا أيقن العبد المؤمن بهذه النصوص التي تأمر بالرجاء وتحث عليه ؛ اطمأن قلبه بالرجاء لربه عز وجل ، وانشرح صدره لذلك ، وذهب اليأس عنه ، لعلمه أن الله عز وجل لا يحبه ولا يرضاه لعباده .

والرجاء بحد ذاته إذا كان مقترناً بأسبابه المشروعة فهو خير للعبد بكل حال ؛ لأن العباد إذا رجوا من الله شيئاً وبذلوا الأسباب لذلك ؛ فهم في عبادة من أجل العبادات وأفضلها ، وإن لم يدركوا ما أملوا أو لم يتحقق لهم ما رجوا فقد أصابوا في الرجاء خيراً عظيماً .

وبالجملة فإنه ينبغي على العبد أن يستحضر النية في رجائه ، وأن يقصد به وجه الله تعالى، كسائر العبادات التي تقرب إلى الله عز وجل ، فإن تحقق مرجوه ؛ فالحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات ، وإن لم يتحقق فالحمد على كل حال ،

---

(١) البحر المحيط لأبي حيان ٤١٦/٧ .

(٢) فتاوى السبكي ٥٥٦/٢ .

والسبكي هو : علي بن عبدالكافي بن تمام الأنصاري السبكي الشافعي ، يلقّب بتقي الدين ويكنى بأبي الحسن ، من كبار أئمة الشافعية ، برع في مختلف العلوم والفنون ، وله مصنفات عديدة من أشهرها : الدر النظيم في تفسير القرآن العظيم ، وتكملة شرح المهذب للنووي ، والسيف المسلول على من سب الرسول ، وغيرها . وتوفي سنة ٧٥٦هـ . انظر : طبقات المفسرين للأدنوي ص٢٨٥-٢٨٦ .

لأنه لا يعلم أي الأمرين أصلح له ، فيحمد ربه عز وجل على قضائه وقدره ، وأن وفّقه إلى هذه العبودية العظيمة .

والتفكر أيضاً في كون الرجاء عبادة هو بحد ذاته يعتبر عبادة ؛ لأن التفكر في عبادة الله عز وجل من أفضل أنواع العبادات التي تزيد العبد إيماناً ويقيناً بالله عز وجل.

قال ابن القيم : « وهذا لأن الفكرة عمل القلب ، والعبادة عمل الجوارح، والقلب أشرف من الجوارح ، فكان عملُه أشرف من عمل الجوارح »[١].

ولقد كان سلف الأمة يكثرون من عبادة التفكر فيما يقربهم إلى مرضات الله سبحانه وتعالى .

فعن أم الدرداء – رضي الله عنها – أنها قالت : « كان أكثر عبادة أبي الدرداء – رضي الله عنه - التفكر والاعتبار »[٢] .

وقال بشر الحافي : « لو تفكر الناس في عظمة الله ما عصوا الله عز وجل»[٣].

والحاصل أنه ينبغي على العبد أن يتفكّر في كل عبادة يتقرب بها إلى الله عز وجل، وينظر في الأجور العظيمة المترتبة على فعلها ، فهذا كله مما يبعث على المسارعة إليها ، والترغيب في فعلها ، ومن ذلك عبادة الرجاء لله وفي الله .

* * *

(١) مفتاح دار السعادة ١٨٠/١ .

(٢) أخرجه ابن المبارك في الزهد ٩٧/١ .

(٣) رواه أبونعيم في الحلية ٢٣٧/٨ .

وبشر الحافي هو : بشر بن الحارث الحافي ، من كبار العلماء والزهاد ، ولد سنة ١٥٠هـ ، ويكنى بأبي نصر ، كان مشهوراً بالورع والتقشف ، وتوفي سنة ٢٢٩هـ . انظر : صفوة الصفوة لابن الجوزي ٣٥٢/٢، والثقات لابن حبان ١٤٣/٨ .

المبحث الخامس : الأعمال الصالحة

إن مما يبعث على الرجاء في قلب العبد المسلم ؛ المبادرة إلى فعل الأعمال الصالحة، وقد أثنى الله عز وجل في كتابه العزيز على أنبيائه ورسله – عليهم السلام – بذلك ، فقال سبحانه : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ﴾ [الأنبياء : ٩٠] .

ومن المعلوم أن العبد لا يقدم على قول أو فعلٍ ؛ إلا ويرجو من وراء ذلك شيئاً. ولذلك كان الصالحون من عباد الله يسارعون إلى تحقيق التقوى ؛ لأنهم أيقنوا بأنها خير ما يتزود به العبد في هذه الدنيا إلى الدار الآخرة ، ولأن التقوى داخلة في مضمون الأعمال ، وهم بذلك السعي يرجون ما وعدهم الله عز وجل به من تلك البشارات العظيمة في كتابه الكريم لأهل التقوى ، وقد أوصلها بعض أهل العلم إلى ثلاثين بشارة ، وهذه بعضها :

الأولى : البشرى بالكرامات ، قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ﴾ [يونس : ٦٣-٦٤] .

الثانية : البشرى بالعون والنصرة، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ﴾[النحل : ١٢٨] .

الثالثة : البشرى بالعلم والحكمة قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾ [الأنفال : ٢٩] .

الرابعة : البشرى بتكفير الذنوب مع عظم الأجر ، قال تعالى : ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴾ [الطلاق : ٥] .

الخامسة : التوفيق للعلم ، قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة : ٢٨٢] .

السادسة : البشرى بـالمغفرة ، قـال تعـالى : ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات : ١٢] .

السابعة : اليسر والسهولة في الأمر ، قال تعالى : ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا﴾ [الطلاق : ٦] .

الثامنة : الخروج من المصائب والمحن ، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾ [الطلاق : ٢] .

التاسعة : الرزق الواسع بدون تعب ، قال تعالى: ﴿وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ [الطلاق : ٣] .

العاشرة : النجاة من عذاب النار ، قـال تعـالى : ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا﴾ [مريم : ٧٢] .

إلى آخر ما ذكره الله تعالى من البشارات الكريمة في كتابه العزيز[١] .

والتقوى هي أساس كل عمل صالح ؛ ولا تتحقق إلا بوجود الـسبب الباعـث عليها، والغاية التي لأجلها يقصد العمل .

ولذلك عرفها طلق بن حبيب بقوله : « أن تعمل بطاعة الله على نور مـن الله ترجو ثواب الله ، وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله»[٢] .

فقوله : « على نور من الله » هذا هو السبب الباعث على التقوى ، وهو متضمن لشرطي قبول العمل : الإخلاص والمتابعة .

وقوله « ترجو ثواب الله » هذا هو الغاية التي لأجلها يقصد العمـل ، وكثـرة الأعمال الصالحة هي علامة على قوة الرجاء في قلب صاحبها ، ولـذلك كـان

---

(١) انظر : إرشاد العباد للاستعداد ليوم المعاد ، للشيخ عبدالعزيز محمد السلمان ص١٥٠-١٥٢ .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ١٦٤/٦ .

الصحابة – رضوان الله عليهم – يكثرون من الأعمال الصالحة رجاءً ما عند الله عز وجل من حسن الثواب وكريم المآب ، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **من أصبح منكم اليوم صائماً** ؟ قال أبوبكر : أنا . قال : **فمن تبع منكم جنازة ؟** قال : أبوبكر : أنا ، قال : **فمن أطعم منكم اليوم مسكيناً ؟** قال : أبوبكر : أنا ، قال : **فمن عاد منكم اليوم مريضاً؟** قال أبوبكر: أنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **ما اجتمعن** في **امرئٍ إلا دخل الجنة** »[1] .

وهذا الصحابي الجليل عمير بن الحُمام – رضي الله عنه – لما أيقن أن رجاءه في دخول جنة عرضها السماوات والأرض لا يتحقق إلا بعمل صالح عظيم وهو الجهاد في سبيل الله ؛ هانت عليه نفسه بذلك ، ثم قال كلمته المشهورة: بخٍ بخٍ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **ما يحملك على قولك : بخٍ بخٍ** ؟ » قال : لا والله يا رسول الله إلا رجاءة أن أكون من أهلها ، قال : **فإنك من أهلها** ، فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن ثم قال : لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة ، فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتل حتى قُتل »[2] .

هكذا يكون العمل الصالح باعثاً إلى الرجاء الصادق ، وسبباً من أسباب تحققه . والمقصود أن علاقة الأعمال الصالحة بالرجاء ؛ كعلاقة الروح بحياة الإنسان ، فلا يتصور وجود إنسان حي بلا روح ،كذلك لا يتصور وجود رجاء بلا عمل ، ولا عمل بدون رجاء ، لأنهما متلازمان لا يفترقان ، ولا ينفك أحدهما عن الآخر.

* * *

(١) أخرجه مسلم (١٠٢٨) .

(٢) أخرجه مسلم (١٨٩٨) .

المبحث السادس : التأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم

إن من الأسباب الباعثة على الرجاء في الله عز وجل وفي اليوم الآخر ؛ التأسـي برسل الله – عليهم الصلاة والسلام – وأتباعهم ، وعلى رأسهم رسـولنا محمـد صلى الله عليه وسلم ، قال تعـالى : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٢١] .

قال ابن جرير : « وهذا كتاب من الله للمتخلفين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعسكره بالمدينة » (١) .

والمعنى من الآية : أن الله عز وجل يعاتب عباده الذين تخلفوا عن القتـال مـع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فيقول لهم : هلا اقتديتم برسـول الله صلى الله عليه وسلم وتأسيتم بشمائله إن كنتم صادقين في رجائكم لله عز وجـل وما أعده لكم في اليوم الآخر من الأجر العظيم والثواب الجزيل .

فجعل الله عز وجل التأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم من لوازم الرجاء لمن كان يرجو الله واليوم الآخر .

قال البيضاوي : « وقرن بالرجاء كثرة الذكر المؤدية إلى ملازمة الطاعة ، فـإن المؤتسي بالرسول من كان كذلك » (٢) .

ونظير هذه الآية الكريمة قوله تعـالى : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ [الممتحنة : ٦] .

فالأسوة في هذه الآية هو نبي الله إبراهيم - عليه السلام – ومن معه من المؤمنين.

وموضوع الأسوة في هذه الآية الكريمة يتعلّق بإظهار المعاداة للكفار حتى يؤمنوا

---

(١) جامع البيان ١٤٣/٢١ .

(٢) أسرار التنزيل للبيضاوي ٣٦٩/٤ .

بالله عز وجل ويوحدوه ولا يشركوا به شيئاً، ولو كان هؤلاء الكفار من أقـرب الأقربين للمسلم ، فقد تبرأ نبي الله إبراهيم – عليه السلام – من أبيه عندما علم أنه من أعداء الله تعالى ، وأن النصح والإرشاد له لا يجدي شيئاً ، وكذلك تبرأ مـن كان مع إبراهيم – عليه السلام – من المؤمنين من أقوامهم ، وأعلنـوا العـداوة والبغضاء بينهم وبين قومهم حتى يوحدوا الله عز وجل ولا يشركوا به شيئاً .

ففي هذه الآية الكريمة إشارة إلى أن التأسي بأنبياء الله عز وجل ورسله – عليهم السلام – وأتباعهم من البواعث على رجاء الله عز وجل واليوم الآخر .

والمعنى في الآية الكريمة : إن الله تعالى يقول للمؤمنين من أصحاب رسـول الله صلى الله عليه وسلم ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين : إن كنـتم صـادقين في رجائكم لله تعالى ولليوم الآخر ، فتأسوا بإبراهيم – عليه السلام – ومن كان معه من المؤمنين ، فأظهروا البراءة من المشركين ، وأعلنوا العداوة والبغضاء لهـم ، ولا تتخذوا منهم أولياء حتى يدينوا بدين الحق لله تعالى ، ويعلنوا البراءة مـن عبـادة الأصنام والأوثان .

فلما امتثل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رغّبهم الله تعالى فيه من التأسي بنبي الله إبراهيم – عليه السلام – ومن معه من المؤمنين رجاهم وأطمعهـم في هداية من عادوا من المشركين ، وأن العداوة سوف تنقلب مودة بعد دخولهم في الإسلام ، فقال سبحانه : ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الممتحنة : ٧] .

وقد سبق الإشارة إلى أن "عسى" من الله في القرآن الكريم تدل على تحقق وقوع ما بعدها، فوقع ما أطمعهم الله تعالى بهداية كثير من هؤلاء المشركين إلى الإسلام.

قال أبوالقاسم القشيري : « وقفهم الله عز وجل في مقتضى قوله تعالى : ﴿عَسَى ٱللَّهُ﴾ عند حد التجويز .. لا حكماً بالقطع ، ولا دفْع قلبٍ باليأس .. ثم أمـرهم بالاقتصاد في العداوة والولاية معهم بقلوبهم ، وعرفهم بوقوع الأمر حسب تقديره وقدرته ، وجريان كل شيءٍ على ما يريد لهم ، وصدق هذه الترجية بإيمان من آمن

منهم عند فتح مكة ، وكيف أسلم كثيرون ، وحصل بينهم وبين المسلمين مـودةٌ أكيدة ... »[١] .

وفي هذه الآية الكريمة أحد أوجه الإعجاز في القرآن الكريم المتعلقة بعلم الغيب.

وبالجملة فإن التأسي برسل الله وأنبيائه – عليهم الصلاة والسلام – وأتباعهم ؛ مما يبعث على الرجاء ، بل ويكون سبباً من أسباب تحقق وقوعه ، وأن من لم يتأس برسل الله عز وجل وأنبيائه – عليهم السلام - فيما هو موافق لشرعنا ؛ لا يكون راجياً لله تعالى ولا لليوم الآخر .

* * *

(١) لطائف الإشارات للقشيري ٣١٢/٣ .

المبحث السابع : فتح باب الأمل والتوبة إلى الله

إن العبد إذا فتح أمامه باب الأمل والتوبة إلى الله عز وجل انبعثت روح الرجاء في نفسه واضمحل اليأس من قلبه ؛ فاليأس والقنوط من رحمة الله يمنعان من التوبة والرجاء في عفو الله عز وجل وكرمه .

فجميع الآيات القرآنية التي فيها الحث على التوبة والترغيب فيها هي مما يبعث على الرجاء في قلب العبد ، وهي كثيرة جداً ، فهنا قوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة : ٧٤] .

فبعد أن حكم الله عز وجل بكفر النصارى القائلين بألوهية نبي الله عيسى بن مريم – عليه السلام – والقائلين بأن الله عز وجل هو ثالث ثلاثة ؛ رغّبهم في التوبة ولم يغلق بابها عنهم ، بل وعدهم بأنهم إذا تابوا أن يغفر لهم ويرحمهم .

قال ابن عطية : « ثم رفق جل وعلا بهم بتحضيضه إياهم على التوبة وطلب المغفرة للتائبين ، وتأنيساً لهم ليكونوا على ثقة من الانتفاع بتوبتهم ...»[(١)] .

ومن الآيات في هذا الباب قوله تعالى : ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [الأنفال : ٣٨] .

قال أبوبكر بن العربي : « قال علماؤنا : هذه لطيفة من الله سبحانه من بها على الخليقة وذلك أن الكفار يقتحمون الكفر والجرائم ، ويرتكبون المعاصي والمآثم ، فلوكان ذلك يوجب مؤاخذتهم لما استدركوا أبداً بالتوبة ولا نالتهم مغفرة ، فيسر الله عليهم قبول التوبة عند الإنابة وبذل المغفرة بالإسلام ، وهدم جميع ما تقدم ؛ ليكون ذلك أقرب إلى دخولهم في الدين وأدعى إلى قبولهم كلمة الإسلام...»[(٢)].

---

(١) المحرر الوجيز ٢٢٢/٢ .

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ٣٩٨/٢ .

وقال الشيخ ابن سعدي : « هذا من لطفه تعالى بعباده ، لا يمنعه كفر العباد ، ولا استمرارهم في العناد ، من أن يدعوهم إلى طريق الرشاد والهدى ، وينهاهم عما يهلكهم من أسباب الغي والردى ... »[١] .

ومن الآيات في هذا الباب قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران : ١٣٥] .

قال ابن مسعود – رضي الله عنه - : « لقد أعطى الله هذه الأمة آية لهي أحب إليّ لهم من الدنيا وما فيها ، ثم تلا الآية السابقة [٢] .

وأخرج عبدالرزاق في تفسيره عن ثابت البناني أنه قال : « بلغني أن إبليس حين نزلت هذه الآية : ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ...﴾ بكى عدو الله[٣] .

فهذه الآية الكريمة هي من جملة الآيات التي يصف الله تعالى بها عباده المتقين ، وهي في معرض المدح والثناء على أهلها .

قال ابن رجب : « فدلّ على أن المتقين قد يقع منهم أحيانا كبائر وهي الفواحش، وصغائر وهي ظلم النفس ، لكنهم لا يصرون عليها ... »[٤] .

وهذه الآية تفتح باب الأمل أمام العبد المذنب ، وتدفعه إلى المبادرة للتوبة ، وتقتلع جذور اليأس من قلبه ، فهي من جملة الآيات التي تبعث على الرجاء .

أخرج الإمام أحمد في مسنده عن علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – قال :

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص٣٢١ .

(٢) أخرجه ابن المنذر في تفسير (ص٩٣٤) .

(٣) تفسير عبدالرزاق الصنعاني ١٣٣/١ .

(٤) جامع العلوم والحكم ١٦٤/١ .

كنت إذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً نفعني الله بما شاء أن ينفعني منه ، وإذا حدثني غيره استحلفته وإذا حلف لي صدقته ، وحدثني أبو بكر وصدق أبوبكر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **ما من مسلم يذنب ذنباً** ثم **يتوضأ فيصلي ركعتين** ثم **يستغفر الله تعالى لذلك الذنب إلا غفر له** ، وقرأ هاتين الآيتين : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء : ١١٠]، ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ...﴾ [آل عمران : ١٣٥] »[١] .

فهاتان الآيتان وغيرهما من سائر الآيات التي في معناهما يتضمنان الإشارة إلى تعلق العباد بربهم عز وجل عند وقوعهم في الذنوب والمعاصي ، و أنه لا ملجأ ولا منجى لهم مما وقعوا فيه ؛ إلا بالتوبة والإنابة إلى الله تعالى .

وهذا كله مما يبعث على الرجاء في عفو الله تعالى والطمع في مغفرته ، والآيات في هذا المعنى كثيرة جداً ، والمقصود أن التوبة والاستغفار من جملة الأسباب الباعثة على الرجاء .

وها هو أبونواس[٢] شاعر الخمريات والعشق والغرام ، قد عرف بكثرة فسقه وفجوره ، ولكنه قُبيل وفاته ندم أشد الندم على ما ضيعه من عمره في ارتكاب المعاصي والذنوب ، فتوجه إلى الله سبحانه وتعالى بطلب الغفران ، راجياً العفو

---

(١) « حسن » أخرجه أحمد (٤٧) ، وأبوداود (١٥٢١) ، والترمذي (٤٠٦) ، وقال عنه : حديث حسن ، وأبويعلى (١٣) ، والبيهقي في الشعب (٧٠٧٧) ، وابن المنذر في تفسيره (٩٣٥) ، وحسنه الحافظ ابن حجر في الفتح ٩٨/١١ ، والألباني في المشكاة (١٣٢٤) وصحح إسناده شعيب الأرناؤوط في تحقيقه للمسند ٢١٨/١.

(٢) قال الذهبي : « أبونواس هو الشاعر المفلق ، اسمه الحسن بن هانئ ، شعره في الذروة ولكن فسقه ظاهر وتهتكه واضح ، فليس بأهل أن يروى عنه ، وله رواية عن حماد بن سلمة وغيره ، وتوفي سنة نيف وتسعين ومائة » . ونقل ابن حجر عن ابن الجوزي أنه قال في أبي نواس : غلب عليه اللهو ، فلا أُحب أن أذكر شيئاً من أفعاله المذمومة ؛ لأنه ذُكر عنه التوبة في آخر عمره ، انظر : ميزان الاعتدال للذهبي ٤٣٦/٧ ، ولسان الميزان لابن حجر ١١٥/٧ .

والصفح عما سلف وكان ، ثم قال هذه الأبيات الجميلة التي تكتب بماء الذهب ؛ لما احتوته من معاني التوبة وإحسان الظن بالله عز وجل وصدق الرجاء :

يا رب إن عظُمت ذنوبي كثـرة فلقد علمت بأن عفـوك أعظـم

إن كان لا يرجـوك إلا محـسن فـبمن يلـوذ ويـستجير المجـرم

وقد روي أن أبا نواس رؤي في المنام بعد موته فقيل له : ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي بتوبتي وبأبيات قلتها في علّتي ، وهي تلك التي سبق ذكرها[1] .

والمنامات مما يستأنس بـها ، ولا تبنى عليها الأحكام .

* * *

(١) انظر : العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي ٢١١/٣ ،وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٤٤٨/٧ ، وكشف الخفاء للعجلوني ٧٩/٢-٨٠ .

الفصل الرابع

آثار الرجـ ـاء

وفيه مبحثان :

المبحث الأول:آثار الرجاء في الدنيا .

المبحث الثاني : آثار الرجاء في الآخرة .

المبحث الأول:آثار الرجاء في الدنيا .

وفيه ثمانية مطالب :

المطلب الأول : محبة الله عز وجل للعبد .

المطلب الثاني : دوام تعلق القلب بالله تعالى .

المطلب الثالث : إظهار العبودية لله والافتقار إليه .

المطلب الرابع : سبب غفران الذنوب .

المطلب الخامس : تحقق المطالب العالية في الدنيا والآخرة .

المطلب السادس : المسارعة إلى فعل الطاعات .

المطلب السابع : المبادرة إلى الهجرة والجهاد في سبيل الله .

المطلب الثامن : أثره في العلاج السلوكي (الطب النفسي).

المبحث الأول : آثار الرجاء في الدنيا

وفيه ثمانية مطالب :

المطلب الأول : محبة الله عز وجل للعبد :

إن من آثار تحقيق الرجاء في الدنيا محبة الله تعالى للعبد ، وذلك أن الرجاء من العبادات التي أمر الله عز وجل بها عباده على سبيل الإلزام في مواضع كثيرة من كتابه العزيز، وقد سبق الإشارة إلى ذلك فيما مضى[١].

فإذا تقرر هذا ، كان الرجاء من جملة العبادات التي افترضها الله سبحانه وتعالى على عباده ، وأثنى عليهم بتقربهم إليه بها ، وأخبر أنها من أحب ما تقرب به المتقربون .

فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «**إن الله قال : من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه...**»[٢].

قال الغزالي : « اعلم أن العمل على الرجاء أعلى منه على الخوف؛ لأن أقرب العباد إلى الله تعالى أحبهم له ، والحب يغلب الرجاء ، واعتبر ذلك بملكين يخدم أحدهما خوفاً من عقابه ، والآخر رجاءً لثوابه » [٣] .

ولا ريب أن العمل على الرجاء إذا كان مقترناً بأسبابه المشروعة أفضل من العمل على الخوف وحده في أغلب الأحيان؛ لأن هذا الرجاء تتولد عنه عبادة أخرى وهي المحبة لمن يرجى منه حصول الخير وتحقق المطلوب .

---

(١) انظر صفحة ٢٠٦ – ٢١١ من هذا البحث.

(٢) أخرجه البخاري (٦١٣٧) .

(٣) إحياء علوم الدين ١٤٤/٤ .

قال ابن القيم: «والمحبة لا تنفك عن الرجاء ، فكل منهما يمد الآخر ويقويه»[١].

والرجاء والمحبة من أركان العبادة التي لا تقوم إلا بها ، لأن أركان العبادة ثلاثة هي : الرجاء والخوف والمحبة ، فتحقق ركنين أقوى من تحقق ركن واحد وهو الخوف ، وهذا هو مقصود كلام الغزالي فيما سبق .

وقال ابن القيم أيضاً : « الرجاء حاد يحدو بالعبد في سيره إلى الله ، ويطيب له المسير ويحثه عليه ويبعثه على ملازمته، فلولا الرجاء لما سار أحد، فإن الخوف وحده لا يحرك العبد، وإنما يحركه الحب ويزعجه الخوف، ويحدوه الرجاء...».[٢]

ولما كان الدعاء متضمن للرجاء عند طلب أمر ما أو دفعه ، كان صاحبه من جملة عباد الله تعالى الراجين لكرمه وجوده وإحسانه ، والله سبحانه وتعالى يحب من عباده أن يسألوه ويرجوه ويلحوا عليه بذلك ، لأنه أكرم من سئل وأرجى من يجيب ، وهو سبحانه وتعالى يغضب على عبده إذا لم يرجوه ويسأله ، فقد روى أبو هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **من لم يسأل الله يغضب عليه** »[٣] .

قال ابن القيم : « والرجاء يطرح العبد على عتبة المحبة ، ويلقيه في دهليزها[٤] ، فإنه كلما اشتد رجاؤه وحصل له ما يرجوه ازداد حباً لله تعالى وشكراً له ورضي به وعنه »[٥] .

وإذا تحققت محبة الله عز وجل للعبد فلا تسأل بعد هذا عن ما تصير إليه حاله في الدنيا قبل الآخرة ، من العناية الإلهية ، والمحبة الربانية ، لأن الله تعالى معه في جميع

---

(١) مدارج السالكين ٥١/٢ .

(٢) المصدر السابق ٥٠/٢ .

(٣) تقدم تخريجه ص٩٦ .

(٤) الدهليز : بالكسر هو ما بين الباب والدار ، وأصل الكلمة فارسي معرب . انظر : لسان العرب مادة (دهلز) .

(٥) مدارج السالكين ٥٠/٢ .

أحواله .

ولقد كان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أسعد الناس بنيـل محبـة الله تعالى لهم ، وذلك لما تحقق في قلوبهم من قوة اليقين والرجاء بالله عز وجل .

قال الله تعالى مخبراً عن محبته لهم ومحبتهم له: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾[المائدة : ٥٤] .

وقال أيضاً عن محبتهم له : ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا ﴾ [البقرة : ١٦٥] .

والحاصل أن الرجاء الصادق من أعظم أسباب محبة الله تعالى للعبد .

فحقيق بمن تحقق الرجاء في قلبه أن يفوز بالمحبة والرضوان ، وأما مـن ضـيعه فحري أن يجازى بالطرد والحرمان .

* * *

المطلب الثاني : دوام تعلق القلب بالله تعالى :

من آثار الرجاء في الدنيا أن يكون قلب العبد متعلقاً بربه عز وجل ، لا يرجو إلا الله عز وجل ولا يتوكل إلا عليه ، قد زهدت نفسه مما في أيدي الناس ، لأنه قد وطّن نفسه على التعلق بالله وحده ، في أمور معاشه ومعاده ، فلا يسأل إلا الله تعالى ، ولا يطمع إلا في فضله ، فهو فقير إلى ربه ، غني عن خلقه ، فصار بذلك عبداً لله حقيقة ، قد سلم من عبودية الخلق ، فنال بذلك العز والشرف والسمو، لأن من تعلق بالخلق لا يناله إلا الذل والسقوط والهوان ، بحسب مقدار تعلقه بهم.

وحقيقة الرجاء تعلق القلب بمرغوب سيناله في المستقبل ، وهذا التعلق يورث الجد والاجتهاد ، خاصة إذا علم كرم المطلوب منه ، فإن الطالب يفنى في نيل رضاه ، بسبب ذلك الرجاء .

والعبد إذا تعلق قلبه بالرجاء والطمع في فضل الله تعالى ، كان ذلك مما يقوي تعلقه بربه عز وجل وعدم الالتفات إلى غيره .

قال ابن القيم : « وفي الرجاء من الانتظار والترقب والتوقع لفضل الله ما يوجب تعلق القلب بذكره ودوام الالتفات إليه » [(١)] .

ولما كان أنبياء الله ورسله من أعظم الخلق رجاء لله تعالى ، كان تعلق قلوبهم به سبحانه وتعالى أعظم وأقوى من غيرهم من سائر الناس .

فهذا موسى – عليه السلام – لما ضعف الرجاء في قلوب بني إسرائيل وساءت ظنونهم بالله عز وجل عندما عاينوا اقتراب فرعون وجنوده من خلفهم والبحر من أمامهم ؛ قالوا بلسان الجزع والتسخط: ﴿ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾[الشعراء :٦١]، فقال موسى - عليه السلام - بلسان المتعلق قلبه بربه والواثق بنصره: ﴿ كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي

(١) مدارج السالكين ٥١/٢ .

سَيَهْدِينِ ﴾[الشعراء : ٦٢] . قال القرطبي : « قال موسى هذه المقالة رداً عليهم من قولهم : إنا لمدركون ، وزجرهم وذكّرهم وعد الله سبحانه وتعالى له بالهداية والظفر ... »[١] .

ومن الآيات في هذا الباب ما ذكره الله تعالى عن نبينا محمد ﷺ وشدة تعلّق قلبه بربه وثقته بنصره ، لما اقترب المشركون منه وهو في الغار مع صاحبه الصديق – رضي الله عنه – فلما شاهد الصديق قرب المشركين منهما وهما في الغار حزن لذلك شفقة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسان المتعلق قلبه بربه الواثق بوعده ونصره : ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة : ٤٠] .

فطمأن قلب صاحبه بهذه الكلمة العظيمة وسكن من روعه ، وأذهب حزنه ، فتحقق ما كان يرجوه – عليه الصلاة والسلام – من ربه عز وجل من النصرة والحفظ من أعين المشركين .

ومن الآيات في هذا المعنى ما أخبر الله تعالى به في كتابه الكريم عن الصحابة - رضي الله عنهم أجمعين – لما خوفهم الناس من المشركين وأنهم قد جمعوا لكم العدة والعتاد لقتالكم واستئصالكم ، فلم يبالوا بهم وبتخويفهم ، بل زادهم ذلك تعلقاً بربهم عز وجل وتوكلاً عليه ، فقالوا : ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران : ١٧٣] .

قال الحكيم الترمذي : « وتعلقت قلوبهم بخالق الأرزاق وعالم التدابير فقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل ، فخرجت هذه الكلمة منهم من قلب حي بالله تعالى على سكون من النفس ، فلم يبق في صدورهم اختلاج ولا تنازع ولا ريب ...»[٢] .

---

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٠٦/١٣ .

(٢) نوادر الأصول للحكيم الترمذي ١٠٥/١ .

هكذا يكون أثر الرجاء في الله تعالى ظاهراً على القلوب بتعلقها بخالقها ومدبرها في الرخاء والشدة ، وفي اليسر والعسر .

والآيات في هذا المعنى كثيرة جداً ، والمقصود في هذا المبحث الإشارة إلى أن تعلق القلوب بالله سبحانه وتعالى من آثار الرجاء في الدنيا على العبد المؤمن .

* * *

المطلب الثالث : إظهار العبودية لله تعالى والافتقار إليه :

من آثار الرجاء في الدنيا على العبد المؤمن ، أن تظهر عليه ملامح العبودية والتذلّل لله تعالى والافتقار إليه ، وذلك لأن الرجاء مبني على تعلّق القلب بمن يرجى منه حصول الخير وتحقق المطلوب .

والله عز وجل هو أحق من يرجى منه حصول الخير وتحقق المرغوب .

قال ابن القيم : « ومن فوائد الرجاء إظهار العبودية والفاقة والحاجة إلى ما يرجوه من ربه ، ويستشرفه من إحسانه ، وأنه لا يستغني عن فضله وإحسانه طرفة عين »[(١)] .

وقال أيضاً: « وأما استسلام العبد لربه واستسلامه بانطراحه بين يديه ورضاه بمواقع حكمه فيه؛ فما ذاك إلا رجاء منه أن يرحمه ويقيله عثرته ويعفو عنه ويقبل حسناته مع عيوب أعماله وآفاتها ويتجاوز عن سيئاته، فقوة رجائه أوجبت له هذا الاستسلام والانقياد والانطراح بالباب، ولا يتصور هذا بدون الرجاء البتة، فالرجاء حياة الطلب والإرادة روحها »[(٢)].

قلت : وهذا أمر يدركه معظم الناس ويشهد له الواقع ، ومن الأمثلة عليه أن من ذهب إلى الحاكم أو الرئيس أو من في حكمهما يرجو منه حصول منفعة أو دفع مضرة ؛ تجده يظهر التذلل أمامه والتملق له حتى يتحقق ما يرجوه منه ، وإذا كان هذا يظهر أمام مخلوق ضعيف مثله، فكيف لا يظهر ذلك لله عز وجل ؟! .

ومن الآيات القرآنية الدالة على هذا المعنى ما ذكره الله تعالى عن خبر نبيه موسى - عليه السلام – وفراره من آل فرعون بعد أن قتل القبطي ، فعلّق رجاءه بربه عز وجل أولاً، ثم أظهر العبودية والفاقة والافتقار إلى ربه تعالى ثانياً .

قال تعالى إخباراً عن قول كليمه موسى – عليه السلام – ورجائه لربه عز

---

(١) مدارج السالكين ٥٠/٢ .

(٢) المصدر السابق ٤٥/٢.

وجل : ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [القصص: ٢٢] قال ابن عباس – رضي الله عنهما - : « فخرج موسى – عليه السلام – متوجهاً نحو مدين ، لم يلق بلاءً قبل ذلك ، وليس له بالطريق علم إلا حسن ظنه بربه تعالى ... »[١] .

ولما أحس بالضعف والفاقة ، واشتد عليه الجوع ، لم يشكو حاله إلا إلى مولاه جل جلاله ، فقال : ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص : ٢٤] فوصف حاله إلى ربه تعالى راجياً فضله وإحسانه ، ومظهراً فقره وتذلّله بين يديه ، فاستجاب الله عز وجل له وكشف ما به من فاقة .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « وإظهار الحال ووصف الحاجة والافتقار هو سؤال بالحال ، وهو أبلغ من جهة العلم والبيان »[٢] .

قلت : وهذا غالب دعاء الأنبياء – عليهم السلام – في القرآن الكريم ، فإنهم يسألون الله تعالى بحالهم لا بمقالهم . قال تعالى مخبراً عن دعاء نبيه أيوب – عليه السلام – ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء : ٨٣] .

وقال عن زكريا – عليه السلام - : ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ [مريم : ٤] .

وأخبر عن دعاء الأبوين من قبل آدم وحواء – عليهما السلام - : ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف : ٢٣] .

ولا يخفى ما يتضمنه السؤال بالحال من حسن الأدب مع المُخاطب ، والتذلّل له والافتقار إليه ، وهو أحرى بالإجابة من غيره .

---

(١) انظر : جامع البيان ٥٣/٢٠ .

(٢) دقائق التفسير ٣٦٣/٢ .

والدعاء متضمن للرجاء ، لأن كل داعٍ فهو راجٍ ، وإظهار الدعاء المتضمن للرجاء هو إظهار للعبودية لله تعالى ؛ لأن الدعاء من أجل أنواع العبادة .

ومن الآيات في هذا المعنى قوله تعالى إخباراً عن دعاء خليله إبراهيم – عليه السلام – عندما توعده أبوه بالعذاب والنكال فقال : ﴿وَأَدْعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ [مريم : ٤٨] فأظهر الافتقار والرجاء لله تعالى متوسلاً إليه بالتوحيد والإخلاص، وهذا من أدب الدعاء .

قال ابن جرير في معنى الآية: « أي: وأدعو ربي بإخلاص العبادة له وإفراده بالربوبية، عسى أن لا أشقى بدعاء ربي ولكن يجيب دعائي ويعطيني ما أسأله»(١).

قال البيضاوي في تفسيره : « وفي تصدير الكلام بعسى من التواضع وهضم النفس ، والتنبيه على أن الإجابة والإثابة تفضل غير واجبتين، وأن ملاك الأمر خاتمته وهو غيب ... »(٢).

ومن الآيات في هذا المعنى ما ذكره الله عز وجل عن نبيه يعقوب – عليه السلام – لما فقد أبناءه الثلاثة ؛ علم أن فرج الله قريب ، وأن مع العسر يسرين ، فعلّق رجاءه بربه تعالى وفوض أمره إليه فقال : ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾ [يوسف :٨٣] ثم تذكر حزناً قديماً لم يندمل جرحه بعد ، فازداد همّاً إلى هم ، وحزناً إلى حزن ، وذهب بصره من جراء ذلك ، فجعل أبناؤه يلومونه في ذلك قائلين : ﴿تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ﴾ [يوسف :٨٥] فأجابهم بلسان الافتقار والاضطرار إلى الله عز وجل فقال: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف :٨٦] أي شكايتي ليست إلى أحد من الخلق ، بل إلى رب الخلق ، لأني

---

(١) جامع البيان ٩٢/١٦.

(٢) إرشاد العقل السليم ٢٦٩/٥ .

أعلم من لطفه ورحمته بي ما لا تعلمونه ، فأرجو أن يحقّق رجائي ويجمع شملـي بأبنائي، فاستجاب الله تعالى له وحقق رجاءه وجمع شمله بأبنائه ، وذلك بعـد أن علّق رجاءه به وأظهر العبودية والافتقار إليه .

وبالجملة فإن إظهار العبودية لله تعالى والافتقار إليه ؛ من أخص علامات أهـل الرجاء وهو في حال الدعاء أقوى وأظهر ، وهذا أمر معلوم بالحس والمشاهدة يجده المرء من نفسه ويشاهده على غيره .

❊ ❊ ❊

المطلب الرابع : سبب غفران الذنوب :

إن من آثار الرجاء في الحياة الدنيا على العبد المؤمن ؛ هو نيل مغفرة الله عز وجل لذنوبه وخطاياه .

وقد ذكر الله عز وجل في كتابه العزيز قصة الثلاثة الذي تخلفوا عن الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ، وهم كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع – رضي الله عنهم – فلما صدقوا الله تعالى في رجائهم نالتهم مغفرة الله عز وجل لذنوبهم وتوبته عليهم .

ولذلك لما سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم كعباً عن سبب تخلفه ، أجاب بلسان صدق قائلاً : يا رسول الله ، إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أني سأخرج من سخطه بعذر ، ولقد أُعطيت جدلاً ، ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ، ليوشكن الله أن يسخطك علي ، ولئن حدثتك حديث صدق تجد علي فيه ، إني لأرجو فيه عقبى الله ، والله ما كان لي من عذر ، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلّفت عنك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **أما هذا فقد صدق ، فقم حتى يقضي الله فيك ...** »[1] وأنزل الله عز وجل في توبتهم وصدق رجائهم آيات تتلى إلى يوم القيامة ، وهي قوله تعالى : ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [التوبة : ١١٧-١١٨].

هكذا يكون أثر صدق الرجاء في الله عز وجل سبباً لمغفرة الذنوب والخطايا ، وقبول التوبة وتكفير السيئات .

---

(١) تقدم تخريجه ص٢٤١ .

ومن الآيات في هذا المعنى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [البقرة : ٢١٨] فلما ذكر سبحانه وتعالى أوصاف أهل الرجاء الصادق في هذه الآية الكريمة وهو الإيمان والهجرة والجهاد في سبيله؛ أعقب ذلك بذكر حقيقة قصدهم وغايتهم من تلك الأعمال الصالحة فقال : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ﴾ ثم ختم الله هذه الآية بهذين الاسمين العظيمين فقال : ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ وفي ذلك إشارة إلى تحقق رجائهم في نيل رحمة الله تعالى ، وتفضل الله عز وجل عليهم بغفران ذنوبهم .

وهذا كله من آثار الرجاء الصادق في رحمة الله عز وجل .

ومن الآيات في هذا المعنى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ ﴿٣٠﴾﴾ [فاطر: ٢٩-٣٠] .

ففي هاتين الآيتين الكريمتين يخبر الله تعالى عن بعض صفات عباده المؤمنين ، فذكر منها تلاوة كتابة العزيز ، وإقامة الصلاة ، والإنفاق في سبيله في السر والعلن ، ثم بين الله عز وجل الغاية من فعلهم لهذه الطاعات والباعث عليها فقال : ﴿يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ﴾ وهذا من علامات صدق رجائهم ، ثم ختم الله عز وجل الآية بهذين الاسمين الكريمين فقال : ﴿إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ﴾ .

قال ابن جرير : « إن الله غفور لذنوب هؤلاء الذين هذه صفتهم شكور لحسناتهم »[1] .

وفي هذا إشارة إلى أن مغفرة الذنوب من آثار الرجاء الصادق في قلب العبد المؤمن ، وأن الله سبحانه وتعالى غفور للذنوب كلها مهما عظُمت ، وشكور للأعمال الصالحة مهما قلّت ، وهذا كله مما يقوي الرجاء في قلب العبد ويدفع عنه

(١) جامع البيان ١٣٣/٢٢ .

اليأس والقنوط من رحمة الله عز وجل .

وقد جاء من السنة ما يبين أن مغفرة الذنوب من آثار الرجاء ، فعن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «**قال الله : يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالي ...** »[1] .

وهذا الحديث من جملة الأحاديث الشريفة التي تقوي جانب الرجاء في قلب المؤمن ، وتدفعه إلى إحسان الظن بربه عز وجل ، والطمع في مغفرته ، وهذا كله من آثار الرجاء على العبد المؤمن .

❊ ❊ ❊

(١) تقدم تخريجه ص٢٣٨ .

المطلب الخامس : تحقق المطالب العالية في الدنيا والآخرة :

تختلف المطالب العالية بالنسبة للراجي بحسب حاله ومقامه ، فمن المطالب العالية في الدنيا اجتماع الشمل بالأبناء بعد طول غياب .

وهذا ما جرى لنبي الله يعقوب – عليه السلام – عندما فقد أبناءه الثلاثة ، فلما علّق الرجاء بربه عز وجل قائلاً : ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًا﴾ [يوسف : ٨٣] استجاب الله تعالى له وحقق رجاءه فجمع شمله بأبنائه ، ورد عليه بصره وأذهب همه وحزنه ، وقد مضى الإشارة إلى ذلك فيما سبق .

ولذلك يقول القاضي كمال الدين الحلبي[1] مخاطباً جيرانه لما غابوا عنه بعد طول زمن :

لولا رجائي أن الشمل يجتمع ما كان لي في حياتي بعدكم طمع

ومن المطالب العالية في الدنيا ؛ النصر على الأعداء ، لما استبطأ بنو إسرائيل نصر الله تعالى لهم على فرعون وقومه ، ونفد صبرهم قالوا لموسى – عليه السلام – متذمرين ومتضجرين من طول ما مكثوا في عذاب فرعون ﴿أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ﴾ [الأعراف : ١٢٩] فأرشدهم موسى – عليه السلام – إلى أن يكونوا راجين وعد الله تعالى ونصره على عدوهم، فقال : ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف : ١٢٩] . فحقّق الله عز وجل هذا الرجاء، فأهلك عدوهم فرعون وقومه، واستخلفهم في الأرض من بعدهم.

---

(١) هو القاضي كمال الدين أبواللطف محمد بن يوسف بن عبدالرحمن الحلبي الشافعي ، ولد سنة ٨٧٤هـ واشتهر بحسن القضاء ، و أحب التصوف ، فكان يلبس أخشن الثياب ويخالط الفقراء والصوفية ، وقد ذكر هذا البيت في ترجمته، توفي سنة ٩٥٦هـ . انظر : شذرات الذهب ٣١٢/٨-٣١٣ .

ومن المطالب العالية التي تتحقق بالرجاء ، الغنى وسعة الرزق ورغد العيش بسبب الإيمان بالله تعالى وشكره على آلائه ونعمه ، وهلاك أموال الغير بسبب ظلم النفس والكفر بالله وجحود نعمته .

وهذا ما أخبر الله تعالى به عن صاحب الجنتين عندما كفر بالله عز وجل وجحد نعمته عليه ، قال تعالى : ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾ [الكهف : ٣٥-٣٦] فقال له صاحبه ناصحاً له ومشفقاً عليه من عذاب الله وسخطه : ﴿أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾﴾ [الكهف : ٣٧-٣٩] .

ثم توجه إلى ربه عز وجل راجياً منه أن يرزقه مالاً خيراً من مال صاحبه الذي كفر بالله وجحد نعمته عليه ، وأن يعاقبه على كفره وجحوده لنعمة الله عز وجل بإهلاك جنته وزوالها فقال : ﴿فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾﴾ [الكهف : ٤٠-٤١] فاستجاب الله تعالى له وحقّق رجاءه بإهلاك جنة صاحبه الذي كفر بالله عز وجل ، قال تعالى : ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٢] .

قال أبوحيان : « وبلّغ الله المؤمن ما ترجاه من هلاك ما بيد صاحبه الكافر وإبادته على خلاف ما ظن في قوله : ﴿مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا﴾»[1] .

---

(١) البحر المحيط لأبي حيان ١٢٣/٦ .

فجعل ذلك الذي كفر بالله وجحد نعمته عليه يضرب بكف على كف بعد أن شاهد جنته خاوية على عروشها كأن لم تغن بالأمس ، وندم غاية الندم على كفره وجحوده لنعمة الله تعالى عليه ، وقال : ﴿يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا﴾ ولكن لا ينفع الندم عند وقوع العذاب وحصول الألم .

ومن المطالب العالية التي تتحقق بالرجاء ؛ كثرة الصلاة والقنوت بالليل وتحصيل العلم ، قال تعالى : ﴿ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ ﴾ [الزمر : ٩] ففي هذه الآية الكريمة أوصاف عظيمة لأهل الرجاء الصادق من طول القنوت بالليل وكثرة الصلاة والخشية من الآخرة والرجاء في رحمة الله تعالى ، ثم قال سبحانه بعد ذكر هذه الأوصاف : ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ وفي هذا إشارة إلى أن من اجتمعت فيه هذه الخصال العظيمة والصفات الجميلة ، ومن جملتها الرجاء ، فهو مستحق بأن يوصف بالعلم .

قال الفخر الرازي : « واعلم أن هذه الآية دالة على أسرار عجيبة ، فأولها أنه بدأ فيها بذكر العمل وختم فيها بذكر العلم ، .. وهو تنبيه عظيم على فضيلة العلم ، وقد بالغنا في تقرير هذا المعنى في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة : ٣١] »[1] .

ومن المطالب العالية التي تتحقق بالرجاء ؛ الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم والتمسك بسنته وكثرة ذكر الله عز وجل قال تعالى: ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴾[الأحزاب:٢١]. فمفهوم هذه الآية الكريمة أن الرجاء الصادق يبعث على الاقتداء بسنة رسول الله عليه الصلاة والسلام والتمسك بها .

---

(١) مفاتيح الغيب ٢٦/٢٥٠-٢٥١ .

قال ابن كثير : « هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله وأحواله ، و لهذا أمر تبارك وتعالى الناس بالتأسي بالنبي صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظارها الفرج من ربه عز وجل ...»[1] .

وأما قوله : ﴿وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ فهو علامة على هذا الصنف لتمييزه عن غيره ؛ لأن الآيات التي قبل هذه الآية في سياق الكلام على المنافقين ووصف أحوالهم ، ومن المعلوم أن المنافقين من أقلّ الناس ذكراً لله عز وجل، كما قال تعالى في وصفهم : ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء : ١٤٢] .

لذا جاء هذا الوصف في هذه الآية الكريمة للمؤمنين لتمييزهم عن غيرهم من المنافقين.

ولم أر أحداً من المفسرين أشار إلى هذا المعنى ، فمعظمهم ذكر أن العلة في قرن الرجاء بذكر الله تعالى في هذه الآية؛ هو إشارة إلى أن ذلك من الأسباب المؤدية إلى ملازمة الطاعة التي يتحقق بها معنى التأسي - برسول الله صلى الله عليه وسلم - وهذا معنى صحيح ، ولكن المعنى الأول هو عندي أقوى بدلالة السياق القرآني .

والحاصل أن المطالب العالية التي تتحقق بالرجاء كثيرة جداً، والنصوص في ذلك من الكتاب والسنة تكاد لا تعد ولا تحصى، وفيما ذُكر منها كفاية إن شاء الله تعالى .

* * *

(١) تفسير القرآن العظيم ٤٧٥/٣ .

المطلب السادس : المسارعة إلى فعل الطاعات :

فمن المعلوم أن من رجا شيئاً طلبه وبذل كل ما في وسعه من أجل تحصيله .

والمؤمن الصادق في رجائه يسارع في فعل الطاعات واجتناب المحرمات ، لأن الرجاء بدون عمل ، لا يصدق عليه اسم الرجاء ، و إنما هو غرور وأماني كاذبة .

قال تعالى : ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف : ١١٠] .

قال الشنقيطي : « قوله في هذه الآية : ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ يشمل كونه يأمل ثوابه ورؤية وجهه الكريم يوم القيامة ، وكونه يخشى عقابه ، أي : فمن كان راجياً من ربه يوم يلقاه الثواب الجزيل والسلامة من الشر فليعمل عملاً صالحاً...»[1] ولو كان الرجاء يستقيم بلا عمل لكان المحسن والمسيء في الرجاء سواء ، وهذا مخالف لما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية .

قال ابن كثير : « لا تتم العبادة إلا بالخوف والرجاء ، فبالخوف ينكف عن المناهي ، وبالرجاء يكثر من الطاعات »[2] .

وقال السعدي : « فإن الرجاء يوجب للعبد السعي والاجتهاد فيما رجاه ، والإياس يوجب له التثاقل والتباطؤ ، وأولى ما رجا العباد فضل الله وإحسانه وروحه »[3] .

وقد أخبر الله عز وجل في كتابه الكريم عن أنبيائه ورسله وصفوته من خلقه أنهم قرنوا بين المسارعة إلى فعل الطاعات وبين الرغبة في ثواب الله والرهبة من عقابه.

قال تعالى : ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾

---

(١) أضواء البيان ٣٥٦/٣ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ٤٨/٣ .

(٣) تيسير الكريم الرحمن ص٤٠٤ .

[الأنبياء : ٩٠] .

قال البيضاوي : « راغبين في الثواب راجين للإجابة ، أو في الطاعة ، وخـائفين العقاب أو المعصية »[١] .

وقولـه تعـالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴾ [فاطر: ٢٩] .

فبعد أن ذكر الله عز وجل صفات عباده العاملين به والعاملين له ، نبه علـى أن الباعث على ذلك هو الرجاء في ثوابه وجزيل عطائه فقال سبحانه : ﴿يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴾ وقوله : ﴿لَّن تَبُورَ ﴾ صفة كاشفة تفيد التأكيد على الـربح في هذه التجارة وعدم الخسران ، وهذا أمر معلوم عقلاً وشرعاً ، فإن المتاجرة مـع الله عز وجل من خير التجارات وأربحها، ولذلك كان هؤلاء الذين ذكر الله تعالى شيئاً من صفاتهم ؛ من أربح الناس تجارة ، وأسعدهم حالاً ومآلاً ، حيث بـاعوا الفاني الخسيس ، واشتروا الباقي النفـيس ، واسـتبدلوا الباقيـات الـصالحات ؛ بالغاديات الفانيات ، فيالها من صفقة ما أربحها، ومنفعة جامعة للخير ما أوضحها ، فنالوا بذلك المنازل العالية ، والمثوبات الغالية .

وقد أجمع العقلاء من كل أمة على أن الرجاء يبعث على العمل، فإن لم يكـن كذلك؛ فإنه لا يسمى رجاءً ، بل هو أحلام يقظة وأمنيات كاذبة .

قال ابن القيم : « والرجاء يكون مع بذل الجهد ، وحسن التوكـل ، فحـال الراجي كحال من يشق أرضه ويفلحها ويبذرها ويرجو طلوع الزرع ، ولهذا أجمع العارفون على أن الرجاء لا يصح إلا مع العمل ... »[٢] .

وما ذُكر الرجاء في القرآن الكريم على سبيل المدح والثناء على أهله ؛ إلا كـان

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١٠٦/٤ .

(٢) مدارج السالكين ٦٢/٢ .

مقروناً بفعل الأعمال الصالحة ، كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ ﴾ [البقرة : ٢١٨] .

وقوله تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ ﴾ [الإسراء : ٥٧] .

وقوله تعالى : ﴿ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ ﴾ [الزمر : ٩] . وغير ذلك من الآيات في هذا المعنى .

والحاصل : أن الرجاء من أعظم البواعث على المسارعة إلى فعل الطاعات وترك المحرمات ، ولم يذُكر الرجاء في القرآن الكريم محموداً إلا وكان مقترناً بالعمل ، وهذا مما يؤكد أن اقتران الرجاء بالعمل كاقتران الشرط بالجزاء .

* * *

المطلب السابع : المبادرة إلى الهجرة والجهاد في سبيل الله :

إن من أعظم ما يدفع المؤمن إلى الهجرة والجهاد في سبيل الله ؛ الرجاء فيما عند الله عز وجل من الثواب الجزيل والأجر العظيم .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [البقرة : ٢١٨] .

فقد احتوت هذه الآية الكريمة على ثلاث صفات عظيمة من صفات أهل الرجاء.

الصفة الأولى : الإيمان ، وهذا الإيمان يشمل جميع الأعمال القلبية كالخشية والرجاء والمحبة والتوكل وغير ذلك مما هو من أعمال القلوب، ويشمل قول القلب، وهو التصديق بما أخبر الله عز وجل به، وما أخبر به رسوله صلى الله عليه وسلم من الأمور الغيبية والاعتقادية ، ويشمل أيضاً جميع أعمال الجوارح من العبادات البدنية ، كالصلاة والزكاة والصوم والحج وغيرها .

ولهذا يكون الإيمان شاملاً لأصول الدين وفروعه ، والدافع إليه هو الرجاء في ثواب الله تعالى، وجزيل إفضاله ، وعظيم امتنانه وجميل إحسانه .

الصفة الثانية : الهجرة ، وهي الخروج من دار الكفر إلى دار الإسلام ، قال ابن عاشور : « وهذا الاسم في مصطلح القرآن يدل على مفارقة الوطن لأجل المحافظة على الدين » [(١)] .

ويدخل فيها الهجرة عن ما نهى الله عز وجل عنه ، كما ثبت ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « **والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه** »[(٢)] .

قال ابن القيم : « الهجرة هجرتان : هجرة بالجسم من بلد إلى بلد ، وهذه

---

(١) التحرير والتنوير ٢٩٩/١٤ .

(٢) أخرجه البخاري (١٠) .

أحكامها معلومة ، والهجرة الثانية : الهجرة بالقلب إلى الله ورسوله ، وهذه هي المقصودة هنا ، وهذه الهجرة هي الهجرة الحقيقية وهي الأصل ، وهجرة الجسد تابعة لها »[١] .

فيؤخذ من كلام ابن القيم أن الهجرة بالقلب تكون سابقة على الهجرة بالبدن، فما من أحد هاجر ببدنه إلى الله عز وجل ، إلا وقد هاجر بقلبه قبل ذلك إليه سبحانه وتعالى ، وقال ابن القيم في موضع آخر من أحد كتبه في بيان أنواع الهجرة القلبية للمؤمن : « وله في كل وقت هجرتان : هجرة إلى الله بالطلب والمحبة ، والعبودية والتوكل ، والإنابة والتسليم والتفويض ، والخوف والرجاء ، و الإقبال عليه وصدق اللجئ والافتقار في كل نفَسٍ إليه ، وهجرة إلى رسوله – عليه الصلاة والسلام – في حركاته وسكناته الظاهرة والباطنة بحيث تكون موافقة لشرعه الذي هو تفضيل محاب الله ومرضاته ... » [٢] .

والباعث على الهجرة بنوعيها هو الرجاء في الله عز وجل ، وما أعده للراجين من الثواب العظيم والأجر الكريم .

ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره الرسول – عليه الصلاة والسلام – عن خبر ذلك الرجل من بني إسرائيل الذي قتل تسعة وتسعين إنساناً ، فقد أخرج الشيخان في صحيحيهما عن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **كان** في بني **إسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين إنساناً ، ثم خرج يسأل، فأتى راهباً فسأله فقال له : هل من توبة ؟ قال : لا ، فقتله ، فجعل يسأل ، فقال له رجل : ائت قرية كذا وكذا ، فأدركه الموت فناء بصدره نحوها ، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، فأوحى الله إلى هذه أن تقربي ، وأوحى الله إلى هذه أن تباعدي ، وقال : فيسوا ما بينهما ، فوجد إلى هذه**

---

(١) الرسالة التبوكية ١٧/١ .

(٢) طريق الهجرتين ٢٠/١ .

أقرب بشبر فغفر له » [١] .

فهذا الرجل لما أحس بنار الذنب وحرقة المعصية ؛ جعل يسأل عن المخرج من ذلك حتى جاء إلى الراهب الذي هو قليلٌ علمه ، كثير جهله ، فلما سأله عن المخرج من ذلك ، أقفل باب الرجاء والتوبة في وجهه ، فاستحوذ عليه اليأس والقنوط مما دفعه إلى قتل ذلك الراهب ، فأكمل به قتل مائة إنسان ، ولكن ما إن جف سيفه من دم ذلك الراهب، إلا وانفتح له باب الرجاء في مغفرة الله عز وجل،فجعل يسأل عن أعلم أهل الأرض حتى دلّ على ذلك العالم الرباني ، فلما سأله بلسان صادقٍ وقلب راجٍ في المخرج من هذا الأمر ، فتح له باب التوبة والرجاء وأرشده إلى الهجرة من بلاد أهل السوءِ إلى بلاد أهل الخير والصلاح ، فيا ترى ما الذي دفعه إلى هذه الهجرة ؟ إنه الرجاء والطمع في نيل المغفرة والرحمة من الله عز وجل ، فأكرمه الله تعالى بتحقق رجائه ونيل مطلوبه .

والصفة الثالثة : الجهاد في **سبيل الله ،** وهو على ثلاثة مراتب .

المرتبة الأولى : جهاد النفس في **ذات الله تعالى** ، وأطرها على طاعة الله عز وجل ومحبته ، واجتناب معصيته وما يكرهه .

ويطلق عليه أيضاً جهاد الهوى ، وجهاد النفس والهوى من أعظم أنواع الجهاد وأشده ، فقد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « **والمجاهد من جاهد نفسه** في **طاعة الله** » [٢] .

المرتبة الثانية : جهاد الشيطان ، ويتضمن جهاده على دفع الوساوس والشبهات التي يلقيها في قلب العبد ، وجهاده على دفع ما يزينه للعبد فعل الشهوات وارتكاب المحرمات .

المرتبة الثالثة : جهاد الكفار والمنافقين ، ويتضمن جهادهم بالقول وهو دعوتهم

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٨٣) ، ومسلم (٢٧٦٦) .

(٢) « صحيح » : أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢٤٠٠٤) ، والطبراني في الكبير (٧٩٦) ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥٤٩) .

إلى الحق ، وجهادهم بالمال والنفس وهو قتالهم في ساحة الحرب ، وبذل المال لتجهيز العدة والعتاد لذلك .

والكلام على الهجرة والجهاد ومراتبهما وأنواعهما يطول ، ويكثر فيهما المقول ، والمقصود هو الإشارة إلى أصولهما ، وبيان أن الدافع عليهما هو الرجاء في الله تعالى وما يتضمنه من المعاني العظيمة والمقاصد الجليلة .

قال ابن القيم : « ولا يتم الجهاد إلا بالهجرة ، ولا الهجرة والجهاد إلا بالإيمان ، والراجون رحمة الله هم الذين قاموا بهذه الثلاثة ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢١٨﴾ ﴾ [البقرة : ٢١٨] »[1] .

* * *

(١) زاد المعاد ٣/١١ .

المطلب الثامن : أثره في العلاج السلوكي (الطب النفسي) :

إن للرجاء أثراً كبيراً في علاج النفس الإنسانية من كثير من الأمراض الحسية والمعنوية ، ومن جملة تلك الأمراض ما يعرف بالاكتئاب ، وهو « تغير النفس بالانكسار من شدة الهم والحزن » (١) .

قال ابن القيم : « وأما الاكتئاب فهو افتعال من الكآبة وهي سوء الحال والانكسار من الحزن .. » (٢) .

فالنفس البشرية شديدة التأثر بما حولها من المؤثرات الخارجية والداخلية .

وقد صور القرآن الكريم بعض تلك الحالات من الاكتئاب والغم والهم في نفوس الصحابة ، قال تعالى مخبراً عن حال الثلاثة النفر من الصحابة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك : ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ﴾[التوبة : ١١٨] .

قد سبق الكلام فيما مضى عن هذه الآية وأن صدق الرجاء كان سبباً في نجاتهم مما هم فيه من الكآبة ، وفوزهم بالمغفرة والرحمة من الله تعالى .

وكان الرسول عليه الصلاة والسلام في هذه الحادثة كالطبيب المعالج للمريض ، فلما نزلت توبتهم من الله عز وجل ، قال عليه الصلاة والسلام لكعب بن مالك وهو أحد هؤلاء الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة وتبوك : « **أبشر** بخير **يوم مر عليك منذ ولدتك أمك** » (٣) فانبعثت روح الرجاء والأمل في قلب كعب وصاحبيه بهذه العبارة من فم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهكذا ينبغي على الطبيب المسلم أن يبعث الرجاء والأمل والتفاؤل في نفس المريض بالكآبة والحزن ، حتى يكون ذلك سبباً في زوال تلك الكآبة عن نفسه .

---

(١) انظر : لسان العرب ، مادة (كأب) .

(٢) روضة المحبين ٣٦/١ .

(٣) أخرجه مسلم (٢٧٦٩) .

ومن الصور التي تبين أثر الرجاء في ذهاب الهم والحزن عن أهل البلاء؛ ما حصل للصحابي الجليل خباب بن الأرت – رضي الله عنه – من الهم والحزن بسبب شدة أذى المشركين له ولمن معه، فلما ضاق به الأمر ذرعاً؛ انطلق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلاً : ألا تستنصر لنا ألا تدعو الله لنا !

وهنا يأتي دور الرسول – عليه الصلاة والسلام – في معالجة هذه الحالة بشحذ الهمم إلى التحلي بالصبر أولاً، ثم ببعث الرجاء فيها ثانياً، فيجيبه قائلاً: « **كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الارض، فيجعل فيه فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه، فيشق باثنتين وما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب، وما يصده ذلك عن دينه ، والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون**»[1].

ومن ذلك أيضاً ما وقع للصحابي الجليل ثابت بن قيس – رضي الله عنه – وكان جهوري الصوت، فلما أنزل الله تعالى هذه الآية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴾[الحجرات:٢] قال : أنا من أرفعكم صوتاً على رسول – صلى الله عليه وسلم – فقد حبط عملي وأنا من أهل النار، فاحتبس في بيته بعد أن استولى اليأس عليه ، حتى عد نفسه من أهل النار، فلما افتقده الرسول – عليه الصلاة والسلام – سأل عنه، فأُخبر بما كان يقوله عن نفسه، فقال – عليه الصلاة والسلام - : « **بلْ هو من أهل الْجنة** »[2].

وغير ذلك من الصور والأمثلة التي تبين أثر الرجاء في علاج النفس من استيلاء اليأس والقنوط عليها، وما ينتج عن ذلك من الأمراض الحسية والمعنوية.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤١٦) .

(٢) أخرجه البخاري (٣٤١٧) ومسلم (١١٩) واللفظ له.

وقد عجز الأطباء إلى وقتنا الحاضر عن إيجاد عقار أو دواء يكون سبباً للشفاء من مرض الاكتئاب ، وإنما توصلوا إلى صنع أدوية وعقاقير مهدئة لنفس المريض في زمن محدود، ولكن ما إن يقلع المريض عن تناول تلك الأدوية حتى يعاوده الشعور بالاكتئاب بأشد مما كان .

وهذا ما جعل أطباء النفوس من غير المسلمين في أزمان متأخرة يدركون أن العلاج الروحي لمريض الاكتئاب من أنفع الأدوية وأنجعها في شفائه من المرض ، بيد أن هذا العلاج السلوكي لمريض الاكتئاب عند غير المسلمين قد يغلب عليه جانب انعدام الصدق بين الطبيب والمريض ؛ لأن غاية قصد الطبيب هو إدخال الأمل والتفاؤل في نفس المريض بأي وسيلة ، سواءً أكانت صادقة أم كاذبة .

وقد يستجيب المريض لهذه الطريقة ، ويشفى من مرضه ، ولكنه ربما يعرف كذبها في المستقبل ، فيحدث عنده انتكاسة عظيمة ، ويعاوده الاكتئاب بأسوأ مما كان.

وتعرف هذه الطريقة من العلاج عند علماء النفس من غير المسلمين بالاستجابة للعلاج الخادع (placebo) [1] .

والعلاج الروحي لمريض الاكتئاب قد عرفه علماء النفس من المسلمين منذ قرون عديدة ، قبل أن يعرفه غيرهم من غير المسلمين .

فمن أساليب الرازي العلاجية : لجوؤه إلى طريقة الإيحاء النفسي لعلاج بعض الأمراض النفسية حيث يقول : « ينبغي للطبيب أن يوهم المريض أبداً الصحة ويرجيه بها ، وإن كان غير واثق بذلك ، فمزاج الجسم تابع لأخلاق النفس»[2].

وهذا في الحقيقة موافق لمقاصد الشريعة الإسلامية، من الحث على بعث الأمل والتفاؤل في النفس، ولذلك كان – عليه الصلاة والسلام – إذا دخل على المريض

---

(١) انظر : مجلة الثقافة النفسية المتخصصة قضية العدد: (٤٩) الاستجابة للعلاج الخادع (البلاسيبو) على الرابط: **http://www.psyinterdisc.com/mlaf.html**
وانظر أيضاً : الصحة النفسية للدكتور مصطفى فهمي ، ص١٦٦ .

(٢) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ٤٢٠/١ .

يقول له: « **لا بأس طهور إن شاء الله** »[١] وهو من باب إدخال الرجاء والتفاؤل إلى قلبه ، وإحسان الظن بربه، لئلا يتسخط من القدر، وتستولي عليه الهموم والأحزان، فيقع فيما حرمه الله تعالى من اليأس والقنوط.

فعلاقة الطبيب بالمريض لها أهمية كبيرة في العلاج النفسي ، فلابد أن يكون الجو بينهما مفعماً بالصدق والأمن والطمأنينة .

ومن أنجع الأدوية لمريض الاكتئاب أو القلق ، فتح باب الرجاء والأمل في نفسه، ودفعه إلى التفاؤل في أمور حياته .

لأن معظم الذين أُصيبوا بمرض الاكتئاب قد استولى اليأس والقنوط على نفوسهم، وساءت ظنونهم بربهم عز وجل ، وأصبحوا يتشاءمون من الحياة وينظرون إليها نظرة سوداء .

ومن هنا يأتي دور الطبيب المسلم في تعديل سلوك المريض وإصلاحه ، ويكمن ذلك في عرض آيات الرجاء وأحاديثه على نفس المريض ، وتذكيره سعة رحمه الله تعالى بعباده ... إلى غير ذلك من الترجية والأمل والتفاؤل .

فإذا ترسخت هذه النصوص في نفس المريض واعتقدها اعتقاداً جازماً ؛ فإنه بعد ذلك سوف يشعر بالأمن والطمأنينة ، وسوف يزول اليأس والقنوط من قلبه بإذن الله عز وجل .

ولقد استعرض ابن القيم العلاجات والأدوية الروحية التي تدفع الغم والهم والاكتئاب عن المسلم ، وكان من جملتها ، إقرار العبد لله تعالى بالرجاء ، وهذا يقطع دابر اليأس القاتل والقلق والاكتئاب ... ومن كان الخير كله بيده ، فخليق بالإنسان تحقيق الرجاء برحمته ، وتفويض الأمر إليه ، والتضرع له بأن يصلح له شأنه كله ولا يكله إلى نفسه طرفة عين [٢] .

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٢٠).

(٢) انظر : زاد المعاد ٢٠١/٤ ، وعلم النفس في القرآن الكريم للدكتور سعد رياض ، ص١٩٣-١٩٥ .

المبحث الثاني : آثار الرجاء في الآخرة

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : الأمن من الفزع الأكبر .

لما كان يوم القيامة يوم مهول ، تشيب فيه الرؤوس ، وتذهل فيه النفوس ، وتبلو كل نفس ما أسلفت ، وتقدم كل أمة على ما قدمت ، وتذهل كل مرضعة عما أرضعت ، كان معظم الخلائق فيه قلقين ، ومن النار خائفين ، ولكن هناك قوم استثناهم الله عز وجل من هذا الفزع الكبير والهول العظيم .

قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمْ فِي مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنبياء : ١٠١، ١٠٣] .

فهؤلاء هم عباد الرحمن الذين عملوا بطاعة ربهم عز وجل ، وأحسنوا الظن به ، راجين بذلك الأمن والأمان من الفزع الأكبر يوم فزع الثقلين .

فأكرمهم الله تعالى بتحقق رجائهم في ذلك اليوم المهيب باستقبال الملائكة لهم بالبشارة العظمى ، والنعمة الكبرى ، قائلة لهم على وجه التهنئة والتطمين ﴿هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ فيا لها من سعادة ، ويالها من راحة، ففي ذلك اليوم العظيم ينادي الله عز وجل عباده مطمئناً لهم من هول ذلك اليوم فيقول لهم : ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [الزخرف : ٦٨-٧٠] .

وقال في موضع آخر : ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِۚ لَا

نَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ ﴾ [يونس : ٦٢-٦٤] .

روى المعتمر بن سليمان عن أبيه قال : « سمعت أن الناس حين يبعثون ليس منهم أحد إلا فزع، فينادي مناد ﴿ يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴾ [الزخرف: ٦٨] فيرجوها الناس كلهم أجمعون، فيتبعها ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسۡلِمِينَ ﴾[الزخرف: ٦٩]، فييأس منها الناس غير المسلمين»[1].

ولما كان العمل الصالح لابد له من رجاءٍ يتحقق به قبوله ؛ كان الرجاء داخلاً في كل عملٍ صالح أياً كان نوعه ؛ لأنه أحد أركان العبادة التي لا تصح إلا به .

إذا تقرر هذا، فإن أهل الرجاء من جملة من يشملهم الأمن والأمان من الفزع الأكبر يوم القيامة.

فما الذي حمل المجاهد على القتال في سبيل الله عز وجل حتى استشهد غير الرجاء في ثواب الله عز وجل ، فأكرمه الله تعالى بالخصال العظيمة والمنازل الكريمة، وكان من جملتها الأمن من الفزع الأكبر يوم الدين ، كما ثبت بذلك الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال : « **للشهيد عند الله ست خصال ، يغفر له** في **أول دفعة، ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر** ... »[2] .

وما الذي حمل المهاجر على الهجرة في سبيل الله تعالى ومفارقة الأوطان والأهل

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان ٩٥/٢٥ .

والمعتمر بن سليمان هو : المعتمر بن سليمان بن طرخان التيمي ، يكنى بأبي محمد ، وهو بصري ثقة، روى عن أبيه سليمان بن طرخان ، وهو ثقة أيضاً وعن ابن المبارك وابن مهدي وغيرهم ، وتوفي المعتمر سنة ١٨٧هـ بالبصرة ، وتوفي والده في سنة ١٤٣هـ . انظر : طبقات ابن سعد ٢٥٢٥/٧، و٢٩٠/٧ ، وخلاصة تهذيب الكمال ٣٩٧/١ .

(٢) « صحيح » : أخرجه الإمام أحمد (١٧٨١٨) ، والترمذي (١٦٦٣٩، وقال عنه : حديث حسن صحيح غريب ، وابن ماجه (٢٧٩٩) ، وابن أبي شيبة (١٩٤٦٧) وغيرهم، وصححه الألباني في المشكاة (٣٨٣٤) ، وفي صحيح الترغيب والترهيب (١٣٧٥) .

والجيران؛ غير الرجاء فيما أعده الله عز وجل للمهاجرين ، ومن جملة ذلك الأمـن من الفزع الأكبر يوم القيامة ، فقد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنـه قال : «**للمهاجرين منابر من ذهب يجلسون عليها يوم القيامة قـد أمنـوا مـن الفزع**»[١] .

قال المناوي : « والذي يظهر لي أن هذا لا يختص بمن هاجر قبل الفتح ، بل يعم كل من هاجر من ديار الكفر إلى ديار الإسلام إلى يوم القيامة » [٢] .

والحاصل أن الأمن من الفزع الأكبر يوم القيامة هو من آثار رجاء المؤمن بعمله الصالح الثواب في الآخرة .

❊ ❊ ❊

(١) « صحيح » أخرجه ابن حبان في صحيحه (٧٢٦٢) ، والآجري في كتـاب الـشريعة (١١١٧) ، والحاكم في مستدركه (٦٩٦٥)، وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٥٨٤).

(٢) فيض القدير للمناوي ٢٩٣/٥ .

المطلب الثاني : تحقق حسن ظن العبد بربه :

لما كان رجاء المؤمن في الدنيا مبني على إحسان الظن بربه عز وجل ، ومن ذلك ما يتعلق بأمور الآخرة ، كان على ترقب وانتظار لتلك الوعود الكريمة من الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة بالبشارة والكرامة لأهل الرجاء .

والله سبحانه وتعالى لا يخلف وعده ، كما أخبر عن نفسه في كتابه العزيز بقوله: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم : ٦] ، وقال أيضاً : ﴿وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [الرعد : ٣١] .

وجاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « **من وعده الله على عمل ثواباً فهو منجزه له ، ومن وعده على عمل عقاباً ، فهو فيه بالخيار** » (١) .

وهذا من كرم الله عز وجل ولطفه بعباده ، وواسع مغفرته ، أن جعل حقوقه مبنية على المسامحة والتوسعة ، بخلاف حقوق العباد فإنها مبنية على المشاحة والتضييق.

وحسن الظن من لوازم الرجاء ، فإن الراجي في الحقيقة محسن الظن بمن يرجو منه تحقق مطلوبه ومراده .

والله سبحانه وتعالى عند ظن عبده به ، فإن ظن به خيراً كان خيراً له ، وإن ظن به شراً ، كان شراً له ، ودليل ذلك ما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « **قال الله عز وجل : أنا عند ظن عبدي بي ، إن ظن بي خيراً فله ، وإن ظن شراً فله** » (٢) .

---

(١) « حسن » : أخرجه أبويعلى (٣٣١٦) ، والطبراني في الأوسط (٨٥١٦) ، وابن أبي عاصم في السنة (٩٦٠)، والبزار في مسنده (٦٨٨٢) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: وفي سنده سهيل بن أبي حزم ، وقد وثق على ضعفه وبقية رجاله رجال الصحيح . انظر: مجمع الزوائد ٢١١/١٠، وحسنه الألباني في ظلال الجنة (٩٦٠) ، وقطع بثبوته في السلسلة الصحيحة (٢٤٦٣) .

(٢) « صحيح » : أخرجه أحمد في مسنده (٩٠٦٥) ، وابن حبان في صحيحه (٦٣٩)، والطبراني في الكبير (٢٠٩) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٤٣١٥) ، وفي صحيح الترغيب

فينبغي على المؤمن أن يحسن الظن بربه تعالى بعد فعل الأسباب المشروعة ؛ لأن إحسان الظن بدون عمل ، هو في الحقيقة إساءة ظن .

ولما أساء الكفار الظن بالله عز وجل ، حصل لهم ما يسوؤهم من الخسران في يوم القيامة ، قال تعالى : ﴿ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [فصلت :٢٣] .

قال الحسن : « إنما عمل الناس على قدر ظنونهم بربهم ، فأما المؤمن فأحسن بالله الظن فأحسن العمل ، وأما الكافر والمنافق فأساءَ الظن فأساءَ العمل »[١] .

ولما كان إحسان الظن بالله عز وجل بعد فعل الأعمال الصالحة التي تشهد بصحته وصدقه؛ من خير ما يختم للمؤمن عند فراقه للدنيا ؛ كان الرسول صلى الله عليه وسلم يحث أُمته ويأمرهم بذلك ، فعن جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاثة أيام يقول: « **لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل** »[٢] .

فإن رجاء المؤمن في الآخرة لا يتحقق إلا بعد وقوعها ومجيئها فعند ذلك تتحقق ظنونهم الحسنة بربهم عز وجل ، ويحمدونه على ذلك . قال تعالى : ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ﴾ [الزمر : ٧٤] .

وقد ذُكر مثل هذا المعنى في آيات أُخر من كتاب الله تعالى ، كقوله عز وجل: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [الأعراف: ٣٤].

والترهيب (٣٣٨٦) ، وأصله في البخاري (٦٩٧٠) ، ومسلم (٢٦٧٥) .

(١) أخرجه عبدالرزاق في التفسير (١٨٥/٣ ، وابن جرير في تفسيره ١١٠/٢٤ ، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٥١٩١) ، وأحمد في الزهد (٢٨٥/١) .

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٧٢) ، ومسلم (٢٨٢٤) .

ولا يقتصر كرم الله عز وجل بهم على قدر ظنونهم ، بل إنه سبحانه وتعالى يتفضل عليهم بما هو فوق ذلك ، مما لا يخطر لهم على بال .

قال تعالى : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة :١٧] وجاء ما يؤيد ذلك في الحديث المتفق على صحته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **قال الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر** »[١] .

لذا فإنه ينبغي على المؤمن أن يجتهد في فعل الطاعات وترك المنكرات راجياً بذلك ثواب الله تعالى خاشياً عقابه ، وموقنا بوعده سبحانه وتعالى ، وأن تكون حاله كما قال الشاعر :

وإني لأرجو الله حتى كأنني ... أرى بجميل الظن ما الله صانع[٢]

أو كما قال الآخر :

وإني لأرجو الله حتى كأنما ... ظنوني في إحسانه كعياني[٣]

* * *

(١) أخرجه البخاري (٣٠٧٢) ، ومسلم (٢٨٢٤) .

(٢) ذُكر هذا البيت في عدة مصادر بدون نسبة إلى صاحبه . انظر : حسن الظن لابن أبي الدنيا ١٠٠/١، والعقد الفريد لابن عبدربه الأندلسي ١٣٩/٣ ، وديوان المعاني لأبي هلال العسكري ٢١٤/٢. وقد نسبه أبومنصور الثعالبي إلى محمد بن وهيب الحميري، والله أعلم بصحة ذلك، انظر: لباب الآداب للثعالبي ١٨٦/١ .

(٣) قائل هذا البيت هو : القاضي أبو المجد محمد بن عبد الله التنوخي المعري، لما حضرته الوفاة قال قصيدة مؤثرة، وكان من جملتها هذ البيت، انظر: تاريخ دمشق ٤٤٠/٣٦.

المطلب الثالث : دخول الجنة والنجاة من النار :

إن دخول الجنة والنجاة من النار من أعلى المطالب وأغلاها عند أهل الرجاء ، ولذلك لما سمعوا قول الله عز وجل : ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران : ١٣٣] ، وقوله تعالى : ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ﴾ [الحديد : ٢١] شمروا عن ساعد الجد، واجتهدوا في تحقيق التقوى ، راجين من الله سبحانه وتعالى بلوغ القصد والغاية العظمى ، وأثنى الله عز وجل على عباده المؤمنين في معرض التذكير برجائهم والتسلية لقلوبهم ، لما أصابهم ما أصابهم من الجراحات والآلام بعد لقاء العدو في يوم أُحد ، قال تعالى : ﴿إِن تَكُونُواْ تَأۡلَمُونَ فَإِنَّهُمۡ يَأۡلَمُونَ كَمَا تَأۡلَمُونَۖ وَتَرۡجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرۡجُونَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ١٠٤﴾ [النساء : ١٠٤] فأهل الإيمان لا يرجون بقتالهم شيئاً من الدنيا ، كما يرجو الكفار بذلك من الظفر والظهور على المؤمنين ، ونيل المآرب الدنيوية ؛ بل غاية قصدهم ومرادهم بعد نيل رضى الله عز وجل ومحبته لهم دخول الجنة والنجاة من النار ؛ لأن هذا هو الفوز الحقيقي كما أخبر الله تعالى عنه في كتابه الكريم بقوله : ﴿فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ﴾ [آل عمران : ١٨٥] .

وقد ذكر الله عز وجل بعض أعمال أهل الرجاء ، وأخبر عن صدق رجائهم بنية التجارة الرابحة معه سبحانه وتعالى في معرض الثناء عليهم والمدح لهم ؛ لأنهم واثقون بوعد الله تعالى لهم ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ﴾ [فاطر: ٢٩].

قال الشوكاني : « و الإخبار برجائهم لثواب ما عملوا بمنزلة الوعد بحصول مرجوهم »[1] .

---

(١) فتح القدير ٣٤٨/٤ .

وأكّد سبحانه وتعالى وعده الكريم بقوله : ﴿ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [فاطر: ٣٠] . قال ابن عاشور : « وذيل هـذا الوعد بما يحققه ، وهو أن الغفران والشكران من شأنه ، فإن من صـفاته الغفـور الشكور ، أي الكثير المغفرة والشديد الشكر ... وأكد هذا الخبر بحرف التأكيـد زيادة في الحقيقة ، ولما في التأكيد من الإيذان بكون ذلك علـة لتوفيـة الأجـور والزيادة فيها » (١) .

وبعد هذا الوعد الكريم يخبر سبحانه وتعالى عن حالهم بعد تحقق رجائهم بدخول الجنان، ونيل الكرامة والرضوان، قال تعالى : ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ ﴾ [فاطر : ٣٣-٣٥] .

وجاء في موضع آخر من القرآن الكريم أنهم يحمدون الله تعـالى علـى تحقـق رجائهم، وصدق وعده لهم ، قال تعالى : ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ﴾ [الزمر : ٧٤] . لأنهم كانوا في الدنيا يدعونه سبحانه وتعالى طامعين في تحقق الرجاء والوعد بما أخبر به الرسل – عليهم السلام – عن ربهم عز وجل من الثواب العظيم والأجـر الكـريم في الآخـرة ، وخاشين أن يكونوا قد أتوا بما يكون سبباً في حرمانهم من ذلك الثواب .

قال تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ [آل عمران : ١٩٤] فأكرمهم الله عز وجل بقبول دعائهم وتحقيـق رجائهم ، فقال سبحانه بعد ذكر دعـائهم : ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ

(١) التحرير والتنوير ٣٠٨/٢٢ .

عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ ﴾ [آل عمران : ١٩٥].

قال ابن عاشور : «دلت الفاء في قوله : ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ﴾ على سرعة الإجابة بحصول المطلوب، ودلّت على مناجاة العبد ربه بقلبه ضرب من ضروب الدعاء قابلٌ للإجابة»[١] .

وبالجملة فإن الجنة لا يدخلها إلا من كان يرجوها بصدق ويخشى أن يحرم منها بصدق ؛ لأن من صدق في رجائه وخشيته فسوف ينال مراده ومطلوبه بإذن الله عز وجل .

ويؤيد ذلك ما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « **من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه**»[٢] .

فجدير بالمؤمن أن يصدق في رجائه وخشيته لله تعالى ، وذلك بفعل الطاعات واجتناب المحرمات ، وسؤال الله عز وجل بصدق وإخلاص الفوز بالجنة والنجاة من النار .

* * *

(١) التحرير والتنوير ٢٠٢/٤ .

(٢) أخرجه مسلم (١٩٠٩) .

الفصل الخامس

آثار ضعف الرجاء في الدنيا والآخرة وزواله

وفيه سبعة مباحث :

المبحث الأول : الغفلة عن الله تعالى والركون إلى الدنيا .

المبحث الثاني : اليأس والقنوط من رحمة الله تعالى .

المبحث الثالث : الاستخفاف بالقرآن الكريم والجهل به .

المبحث الرابع : الاستكبار والجهل بسوء العاقبة والمصير .

المبحث الخامس : عدم الانتفاع بالمواعظ والتذكير والاعتبار .

المبحث السادس : الوقوع في الطغيان .

المبحث السابع : دخول النار .

المبحث الأول : الغفلة عن الله تعالى والركون إلى الدنيا

إن من أعظم الآثار المترتبة على ضعف الرجاء أو زواله ؛ الغفلة عن ذكر الله تعالى والدار الآخرة ، والركون إلى الدنيا والاطمئنان بها .

قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ۝٧ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ۝٨﴾ [يونس : ٧-٨] .

ففي هذه الآية الكريمة وعيد عظيم لمن علّق رجاءه بغير الله تعالى ، وركن إلى الدنيا واطمأن بها ، وجعلها غاية أمله وأكبر همه ، وغفل عن التأمل والتدبر في آيات الله عز وجل الكونية والشرعية ؛ أن يكون مصيره إلى النار والعياذ بالله .

قال ابن القيم : « وقد جعل سبحانه رضى العبد بالدنيا وطمأنينته وغفلته عن معرفة آياته وتدبرها والعمل بها سبب شقائه وهلاكه ، ولا يجتمع هذان أعني الرضى بالدنيا والغفلة عن آيات الرب إلا في قلب من لا يؤمن بالمعاد ولا يرجو لقاء رب العباد ، وإلا فلو رسخ قدمه في الإيمان بالمعاد ؛ لما رضى الدنيا ولا اطمأن إليها ، ولا أعرض عن آيات الله ، وأنت إذا تأملت أحوال الناس وجدت هذا الضرب هو الغالب على الناس ، وهم عمار الدنيا ، وأقلّ الناس عدداً من هو على خلاف ذلك ، وهو من أشد الناس غُربة بينهم ، لهم شأن وله شأن ، علمه غير علومهم ، وإرادته غير إراداتهم ، وطريقه غير طريقهم ، فهو في واد وهم في واد...» [(١)] .

إن المتأمل في الصفات المذكورة في الآية الكريمة؛ يجد أنها مرتب بعضها على بعض .

فالصفة الأولى : عدم الرجاء في لقاءِ الله تعالى .

ويدخل في ذلك جميع ما تحتويه هذه الصفة من المعاني ، وما يترتب عليها من

---

(١) الفوائد لابن القيم ١٠٣/١ .

الأحكام والمباني ، فإن انعدام الرجاء في قلب العبد قد يُؤدي إلى إنكار البعث ، وإلى ارتكاب المحرمات وترك المأمورات ، لأن الرجاء في تحصيل الأجر والثواب غير موجود .

ويدخل في ذلك انعدام الخشية من الله عز وجل ، لأن الرجاء والخشية متلازمان، لا ينفك أحدهما عن الآخر .

قال الفخر الرازي : « كل من كان مؤمناً بالبعث والنشور ، فإنه لابد وأن يكون راجياً ثواب الله ، وخائفاً من عقابه ، وعدم اللازم يدل على عدم الملزوم ، فلزم من نفي الرجاء نفي الإيمان بالبعث ... » [1] .

والصفة الثانية : الركون إلى الدنيا والاطمئنان بها .

وهذا إنما حصل بعد أن انعدم الرجاء في القلب وانطفئت أنواره ، وأطبق عليه الظلام بسواده ، فأصبح صاحبه عبداً للدنيا ، يسخط لها ، ويرضى بها ، وكأنه مخلّد فيها لن يفارقها .

قال أبو السعود في قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا﴾ « أي: لايتوقعون الرجوع إلينا أو لقاء حسابنا المؤدي إما إلى حسن الثواب أو سوء العذاب، فلا يأملون الأول وإليه أُشير بقوله عز وجل : ﴿وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ فإنه منبئٌ عن إيثار الأدنى الخسيس على الأعلى النفيس ، كقوله تعالى : ﴿أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ [التوبة : ٣٨] ولا يخافون الثاني وإليه أُشير بقوله تعالى : ﴿وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا﴾ أي سكنوا فيها سكون من لا براح له منها ، آمنين من اعتراء المزعجات ، غير مخطرين ببالهم ما يسوؤهم من عذابنا .. »[2] .

إن الركون إلى الدنيا والحرص على البقاء فيها والتلذذ بشهواتها ؛ من أخص صفات اليهود كما أخبر الله عز وجل عنهم بقوله : ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمۡ أَحۡرَصَ ٱلنَّاسِ

---

(١) مفاتيح الغيب ٤٥/١٧ .

(٢) إرشاد العقل السليم ١٢٢/٤ .

عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [البقرة : ٩٦] .

وحال المؤمن الراجي ثواب ربه تعالى على الضد من هذا ، فهو يدرك أن الدنيا دار ممر لا دار مقر ، وأنها مزرعة الآخرة ، فهو وإن أحب البقاء فيها ، فليس ذلك لأجل التمتع بلذاتها الدنيوية التي يشترك فيها جميع المخلوقين ، بل لأجل الإكثار من العبادة والتزود من الطاعة ، ولقد ضرب الصحابة – رضي الله عنهم – أروع الأمثلة في ذلك ، فهذا معاذ بن جبل – رضي الله عنه – لما حضرته الوفاة قال : «اللهم إني قد كنت أخافك ، فأنا اليوم أرجوك ، اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لكري الأنهار ، ولا لغرس الأشجار ، ولكن لظمأ الهواجر، ومكابدة الساعات ، ومزاحمة العلماء بالركب » (١) .

ولما أُصيب ابن عمر – رضي الله عنه – قال : « ما تركت خلفي شيئاً من الدنيا آسى عليه ، غير ظمأ الهواجر ، وغير مشي إلى الصلاة » (٢) .

والصفة الثالثة : الغفلة عن آيات الله تعالى . فمن المعلوم أن من اشتغل بالدنيا حتى أصبحت أكبر همّه ومبلغ علمه حجبته الدنيا عن الآخرة ؛ لأن الاشتغال بالدنيا قد ينسي العبد نفسه ، فينسى الغاية التي خلق من أجلها ، فلا ينتفع بعد ذلك بالآيات القرآنية ، ولا بالآيات الكونية ، وتكون حاله كحال البهائم في الفقه والإدراك، وإلا فالبهائم خير منه وأفضل لوجوه عديدة ، قد ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية في بعض فتاواه(٣).

وبالجملة فإن هذه الصفات الثلاث، من أعظم علامات الشقاء والحرمان، والخيبة والخسران في الدنيا والآخرة .

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في الزهد ١/١٨٠-١٨١ .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٥٥٧٨) .

(٣) انظر : مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ٤/٣٥١-٣٥٢ .

المبحث الثاني : اليأس والقنوط من رحمة الله تعالى

إن من آثار ضعف الرجاء أو زواله حصول اليأس والقنوط في قلب العبد ، إذ إن اليأس والقنوط ضد الرجاء ، وقد تقرر عند أهل الأصول أن الضدين لا يجتمعان[(١)].

ووجود أحدهما دليل على عدم الآخر .

وما ذكر اليأس والقنوط في القرآن الكريم إلا على سبيل الذم ، وليس بينهما كبير فرق غير أن القنوط أشد من اليأس [(٢)] .

واليأس من رحمة الله عز وجل من صفات الكفار، قال تعالى: ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [يوسف : ٨٧] .

والقنوط من رحمة الله تعالى من صفات الضالين، قال تعالى : ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾ [الحجر : ٥٦] .

ويستفاد من هاتين الآيتين أن اليأس من روح الله قرين الكفر، والقنوط من رحمة الله قرين الضلال، وهما جميعاً قرينا الشرك بالله تعالى، كما جاء من حديث ابن عباس – رضي الله عنهما – أن رجلاً قال: يا رسول الله! ما الكبائر؟ فقال: «**الكبائر: الإشراك بالله، والإياس من روح الله، والقنوط من رحمة الله** »[(٣)].

واليأس والقنوط من رحمة الله عز وجل من أسوأ الظنون بالله تعالى ، وذلك لأن

---

(١) انظر : البحر المحيط في أصول الفقه للزركشي ٣٧٩/٤ .

(٢) انظر : الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ٢٧٠/١ ، وتهذيب اللغة للأزهري ٢٥/٩ .

(٣) « حسن » أخرجه البزار في مسنده ولم أجده في المطبوع منه، وإنما وجدته في مختصر زوائد مسند البزار للحافظ ابن حجر ١٠٦/١، قال الهيثمي في المجمع ١٠٤/١ : « رواه البزار والطبراني ورجاله موثقون »، ونقل المناوي عن الزين العراقي أنه صحح إسناده، انظر: فيض القدير٦١/٥، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٠٥١).

فيهما تكذيب الربوبية ، أو الجهل بصفات الجمال لذي العزة والجلال .

قال الفخر الرازي : « واعلم أن اليأس من رحمة الله تعالى لا يحصل إلا إذا اعتقد الإنسان أن الإله غير قادر على الكمال أو غير عالم بجميع المعلومات ، أو ليس بكريم ، بل هو بخيل ، وكل واحد من هذه الثلاثة يوجب الكفر ، فإذا كان اليأس لا يحصل إلا عند حصول أحد هذه الثلاثة ، وكل واحد منها كفر ؛ ثبت أن اليأس لا يحصل إلا لمن كان كافراً ، والله أعلم »[1] .

وأظهر ما يتجلى اليأس والقنوط عند نزول الشدائد والمصائب ، قال تعالى : ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ﴾ [هود : ٩] ، وقال تعالى: ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا﴾ [الإسراء : ٨٣] ، وقال تعالى : ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾﴾ [فصلت : ٤٩] .

والآيات في هذا المعنى كثيرة .

وقد توعد الله عز وجل في كتابه العزيز اليائسين من رحمته بالعذاب الأليم ، فقال سبحانه : ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [العنكبوت : ٢٣] .

وجاء من حديث فضالة بن عبيد – رضي الله عنه – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «**ثلاثة لا تسأل عنهم رجل نازع الله عز وجل رداءه ، فإن رداءه الكبرياء وإزاره العز، ورجل شك في أمر الله ، والقنوط من رحمة الله**»[2].

---

(١) مفاتيح الغيب ١٥٩/١٨ .

(٢) « صحيح » : أخرجه أحمد في المسند (٢٣٩٨٨) ، والبخاري في الأدب المفرد (٥٩٠) ، وابن حبان في صحيحه (٤٥٥٩) ، والطبراني في الكبير (٧٨٩)، والبزار في مسنده (٣٧٤٩) ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥٤٢) .

فقوله : « لا تسأل عنهم » هو كناية عن شدة هلاكهم وقبح فعالهم .

وبهذا يتبين خطر القنوط واليأس من رحمة الله تعالى ، وأنه يجب على العبد المبتلى بكثرة الذنوب أن يحذر من الوقوع فيهما ، ويعلم علم اليقين أن اليأس والقنوط من رحمة الله عز وجل أعظم من ذنوبه ، لأنه أنكر بجهله وهواه صفات الله تعالى المرجوة ، وحكم على ربه عز وجل بصفات مذمومة ، ومن فعل ذلك فقد ألقى بنفسه إلى التهلكة.

أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن البراء بن عازب رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة : ١٩٥] أنه قال : « هو الرجل يصيب الذنوب فيلقي بيده إلى التهلكة ويقول : لا توبة لي ، أو لا يغفر الله لي » .

وروي أيضاً مثل ذلك عن النعمان بن بشير – رضي الله عنه – وعبيدة السلماني وغيرهما [(١)] .

قال الحكيم الترمذي : « ومن ساء ظنه بالله انقطع عن الله عز وجل وتعلّق عن الله تعالى ، وتعلّق بخلقه ، واستعاذ بالحيل ، ولا يلجأ إلى ربه ، وكذلك القانط من رحمته ، قلبه متعلق بالجهد من الأعمال ، طالباً للنجاة بها ، وإذا فكّر في ذنوبه ألقى بيدي نفسه إلى التهلكة ورفض العمل » [(٢)] .

والحاصل أن اليأس والقنوط من رحمة الله تعالى ؛ لا يقعان إلا عند ضعف الرجاء أو زواله بالكلية ، واليأس والقنوط من رحمة الله تعالى هما عينا الهلاك وعنوان الشقاء في الدنيا والآخرة ، لأنهما يدفعان العبد إلى ترك العمل الصالح الذي هو

---

(١) انظر : جامع البيان ٢٠٢/٢ ، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم ٣٣٢/١ .

وعبيدة السلماني هو : عبيدة السلماني بن عمرو ، وقيل عبيدة بن قيس الكوفي أحد الأئمة ، أسلم في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، روى عن علي وابن مسعود ، وروى عنه إبراهيم وابن سيرين وغيرهما ، قال ابن عيينة : كان يوازي شريحاً في العلم والقضاء . وتوفي سنة ٧٢هـ .
انظر: الكشاف للذهبي ٦٠٤/١ .

(٢) نوادر الأصول في أحاديث الرسول ٩٤/١.

سبب فلاحه، وفوزه في الدنيا والآخرة، قال تعالى : ﴿ وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ بِمَفَازَتِهِمْ ﴾ [الزمر : ٦١] قال غير واحد من أهل التفسير في قوله : ﴿بِمَفَازَتِهِمْ﴾ أي : بأعمالهم الصالحة[1] .

لذا فإنه ينبغي على العبد أن يحذر من أسباب ضعف الرجاء في قلبه مما قد ينشأ عنه يأس أو قنوط من رحمة الله عز وجل ، وأن يسعى حثيثاً في تحقيق الرجاء المحمود ، وهو ما كان مقترناً بفعل الأعمال الصالحة وعلى قدر الأعمال الصالحة يقوى الرجاء في قلب العبد ويكون صادقا ومحموداً .

* * *

(١) انظر : تفسير مقاتل بن سليمان ١٣٨/٣، وجامع البيان ٢٢/٢٤-٢٣ ، ومعالم التنزيل ٨٦/٤ ، وزاد المسير ١٩٣/٧ .

المبحث الثالث : الاستخفاف بالقرآن الكريم والجهل به :

إن من آثار انعدام الرجاء في القلب الجرأة على الاستخفاف بـالقرآن الكـريم والتعنت في قبوله .

قال تعـالى : ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ﴾ [يونس: ١٥] فمن انعدم الرجاء في قلبـه فقـد انقطع الخير عنه، واستحوذ الشر عليه ، وسلك صراط المتكبرين، وذلك لأن الرجاء يتضمن الافتقار والتذلل لمن يرجى منه حصول الخير ، وتحقق المرجو ، والله سبحانه وتعالى أحق من يتذلّل له ، ويرجى منه الخير .

وهؤلاء الكفار الذين وصفهم الله عز وجل بأنهم لا يرجون لقاءه ؛ قد انطـوت بواطنهم على التكبر على الله عز وجل وآياته، قال تعـالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ [الفرقان:٢١] فكان إبليس إماماً لهم في ذلك ، ولذا فإنه لا يستغرب منهم هـذا الطلب السخيف الذي هو على وجه السخرية والاستخفاف بكتاب الله تعالى، وإن كان بعض أهل التفسير قد ذكر أن هذا الطلب منهم قد يحتمل الجد[1] ، ولكـن الأقرب أنه على وجه الاستهزاء والسخرية ، بدلالة بعض الآيات القرآنيـة الـتي تضمنت ذلك المعنى .

قال تعـالى : ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [الأنفال: ٣١] قال ابن عاشور : « وقـولهم ﴿لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ﴾ إيهام بأنهم ترفعوا عن معارضته ، وأنهم لو شاءوا لنقلـوا

(١) انظر : مفاتيح الغيب للرازي ٤٦/١٧ والتحرير والتنوير لابن عاشور ١١٧/١١ .

من أساطير الأولين إلى العربية ما يوازي قصص القرآن ، وهذه وقاحة ، وإلا فما منعهم أن يشاءوا معارضة من تحداهم وقرعهم بالعجز بقوله : ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ ﴾ [البقرة : ٢٤] »[١] .

بل وبلغ من شدة وقاحة هؤلاء الكفار الذين انعدم الرجاء في قلوبهم بأن دعوا الله على وجه التهكم والاستكبار والعناد قائلين : ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الأنفال: ٣٢] .

وهذا إن دلّ فإنما يدلّ على أنهم قد بلغوا الغاية في الجهل، والإفراط في الغباء والمكابرة .

فهلاّ قالوا : إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا إليه !؟

فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ، ولقد سبقهم إلى هذا القول القبيح كثير من الأمم السابقة كقوم نوح وهود وصالح وشعيب – عليهم السلام – حيث بالغوا بالتعنت والتكبر على أنبيائهم وطلبوا منهم تعجيل العذاب .

قال تعالى مخبراً عن قوم نوح ﴿ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [هود :٣٢] .

وأخبر عن قوم هود أنهم قالوا : ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [الأعراف : ٧٠] .

وعن قوم صالح قولهم : ﴿يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الأعراف : ٧٧] .

---

(١) التحرير والتنوير ٣٣٠/٩ .

وعن قوم شعيب أنهم قالوا : ﴿ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [الشعراء : ١٨٧] .

ولقد تحقّق لهم ما طلبوه من تعجيل العذاب ، فأما كفار قريش فنزل بهم يوم بدر ما نزل ، من بطش الله عز وجل واستئصال صناديدهم ، وأما الأقوام المذكورون فنزل بهم عذاب الله عز وجل كما ذُكر في القرآن الكريم .

وهذه من سنن الله تعالى الكونية في عباده فبلوغ الغاية في العتو والطغيان ، والتكبر والإعراض ؛ من علامات قُرب نزول العذاب ، قال تعالى : ﴿سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [غافر : ٨٥] .

ومن مظاهر الاستخفاف بالقرآن الكريم عند من انعدم الرجاء في قلوبهم ،ما أخبر الله عز وجل به في كتابه العزيز عن قول كفار مكة ، قال تعالى: ﴿ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾ [فصلت : ٢٦] .

أخرج ابن جرير بإسناده عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ ﴾ قال: « بالمكاء والتصفير وتخليط من القول على رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرأ القرآن قريش تفعله »[1] .

ونسبه ابن أبي حاتم إلى ابن عباس – رضي الله عنهما –[2] ويدخل المنافقون أيضاً ضمن هؤلاء الكفار الذي أصبح الاستهزاء والسخرية بكتاب الله عز وجل ديدنهم وعادتهم ، قال تعالى مخبراً عن قول المنافقين بعد نزول السورة من القرآن : ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ﴾ [التوبة : ١٢٤] .

---

(١) جامع البيان ١١٢/٢٤ .

(٢) تفسير القرآن لابن أبي حاتم ٣٢٧٢/١٠-٣٢٧٣ ، رقم الأثر (١٨٤٩) .

قال ابن عطية : « ومعنى قـولهم : ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا﴾ الاسـتخفاف والتحقير لشأن السورة ، كما تقول : أي غريب في هذا ... » [١] .

وما سبق ذكره هو بعض الصور لمظاهر الاستخفاف بالقرآن الكريم والجهل بـه لمن انعدم الرجاء في قلوبهم .

والحاصل أن انعدام الرجاء في القلب ينتج عنه الاستكبار والتمرد والطغيـان ، وأصحابه من أقسى الناس قلباً ، وأعظمهم تجبراً ، وأشدهم غلظة وفظاظة ، فهـم أبعد الناس عن الخير وأقربهم إلى الشر ، بخلاف أهل الرجاء فهم من ألـين النـاس قلوباً ، وأقربهم إلى الخير وصولاً .

* * *

(١) المحرر الوجيز ٩٨/٣ .

المبحث الرابع : الاستكبار والجهل بسوء العاقبة والمصير

لما كان الرجاء يتضمن معان عديدة من العبادات كالافتقار لله تعالى والتذلل بين يديه، وإحسان الظن به والتطلع إلى عفوه سبحانه وتعالى وكرمه وإحسانه ؛ كان الذين انعدم الرجاء في قلوبهم بعيدين أشد البعد عن هذه الخصال الحميدة والصفات الجليلة .

فكانت قلوبهم مأوى لكل شر ، ومحل لكل صفة ذميمة تضاد تلـك الـصفات الحميدة .

ومن تلك الصور التي تبين أثر انعدام الرجاء في حصول الاستكبار والعتو والعناد؛ ما أخبر الله عز وجل به في كتابه العزيز عن قول الكفار للرسول - صلى الله عليه وسلم - على وجه الاستكبار والتعنت والجهل بما يترتب على ذلك من سوء العافية والمآل .

قال تعـالى : ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ نَرَىٰ رَبَّنَاۗ لَقَدِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ وَعَتَوۡ عُتُوّٗا كَبِيرٗا ﴿٢١﴾ يَوۡمَ يَرَوۡنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشۡرَىٰ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُجۡرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجۡرٗا مَّحۡجُورٗا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الفرقان : ٢١-٢٣] .

إن أول هذه الآية الكريمة كالعنوان لما سيأتي بعدها ، فالعنوان هـو : صـفات الذين لا يرجون لقاء الله تعالى، ولقاء الله عز وجل يتضمن الخشية مـن عقابـه ، والرجاء في ثوابه ، فأخبر الله عز وجل في هذه الآية الكريمة أن من صفات الذين لا يرجون لقاءه كثرة التعنت بالأسئلة الباطلة ، ومن ذلك سؤالهم نـزول الملائكـة عليهم أو رؤية الله عز وجل في الدنيا .

والحامل لهم على هذه الجرأة العظيمة في هذا السؤال ؛ هو انعـدام الرجـاء في قلوبهم مما نتج عنه الاستكبار والمبالغة في العتو والعناد ، ولذلك فإن أهل الرجـاء يظهر عليهم أثر الذلة والانكسار لله عز وجل ، لأنهم يستشعرون عظمة الله تعالى

وكبريائه وآلائه على خلقه، وهذا مما جعلهم أقرب الخلق إلى الله سبحانه وأحبـهم إليه .

وحول سؤال هؤلاء الكفار رؤية الله عز وجل ، قد يرد سؤال : أليس موسى – عليه السلام – قد سأل الرؤية من الله عز وجل ؟ فما الفرق بين سـؤال هـؤلاء الكفار وسؤال موسى – عليه السلام - ؟

فالجواب : أن موسى – عليه السلام – لما سأل الله تعالى الرؤية ، إنمـا سـألها شوقاً وحباً ، وهؤلاء الكفار سألوها تعنتاً وعناداً [1] ، ولهم في بني إسرائيل من قبل عبرة وآية .

ولكن من رحمة الله عز وجل أنه لم يعاجل هؤلاء الكفار بالعقوبة لما سألوا الرؤية كما وقع لبني إسرائيل ، بل أمهلهم سبحانه وتعالى حتى أسلم منهم من أسـلم ، وخرج من أصلابهم من يعبد الله وحده لا شريك له .

قال تعالى مخبراً عن تعنت بني إسرائيل في عدم التصديق لموسى – عليه السلام – حتى يريهم الله عز وجل عياناً ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [البقرة : ٥٥] .

ثم بين الله سبحانه وتعالى حقيقة سؤال هؤلاء الكفار بقوله : ﴿لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ أي عظم شأنهم في نفوسهم حتى تجرأت ألـسنتهم بالنطق بهذه الأسئلة الفاسدة .

قال الشوكاني : « أي أضمروا الاستكبار عن الحق والعناد في قلوبهم ، كمـا في قوله : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۙ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ﴾ [غافر : ٥٦] والعتو مجاوزة الحد في الطغيان والبلوغ إلى أقصى غاياته ، ووصفه بالكبر لكون التكلم بما تكلموا به من هذه المقالة الشنيعة

(١) انظر : كتاب المواقف لعضد الدين الإيجي ٢٠٢/٣ .

في غاية الكبر والعظم ، فإنهم لم يكتفوا بإرسال البشر حتى طلبوا إرسال الملائكة إليهم ، بل جاوزوا ذلك إلى التخيير بينه وبين مخاطبة الله سبحانه ورؤيته في الدنيا من دون أن يكون بينهم وبينه ترجمان ، ولقد بلغ هؤلاء الرذالة في أنفسهم مبلغاً هي أحقر وأقل وأرذل من أن تكون من أهله، أو تعد من المستعدين له ، وهكذا من جهل قدر نفسه ولم يقف عند حده ... »[١] .

ثم بين الله عز وجل أن رؤية الكفار للملائكة ليست علامة خير لهم ، بل هي شر لهم، لأن الملائكة لا تنزل على الكفار إلا بالعذاب .

قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾ [الفرقان : ٢٢] . وقد اختلف المفسرون في المراد بهذا اليوم، هل هو عند معاينة الكفار للموت في الدنيا أو هو في يوم القيامة ؟ [٢] وعلى كلا القولين فليس بينهما تعارض ، لأنهما متحققان في الدنيا وهو عند معاينة الموت ، وفي الآخرة وهو عند البعث من القبور ليوم النشور ، ولذلك يقول الحافظ ابن كثير : « ولا منافاة بين هذا وما تقدم ، فإن الملائكة في هذين اليومين يوم الممات ويوم المعاد تتجلى للمؤمنين وللكافرين ، فتبشر المؤمنين بالرحمة والرضوان ، و تخبر الكافرين بالخيبة والخسران » [٣] .

فأما الأدلة على أن الملائكة تبشرهم بالعذاب عند الموت فكقوله تعالى : ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [الأنعام : ٩٣] .

وثبت في الحديث الصحيح أن الملائكة تحضر الميت فإذا كان الميت رجل سوء

---

(١) فتح القدير ٦٩/٤ .

(٢) انظر : تفسير القرآن لابن أبي حاتم ٢٦٧/٨ رقم الأثر (١٥٠٥٥) ، ومعالم التنزيل ٣/ ٣٦٥.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٣١٥/٣ .

قالت الملائكة لنفسه : « **أخرجي أيتها النفس الخبيثة كانت** في **الجسد الخبيث ، أخرجي ذميمة ، وأبشري بحميم وغساق وآخر من شكله أزواج** ...»[١] .

قال الشنقيطي : « وأما رؤيتهم الملائكة يوم القيامة فلا بشرى لهم فيها أيضاً ويدل لذلك قوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴾ [الأنعام : ٨]، وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة : ﴿لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ يدل بدليل خطابه : أي مفهوم مخالفته، أن غير المجرمين يوم يرون الملائكة تكون لهم البشرى...»[٢].

وفي قوله تعالى : ﴿وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾ اختلف المفسرون في عود ضمير القول، هل هو عائد على الملائكة أم على المجرمين ؟ .

حكى القرطبي في تفسيره أربعة أقوال :

الأول : أن هذا قول الملائكة تقول : حراماً محرماً أن يدخل الجنة إلا من قال لا إله إلا الله وأقام شرائعها ، وهو قول ابن عباس وغيره .

والثاني : أن هذا هو قول الكفار للملائكة ، وهي كلمة استعاذة معروفة عند العرب في الجاهلية ، إذا لقي الرجل من يخافه قالها ، ومعناها : حرام عليك التعرض لي ، وانتصابه على معنى : حجرت عليك ، أو حجر الله عليك . وهو قول مجاهد.

الثالث : أن هذا هو قول الكفار لأنفسهم ، وهو قول قتادة فيما نقله الماوردي في تفسيره .

الرابع : أن قول حجراً من قول المجرمين ، ومحجوراً من قول الملائكة ، أي قالوا للملائكة : نعوذ بالله منكم أن تتعرضوا لنا ، فتقول الملائكة : محجوراً أن تعاذوا من شر هذا اليوم . وهذا قول الحسن [٣] .

---

(١) « صحيح » : أخرجه أحمد في مسنده ٨٧٥٤) ، والنسائي في الكبرى (١١٤٤٢) ، وابن ماجه في سننه (٤٢٦٢) وصححه الألباني في المشكاة (١٦٣٠) وصحيح الجامع الصغير (١٦٧٦) .

(٢) أضواء البيان ٣٩/٦ .

(٣) انظر : الجامع لأحكام القرآن ٢٠/١٣-٢١ ، وانظر أيضاً جامع البيان ٢/١٩ ، والنكت والعيون

وأظهر الأقوال عندي أن هذا من قول الكفار المجرمين، وذلك لأمرين :

الأول : أن هذا القول معروف ومشتهر عند العرب في الجاهلية ، وقد رجحه الشنقيطي في تفسيره، واستشهد على ذلك بالشواهد الشعرية من قول العرب[1] .

الثاني: أن كلمة ﴿ٱلْمُجْرِمِينَ﴾في الآية الكريمة هي أقرب مذكور لضمير القول.

ولو سأل سائل فقال : لماذا أُجيب هؤلاء الكفار عن سؤالهم بنزول الملائكة ، ولم يجابوا عن سؤالهم لرؤية الله عز وجل؟ .

الجواب : أن رؤية الله عز وجل في الدنيا غير واقعة ومستحيلة في حق المخلوقين، ولذلك لما سألها موسى – عليه السلام – لم يجب ، وأُمر بالنظر إلى الجبل الذي تدكدك من جلال الله وعظمته .

ولما سألها بنو إسرائيل أخذتهم الصاعقة وهم ينظرون .

وأما رؤية الله عز وجل في القيامة فهي ثابتة بالكتاب والسنة ، ولكنها مختصة بأهل التوحيد دون غيرهم . قال تعالى : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة : ٢٢-٢٣]. وقال في حق الكفار : ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين : ١٥] .

قال ابن جرير في تفسير قوله : ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ : « وأولى القولين في ذلك عندنا بالصواب القول الذي ذكرناه عن الحسن وعكرمة من أن معنى ذلك تنظر إلى خالقها»[2] .

وجاء في الحديث المتفق على صحته عن جرير بن عبدالله البجلي – رضي الله عنه – قال : كنا جلوساً ليلة مع النبي صلى الله عليه وسلم فنظر إلى القمر ليلة أربع

١٤١/٤.

(١) انظر : أضواء البيان ٣٩/٦-٤٠ .

(٢) جامع البيان ١٩٣/٢٩ .

عشرة فقال : « **إنكم ترون ربكم كما ترون هذا لا تضامون** في **رؤيته**...»[١] .

قال الإمام مالك في قوله تعالى ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾: « لما حجب أعداءه فلم يروه تجلى لأوليائه حتى رأوه » [٢] .

وقال الشافعي : « لما حجب قوماً بالسخط دل على أن قوماً يرونه بالرضا ، فلما قيل له : أو تدين بهذا ؟ قال : والله لو لم يوقن محمد بن إدريس أن يرى ربه في المعاد لما عبده في الدنيا » [٣] .

ولما كان الكفار قد يعملون أعمالاً هي في ظاهرها أعمال بر ، كصلة الأرحام وإطعام الطعام وإغاثة الملهوف ونحو ذلك ، بين الله عز وجل أن هذه الأعمال لا ينتفع بها أصحابها في يوم القيامة ، وذلك لوجود ما ينافيها أو يناقضها من الشرك والكفر الأكبرين .

قال تعالى : ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان:٢٣] ولذلك لما سألت عائشة – رضي الله عنها – رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حال عبد الله بن جدعان[٤] وكان ابن عم لها ، فكان من خصاله أنه يقري الضيف، ويصل الرحم ، ويفك العاني ، ويطعم المساكين... إلى غير ذلك من الخصال الحميدة والسجايا الكريمة . قالت عائشة : فهل ذلك نافعه ؟ فقال رسول

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٧٠) ، ومسلم (٦٣٣) .

(٢) انظر : معالم التنزيل للبغوي ٤٦٠/٤ .

(٣) اعتقاد أهل السنة للالكائي ٥٠٦/٣ .

(٤) عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب، من أشراف قريش وأكابرهم، كان مضرب المثل في الكرم والجود والإحسان، وقد اجتمعت بطون من قريش فتحالفوا على رد المظالم بمكة وأن لا يظلم أحد إلا منعوه وأخذوا له بحقه وكان حلفهم في دار عبدالله بن جدعان، ويسمى بحلف الفضول، وقد شهده الرسول- عليه الصلاة والسلام- قبل نبوته، وقال فيه: (لقد شهدت حلفاً في دار عبدالله بن جدعان ما أحب أن لي به حمر النعم ولو دعيت به لأجبت) أخرجه البيهقي في سننه(١٢٨٥٩) وصححه الألباني في صحيح السيرة ص٣٦، وتوفي عبدالله بن جدعان قبل الإسلام ، انظر: كتاب الأغاني ٣٤٠/٨، والإصابة ٣٨/٤.

الله صلى الله عليه وسلم : « **لا ينفعه، إنه** لم **يقل يوماً رب اغفر** لي **خطيئتي يوم الدين** » [١] نعم لما كان لا يرجو بتلك الأعمال ثواب الله عز وجل لم تنفعه في يوم القيامة ؛ لأنه كان لا يؤمن بالبعث والنشور ، فلذلك لم يقل يوماً قط : رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين .

إذا تقرر هذا علم أن إنكار البعث ناتج عن انعدام الرجاء في القلب ؛ لأن الرجاء إذا حلّ في القلب ، كان صاحبه متعلقاً بربه عز وجل ، لا يعمل عملاً صالحاً إلا ابتغاء وجه الله تعالى ، راجياً بذلك ثوابه ، وخاشياً من عقابه .

إن أثر انعدام الرجاء في قلوب الكفار جعلهم يركنون إلى حب البقاء في الدنيا والاطمئنان بالعيش فيها ، فقصرت همتهم الدنيئة على إيثار الدنيا على الآخرة ، وتقديم الأدنى الخسيس على الأعلى النفيس ، وهذا كله جهل منهم بسوء العاقبة والمصير .

وبالجملة فإن الاستكبار والعتو في الأرض أساس كل ذنب ، ومجلب كل شر ، وهو ناتج عن زوال الرجاء من القلب .

ولولا انعدام الرجاء في قلوب المجرمين من الكفار؛ لما وقع فيها الاستكبار والتعنت، و لما نزل بهم ما نزل من عذاب الله تعالى وسخطه ، ولو لم يكن في انعدام الرجاء وزواله من القلب إلا هذا الأثر ، لكان كافياً في بيان شؤمه وضرره .

* * *

(١) أخرجه مسلم (٢١٤) .

المبحث الخامس : عدم الانتفاع بالمواعظ والتذكير والاعتبار :

لقد قص الله تعالى علينا في كتابه العزيز أخبار الأمم السابقة وما نزل بهم من العذاب الأليم لما كذبوا رسلهم فلم يصدقوهم ، وقد جاؤهم بالبينات من ربهم الدالة على صدقهم وصحة رسالتهم وحقيقة قولهم ، ولكنهم أبوا إلا الإشراك بالله عز وجل ، و الاستهزاء برسله – عليهم السلام – فحل بهم عذاب الله عز وجل وسخطه .

ولم يذكر الله تعالى هذه القصص في كتاب الكريم إلا لأخذ العبرة منها والعظة ، ولذلك كثر بعد إيراد القصص في القرآن الكريم أن تختم بما يدعو إلى أخذ العبرة والاتعاظ ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [هود : ١٠٢-١٠٣] ، وقوله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [يوسف : ١١١] ، وجاء ختم الآيات في سورة الشعراء بعد ذكر حال كل قوم وما أصابهم من أنواع العقوبات ، ونجاة المؤمنين منهم ، بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾﴾ [الشعراء :٦٧- ٦٨] ، وقوله تعالى : ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ﴾ [النازعات : ٢٦] ، وغير ذلك من الآيات القرآنية الدالة على الاعتبار والاتعاظ بما حلّ بالأقوام السابقة من العذاب الأليم . ولكن لما انعدم الرجاء في قلوب الكفار وعميت أبصارهم عن الحق ، كانوا غير منتفعين بأخذ العبرة والعظة بما قصه الله عز وجل في القرآن الكريم من أخبار الأمم السابقة .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴾ [الفرقان : ٤] في هذه الآية الكريمة يذكر الله عز وجل كفار مكة بما حل بقوم لوط من العذاب والنكال ، حيث أن كفار مكة

كانوا يمرون على قُرى قوم لوط – عليه السلام – عند سفرهم إلى الشام للتجارة . فقوله : ﴿أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا﴾ توبيخ لهم لعدم الاعتبار والاتعاظ بما أصاب قوم لوط من العذاب .

قال ابن عاشور : « وتفرع على تحقيق إتيانهم على القرية مع عدم انتفاعهم به ، استفهام صوري عن انتفاء رؤيتهم إياها حينما يأتون عليها ، لأنهم لما لم يتعظوا بها كانوا بحال من يسأل عنهم : هل رأوها ؟ فكان الاستفهام لإيقاظ العقول للبحث عن حالهم ، وهو استفهام إما مستعمل في الإنكار والتهديد ، وإما مستعمل في الإيقاظ لمعرفة سبب عدم اتعاظهم » (١) .

ولقد وبخهم الله تعالى في آية أخرى على عدم أخذهم للعبرة والعظة عند مرورهم بقرية قوم لوط – عليه السلام – فقال سبحانه : ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [الصافات : ١٣٧] .

قال ابن جرير في قوله : ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أي : « أفليس لكم عقول تتدبرون بها وتتفكرون ، فتعلمون أن من سلك من عباد الله في الكفر به وتكذيب رسله ، مسلك هؤلاء الذين وصف صفتهم من قوم لوط ؛ نازلٌ بهم من عقوبة الله ، مثلُ الذي نزل بهم على كفرهم بالله وتكذيب رسله ، فيزجركم ذلك عما أنتم عليه من الشرك بالله وتكذيب محمد – عليه الصلاة والسلام – » (٢) .

ثم بين الله عز وجل بعد ذلك السبب الحامل لهم على عدم أخذ العبرة والاتعاظ بما حلّ بقوم لوط – عليه السلام – فقال سبحانه : ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾ [الفرقان : ٤٠] فجيء بحرف (بل) في هذه الآية للإضراب ، وهو إضراب انتقال لبيان حقيقة الأمر ، وهو أن عدم تذكرهم وأخذهم العبرة والعظة لم يكن سببه عدم مشاهدتهم لتلك القرية التي عذب أهلها ، بل منشؤه إنكارهم للبعث والنشور،

---

(١) التحرير والتنوير ٣٠/١٩ .

(٢) جامع البيان ٩٧/٢٣ .

فلا يرجون ثواباً ولا يخشون عقاباً .

بل ديدنهم ودأبهم السخرية والاستهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى في الآية التي بعـدها : ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴾ [الفرقان : ٤١] .

ثم قال تعالى مؤنساً لرسوله – عليه الصلاة والسلام – بعد استهزاء هؤلاء الذين قد انعدم الرجاء في قلوبهم وانتكست فطرهم ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾ [الفرقان : ٤٣] ففي الآية الكريمة إرشاد من الله عز وجل لرسوله – صلى الله عليه وسلم – إلى عدم الحزن والتحسر في عدم إيمان هـؤلاء الكفار واستجابتهم لك ، فهم ليس بأهل لذلك .

قال أبوحيان : « هذا يأس عن إيمانهم وإشارة إليـه – عليـه الـسلام – أن لا يتأسف عليهم » (١) .

وقال الشنقيطي في قوله : ﴿أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾ استفهام إنكار فيه معنى النفي ، والمعنى : أن من أضله الله فاتخذ إلهه هواه ، لا تكون عليه وكيـل ، أي : حفيظاً تهديه وتصرف عنه الضلال الذي قدره الله عليه ، لأن الهدى بيد الله وحده لا شريك له ، والذي عليك إنما هو البلاغ ، وقد بلغت ، وهذا المعنى الذي دلّـت عليه هذه الآية الكريمة ، جاء موضحاً في آيات كثيرة ... » (٢) .

ثم يكشف الله عز وجل أمر هؤلاء الكفار الذين انعدم الرجاء في قلـوبهم بهـذا الوصف البليغ على سبيل التهكم بهم والتحقير لهم ، وأنهم في جهلهم بالمنافع، وقلة النظر في العواقب؛ كالأنعام في عدم الفهم والإدراك للحق ، فقـال تعـالى : ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾

---

(١) البحر المحيط ٤٥٩/٦ .

(٢) أضواء البيان ٥٩/٦ .

[الفرقان : ٤٤] .

قال الزمخشري : « فإن قلت كيف جعلوا أضلّ من الأنعام ؟ قلت : لأن الأنعام تنقاد لأربابها التي تعلفها وتتعهدها ، وتعرف من يحسن إليها ممن يسيء إليها وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها ، وتهتدي لمراعيها ومشاربها ، وهؤلاء لا ينقادون لربهم ، ولا يعرفون إحسانه إليهم من إساءة الشيطان الذي هو عدوهم ، ولا يطلبون الثواب الذي هو أعظم المنافع ، ولا يتقون العقاب الذي هو أشد المضار والمهالك، ولا يهتدون للحق الذي هو المشرع الهني والعذب الروي»[1].

فمن خلال ما سبق يتضح أثر انعدام الرجاء في عدم الانتفاع بالمواعظ والآيات والعبر ، وما ينتج عنه من الإنكار للبعث والاستهزاء بالرسل – عليهم السلام – والنزول إلى أدنى مستويات الانحطاط ، بحيث تكون البهائم أعلى مستوى منهم ، وصدق الله عز وجل إذ قال: ﴿وَمَا تُغْنِي ٱلْآيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١] .

* * *

(١) الكشاف ٣/٢٨٧-٢٨٨ .

المبحث السادس : الوقوع في الطغيان :

إن من آثار انعدام الرجاء في القلب أن يكون العبد غارقاً في بحر اليأس والقنوط من رحمة الله تعالى ، لا يعمل عملاً صالحاً فيرجو من الله تعالى ثوابه ، ولا يمتنع من سيءٍ أو قبيحٍ فيخشى عقابه ، ومن كانت هذه حاله فإنه سوف يكون منهمكاً في الطغيان ، غير مبال بالعواقب ، ولا معتبراً بالمواعظ ، قد قسى قلبه من كثرة الذنوب والعصيان ، فأصبح لا يميز بين ما يضره وما ينفعه .

قال تعالى : ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [يونس : ١١] .

قال جمال الدين القاسمي[١] : «هم الذين لا يرجون لقاءه تعالى لكفرهم . ومعنى الشر : أي الذي كانوا يستعجلون به ، فإنهم كانوا يقولون : ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال : ٣٢] »[٢] .

فاستعجالهم بالشر دليل على عدم تمييزهم بين ما يضرهم وبين ما ينفعهم ، وقد ذكر الله عز وجل هذا الاستعجال منهم في آيات كثيرة فمنها قوله تعالى : ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ ۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الرعد : ٦] .

فمن حلم الله عز وجل ولطفه بعباده أنه لا يعجل لهم ما يدعون به على أنفسهم

---

(١) هو محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق ، من سلالة الحسين السبط – رضي الله عنه – ولد في دمشق سنة ١٢٨٣هـ ، ونشأ نشأة علمية ، فتضلع في مختلف الفنون ، وكان سلفي العقيدة لا يقول بالتقليد ، وأصبح إمام عصره في بلاد الشام ، وله مؤلفات كثيرة تزيد على السبعين، منها : دلائل التوحيد ، والفتوى في الإسلام ، وتفسيره المسمى بمحاسن التأويل ، وإصلاح المساجد من البدع والعوائد ، وغيرها. وتوفي بدمشق سنة: ١٣٣٢هـ . انظر: الأعلام ١٣٥/٢ .

(٢) محاسن التأويل ٣٣٢٨/٩ .

سواءً أكان ذلك عند الغضب أم على سبيل التعنت والعناد ، والاستكبار عن قبول الحق ، فهو سبحانه يمهل لإتمام الحكمة ، ولا يهمل من استحق النقمة ، وقد بين حكمته في تأخير العذاب عنهم فقال سبحانه : ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِۚ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [العنكبوت : ٥٣] .

قال أبوالقاسم القشيري في الكلام على هذه الآية : « أي لولا أني ضربت لكل شيء أجلاً لعجلت لهم ذلك ، وليأتينهم العذاب – حين يأتيهم بغتة وفجأة ، وإذا أحاطت بهم في جهنم سرادقات العذاب فلا صريخ لهم ، كذلك – اليوم من أحاط به العذاب ، من فوقه اللّعن ومن تحته الخسف ، ومن حوله الخزي ، ويلبس لباس الخذلان ، ويوسم بكي الحرمان ، ويسقى شراب القنوط ، ويتوج بتاج الخيبة ، ويقيد بقيد السخط ، ويغلّ بغلّ العداوة ، فهم يسحبون في جهنم الفراق حكماً، إلا أن يلقوا في جحيم الاحتراق عيناً » [(١)] .

وعوداً على بدءٍ في الآية السابقة من سورة يونس ، قال أبو السعود في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ﴾ « هم الذين لا يرجون لقاء الله تعالى لإنكارهم البعث ، وما يترتب عليه من الحساب والجزاء ؛ أُشير إلى بعض من عظائم معاصيهم على ذلك ، وهو استعجالهم بما أُوعدوا به من العذاب تكذيباً واستهزاء ...»[(٢)].

وبهذا يتبين أن المقصود بالناس في هذه الآية هم الذين قد انعدم الرجاء في قلوبهم، بدلالة الآيات التي قبلها وبعدها ، فإنها في سياق ذكر بعض صفاتهم وأفعالهم ، ويستدل أيضاً بخاتمة الآية ، حيث ختمت بذكر الجزاء المترتب على انعدام الرجاء كما في قوله تعالى : ﴿فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾. ومن خلال هذه الآية الكريمة يظهر أثر انعدام الرجاء في ترتب تلك العقوبات الدنيوية على ذلك وهي :

---

(١) لطائف الإشارات للقشيري ٤٦١/٢ .

(٢) إرشاد العقل السليم ١٢٤/٤-١٢٥ .

١- تخلي الله عز وجل عنهم ، ومن تخلى الله عنه كان من الهـالكين ، وهـذا مأخوذ من قوله : ﴿فَنَذَرُ﴾ والتعبير بنون العظمة يدل على التشديد في الوعيـد ، وإلى هذا أشار أبو السعود في تفسيره[١] .

٢- التمادي في الطغيان ، والاغترار بإمهال الله تعالى لهم وتأخير العذاب عنهم .

٣- الإصابة بالعمه ، وهو التحير والتردد في الضلالة [٢] ، وقال ابـن الأثـير : «العمه في البصيرة كالعمى في البصر » [٣] .

* * *

(١) إرشاد العقل السليم ١٢٥/٤ .

(٢) انظر : لسان العرب مادة (عمه) .

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر ٣٠٤/٣ .

المبحث السابع : دخول النار :

إن لدخول النار أسباباً عديدة ، وشعباً كثيرة ، ومن أعظمها الشرك أو الكفر بالله عز وجل .

ولما كان انعدام الرجاء في القلب يترتب عليه حصول اليأس ، إذ الضدان لا يجتمعان في مكان واحد ؛ كان اليأس أحد الأسباب الموجبة لدخول النار .

وقد جاء وصف الكفار باليأس في آيات كثيرة من كتاب الله تعالى قال سبحانه: ﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [يوسف : ٨٧] ، وقال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحۡمَتِي وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٣﴾ ﴾ [العنكبوت : ٢٣] . وقال عز وجل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ قَدۡ يَئِسُواْ مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلۡكُفَّارُ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡقُبُورِ ﴾ [الممتحنة : ١٣] .

إذا تقرر هذا علم أن الياس هو من آثار انعدام الرجاء ، وهو من أخص صفات الكفار ، وأحد الأسباب الموجبة لدخول النار ، وقد توعد الله عز وجل الذين لا يرجون لقاءه بدخول النار ، فقال سبحانه : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [يونس : ٧] .

قال الشوكاني : « وقوله : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ﴾ أي مثواهم ومكان إقامتهم النار، والإشارة إلى المتصفين بالصفات السابقة من عدم الرجاء وحصول الرضا والاطمئنان والغفلة ... » [(١)] .

ولما ذكر الله عز وجل في بعض آيات القرآن الكريم جملة من أصناف عذاب أهل

---

(١) فتح القدير ٤٢٦/٢ .

النار ؛ بين الأسباب الموجبة لذلك العذاب ، وكان من أولها انعدام الرجاء . قال تعالى : ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّاغِينَ مَآبًا ﴿٢٢﴾ لَّابِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ كِتَـٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾ [النبأ : ٢١-٣٠] .

فقوله : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ هذا أول الأسباب الموجبة لتلك الأصناف السابقة من العذاب .

وانتفاء الرجاء عنهم يدل على انتفاء الإيمان في قلوبهم ؛ لأن كل من كان مؤمناً فإنه لابد وأن يكون راجياً ثواب ربه عز وجل وخاشياً من عذابه ، بل كل من كان يرجو شيئاً لابد وأن يؤمن به . وإلا كان رجاؤه فارغاً لا فائدة منه .

فلزم من نفي الرجاء عن هؤلاء الكفار نفي الإيمان بالجزاء والحساب في يوم المعاد.

قال الفخر الرازي : « فقوله : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ إشارة إلى أنهم ما كانوا مؤمنين ، وتنبيه على أنهم فعلوا كل شر وتركوا كل خير ... » [(١)] .

قال أبوالسعود في قوله تعالى : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ : « تعليل لاستحقاق الجزاء المذكور » [(٢)] .

وبسبب انعدام الرجاء في قلوب الكفار ، حصل منهم التكذيب بآيات الله عز وجل الكونية والشرعية . قال تعالى : ﴿وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا﴾ .

قلت : ووقوع التشديد في الفعل والمصدر يدل على أنهم بلغوا الغاية في التكذيب

---

(١) مفاتيح الغيب ١٦/٣١ .

(٢) إرشاد العقل السليم ٩١/٩ .

بالآيات ، مع صراحتها وشدة وضوحها ، وهذا إن دلّ فإنما يدلّ على شدة عنادهم ومكابرتهم للحق .

ثم أخبر سبحانه وتعالى أن أعمال العباد محصاة عليم ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر، ولا يظلم ربك أحداً .

قال تعالى : ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾ .

قال أبوحيان : « قوله : ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ﴾ عام مخصوص ، أي كل شيء مما يقع عليه الثواب والعقاب»[1] .

ثم انتقل الكلام من الغيبة إلى المخاطبة والمواجهة فقال تعالى : ﴿فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ .

فقوله : ﴿فَذُوقُوا﴾ أمر يفيد التوبيخ والتقريع ، والإهانة والتحقير ، كما في قوله من سورة الدخان: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان : ٤٩] .

قال أبوالسعود : « وفي الالتفات المنبئ عن التشديد في التهديد ، وإيراد « لن » المفيدة لكون ترك الزيادة من قبيل ما لا يدخل تحت الصحة ، من الدلالة على تبالغ الغضب ما لا يخفى .. »[2] .

قال ابن عاشور : « وفي هذا الأسلوب ابتداءٌ مطمع بانتهاءٍ مؤيسٍ ، وذلك أشد حزناً وغماً بما يوهم أن ما أُلقوا فيه هو منتهى التعذيب ، حتى إذا ولج ذلك أسماعهم فحزنوا له ، أُتبع بأنهم ينتظرهم عذاب آخر أشد ، فكان ذلك حزناً فوق حزن ، فهذا منوال هذا النظم وهو مؤذن بشدة الغضب »[3] .

---

(١) البحر المحيط ٤٠٦/٨ .

(٢) إرشاد العقل السليم ٩٢/٩ .

(٣) التحرير والتنوير ٤٢/٣٠-٤٣ .

أخرج الطبري بإسناده عن عبد الله بن عمرو أنه قال : « لم تنـزل على أهـل النار آية أشد من هذه ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴾[1] وبهذا يتبين أثر انعـدام الرجاء على العبد في الدنيا والآخرة ، وأنه من أعظم الأسباب المفضية إلى الـشقاء والهلاك ، ودخول النار .

* * *

(١) جامع البيان ١٧/٣٠ .

الفصل السادس

تلازم الخشية والرجاء وأحوال العبد في الجمع بينهما

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : تلازم الخشية والرجاء في القرآن الكريم .

المبحث الثاني : أحوال العبد في الجمع بين الخشية والرجاء .

المبحث الأول : تلازم الخشية والرجاء في القرآن الكريم

الرجاء والخشية متلازمان في القرآن الكريم، لا ينفك أحدهما عن الآخر، بل لا يصح أحدهما بدون الآخر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « والخشية أبداً متضمنة للرجاء ، ولولا ذلك لكانت قنوطاً ، كما أن الرجاء يستلزم الخوف ولولا ذلك لكان أمناً ... » (١) .

قال ابن القيم : « فكل راجٍ خائف ، وكل خائف راجٍ ، ولأجل هذا حسن وقوع الرجاء في موضع يحسن فيه الخوف ، قال الله تعالى : ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح : ١٣] قال كثير من المفسرين : المعنى ما لكم لا تخافون لله عظمة ، قالوا : والرجاء بمعنى الخوف ، والتحقيق : أنه ملازم له ، فكل راج خائف من فوات مرجوه ، والخوف بلا رجاء يأس وقنوط » (٢) .

ومن أساليب القرآن الكريم في معالجة النفس الإنسانية ؛ اقتران الخشية بالرجاء ، والوعد بالوعيد ، والترغيب بالترهيب ، بل قد يكون هذا من القواعد الكلية المطردة في كتاب الله عز وجل .

قال الشاطبي : « إذا ورد في القرآن الترغيب قارنه الترهيب في لواحقه أو سوابقه أو قرائنه وبالعكس ، وكذلك الترجية مع التخويف وما يرجع إلى هذا المعنى مثله، ومنه ذكر أهل الجنة يقارنه ذكر أهل النار وبالعكس ؛ لأن في ذكر أهل الجنة بأعمالهم ترجية ، وفي ذكر أهل النار بأعمالهم تخويفاً ، فهو راجع إلى الترجية والتخويف ... » (٣) .

ومن الآيات التي تؤكد هذا المعنى قوله تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ

---

(١) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ٢١/٧ .

(٢) مدارج السالكين ٥١/٢ .

(٣) الموافقات للشاطبي ٣٥٨/٣ .

لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأعراف : ١٦٧] . قال ابن كثير : « وهذا من باب قرن الرحمة مع العقوبة لئلا يحصل اليأس ، فيقرن الله تعالى بين الترغيب والترهيب كثيراً لتبقى النفوس بين الرجاء والخوف ... » (١) .

قال ابن عطية : « الرجاء والخوف متلازمان ، لا تجد أحدهما إلا والآخر معه مقترن ، وقد تقدم شرح هذا غير مرة » (٢) .

قال تعالى : ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الرعد : ٦] .

قال الشنقيطي في تفسيره لهذه الآية : « بين جل وعلا في هذه الآية الكريمة أنه ذو مغفرة للناس على ظلمهم ، وأنه شديد العقاب ، فجمع بين الوعد والوعيد ليعظم رجاء الناس في فضله ، ويشتد خوفهم من عقابه وعذابه الشديد ، لأن مطامع العقلاء محصورة في جلب النفع ودفع الضر ، فاجتماع الخوف والطمع أدعى للطاعة، وقد بين هذا المعنى في آيات كثيرة ... » (٣) .

وقال تعالى : ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الحجر : ٤٩-٥٠] .

قال الشوكاني : « ثم إنه سبحانه لما أمر رسوله بأن يخبر عباده بهذه البشارة العظيمة ، أمره بأن يذكر لهم شيئاً مما يتضمن التخويف والتحذير ليكونوا راجين خائفين ، فقال : ﴿ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴾ أي الكثير الإيلام ، وعند جمع الله لعباده بين هذين الأمرين من التبشير والتحذير صاروا في حالة وسط بين اليأس والرجاء ، وخير الأمور أوساطها ، وهي القيام على قدمي الرجاء والخوف ،

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٢/٢٦٠ .

(٢) المحرر الوجيز ٥/٨٣ .

(٣) أضواء البيان ٢/٢٢٣ .

وبين حالتي الأنس والهيبة... »[1] .

ومن الآيات الدالة على هذا المعنى قوله تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ ﴾ [الإسراء : ٥٧] ، وقوله تعالى: ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ٣ ﴾[غافر: ٣] وقوله تعـالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ ٢٦ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ٢٧ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلُ نَدۡعُوهُۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ٢٨ ﴾[الطور:٢٦-٢٨] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ١٢ إِنَّهُۥ هُوَ يُبۡدِئُ وَيُعِيدُ ١٣ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ١٤ ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ١٥ ﴾ [البروج : ١٢-١٥] .

والآيات في هذا المعنى كثيرة جداً .

وهذا التلازم في القرآن الكريم بين الخشية والرجاء وبين الترغيب والترهيب؛ هو من أعظم الأساليب التربوية في توجيه النفس الإنسانية إلى أصل فطرتها ومعـدنها الأصيل ، فتارة يكون هذا التلازم على حد سواء بين الخشية والرجاء ، أو الترغيب والترهيب ، وهذا هو الغالب في القرآن الكريم ، وتارة يكون أحدهما أقوى مـن الآخر بحسب ما يقتضيه المقام بما يناسب الحال .

فتشتد الترجية في مواطن اليأس والقنوط حتى تبلغ أعلى مستوى يزول به اليأس ، استئصالاً لأصوله ودواعيه ، فالرجاء واليأس ضدان لا يجتمعان في مكان واحـد ، فإذا زال اليأس من القلب ؛ انبثقت فيه روح الرجاء ، وقوي سلطانه ، فكان دافعاً له إلى فعل الأعمال الصالحة التي تقرب إلى الله تعالى ، وقد سبق الإشارة إلى أن الله عز وجل في كتابه الكريم قد ربط الرجاء بالعمل الصالح ربط الشرط بالجزاء ، على وجه محكمٍ لا يقبل الانفصام ، وبصيغة آمرة تقتضي الإلزام، فقال تعـالى : ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا

(١) فتح القدير ١٣٤/٣ .

وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف : ١١٠] .

وتشتد مظاهر الخشية والتخويف والترهيب في مقام التحذير من الاسترسال في اتباع الهوى ، والانهماك في الشهوات والمنى .

وهذا الأسلوب في القرآن الكريم أعني التلازم بين الخشية والرجاء ، والترغيب والترهيب ، يحقّق التوازن النفسي للنفس البشرية ؛ لأنه يسلك بها منهج الوسطية والاعتدال الموافق لفطرتها ، كما قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة : ١٤٣] فلا يدعها في مقام التخويف حتى يبلغ بها الحال إلى مقام اليأس والقنوط ؛ لأن هذا مناف لشريعة الله عز وجل ، ومناقض لما تقتضيه أسماؤه الحسنى وصفاته العلى .

وفي المقابل لا يتركها ضحية للأماني الكاذبة والأوهام الفاسدة، حتى لا تسترسل في اتباع الشهوات، وتتمادى في الطغيان والضلالات، بل يسلك بها مسلك الجد و الحزم بالتحذير في المواطن التي يحتاج فيها إلى ذلك، حتى يتحقق التوازن والتعادل بين جانب الخشية والرجاء في القلب .

فكان هذا الأسلوب الرباني من أعظم الأساليب العلاجية وأنجعها في تحقيق التوازن النفسي للإنسان ؛ لأنه من لدن حكيم خبير .

ويقرر الشاطبي هذا المعنى في كتابه الموافقات فيقول : « وقد يغلب أحد الطرفين بحسب المواطن ومقتضيات الأحوال ، فيرد التخويف ويتسع مجاله لكنه لا يخلو من الترجية .. ومواطن الاغترار يطلب فيها التخويف أكثر من طلب الترجية ؛ لأن درء المفاسد آكد، وترد الترجية ويتسع مجالها وذلك في مواطن القنوط ومظنته ، ولما كان جانب الإخلال من العباد أغلب ، كان جانب التخويف أغلب ، وذلك في مظانه الخاصة لا على الإطلاق ، فإنه إذا لم يكن هنالك مظنة هذا ولا هذا أتى الأمر معتدلاً..»[1].

---

(١) الموافقات ٣/٣٦٠-٣٦١ .

فالخشية والرجاء متناسبان، إذ الخاشي في حال خشيته يرجو خلاف ما يخشاه ويدعو الله عز وجل به ويسأله إياه، والراجي في حال رجائه يخشى خـلاف مـا يرجو ويستعيذ بالله منه ويسأله صرفه، فما من خاشٍ إلا وهو راجٍ، وما من راجٍ إلا وهو خاشٍ .

وبذلك يتضح أن التلازم بين الخشية والرجاء أو التخويف والإنذار أو الترهيـب والترغيب ، من أعظم القواعد الكلية في القرآن الكريم ، بل هو أحد أوجه الإعجاز البلاغي والتربوي فيه[1].

* * *

(١) انظر : التعبير القرآني والدلالة النفسية للدكتور عبدالله الجيوسي ، ص١٠٧-١٠٩ .

المبحث الثاني : أحوال العبد في الجمع بين الخشية والرجاء

يرى أكثر العلماء أنه ينبغي على العبد أن يغلّب جانب الرجاء في حال المرض واقتراب الأجل .

واستدلوا بقول الرسول عليه الصلاة والسلام : « **لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل** »[١] ، وقوله صلى الله عليه وسلم : « **من أحب لقاء الله أحب اللهُ لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره اللهُ لقاءه** » [٢] .

وذكر ابن حجر في « الفتح » عن بعض العلماء أنه لا يرى تغليب جانب أحدهما على الآخر ، بل ينبغي أن يجمع العبد بين الرجاء والخوف حتى في حال المرض واقتراب الأجل [٣] .

واستدلوا بحديث أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو في الموت فقال : « **كيف تجدك** ؟ » قال : والله يا رسول الله إني أرجو الله وإني أخاف ذنوبي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **لا يجتمعان** في **قلب عبد** في **مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وآمنه مما يخاف** » [٤] .

قلت : الذي يترجح لي أنه ينبغي على العبد المسلم أن يغلّب جانب الرجاء في مرض الموت ، امتثالاً لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حيث أن ذلك من آخر ما أمر به – عليه الصلاة والسلام – كما صرح به راوي الحديث الصحابي الجليل جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – في الحديث المتفق عليه، حيث قال :

---

(١) سلف تخريجه ص ٣٧٣.

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٧٧) .

(٣) فتح الباري ٣٠١/١١.

(٤) « حسن » أخرجه الترمذي (٩٨٣) وقال عنه: حديث حسن غريب، وابن ماجه (٤٢٦١) والنسائي في الكبرى (١٠٩٠١) وأبو يعلى (٣٣٠٣) وحسنه الألباني في الصحيحة (١٠٥١).

« سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاثة أيام يقول : « **لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل** » [١] ، وأما في حال الصحة فمن العلماء من قال بالجمع بينهما ، ولذلك جاء عن مطرف بن عبدالله أنه قال : « لو وزن رجاء المؤمن وخوفه ما رجح أحدهما صاحبه » [٢] .

قال النووي : « اعلم أن المختار للعبد في حال صحته أن يكون خائفاً راجياً ، ويكون خوفه ورجاؤه سواءً، وفي حال المرض يمحض الرجاء ، وقواعد الشرع من نصوص الكتاب والسنة وغيرها متظاهرة على ذلك ... » [٣] .

وأما عن كيفية الجمع بينهما فيقول محمد بن نصر اليماني المعروف بابن الوزير : «والجمع بين الرجاء والخوف من وجهين :

أحدهما : أن يرجو حين يذكر صفاته ربه ، ويخاف حين يذكر صفات نفسه ، لقوله تعالى : ﴿ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ ﴾ [ق : ٣٣] فسماه بالرحمن في حال خوفه .

الوجه الثاني : أن يخاف على نفسه ويرجو لغيره ، وتأمل قول الخليل عليه السلام في خوفه على نفسه : ﴿ وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴾ [الشعراء : ٨٢] ولم يقل والذي يغفر لي كما قال : ﴿ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ﴿٨٠﴾ ﴾ [الشعراء : ٧٩-٨٠] ، وكذا قوله : ﴿عَسَيٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ﴿٤٨﴾ ﴾ [مريم : ٤٨] . وقال عليه السلام في حق غيره :

---

(١) سلف تخريجه ص ٣٧٣ .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٥١٢٣) . ومطرف بن عبدالله هو : مطرف بن عبدالله بن الشخير العامري البصري ، يكنى بأبي عبدالله ، من العباد الثقات ، ولد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو من كبار التابعين ، توفي سنة ٩٥هـ . انظر : طبقات الحفاظ ٣١/١ ، والإصابة ٢٦٠/٦ .

(٣) رياض الصالحين ١٠٢/١ .

﴿وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [إبراهيم : ٣٦] .

فانظر ما أشد خوفه على نفسه وأوسع رجاءه لغيره ، وهذا عكس ما عليه الأكثرون والله المستعان ... » [١] .

قال السفاريني الحنبلي : « واعلم أن العبد المؤمن لابد أن يجمع بين الرجاء والخوف ، وينبغي أن يكونا متعادلين كجناحي الطائر ، وذكر جماعة أنه يغلّب الخوف مطلقاً ، وقيل الرجاء مطلقاً ، وقيل يغلب الخوف في الصحة والرجاء في المرض ، وعند الحنفية يغلب الشاب الرجاء والشيخ الخوف ... » [٢] .

قلت : والرجاء المحمود لا يصدق عليه أن يكون كذلك ما لم يكن متضمناً للخشية من الله عز وجل ، وإلا كان ذلك غروراً ، وكذلك الخشية والخوف لا يكونان محمودين ما لم يتضمنا معنى الرجاء ، وقد مضى كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في تأكيد ذلك .

وكذلك في حال الصحة هناك أحوال تقتضي تقوية أحدهما على الآخر ، و العبد في هذه الأحوال هو طبيب نفسه يسوسها نحو فلاحها وسعادتها .

فمن كانت نفسه تنشط عند ذكر الرجاء إلى المسارعة لفعل الطاعات وترك المحرمات ؛ أكثر منها عند ذكر الخشية أو الخوف وأسبابهما ، فالأفضل في حقه أن يكون جانب الرجاء أقوى من جانب الخشية .

قال ابن الجوزي : « أسباب الرجاء قوية ، فمن خفنا عليه من غلبة الخوف ؛ قلنا له : عدل ما عندك بالرجاء، إلا أنه ينبغي أن يتوب ويرجو القبول ، ويبذر

---

(١) إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق لابن الوزير ٣٥٦/١ .

وابن الوزير هو : محمد بن إبراهيم بن علي المرتضى الحسني اليماني الصنعاني ، يكنى بأبي عبدالله ، ولد سنة : ٧٧٥هـ . من كبار علماء اليمن المجتهدين ، صنف كتباً كثيرة في مختلف الفنون والعلوم، من أشهرها تنقيح الأنظار في علوم الآثار ، والعواصم من القواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، ونصرة الأعيان، وغيرها. وتوفي سنة: ٨٤٠هـ بصنعاء. انظر: البدر الطالع ٨١/٢-٩٣ .

(٢) غذاء الألباب شرح منظومة الآداب للسفاريني ٣٥٤/١ .

الحصاد ، فأما الرجاء مع العصيان فحماقة ... » [١] .

ويقول يحيى بن معاذ : « يكاد رجائي لك مع الذنوب يغلب رجائي لك مع الأعمال ؛ لأني أجدني أعتمد في الأعمال على الإخلاص ، وكيف أحرزها وأنا بالآفة معروف ، وأجدني في الذنوب أعتمد على عفوك ، وكيف لا تغفرها وأنت بالجود موصوف » [٢] .

ومن كانت نفسه عند ذكر الخشية وأسبابها أشد نشاطاً منها عند ذكر الرجاء وأسبابه ، فالأفضل في حقه أن يغلّب جانب الخشية والخوف على جانب الرجاء.

ويقرر الغزالي هذا المعنى فيقول : « اعلم أن الأخبار في فضل الخوف والرجاء قد كثرت ، وربما ينظر الناظر إليها فيعتريه شك في أن الأفضل أيهما ، وقول القائل: الخوف أفضل أم الرجاء، سؤال فاسد يضاهي قول القائل : الخبز أفضل أم الماء ؟

وجوابه : أن يقال : الخبز أفضل للجائع ، والماء أفضل للعطشان ، فإن اجتمعا نظر إلى الأغلب ، فإن كان الجوع أغلب فالخبز أفضل ، وإن كان العطش أغلب فالماء أفضل ، وإن استويا فهما متساويان ، وهذا لأن كُلّ ما يراد لمقصود ففضله يظهر بالإضافة إلى مقصوده ، لا إلى نفسه ، والخوف والرجاء دواءان يداوى بهما القلوب ففضلهما بحسب الداء الموجود ، فإن كان الغالب على القلب داء الأمن من مكر الله تعالى والاغترار به ، فالخوف أفضل ، وإن كان الأغلب هو اليأس والقنوط من رحمة الله ، فالرجاء أفضل ، وكذلك إن كان الغالب على العبد المعصية فالخوف أفضل ... »[٣] .

ونخلص من ذلك أن العبد المؤمن لابد أن يجمع في سيره إلى الله عز وجل بين الخشية والرجاء كما هو حال طريقة القرآن الكريم، لأن هذا هو عنوان السعادة، وعلامة على صدق القصد والعبادة، وهو أكمل الأحوال ، وينبغي على العبد أيضاً

---

(١) انظر : المصدر السابق ٣٥٨/١ .

(٢) الرسالة القشيرية ١٧٠/١ ، وقد مضى فيما سبق قول يحيى بن معاذ وترجمته ، انظر ص٢٤٢.

(٣) إحياء علوم الدين ١٦٤/٤ .

أن لا يغلب أحدهما على الآخر، إلا إذا كان هناك حال أو مصلحة تستدعي تغليب أحدهما على الآخر، كما سبق الكلام عليه.

ولهذا حذّر السلف من طريقة المبتدعة فقالوا : « من عبد الله بالرجاء وحده فهو مرجئ ، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري ، ومن عبده بالحب فهو زنديق ، ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد »[١] .

قال سهل بن عبد الله التستري : «الرجاء والخوف ميزانان على الإنسان فإذا استويا استقامت أحواله ، وإن رجح أحدهما بطل الآخر»[٢] .

وما أحسن ما قاله الربيع بن سليمان في هذين البيتين:

صبر جميل ما أسرع الفرجا ... من صدق الله في الأمور نجا
من خشي الله لم يناله أذى ... من رجا الله كان حيث رجا[٣]

* * *

(١) انظر : مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ٢٠٧/١٠ .

(٢) انظر : النكت والعيون للماوردي ٢٥٢/٣ ، وسهل بن عبد الله التستري هو : سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى بن عبد الله بن رفيع وكنيته أبو محمد ، من كبار المتصوفة والعباد، وكان صاحب منطق رصين وعبارات حكيمة، توفي سنة: ٢٨٣هـ ، انظر: حلية الأولياء ١٠/ ١٨٩، وصفوة الصفوة ٦٤/٤.

(٣) انظر : شعب الإيمان للبيهقي ٣٧/٢، والربيع بن سليمان هو : الربيع بن سليمان بن عبد الجبار المرادي، يكنى بأبي محمد، ولد سنة ١٧٤هـ ، من أصحاب الإمام الشافعي، ومعظم كتب الشافعي لا تروى إلا من طريقه ، حتى قال فيه الشافعي : هو راوية كتبي، تولى مأذنة الجامع الكبير بمصر، وتوفي سنة: ٢٧٠هـ ، انظر: سير أعلام النبلاء ٥٨٧/١٢، وطبقات الفقهاء للشيرازي ١٠٩/١.

الخاتمة

الخاتـمة

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات ، والصلاة والسلام على خير البريـات ، وعلى آله وصحبه أُولي الخشية والرجاء والكرامات .

ومن اقتفى أثرهم إلى يوم تبلى فيه السرائر والخفيات، أما بعد :

فإن الدراسة الموضوعية لآيات القرآن الكريم مما يحقق أعظم الحكم والغايات من إنزاله، وهو التدبر والتأمل في آياته، قال تعـالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص : ٢٩] .

ومن خلال ما سبق دراسته لموضوع الخشية والرجاء في القرآن الكريم، والـذي أرجو أن أكون قد وفقت في الإحاطة بأهم جوانبه ؛ يجدر بي أن أذكر أهم النتائج التي توصلت إليها من هذا البحث، وقد جعلتها على عدة نقاط ، وهي على النحو التالي :

أولاً : فيما يتعلق بالخشية :

١- بيان أهمية الخشية من الله تعالى وأنها من أجل العبادات ، وأفضل القُربـات، وقد ورد الأمر بها في القرآن الكريم .

٢- أن الخشية من الله عز وجل من صفات العلماء العاملين ؛ لأنها لا تتحقق إلا بعد علم ومعرفة ، وهي أعلى مرتبة من الخوف وأفضل منه، ولذلك كان الرسـل والأنبياء – عليهم السلام - من أشد الناس خشية لله تعالى.

٣- قد أغفل أصحاب كتب الوجوه والنظائر ذكر كلمة الخشية في كتبـهم ، وقد كشفت هذه الدراسة عن الوجوه والنظائر لكلمة الخشية في القرآن الكريم من خلال كتب التفاسير المتقدمة ، وكتب أهل اللغة .

٤- أن الخشية من الله تعالى لا تتحقق للعبد إلا بعد فعل الأسـباب المـشروعة لذلك .

٥- بيان عظيم خشية الصحابة – رضوان الله عليهم – وأنهـم ضـربوا أروع

الأمثلة في ذلك .

٦- بيان الحكمة من ذكر خشية غير العاقل لله تعالى في القرآن الكريم .

٧- أن الخشية من غير الله تعالى من صفات الكفار والمنافقين .

٨- أن للخشية من الله جل وعلا آثار طيبة على الفرد والمجتمع ، فمنـها علـى سبيل المثال :

أ- تحقق حياة القلب.

ب- استتباب الأمن .

ج- البعد عن الوقوع في المعاصي .

د- الانتفاع بالمواعظ والعبر .

٩- بيان عظيم ثواب الخشية من الله عز وجل في الدنيا والآخرة .

١٠- خطورة ضعف الخشية من الله تعالى في قلب العبد ، وما يترتب على ذلك من الآثار السيئة على الفرد والمجتمع .

ثانياً : ما يتعلق بالرجاء :

١- أهمية الرجاء وعظيم منزلته عند الله تعالى ، وهو من العبادات التي ورد الأمر بها في القرآن الكريم .

٢- تعدد الوجوه والنظائر لكلمة الرجاء في القرآن الكريم .

٣- أن الرجاء لا يكون محموداً ما لم تصدقه الأعمال الصالحة .

٤- أن الرجاء من الله عز وجل ومن رسله – عليهم السلام – متحقق الوقوع.

٥- أن للرجاء آثاراً طيبة على العبد في الدنيا والآخرة .

ومن أهم تلك الآثار ما يلي :

أ- محبة الله تعالى للعبد .

ب- تحقق المغفرة والرحمة من الله عز وجل لعبده .

ج- تعلق العبد بربه عز وجل وإحسان الظن به .

د- المسارعة إلى فعل الطاعات وترك المحرمات .

هـ- دخول الجنة والنجاة من النار .

٦- أن انعدام الرجاء في القلوب له آثار سيئة على الفرد والمجتمع .

٧- بيان أثر الرجاء في علاج الأمراض النفسية التي عجز الأطباء عن علاجها.

٨- كشفت الدراسة في هذا البحث عن بعض أوجه إعجاز القـرآن الكـريم، وهي كما يلي:

أ- الإعجاز البلاغي.

ب- الإعجاز النفسي.

ج- الإعجاز الغيبي.

٩- تعدد أقوال المفسرين واختلافهم في أي الآيات أرجى في القرآن الكـريم إلى أكثر من خمسة وعشرين قولاً، ومنشأ ذلك اختلاف وجهـات النظـر، وهـو اختلاف تنوعٍ لا تضاد.

١٠- تبين من خلال الدراسة في هذا البحث تلازم الخشية والرجاء، وأن أحدهما متضمن للآخر.

١١- أن الأصل في الخشية والرجاء أن يكونا متوازنين، ولكن قد تعرض أحوال للعبد تستوجب عليه أن يغلب أحدهما على الآخر.

وختاماً أسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن ينفع بهذا البحث كاتبه وقارئه وسامعه ، وأن يجعله حجة لهم لا عليهم ، إنه سميع مجيب الدعاء ، وآخـر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخشية والرجاء في القرآن الكريم ((دراسة موضوعية))

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في قسم القرآن وعلومه .

اسم الطالب: عبدالله بن عبدالعزيز بن صالح الدغيثر.

اسم المشرف: أحمد بن سلامة أبو الفتوح .

خطة البحث :

وتتكون من مقدمة ، وتمهيد ،وبابين ، وخاتمة .

المقدمة: وفيها (أهمية البحث و أسباب اختياره، و هدف البحـث والدراسـات السابقة ، وخطة البحث ومنهجه).

التمهيد: وفيه بيان منزلة الخشية والرجاء عند الله عز وجل.

الباب الأول : **الخشية في القرآن الكريم** ، **وفيه سبعة فصول**:

الفصل الأول: معاني الخشية في القرآن الكريم .

الفصل الثاني: المتصفون بالخشية في القرآن الكريم .

الفصل الثالث: أنواع الخشية في القرآن الكريم .

الفصل الرابع: الأسباب الباعثة على الخشية من الله تعالى.

الفصل الخامس: آثار خشية الله تعالى .

الفصل السادس: ثواب الخشية من الله عز وجل .

الفصل السابع: آثار ضعف الخشية من الله عز وجل وزوالها.

الباب الثاني: **الرجاء في القرآن الكريم** : **وفيه ستة فصول**:

الفصل الأول: الرجاء معناه وأقسامه .

الفصل الثاني : أنواع الرجاء في القرآن الكريم

الفصل الثالث: الأسباب الباعثة على الرجاء.

الفصل الرابع: آثار الرجاء.

الفصل الخامس:آثار ضعف الرجاء في الدنيا والآخرة وزواله.

الفصل السادس: تلازم الخشية والرجاء وأحوال العبد في الجمع بينهما.

ثم الخاتمة و فيها أهم النتائج.

ثم الفهارس العامة للبحث.

الخاتمة وفيها أهم النتائج :

أولاً فيما يتعلق بالخشية :

١- بيان أهمية الخشية من الله تعالى وأنها من أجل العبادات ، وأفضل القُربـات، وقد ورد الأمر بها في القرآن الكريم .

٢- أن الخشية من الله عز وجل من صفات العلماء العاملين ؛ لأنها لا تتحقق إلا بعد علم ومعرفة ، وهي أعلى مرتبة من الخوف وأفضل منه، ولذلك كان الرسـل والأنبياء – عليهم السلام - من أشد الناس خشية لله تعالى.

٣- قد أغفل أصحاب كتب الوجوه والنظائر ذكر كلمة الخشية في كتبـهم ، وقد كشفت هذه الدراسة عن الوجوه والنظائر لكلمة الخشية في القرآن الكريم من خلال كتب التفاسير المتقدمة ، وكتب أهل اللغة .

٤- أن الخشية من الله تعالى لا تتحقق للعبد إلا بعد فعل الأسـباب المـشروعة لذلك .

٥- بيان عظيم خشية الصحابة – رضوان الله عليهم – وأنهـم ضـربوا أروع

الأمثلة في ذلك .

٦- بيان الحكمة من ذكر خشية غير العاقل لله تعالى في القرآن الكريم .

٧- أن الخشية من غير الله تعالى من صفات الكفار والمنافقين .

٨- أن للخشية من الله جل وعلا آثار طيبة على الفرد والمجتمع، فمنـها علـى سبيل المثال:

أ- تحقق حياة القلب.

ب- استتباب الأمن .

ج- البعد عن الوقوع في المعاصي .

د- الانتفاع بالمواعظ والعبر .

٩- بيان عظيم ثواب الخشية من الله عز وجل في الدنيا والآخرة .

١٠- خطورة ضعف الخشية من الله تعالى في قلب العبد ، وما يترتب على ذلك من الآثار السيئة على الفرد والمجتمع .

ثانياً : ما يتعلق بالرجاء :

١- أهمية الرجاء وعظيم منزلته عند الله تعالى، وهو من العبادات التي ورد الأمر بها في القرآن الكريم .

٢- تعدد الوجوه والنظائر لكلمة الرجاء في القرآن الكريم .

٣- أن الرجاء لا يكون محموداً ما لم تصدقه الأعمال الصالحة .

٤- أن الرجاء من الله عز وجل ومن رسله – عليهم السلام – متحقق الوقوع.

٥- أن للرجاء آثاراً طيبة على العبد في الدنيا والآخرة .

ومن أهم تلك الآثار ما يلي :

أ- محبة الله تعالى للعبد .

ب- تحقق المغفرة والرحمة من الله عز وجل لعبده .

ج- تعلق العبد بربه عز وجل وإحسان الظن به .

د- المسارعة إلى فعل الطاعات وترك المحرمات .

هـ - دخول الجنة والنجاة من النار .

٦- أن انعدام الرجاء في القلوب له آثار سيئة على الفرد والمجتمع .

٧- بيان أثر الرجاء في علاج الأمراض النفسية التي عجز الأطباء عن علاجها.

٨- كشفت الدراسة في هذا البحث عن بعض أوجه إعجاز القـرآن الكـريم، وهي كما يلي:

أ- الإعجاز البلاغي.

ب- الإعجاز النفسي.

ج- الإعجاز الغيبي.

٩- تعدد أقوال المفسرين واختلافهم في أي الآيات أرجى في القرآن الكـريم إلى أكثر من خمسة وعشرين قولاً، ومنشأ ذلك اختلاف وجهـات النظـر، وهـو اختلاف تنوعٍ لا تضاد.

١٠- تبين من خلال الدراسة في هذا البحث تلازم الخشية والرجاء، وأن أحدهما متضمن للآخر.

١١- أن الأصل في الخشية والرجاء أن يكونا متوازنين، ولكن قد تعرض أحوال للعبد تستوجب عليه أن يغلب أحدهما على الآخر.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

Fear and hope in the Koran objective study

- This is letter of introduction to obtain master's degree in the Department of Quran and Sciences.

- Prepared by: Abdullah bin Saleh bin Abdul-Aziz Al-Degheither.

- The supervision of Dr: Ahmed bin Salama Abu Fotouh.
- Research plan:

- It consists of an introduction, preface, and two doors, and a conclusion.

- Introduction: the importance of research and the reasons for his choice, and purpose of this study and previous studies, the research plan and methodology.
- Preface: The status of the statement of fear and hope when God Almighty.

- **Part I**: Fear in the Koran and the seven chapters:

- Chapter I: the meaning of fear in the Koran.

- Chapter II: Characteristic apprehension in the Koran.
- Chapter III: Types of fear in the Koran.
- Chapter Four: The reasons given for the fear of God.
- Chapter V: the effects of the fear of God Almighty.
- Chapter VI: the reward of the fear of God Almighty.
- Chapter VII: Effects of twice the fear of God Almighty and demise.

- **Part II**: Please in the Koran, in which six chapters:

- Chapter I: Please meaning and departments.
- Chapter II: Types of hope in the Holy Quran
- Chapter III: The reasons given to please.
- Chapter IV: the effects of hope.
- Chapter V: the effects of weakness Please in the world and the Hereafter, and its demise.
- Chapter VI: inherent fear, hope, and the conditions of a person in their combination.

- Finally, the conclusion and the most important results.

- Then catalogs to search.

- Conclusion and the most important results:

- First, with regard to apprehension:

- 1 - Explain the importance of the fear of God and that in order to worship, and the best acts of worship, it was mentioned in the Quran.
- 2 - The fear of God Almighty of the attributes of scientists working; they can only be achieved after the consent and knowledge, the highest rank of fear and the best of it, but it was the apostles and prophets - peace be upon them - most people fear of God Almighty.
- 3 - have overlooked the owners wrote the faces and isotopes mention of the word fear in their books, this study has revealed for the faces and isotopes of the word fear in the Holy Quran through written interpretations developed, and wrote the people of the language.
- 4 - The fear of God can not be achieved only after the slave legitimate reasons to do so.
- 5 - A great statement for fear of the prophet - God bless them - and they beat the finest examples in it.
- 6 - Statement of wisdom from a male non-rational fear of God in the Koran.
- 7 - that is the fear of God from the attributes of the infidels and hypocrites.
- 8 - That the fear of God Almighty a good impact on the individual and society, ranging from, for example:
- **A** - Check the life of the heart.
- **B** - The establishment of security.
- **C** - away from falling into sin.
- **D** - The use of sermons over and lessons.

- 9 - Statement of a great reward for the fear of God in this world and the Hereafter.
- 10 - Twice the gravity of the fear of God in a person's heart, and the consequent adverse effects on the individual and society.

Secondly: With regard to hope::

- 1 - The importance of hope and great stature with God Almighty, one of the acts of worship that it is narrated in the Quran.
- 2 - Multi-faceted and isotopes of the word hope in the Holy Quran.
- 3 - Please do not be welcome unless you believe good deeds.

- 4 - To please God Almighty and His messengers - peace be upon them - Verifier falling.

- 5 - The effects of hope on the good person in this world and the Hereafter.
- Among the most important effects of the following:
- **A** - The love of God to the slave.
- **B** - Check for forgiveness and mercy from God Almighty to his servant.
- **C** - Attached with God Almighty and nicely tags.
- **D** - To hasten to do good deeds, and leave the taboo.
- **E** - Enter heaven and escape from the fire.

- 6 - That the lack of hope in the hearts had adverse effects on the individual and society.

- 7 - Please describe the impact in the treatment of mental illness that doctors were unable to remedy.

- 8 - The study revealed in this search for some of the miracles of the Qur'an, as follows:
- **A** - rhetorical miracles.
- **B** - psychological miracle.
- **C** - Metaphysical miracle.

- 9 - Multiple statements of the commentators and any differences in allergic verses in the Qur'an to more than twenty-five words, and the origin of this difference of views, a difference that does not run counter to diversity.
- 10 - From the study in this research inherent fear and hope, and that included one of the other.
- 11 - That the origin of fear and hope to be balanced, but that may be offered to the slave conditions require him to tend to one over the other Listen Read phonetically.

الفهـــارس

ويحتوي على :

١- فهرس الآيات القرآنية .
٢- فهرس الأحاديث النبوية والآثار .
٣- فهرس الأعلام المترجم لهم .
٤- فهرس الآثار .
٥- فهرس أبيات الشعر.
٦- فهرس المصادر والمراجع .
٧- فهرس الموضوعات .

فهرس الآيات القرآنية

الآية	السورة / رقم الآية	الصفحة
الفاتحة		
﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾	الفاتحة : ٥	٢٤٨
البقرة		
﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢﴾	البقرة ١-٢	١٣٥
﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾	البقرة : ١٤٣	٣٢١، ٣١٥،
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾	البقرة : ٢٧٧	١٤٩
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ ﴾	البقرة: ٢١٨	٢٢٢
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ ﴾	البقرة : ٢١٨	١٧٦، ٢٠٩
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ ﴾	البقرة : ٢١٨	٢١٥، ٣٥٢، ٣٦٠، ٣٦٤،
﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾	البقرة : ١٣٢	٢٦٤
﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾	البقرة : ٢٧٤	١٤٩
﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾	البقرة : ٢٥٥	١٠٢
﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ ﴾	البقرة: ٢٤	٧٤

الآية	السورة / رقم الآية	الصفحة
﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾	البقرة : ٢٠٩	٣٢٠
﴿فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ﴾	البقرة : ٢٤	٣٨٧
﴿فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِي﴾	البقرة : ١٥٠	١٣٦
﴿فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِي﴾	البقرة: ١٥٠	٣٦، ٤٣، ٦٦
﴿فَمَنۡ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوۡ إِثۡمًا﴾	البقرة: ١٨٢	٢٥
﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾	البقرة : ٣٨	١٤٩
﴿قَوۡلٌ مَّعۡرُوفٌ وَمَغۡفِرَةٌ خَيۡرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتۡبَعُهَآ أَذًى﴾	البقرة : ٢٦٣	٢٢٤
﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا﴾	البقرة : ٨٦	٣٠٨
﴿لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾	البقرة : ١٨٩	٢٠١
﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾	البقرة : ٢١	٢٠٢
﴿هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾	البقرة : ٣	٩٤
﴿هَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُواْ﴾	البقرة : ٢٤٦	١٩٣، ٢٠٠
﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾	البقرة : ٢٨٢	٣٢٩
﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾	البقرة : ١٩٦	١٠٤
﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمًا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا﴾	البقرة : ٤٨	٩٤
﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمًا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا﴾	البقرة: ٤٨	٢٨
﴿وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ﴾	البقرة : ٥٥	٣٩١
﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ﴾	البقرة: ٣٤	٤٨

الآية	السورة / رقم الآية	الصفحة
﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾	البقرة : ١٨٦	٢٤٩
﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ﴾	البقرة : ١١	١٦٤
﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا ﴾	البقرة : ٣٤	٢٥٠
﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ﴾	البقرة: ٢٠٦	١٦٤
﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى ﴾	البقرة : ٢٦٠	٢٩٤
﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾	البقرة : ٤٥-٤٦	٢٣٠
﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾	البقرة : ٢٤٤	٣٢٠
﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾	البقرة : ٢٦٧	٣٢٠
﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾	البقرة : ٢٣٥	٣٢٠
﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا ﴾	البقرة : ١٦٥	٣٤٣
﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾	البقرة : ٢٥٨	١٦٦
﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾	البقرة : ٢٦٤	١٦٦
﴿ وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ ﴾	البقرة: ٧٤	٨٠
﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾	البقرة: ٤٠	٣٩
﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ﴾	البقرة : ٩٧	٩٣
﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾	البقرة : ٢١٦	١٩١، ١٩٣
﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾	البقرة : ٣١	٣٥٦
﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾	البقرة : ١٤٣	٤١٢
﴿ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾	البقرة : ٦٠	١٦٢

الآية	السورة / رقم الآية	الصفحة
﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾	البقرة : ١٩٥	٣٨٤
﴿وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ﴾	البقرة : ٤١	٩٤
﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾	البقرة : ٩٦	٣٨٠
﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ﴾	البقرة : ٢٦٥	١٤٦
﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾	البقرة: ٢٠٧	١٤٦
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ﴾	البقرة : ٢٨٢	٣٠١
آل عمران		
﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾	آل عمران: ١٧٥	٤٤
﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾	آل عمران :١٧٣	٣٤٥
﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا﴾	آل عمران: ١٦	٧٥
﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ﴾	آل عمران: ١٧٣	٢٨، ٤٤
﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا﴾	آل عمران: ١٩١	٧٥
﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ﴾	آل عمران : ١٩٤	٣٧٦
﴿سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ﴾	آل عمران: ١٥١	١٥٠
﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾	آل عمران : ١٩٥	٣٧٧
﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾	آل عمران: ١٨٥	٣٧٥
﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾	آل عمران : ٣٥	١١٢، ٣٠٤، ٣٣٦، ٣٣٧

الآية	السورة / رقم الآية	الصفحة
﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ﴾	آل عمران: ١٩٣	٢٦٥
﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾	آل عمران : ٣٣	٣٧٥
﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾	آل عمران :١٠١	١٣٦
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾	آل عمران: ١٠٣	٢٦٥
النســـاء		
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ﴾	النساء :٧٧	٨٨
﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ﴾	النساء : ٣١	٣٠٥
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا﴾	النساء: ٥٦	٧٤
﴿إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ﴾	النساء : ١٠٤	٢١٠، ٣٧٥
﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا﴾	النساء : ١٧	١٥٦
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾	النساء : ٤٠	٣٠٥
﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾	النساء : ٢٩	٣١٥
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾	النساء : ٤٨	٢٩٣ ،٢٩٤ ٣٠٥
﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾	النساء : ١٣٨	٢٨١
﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ﴾	النساء: ٢٥	٣١
﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾	النساء : ٨٤	١٩٢، ٢٤٤
﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾	النساء: ١٧٣	٧٨
﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُواْ بِهِۦ﴾	النساء :١٧٥	١٣٦

الآية	السورة / رقم الآية	الصفحة
﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعۡفُوَ عَنۡهُمۡۚ﴾	النساء : ٩٩	١٩٢
﴿ فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ﴾	النساء :٤١	١٢١
﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَخۡشَوۡنَ ٱلنَّاسَ ﴾	النساء: ٧٧	٨٧
﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ﴾	النساء : ١٥٢	٣٠٥
﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ ﴾	النساء : ٢٧	٣٠٥
﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ حَسَنَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ﴾	النساء: ٧٨	٨٧
﴿وَتَرۡجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرۡجُونَ ﴾	النساء :١٠٤	١٨٠
﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبۡتَ عَلَيۡنَا ٱلۡقِتَالَ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنَآ ﴾	النساء: ٧٧	٨٨
﴿وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾	النساء : ١٤٢	٣٥٧
﴿ وَلَا تَهِنُواْ فِي ٱبۡتِغَآءِ ٱلۡقَوۡمِۖ ﴾	النساء : ١٠٤	٢٤٣
﴿وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾	النساء : ١٣١	١١٤
﴿وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا ﴾	النساء : ١٤١	٢٤٤
﴿ وَلۡيَخۡشَ ٱلَّذِينَ لَوۡ تَرَكُواْ مِنۡ خَلۡفِهِمۡ ذُرِّيَّةٗ ﴾	النساء: ٩	٣١، ٤٥، ٦٨
﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ ﴾	النساء : ١١٠	٢٩٧، ٣٠٥، ٣٣٧
﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيۡطَٰنَ وَلِيّٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾	النساء : ١٩	٢٨٢
﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾	النساء : ١١٤	١٤٦

الآية	السورة / رقم الآية	الصفحة
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾	النساء :١	٩٤
﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾	النساء : ٢٦	٣٠٤
﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾	النساء : ٢٨	٣٠٥
﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾	النساء : ١٢٠	٢١٨
المائدة		
﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ﴾	المائدة : ٧٤	٣٣٥
﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾	المائدة :٣	٣٠٥
﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ﴾	المائدة : ٣	٤٣، ٦٦
﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾	المائدة: ٢٧	٧٨
﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾	المائدة : ٣٣	١٦٣
﴿تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾	المائدة : ٨٣	١٢١
﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾	المائدة : ٢٤	٢٥٢
﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ﴾	المائدة: ٥٢	٤١
﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ﴾	المائدة : ٥٢	١٩٢، ١٩٣، ٢٤٥
﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾	المائدة : ٦٨	٢٠٥
﴿فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾	المائدة: ٤٤	٤٣، ٦٧
﴿قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾	المائدة: ٢٧	٧٧
﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾	المائدة :٢٣	١١٠

الآية	السورة / رقم الآية	الصفحة
﴿ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي ﴾	المائدة: ٢٨	٦٩
﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾	المائدة : ١٠٨	١٦٦
﴿وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ ﴾	المائدة : ٦	٣٠٦
﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا﴾	المائدة : ٦٤	١٦٢
﴿يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾	المائدة : ٥٤	٣٤٣
الأنعـــام		
﴿إِنَّمَا يَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسۡمَعُونَۘ ﴾	الأنعام : ٣٦	١١٨
﴿ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّ﴾	الأنعام : ٦٢	٣٠٣
﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ ﴾	الأنعام : ٨٢	١٥٠، ٣٠٢، ٣١١
﴿ فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ ﴾	الأنعام : ٤٣	٢٥٨
﴿ قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي ﴾	الأنعام: ١٥	٥٢، ٧٠
﴿ قُلۡ أَنَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا ﴾	الأنعام : ٧١	٢٧٩
﴿كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۖ ﴾	الأنعام : ٥٤	٣١٥
﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ ﴾	الأنعام:١٢	٢٠٠
﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ ﴾	الأنعام:٨٠	٨٥
﴿ وَرَبُّكَ ٱلۡغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۚ ﴾	الأنعام : ١٣٣	٣١٥
﴿وَلَوۡ أَنزَلۡنَا مَلَكٗا لَّقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴾	الأنعام : ٨	٣٩٣
﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ ﴾	الأنعام : ٩٣	٣٩٢

الآية	السورة / رقم الآية	الصفحة
﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾	الأنعام : ١٠٣	٣٢٣
الأعـــراف		
﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾	الأعراف : ٩٧	١٥٩
﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾	الأعراف : ١٦٧	٤٠٩
﴿إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾	الأعراف: ٥٩	٧٠
﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾	الأعراف : ٢٣	٣٤٨
﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ﴾	الأعراف : ١٤٦	٢٥٠
﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾	الأعراف : ١٦٩	٢١٦
﴿قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ﴾	الأعراف:١٢٩	٢٠٠
﴿قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾	الأعراف : ١٣	٢٧٥
﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ﴾	الأعراف : ٧٠	٣٨٧
﴿قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾	الأعراف : ١١١	١٨٢
﴿قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾	الأعراف : ١٢٩	٢٤٥، ٢٥، ٣٥٤
﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾	الأعراف: ٥٩	٥١
﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾	الأعراف :٤٦	١٨٨
﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾	الأعراف :٥٦	١٨٧، ١٨٨
﴿وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾	الأعراف: ١٨٥	١٩٣
﴿وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾	الأعراف : ١٢٦	٢٦٥

الآية	السورة / رقم الآية	الصفحة
﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾	الأعراف :١٥٦	٣٢٢
﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾	الأعراف: ٣٤	٣٧٣
﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا﴾	الأعراف : ٤٣	٢٧٤
﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾	الأعراف : ١٤٢	١٦٢
﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾	الأعراف : ٥٦	١٦٢
﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾	الأعراف : ١٨٠	٣٢٠
﴿يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾	الأعراف : ٧٧	٣٨٤
الأنفال		
﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾	الأنفال : ٢	١٢٨
﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم﴾	الأنفال : ٣٨	٣٠١، ٣٣٥
﴿اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ﴾	الأنفال : ٣٢	٣٨٧ ، ٤٠١
﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا﴾	الأنفال: ٣١	٣٨٦
﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ﴾	الأنفال: ٥٨	١٧٦
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾	الأنفال : ٢٩	٣٢٩
التوبة		
﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا﴾	التوبة : ٣١	١٥٦
﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾	التوبة: ١٣	٤٦
﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ﴾	التوبة : ٤٠	٢٥٤
﴿أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ﴾	التوبة : ٣٨	٣٨٠

الآية	السورة / رقم الآية	الصفحة
﴿ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾	التوبة : ٤٥	٢٨١
﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ ﴾	التوبة: ١٨	٢٤، ١٣٦
﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا۟ ﴾	التوبة : ١١٨	٢٤١
﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾	التوبة : ٢٦	١١٥
﴿ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾	التوبة: ١٣	٦٨
﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ﴾	التوبة: ٥٥	٧٢
﴿ قَالَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾	التوبة : ١٨	١٩٢، ١٩٣
﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ﴾	التوبة : ٥٢	٢٤٥
﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾	التوبة : ٤٠	٣٤٥
﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ ﴾	التوبة : ١١٧	٣٥١
﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ ﴾	التوبة : ١٠٢	١٩٢، ٢٩٧
﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ﴾	التوبة : ١٢٧	٩٠
﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ﴾	التوبة : ١٢٤	٣٨٨
﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ﴾	التوبة : ٣	١٤٦
﴿ وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا ﴾	التوبة: ٢٤	٣١
﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ ﴾	التوبة : ١١٨	٣٦٥
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾	التوبة : ١١٩	٢٤١
يونس		

الآية	السورة / رقم الآية	الصفحة
﴿ ءَآلْـَٔـٰنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾	يونس : ٩١	٢٠٦
﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾	يونس : ٦٢	١٥٠، ٢١٥،٢٧ ، ١ ٣٦٩
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ﴾	يونس : ٩	١٦٦
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾	يونس : ٧	١٧٧، ٢١١، ٣٧٩،
﴿إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾	يونس : ١٥	٢٢٨، ٣٨٦
﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ﴾	يونس : ٧	٤٠٤
﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَـٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ ﴾	يونس : ٧٥	٢٥٠
﴿قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾	يونس : ٩٠	٩٠
﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ ﴾	يونس : ٥٨	٢٧٧
﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَـٰتٍ ﴾	يونس : ١٥	٢١٢
﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ﴾	يونس : ١١	٤٠١ ، ٤٠٢
﴿وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ ﴾	يونس: ٦١	١٥
﴿وَمَا تُغْنِي ٱلْـَٔايَـٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾	يونس: ١٠١	٤٠٠
﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾	يونس : ١٨	٢٧٨
هـ ـ ود		
﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ﴾	هود: ٥٤	٨٥

الآية	السورة / رقم الآية	الصفحة
﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾	هود : ٩٠	٣٢٣
﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾	هود : ١٢	٢٠٤
﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا﴾	هود :٣٢	٣٨٧
﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾	هود : ٨٤	١٧٤
﴿وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾	هود: ٣	٧٠
﴿وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾	هود: ٨٤	٥١، ٧٠
﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾	هود:٧٠	٣٨
﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾	هود : ١٠٢	٣٩٧
﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً﴾	هود : ٩	٣٨٣
يوسف		
﴿أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ﴾	يوسف : ١٠٧	١٥٩
﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾	يوسف :٨٦	٣٤٩
﴿إِنَّهُ لَا يَايْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾	يوسف: ٨٧	٢١٣
﴿إِنَّهُ لَا يَايْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾	يوسف : ٨٧	٣٢٧
﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ﴾	يوسف : ١٠١	٢٦٤
﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾	يوسف:٨٣	٢٠١، ٣٤٩، ٣٥٤
﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾	يوسف : ٨٣	٢٠١
﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ﴾	يوسف:١٣	٤١

الآية	السورة / رقم الآية	الصفحة
﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ﴾	يوسف :٨٥	٣٤٩
﴿لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾	يوسف : ٢	٢٠٢
﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾	يوسف : ١١١	٣٩٧
﴿وَقَالَ ٱلَّذِي ٱشۡتَرَىٰهُ مِن مِّصۡرَ لِٱمۡرَأَتِهِۦٓ أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ﴾	يوسف : ٢١	٢٨٥
﴿وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ﴾	يوسف : ٨٧	٣٨٢
﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾	يوسف : ٨٧	٤٠٤
الرعـــد		
﴿أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ﴾	الرعد: ١٩	٥٩
﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلۡمِهِمۡ﴾	الرعد : ٦	٢٩٠، ٢٩٢، ٤١٠
﴿وَعۡدَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾	الرعد : ٣١	٣٧٢
﴿وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ﴾	الرعد: ٢١	٣٤، ٣٥، ٤٦، ٧٠
﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ﴾	الرعد: ١٣	٤٨
﴿وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِ﴾	الرعد : ٦	٤٠١
إبراهيـــم		
﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ﴾	إبراهيم : ٢٢	١٥٧
﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ﴾	إبراهيم : ٣٦	٢٩٦
﴿وَمَنۡ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾	إبراهيم : ٣٦	٤١٦
الحجر		

الآية	السورة / رقم الآية	الصفحة
﴿إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ﴾	الحجر : ٥٢	٣٨
﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾	الحجر : ٥٦	٣٢٧، ٣٨٢
﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾	الحجر : ٤٩	٢٩١، ٤١٠
﴿ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴾	الحجر : ٥٠	٧٤، ١٠٤، ٢٩٢
ولا تحزن ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ﴾	الحجر : ٨٨	٢٠٥
النحـــل		
﴿ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ ﴾	النحل : ٤٥	١٥٩
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ﴾	النحل : ١٢٨	٣٢٩
﴿ إِنَّمَا سُلْطَـٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ ﴾	النحل : ١٠٠	١٥٦
﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾	النحل : ٩٠	٢٠٢
﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾	النحل: ٩٦	٧٨
﴿ مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ﴾	النحل : ٩٧	١٣٨
﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾	النحل: ٥٠	٣٤ ، ٣٦، ٤٨
الإســـراء		
﴿ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ ﴾	الإسراء : ٦٨	١٦٠
﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾	الإسراء : ٥٧	٣٦٠، ٤١١
﴿ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ ﴾	الإسراء : ٦٦	٣١٥

الآية	السورة / رقم الآية	الصفحة
﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ﴾	الإسراء :١	٢٩٢
﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾	الإسراء : ٧٩	١٩٢
﴿عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يَرۡحَمَكُمۡۚ وَإِنۡ عُدتُّمۡ عُدۡنَاۘ﴾	الإسراء : ٨	١٩٢، ١٩٥، ١٩٧
﴿قُلۡ كُلّٞ يَعۡمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾	الإسراء : ٨٤	٢٨٩
﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ﴾	الإسراء :٥٦-٥٧	٢٢٤
﴿قُل لَّوۡ أَنتُمۡ تَمۡلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحۡمَةِ رَبِّيٓ إِذٗا لَّأَمۡسَكۡتُمۡ﴾	الإسراء: ١٠٠	٣١
﴿وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾	الإسراء : ٨٣	٣٨٣
﴿وَإِمَّا تُعۡرِضَنَّ عَنۡهُمُ ٱبۡتِغَآءَ رَحۡمَةٖ مِّن رَّبِّكَ تَرۡجُوهَا﴾	الإسراء : ٢٨	١٨١، ٢٢٣
﴿وَقَضَيۡنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَتُفۡسِدُنَّ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾	الإسراء : ٤	١٦٢
﴿وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا﴾	الإسراء : ١٩	٢٢٦، ٢٣٥
﴿وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعٗا﴾	الإسراء : ١٠٩	١٢١
﴿وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ﴾	الإسراء : ٥٧	١٧٨
الكهف		
﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي﴾	الكهف : ٥٠	٢٩٨
﴿أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ﴾	الكهف : ٣٧-٣٩	٣٥٥
﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ﴾ |	الكهف : ٥٠	٢٩٩
﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةٗ وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا﴾	الكهف :١٠	٢٥١

الآية	السورة / رقم الآية	الصفحة
﴿فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾	الكهف: ٨٠	٢٩، ٣٢، ٣٣
﴿ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن ﴾	الكهف : ٤٠-٤١	٣٥٥
﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ ﴾	الكهف: ٦	٢٠٢، ٢٠٤
﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾	الكهف : ١١٠	٧٩، ١٧٣ ، ١٧٦، ٢٣٠، ٣٥٨
﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾	الكهف : ١١٠	٤١١
﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ﴾	الكهف: ٥	٨١
﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾	الكهف : ٦٦	٢٥٠
﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ ﴾	الكهف: ٤٢	٣٥٥
﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾	الكهف :٢٤	٢٤٩
﴿ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ ﴾	الكهف: ٨٠	٢٥
﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾	الكهف : ٣٥	٣٥٥
مريم		
﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾	مريم: ٥٨	٥٢، ١٢١
﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ ﴾	مريم: ٩٠	٨٠
﴿ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾	مريم : ٧٢	٣٣٠
﴿عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴾	مريم : ٤٨	٤١٥

الآية	السورة / رقم الآية	الصفحة
﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي ﴾	مريم : ٤	٣٤٨
﴿ قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴾	مريم :١٨	٩٤
﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ﴾	مريم : ٨١-٨٢	٢٧٩
﴿ وَأَدْعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴾	مريم : ٤٨	٢٠١، ٢٥٩، ٣٤٩
﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾	مريم: ٧١	٥٧
﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴾	مريم: ٨٨	٨٢
﴿ وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾	مريم : ٤	٢٦٠
﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ هُدًى ﴾	مريم: ٧٦	١٦٦
﴿ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ﴾	مريم : ٤٤	١٥٦
﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾	مريم: ٤٥	٥١
﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴾	مريم : ٨٥	٢٧٢
طـه		
﴿ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴾	طه: ٣	٤٦
﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾	طه : ٥	٣٢٢
﴿ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا ﴾	طه : ٧٣	٢٣٩
﴿ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾	طه : ٤٨	٢٩٤
﴿ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾	طه: ٩٤	٣٢
﴿ طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ ﴾	طه :١-٣	١٢٠، ١٦٦

الآية	السورة / رقم الآية	الصفحة
﴿فَٱجۡعَلۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكَ مَوۡعِدٗا لَّا نُخۡلِفُهُۥ﴾	طه : ٥٨	١٨٣
﴿فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ﴾	طه : ٧٢	٢٣٩
﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾	طه:٤٤	٢٠٢، ٢٠٤
﴿وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبۡقَىٰٓ﴾	طه: ١٢٧	٧٤
﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا﴾	طه:١٢٤	١، ٧٣
﴿وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾	طه : ٩	٢٨٦
الأنبياء		
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ﴾	الأنبياء : ١٠١	٣٦٩
﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾	الأنبياء : ٩٠	٢٢٨، ٢٥٩، ٣٢٩، ٣٥٨
﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾	الأنبياء : ٨٣	٣٤٨
﴿لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ﴾	الأنبياء : ١٠٣	١٥٢، ٢٧١
﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلۡفُرۡقَانَ وَضِيَآءٗ وَذِكۡرٗا لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشۡفِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾	الأنبياء : ٤٨-٤٩	٥١، ٩٤
﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ﴾	الأنبياء : ٢٥	٣١٠
﴿وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ﴾	الأنبياء: ٢٨	٤٩
﴿وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشۡفِقُونَ﴾	الأنبياء : ٤٩	٤٠

الآية	السورة / رقم الآية	الصفحة
الحج		
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾	الحج : ٦٣	٣٢٣
﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ﴾	الحج : ٤٦	١٢٠
﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾	الحج : ٣٤	١٢٩
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾	الحج : ١-٢	١٠٦، ١٠٧
المؤمنـــون		
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾	المؤمنون: ٥٧	٢٦، ٤٠، ٦٠، ٧٧
﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾	المؤمنون: ٦٠	٦١، ٧٦، ١٣٠
﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾	المؤمنون: ٦٢	٦٢
﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ﴾	المؤمنون: ٧٦	٢٥٩
﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ﴾	المؤمنون : ٧١	١٥٨
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾	النور : ٢١	١٥٥
النـــور		
﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا﴾	النور : ٦٠	١٧٨

الآية	السورة / رقم الآية	الصفحة
﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾	النور : ٥٥	١٥٣
﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ ﴾	النور: ٢٢	٢٤٠، ٢٩٧
﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ ﴾	النور: ٥٢	٤٦، ٧٠
الفرقـــان		
﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾	الفرقان : ٤٣	١٥٧، ٣٩٩
﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ﴾	الفرقان : ٤٤	٤٠٠
﴿ بَلْ كَانُواْ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴾	الفرقان : ٤٠	٣٩٨
﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾	الفرقان:٥٩	٣٢٢
﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾	الفرقان : ٥٢	٢٢٣
﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا ﴾	الفرقان : ٤١	٣٩٩
﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ﴾	الفرقان: ٦٥	٧٥
﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴾	الفرقان : ٦٣	١٢٦
﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ﴾	الفرقان : ٢١	١٨٠، ٢١٢، ٣٨٦ ، ٣٩٠
﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ ﴾	الفرقان:٢٣	٣٩٥
﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ ﴾	الفرقان: ٣٧	٧١
﴿ وَلَقَدْ أَتَوْاْ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِيٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ﴾	الفرقان : ٤	٣٩٧
﴿ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾	الفرقان : ٢٢	٢١٢، ٣٩٢

الآية	السورة / رقم الآية	الصفحة
الشعـــراء		
﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ﴾	الشعراء: ٢١٨	١٥
﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً﴾	الشعراء :٦٧	٣٩٧
﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾	الشعراء: ٦٧- ٦٨	٧٢، ٣٩٧
﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾	الشعراء :٦١	٣٤٤
﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾	الشعراء : ٥٠	٢٣٩
﴿إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾	الشعراء: ١٣٥	٥١، ٧٠
﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾	الشعراء : ٦١	٢٥٢
﴿قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾	الشعراء : ٣٦	١٨٢
﴿كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾	الشعراء : ٦٢	٢٥٤، ٣٤٥
﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ﴾	الشعراء : ٦٩	٢٧٩
﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ﴾	الشعراء : ٧٩	٤١٥
﴿وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾	الشعراء : ٨٢	١٨٨، ٢٣٨، ٤١٥
﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾	الشعراء : ١٢٩	٢٠٣
﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٩﴾﴾	الشعراء : ٨٦	٢٧٠
النمـــل		
﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا﴾	النمل : ٧	٢٨٧

الآية	السورة / رقم الآية	الصفحة
﴿يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفۡ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ١٠ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسۡنَۢا بَعۡدَ سُوٓءٖ فَإِنِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١١﴾	النمل : ١٠-١١	١٦٦
القصص		
﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓ﴾	القصص: ٧٨	٧٧
﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ﴾	القصص : ٢٤	٣٤٨
﴿فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا﴾	القصص : ٦٧	١٩٢
﴿فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ﴾	القصص : ٥٠	١٥٥٨
﴿فَخَرَجَ مِنۡهَا خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُۖ﴾	القصص: ٢١	٤٢
﴿وَقَالَتِ ٱمۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَۖ﴾	القصص : ٩	٢٨٥
﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلۡقَآءَ مَدۡيَنَ﴾	القصص: ٢٢	٢٠١، ٢٥١، ٣٤٨
العنكبوت		
﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ﴾	العنكبوت :٦٥	٢٧٠
﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ﴾	العنكبوت : ٤١	٢٧٩
﴿مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖۚ﴾	العنكبوت: ٥	١٧٣، ٢٣١
﴿وَإِبۡرَٰهِيمَ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ﴾	العنكبوت: ١٦	٩٤
﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا﴾	العنكبوت : ٦٩	١٠٩
﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ﴾	العنكبوت : ٢٣	٣٨٣، ٤٠٤
﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗا﴾	العنكبوت : ٣٦	٢٠٨، ٢٣٤ ، ٣٢٦

الآية	السورة / رقم الآية	الصفحة
﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾	العنكبوت: ٦١	٦١
﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ ﴾	العنكبوت : ٥٣	٤٠٢
الروم		
﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾	الروم: ٤١	١٦٣
﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ ﴾	الروم : ٣٠	٩٥
﴿وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ﴾	الروم : ٦	٣٧٢
﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾	الروم : ٤٧	٢٤٤
لقمان		
﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾	لقمان :١٣	١٦٧
﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾	لقمان : ٣١	١٦٦
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا ﴾	لقمان: ٣٣	٤٥
﴿ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾	لقمان : ١٣	٣٠٣
السجدة		
﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم ﴾	السجدة :١٧	٣٧٤
الأحـزاب		
﴿ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾	الأحزاب : ٥	٢٨٥
﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ ﴾	الأحزاب: ٣٩	٢٧، ٥١
﴿ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ﴾	الأحزاب: ٥٣	٢٧
﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾	الأحزاب : ٣٤	٣٢٣
﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ ﴾	الأحزاب: ٧٢	٨١، ١٣٩

الآية	السورة / رقم الآية	الصفحة
﴿تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ﴾	الأحزاب : ٥١	١٨٢
﴿فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ﴾	الأحزاب : ١٩	٨٩، ٢٨٢
﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾	الأحزاب:٢١	٣٣٢، ٣٥٦
﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾	الأحزاب : ٤٧	٣٠٠
﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾	الأحزاب: ٣٧	٢٦، ٣٠
﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾	الأحزاب : ٤٣	٣٢١
﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾	الأحزاب : ٧١	١٣٩
سبأ		
﴿وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾	سبأ : ١٧	٣٠٢
فاطر		
﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾	فاطر : ٦	٢٨٢، ٢٩٨
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾	فاطر : ٢٩	٢١٠، ٢٢٧، ٣٥٢، ٣٥٩، ٣٧٥
﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾	فاطر :٢٨	١٠٠، ١١٠، ١٣٥، ١٣٧، ١٤٢
﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾	فاطر : ١٨	١١٠،١١٨

الآية	السورة / رقم الآية	الصفحة
﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾	فاطر : ٣٢	٣٠٣
﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا ﴾	فاطر : ٣٣	٣٠٤، ٣٧٦
﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ﴾	فاطر : ٨	٢٠٥
﴿ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ﴾	فاطر: ٣٠	٧٩، ٣٧٦
﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾	فاطر : ٣٥	٣٠٤
يس		
﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ﴾	يس : ٦٠	١٥٦
﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ﴾	يس : ١١	١٠٥، ١١٠، ١١٨، ١٤١
﴿ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا ﴾	يس: ٧٠	١١٨
﴿ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً ﴾	يس : ٧٤	٢٧٩
الصافات		
وإنكم ﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴾	الصافات : ١٣٧	٣٩٨
ص		
﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ ﴾	ص:٢٩	١
الزمر		
﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا ﴾	الزمر : ٢٣	٥٤، ٦٣، ١٣١

الآية	السورة / رقم الآية	الصفحة
﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا ﴾	الزمر : ٩	٢١١، ٢٢٥، ٣٥٦، ٣٦٠
﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾	الزمر: ٢١	١٢٠
﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾	الزمر: ٢٣	٦٤
﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾	الزمر:٢٢	٨٤
﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ ﴾	الزمر : ٥٣	٢١٣، ٢٨٩، ٢٩٠، ٣٢٦
﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ ﴾	الزمر: ١٦	٧٤، ٢٢٨
﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾	الزمر : ٣	٢٧٨
﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ ﴾	الزمر: ٤٧	٧٧
﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ ﴾	الزمر : ٧٣	٢٧٥
﴿ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ ﴾	الزمر : ٧٤	٣٧٣، ٣٧٦
﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾	الزمر: ٣٦	٤١، ٨٦
وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ﴾	الزمر : ٩	١٧٨
﴿ وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ بِمَفَازَتِهِمْ ﴾	الزمر : ٦١	٣٨٥
غـافر		
﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾	غافر : ٤٦	٢٦٧
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾	غافر : ٥٦	٣٩١

الآية	السورة / رقم الآية	الصفحة
﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾	غافر : ٥١	٢٤٤
﴿ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ فِي عِبَادِهِۦۖ ﴾	غافر : ٨٥	٣٨٨
﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ ﴾	غافر: ٣	٢٩٠، ٤١١
﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ ﴾	غافر : ٦٠	٩٦، ٢٥٨
﴿ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ﴾	غافر : ٣٦	٢٠٣
﴿ يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ﴾	غافر : ١٩	١٠٣
فصلت		
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ ﴾	فصلت :٣٠	١٥١
﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ ﴾	فصلت:١١	٨٢
﴿ لَّا يَسۡـَٔمُ ٱلۡإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلۡخَيۡرِ ﴾	فصلت : ٤٩	٣٨٣
﴿ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ﴾	فصلت : ٢٦	٣٨٨
﴿ وَذَٰلِكُمۡ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمۡ أَرۡدَىٰكُمۡ ﴾	فصلت :٢٣	٢١٦، ٣٧٣
﴿ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَخۡزَىٰ ﴾	فصلت: ١٦	٧٤
الشـورى		
﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ ﴾	الشورى: ٥	٨٢
﴿ حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢ ﴾	الشورى : ١-٢	٣٠١
﴿ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٞ ﴾	الشورى: ١٧	٢٠٢
﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾	الشورى : ٢٢	٣٠١
﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ ﴾	الشورى : ٣٠	٢٩٣

الآية	السورة / رقم الآية	الصفحة
﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾	الشورى:٤	٨٢
الزخرف		
﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسۡلِمِينَ﴾	الزخرف: ٦٩	٣٧٠
﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ﴾	الزخرف: ٦٨	٣٦٩، ٣٧٠
الدخـــان		
﴿ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ﴾	الدخان : ٤٩	٤٠٦
الجاثية		
﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغۡفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾	الجاثية : ١٤	١٧٩
الأحقاف		
﴿فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾	الأحقاف : ٣٥	٢٩٩ ٣٠٠
محمد		
﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾	محمد : ١	٢٩٩ ٣٠٠
﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾	محمد : ١١	٣٠٠
﴿فَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ مُّحۡكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلۡقِتَالُ﴾	محمد : ٢٠	٢٨٢
﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾	محمد : ٢٢	١٩٦
﴿وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ﴾	محمد: ١٧	٩٥
﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدًى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ﴾	محمد: ١٧	١٣٢
﴿وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ﴾	محمد :٣٨	١٩٨
الفتـــح		
﴿لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾	الفتح : ١٨	١١٥

الآية	السورة / رقم الآية	الصفحة
﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ﴾	الفتح : ١٨	١٤٦
﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾	الفتح: ٢٩	٥٤
﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾	الفتح : ٤	١١٥
الحجرات		
﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾	الحجرات : ١٢	٣٢٩
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾	الحجرات:٢	٣٦٦
ق		
﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ﴾	ق : ٣٧	١١٨
﴿مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾	ق: ٣٣	٣٤، ٧٠، ٤١٥
﴿مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾	ق: ٤٥	٣٥
﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾	ق: ٣١-٣٣	٦٣، ١٤١
الذاريـات		
﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾	الذاريات: ٢٨	٣٨
﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾	الذاريات : ٥٦	٢٧٠، ٣١٣
الطـور		
﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ﴿٨﴾﴾	الطور: ٧ – ٨	٥٦
﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ	الطور: ٢٦-٢٨	٤٠، ١٤٩،

الآية	السورة / رقم الآية	الصفحة
نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾		٤١١
﴿وَٱلطُّورِ ﴿١﴾﴾	الطور: ١	٥٦
النجـــم		
﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾﴾	النجم: ٥٩	١٢١
﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾	النجم : ٣١	٣٠٧
الرحمن		
﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾	الرحمن : ٤٦	١١٢، ١٤٥
الحديـــد		
﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾	الحديد : ٢١	٣٧٥
﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾	الحديد : ١٣	٢٨٣
المجادلـــة		
﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ﴾	المجادلة : ١٩	٢٨٢
الحشـــر		
﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ﴾	الحشر : ١٦	١٥٧
﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ﴾	الحشر:١٣	٩٠
﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ﴾	الحشر: ٢١	٨٣
﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾	الحشر : ٧	٢٦٨
الممتحنة		
﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً﴾	الممتحنة : ٧	٣٣٣
﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾	الممتحنة : ٦	٣٣٢

الآية	السورة / رقم الآية	الصفحة
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ ﴾	الممتحنة : ١٣	٤٠٤
الصف		
﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ ﴾	الصف :٥	١٥٩
المنافقـون		
﴿يَحۡسَبُونَ كُلَّ صَيۡحَةٍ عَلَيۡهِمۡ ﴾	المنافقون: ٤	٨٩
الطـلاق		
﴿لَا تَدۡرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرًا ﴾	الطلاق : ١	٢٠٢
﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡ ﴾	الطلاق :١	٩٥
﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجًا ﴾	الطلاق : ٢	٩٣، ٢٧١، ٣٣٠
﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرًا ﴾	الطلاق : ٦	٩٣، ٣٣٠
﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ﴾	الطلاق : ٥	٩٣، ٣٢٩
﴿وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ ﴾	الطلاق : ٣	٣٣٠
التحريـم		
﴿رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتًا فِي ٱلۡجَنَّةِ ﴾	التحريم :١١	١٤٧
﴿عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ ﴾	التحريم : ٨	١٩٢
﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرًا مِّنكُنَّ ﴾	التحريم: ٥	١٩٦، ١٩٢، ١٩٧ ، ١٩٨

الآية	السورة / رقم الآية	الصفحة
الملك		
﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾	الملك : ١٦	١٦٠
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ﴾	الملك : ١٢	٤٦،١١٠ ، ١٤١
القلم		
﴿قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ﴾	القلم : ٣١	٢٦١
﴿كَذَٰلِكَ ٱلۡعَذَابُۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾	القلم: ٣٣	٧٣
الحاقـــة		
﴿وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ﴾	الحاقة : ١٧	١٨٣
المعـــارج		
﴿أَيَطۡمَعُ كُلُّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ أَن يُدۡخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٖ﴾	المعارج : ٣٨	٢٧٥
﴿كَلَّآۖ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّمَّا يَعۡلَمُونَ﴾	المعارج : ٣٩	٢٧٦
﴿وَٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ﴾	المعارج: ٢٧	،٢٩ ،٧٥ ١٦٠
نوح		
﴿مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا﴾	نوح : ١٣	١٧٤ ، ١٧٥ ، ،١٧٦ ،١٧٩ ٤٠٩
الجـــن		
﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ .....﴾	الجن : ١-٢	٢٤٨

الآية	السورة / رقم الآية	الصفحة
المزمل		
﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾	المزمل: ٥	٨٣
﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ﴾	المزمل : ١٧	٢٧٠
القيامة		
﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾	القيامة : ٢٢-٢٣	٣٩٤
النبأ		
﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ...﴾	النبأ : ٢١	٤٠٥
﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾	النبأ : ٢٧	١٨٠
النازعـ ـات		
﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾	النازعات : ٢٦	٤٦، ٧١، ١١٨
﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا﴾	النازعات: ٤٥	٤٦، ١١٨، ١٦٦
﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ﴾	النازعات: ١٨	١٦٥
﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾	النازعات : ٤٠-٤١	١١٢، ١٥٨
﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾	النازعات :١٩	٣٦، ١٣٧
عبس		
﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾	عبس: ٧	٥٦

الآية	السورة / رقم الآية	الصفحة
الانفطار		
﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾	الانفطار : ١٣-١٤	١٥٢، ٢٦٧
المطففين		
﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾	المطففين : ١٥	٣٩٤ ، ٣٩٥
الانشقاق		
﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾	الانشقاق: ٨	٦٠
البروج		
﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾	البروج : ١٤	٣٢٣
الأعلـ ـى		
﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾	الأعلى : ١٨	٣١٠
﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ﴾	الأعلى : ١٠	١١٨
البلد		
﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾﴾	البلد : ١٥-١٦	٢٩٨
الليل		
﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾﴾	الليل : ٥-٦	٢٠٦
﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾	الليل : ١٠	٢٠٦
الضحى		
﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾	الضحى : ٥	٢٩٥ ، ٢٩٦

الآية	السورة / رقم الآية	الصفحة
البينة		
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ﴾	البينة : ٧-٨	١٤٧
الإخلاص		
﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾	الإخلاص: ١	١٠٢

* * *

فهرس الأحاديث النبوية

الحديث	الصفحة
أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك	٣٦٥
أتدري أي آية في كتاب الله أعظم	١٠٢
أترون هذه طارحة ولدها في النار	٣١٦
أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وإذا أصحابه كأنما على رؤوسهم الطير	١٢٦
أخرجي أيتها النفس الخبيثة	٣٩٣
ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة	٢٦٢
إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن	٣٠٥
إذا قضى الله الأمر في السماء، ضربت الملائكة بأجنحتها	٤٩
إذا كان يوم القيامة دفع الله عز وجل إلى كل مسلم يهودياً	٣١٦
أذنب عبد ذنباً فقال : اللهم اغفر لي ذنبي	٢٣٧
اذهب فقد غفر الله لك حدك	١٤٤
اذهبي فقد غفر الله لك	١٤٣
أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت	١٤٨
اقرأ علي القرآن	١٢١
أكبر الكبائر : الإشراك بالله	١٦٠
أكثروا ذكر هادم اللذات	١٠٦
الدعاء هو العبادة	٢٥٨
الدعاء هو العبادة	٢٥
الراحمون يرحمهم الرحمن	٣٢٢
السفر قطعة من العذاب	٧٢
السكينة تنـزلت بالقرآن	١١٦
الظلم ثلاثة : فظلم لا يتركه الله	١٦٧
الكبائر: الإشراك بالله ...	٣٨٢
الله أكثر وأطيب	٢٥٧
اللهم ارزقني من طاعتك ما يحول بيني وبين معصيتك	٩٧
اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك	٩٧

الحديث	الصفحة
اللهم أمتي أمتي	٢٩٦
اللهم أنت عبدي وأنا ربك ، أخطأ من شدة الفرح	٣٢٣
اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء	٢٣٢
اللهم إني أعوذ بك من فتنة النار	٢٦٩
اللهم من آمن بك	٢٣٣
أليس قد صليت معنا؟	١٤٥
أما أحدهما فيعذّب في البول ، وأما الآخر فيعذّب في الغيبة	٢٦٨
أما هذا فقد صدق	٢٤١
أما هذا فقد صدق ، فقم حتى يقضي الله فيك	٣٥١
أمر أصحابه بالاستعاذة من عذاب القبر	٢٦٩
إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي	٢٦٧
إن الغلام الذي قتله الخضر طبع كافراً	٢٦
إن القبر أول منازل الآخرة	١٠٦
إن الله خلق يوم خلق السماوات والأرض مائة رحمة	٣١٦
إن الله قال : من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب	٣٤١
إن الله لا ينظر إلى أجسادكم، ولا إلى صوركم	٢
أن المؤمن في قبره يتنعم	٢٦٧
إن الميت ليعذب ببكاء أهله	٧٢
إن الهدي الصالح والسمت الصالح	١٢٥
أن تجعل لله نداً وهو خلقك	٣١٣
أن تخشى الله كأنك تراه..	٢٥
إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله،	٣١٧
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أوحي إليه وهو على ناقته	٨٣
إن لله تسعة وتسعين اسماً	٣٢٠
إن لله تعالى ملائكة ترعد فرائصهم من خيفته	٥٠
إن هذا بكى لما فقد من الذكر	٨٤
إن هذه الأمة تبتلى في قبورها	١٥١
أنا أعرفكم بالله وأشدكم له خشية	٥٢

الحديث	الصفحة
أنا لها	٥٣
إنكم ترون ربكم كما ترون هذا	٣٩٥
إنه لم ينـزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ، ولا في القرآن مثلها	١٠٢
إنهما ليعذّبان وما يعذبان في كبير	٢٦٨
إنهما ليعذّبان وما يعذبان في كبير	٢٦٨
إني أتقاكم لله، وأشدكم له خشية	٣٥
إني أمرت بالعفو، فلا تقاتلوا	٨٨
إني خشيت أن يكون عذاباً سلط على أمتي	٥٢
إني لأخشاكم لله وأتقاكم له	٢٧
أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة	٥٥
بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد	٨٦
بلْ هو من أهل الجنة	٣٦٦
تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة	٢٥٦
تكفّل الله لمن جاهد في سبيله لا يخرجه إلا الجهاد في سبيله	٢٤٦
تلك الملائكة دنت لصوتك	١١٦
تلك عاجل بشرى المؤمن	١٥١
ثلاث مهلكات ، وثلاث منجيات	١٣٩
ثلاثة لا تسأل عنهم	٣٨٣
سبعة يظلّهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله	١١٣ ٢٧٢
عينان لا تمسهما النار ، عين بكت من خشية الله....	١٢٣
فإن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله	٣١٢
فأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم وفخذه على فخذي	٨٣
فإنك من أهلها	٣٣٠
فيقول لهم : يا أهل الجنة ، فيقولون : لبيك ربنا وسعديك	١٤٨
قال الله : قد فعلت	٣٠٧
قال الله : نعم	٣٠٦
قال الله : يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني	٣٥٣
قال الله تعالى : من لقيني بقُراب الأرض خطيئة	٣١٢

الحديث	الصفحة
قال الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت	٣٧٤
قال الله عز وجل : أنا عند ظن عبدي بي	٣٧٢
قال الله يا ابن آدم أنى تعجزني وقد خلقتك	٢٧٦
قد سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم	٦٠
قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن	١٠٢
كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض	٣٦٦
كان النبي صلى الله عليه وسلم أشد حياءً	٢٧
كان رجل يسرف على نفسه فلما حضره الموت	١٤١
كان في بني إسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين إنساناً	٣٦٢
كل بني آدم خطّاء وخير الخطّائين التوابون	٢٣٧
كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل	٢٧٣
لا بأس طهور إن شاء الله	٣٦٨
لا ترتكبوا ما ارتكبت اليهود فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل	٦٧
لا تقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفلٌ من دمها	٦٩
لا يا بنت أبي بكر	٦٢
لا يتنـزه من البول	٢٦٨
لا يجتمعان في قلب عبد	٤١٤
لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر	٢٧٦
لا يلج النار أحد بكى من خشية الله تعالى حتى يعود اللبن في الضرع	١٢٣
لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله	٣٧٣
لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل	٤١٤، ٤١٥
لا ينفعه، إنه لم يقل يوماً رب اغفر لي خطيئتي	٣٩٦
لحد يقام في الأرض أحب إلى أهلها	١٦٣
لقد تاب توبة لو تابـها أهل المدينة لقُبل منهم	١٤٣
لقد تاب توبة لو قسمت بين أمة لوسعتهم	٥٨
لقد حجرت واسعاً	٣١٦
للشهيد عند الله ست خصال	٣٧٠

الحديث	الصفحة
للصائم فرحتان يفرحهما	٢٣٢
للمهاجرين منابر من ذهب	٣٧١
لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة	١٥١
لما خلق الله الخلق كتب في كتابه	٣١٦
لن يدخل أحداً عمله الجنة	٢٧٣
لن يدخل أحداً منكم عمله الجنة	٣١٩
لو أن الله عذّب أهل سماواته وأهل أرضه	٢٧٧
لو يؤاخذني الله وابن مريم بما ...	٥٣
ليس ذاك ، ولكن المؤمن إذا حضره الموت	٢٣١
ليس هو كما تظنون ، إنما هو كما قال لقمان لابنه	٣٠٣
ما اجتمعن في امرئٍ إلا دخل الجنة	٣٣١
ما على الأرض مسلم يدعو الله بدعوة	٢٥٧
ما من مسلم يذنب ذنباً ثم يتوضأ فيصلي ركعتين	٣٣٧
ما يحملك على قولك : بخٍ بخٍ	٣٣١
مثل القلب كريشة بأرض فلاة تقلبها الرياح	٢٦٣
مررت ليلـة أسري بي بالملأ الأعلى	٥٠
من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه	٤١٤
من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء	٣٧٧
من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له	٣١١
من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه	٧٢
من لا يسأل الله يغضب عليه	٩٦
من لم يدع الله يغضب عليه	٢٥٨
من لم يسأل الله يغضب عليه	٣٤٢
من نفس عن مؤمن كربة	٢٧٢
من نوقش الحساب فقد عذب	٦٠
من وعده الله على عمل ثواباً فهو منجزه له	٣٧٢
نصرت بالرعب مسيرة شهر	٩١
نعم إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله عز وجل يقلبها	٢٦٣

الحديث	الصفحة
هلا تركتموه يتوب ، فيتوب الله عليه	١٤٤
هي الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له	١٥١
وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة	٩٧
والذي نفْسِي بيده لو لم تذْنِبوا	٢٣٧
والذي يحلف به لو أقر فرعون أن يكون قرة عين له	٢٨٦
والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله	٣٦٣
والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه	٣٦٠
وإن القرآن يلقى صاحبه يوم القيامة	٢٢٧
وإنما الأعمال بخواتيمها	٢٦٥
وإنما يرحم الله من عباده الرحماء	٣٢٢
ورجلٌ ذكر الله خالياً ففاضت عيناه	١٢٢
وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة بليغة	١٢٢
ولا شخص أغير من الله ولا أحب إليه المعاذير	١٥٥
ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً	١٢٢
وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ...	١١٦
وما أعددت لها ؟	٣١٣
ومن كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه أمضاه ...	٢٣٦
يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما	٢٥٤
يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك	٢٣٨
يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة	٢٧٣
يا أم حارثة إنها جنان في الجنة	٧٨
يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار	٢٣٧
يا مقلّب القلوب ثبت قلبي على دينك	٢٦٣
يجيء يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب أمثال الجبال	٣١٧
يرحم الله موسى	٢٥٢
يقول الله تعالى : أنا عند ظن عبدي بي	٢٥٦

❊ ❊ ❊

فهـرس الآثار

الأثر	القائل	الصفحة
إن هذا القرآن مأدبة الله تعالى فتعلموا من مأدبته	عبدالله بن مسعود	١
أثنى الله على أصحاب نبيه محمد ﷺ أحسن الثناء	قتادة	٢٠٩
أخره ، في قوله ﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾	ابن عباس	١٨٢
إذا سمعت الله يقول: يا أيها الذين آمنوا فأصغ لها سمعك	عبدالله بن مسعود	٢٠٧
أسلم أهل بدر من خشية الله	الحسن البصري	٥٥
أُعطينا من الدنيا ما أُعطينا وقد خشينا أن تكون حسناتنا عجلت لنا،	عبدالرحمن بن عوف	٥٧
أفضل العلم الخشية	عائشة	٩٩
إلا ليوحدون	مقاتل	٢٧٠
أن تعمل بطاعة الله على نور من الله	طلق بن حبيب	٣٣٠
أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ، ترجو ثواب الله	طلق بن حبيب	٩٣
إن حقاً على من طلب العلم أن يكون له وقار وسكينة وخشية	الإمام مالك	١٢٦
إن كنت على طريقهم فما أسرع اللحاق بهم	الحسن البصري	١١٠
إن لله عباداً هم والجنة كمن رآها فهم فيها متكئون	الحسن البصري	١٣٣
إنك لن تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوهاً كثيرة..	أبوالدرداء	٢٢
إنكم تقولون معشر أهل العراق	علي بن أبي طالب	٢٩٥
إنما الوجل في قلب الرجل كاحتراق السعفة	أم الدرداء	١٣٢
إنما سمي الهوى لأنه يهوي بصاحبه	الشعبي	١٥٧
إنه أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلّم آية ينبئني فيها ربي عز وجل أني وارد النار	عبدالله بن رواحة	٥٧
إني لا أحمل هم الإجابة	عمر بن الخطاب	٢٦٢
إني لأعلم متى يستجاب لي	ثابت البناني	١٣٣
أي : المطمئنين ﴿ٱلْمُخْبِتِينَ﴾	مجاهد	١٢٩
أي : يخشون بالغيب ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾	الربيع بن أنس	١٣٥

الأثر	القائل	الصفحة
أي :لم يعبد إلا الله : ﴿وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾	ابن عباس	٢٤
أي إلا ليوحدون	مقاتل بن سليمان	٣١٣
أي آية في كتاب الله أرجى لهذه الأمة	ابن عباس	٢٩٥
أي زادتهم خشية ﴿زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنًا ﴾	الربيع بن أنس	١٢٨، ١٣٢
برئوا من الكفر	ابن عباس	١٢٩
بلى والله إنا لنحب أن يغفر لنا	أبوبكر الصديق	٢٤١
تحولت واضطجعت على فراشي	عائشة	٢٥٥
تعلموا العلم فإنه تعلمه لله خشية	معاذ بن جبل	١٠٠
تعلّموا العلم وعلموه الناس	عمر بن الخطاب	١٢٧
التفكر في الخير يدعو إلى العمل به	ابن عباس	٣٢٦
الخشية أن تخشى الله ، حتى تحول خشيته بينك وبين معصيته	سعيد بن جبير	١١٢
خمس لو سافر الرجل فيهن إلى اليمن لكُن عوضاً من سفره:	علي بن أبي طالب	٣٤
الرجاء والخوف ميزانان على الإنسان	سهل التستري	٤١٨
عليكم باتقاء الله وحده لا شريك له	جرير بن عبدالله البجلي	١٢٥
عن ابن عباس رضي الله عنهما أن لله تعالى ملائكة يبكون من خشيته من يوم خلقهم	ابن عباس	٤٨
غافر الذنب لمن لم يتب	الحسن البصري	٢٩٠
فزعت السماوات والأرض والجبال وجميع المخلوقات إلا الثقلين	ابن عباس	٨١
قد كاد أعداءُ الله أن يقيموا علينا الساعة بقولهم هذا	محمد بن كعب	٨١
كان أبو بكر الصديق – رضي الله عنه – رقيق القلب، غزير الدمع من خشية الله	عائشة	٥٥
كان أكثر عبادة أبي الدرداء رضي الله عنه التفكر والاعتبار	أم الدرداء	٣٢٨
كان يقال العلماء ثلاثة :	سفيان بن عيينة	١٠٠
كأنكم تخلدون	ابن عباس	٢٠٣
كانوا في أول النهار سحرة ، وفي آخر النهار شهداء	ابن عباس	٢٣٩
كانوا كما نعتهم الله، تدمع أعينهم، وتقشعر جلودهم	أسماء بنت أبي بكر	٥٤

الأثر	القائل	الصفحة
كفى بالمرء علماً أن يخشى الله	مسروق	١٥
كفى بخشية الله علماً	عبدالله بن مسعود	٩٩
كلما هوى شيئاً ركبه ، وكلما اشتهى شيئاً أتاه	قتادة	١٥٧
كونوا لقبول العمل أشد اهتماماً منكم بالعمل	علي بن أبي طالب	٧٦
لا تخافون لله عظمة	ابن عباس	١٧٥
لقد عرفت النظائر التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرن بينهن	عبدالله بن مسعود	٢٢
لم تنـزل على أهل النار آية أشد من هذه	عبدالله بن عمرو	٤٠٧
اللهم إني قد كنت أخافك ، فأنا اليوم أرجوك	معاذ بن جبل	٣٨١
لو تفكر الناس في عظمة الله ما عصوا الله عز وجل	بشر الحافي	٣٢٨
لو وزن رجاء المؤمن وخوفه ...	مطرف بن عبدالله	٤١٥
ليس العلم من كثرة الحديث ولكن العلم من الخشية	ابن مسعود	١٥
ما تركت خلفي شيئاً من الدنيا آسى عليه	ابن عمر	٣٨١
ما خشي الله عبد قط إلا ذكره	قتادة	١١٩
من خشي الله فهو عالم	ابن عباس	٩٩
من كان يخشى البعث في الآخرة	سعيد بن جبير	١٧٣
نجاته من كل كرب في الدنيا والآخرة	ابن عباس	٢٧١
هو الرجل يصيب الذنوب فيلقي بيده إلى التهلكة	البراء بن عازب	٣٨٤
هو الرجل يهم بالمعصية فيذكر الله عز وجل فيدعها	مجاهد	١١٢
والله ما جعل ذلك الطمع في قلوبهم إلا لكرامة يريدها بهم	الحسن البصري	١٨٦
والملك على حافات السماء حين تشقق	ابن عباس	١٨٣
ولا تك ممن يرجو الآخرة بغير عمل	علي بن أبي طالب	٢٣٥

❊ ❊ ❊

فهرس الأعلام المترجم لهم

العلم	الصفحة
إبراهيم بن سالم بن أبي أميمة التيمي	٧٦
ابن أبي زمنين : محمد بن عبدالله بن عيسى الأندلسي	١٧٣
ابن أبي ملكية : عبدالله بن عبيدالله بن أبي مليكة	٧٦
ابن الأنباري : محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسين	٣٢
ابن الحنبلي : عبدالرحمن بن نجم بن عبدالوهاب بن عبدالواحد	٢٤٣
ابن العماد : عبدالحي بن أحمد بن محمد العكبري الحنبلي	١٧٨
ابن القصاب : محمد بن علي الكرجي القصاب،	٦٢
ابن الملقن : عمر بن علي بن أحمد الأنصاري	١٢٢
ابن الهائم : أحمد بن عماد بن علي المصري	٢٠١
ابن الوزير : محمد بن إبراهيم بن علي المرتضى	٤١٦
ابن بطال : علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي	٤٩
ابن بطة : عبيدالله بن محمد بن حمران العكبري	١٢٧
ابن سمعون : محمد بن أحمد بن إسماعيل بن عنبس أبوالحسين	٢٩٣
ابن عادل: عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي	٢٦
ابن عرفة : محمد بن محمد بن عرفة الورغمي	١٩٨
ابن عطاء الله : أحمد بن محمد السكندري	٣٢٥
ابن عقيل : علي بن عقيل البغدادي الظفري الحنبلي	٢٦٤
ابن عقيلة: محمد بن أحمد بن سعيد بن عقيلة المكي	٢٢
ابن فارس : أحمد بن فارس بن زكريا الرازي	٢٠٣
ابن قتيبة : عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري	٢٦
ابن هشام : عبدالله بن يوسف بن هشام الأنصاري	١٩١
أبوالبقاء : أيوب بن موسى الحسيني الكفوي	٢٠
ابوالحسن التهامي : علي بن محمد بن فهد	٢١٨
أبوبكر : محمد بن السري بن سهل بن السراج البغدادي	١٧٦
أبوحامد المدائني : عبدالحميد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن أبي الحديد	١٨٥
أبوذؤيب: خويلد بن خالد بن محرث	١٧١

العلم	الصفحة
أبوعبيدة : معمر بن المثنى التيمي	١٧٤
ابوعثمان النهدي : عبدالرحمن بن مل النهدي	٢٩٧
أبوعلي مسكويه : أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه	١٨٩
أبوعمرو بن العلاء : زبان بن عمار المازني	٢١٧
أبونواس : الحسن بن هانئ	٣٣٧
أبوهلال العسكري : الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد العسكري	٣٤
الأزهري : أبومنصور محمد بن أحمد بن الأزهر	١٩١
إسحاق بن خلف الزاهد	١٢٤
الأفقهسي : أحمد بن العماد	٣٠٥
بشر الحافي : بشر بن الحارث	٣٢٨
بنت الشاطئ : عائشة محمد عبد الرحمن	٣٦
التستري : سهل بن عبدالله بن يونس التستري	٤١٨
تقي الدين الهلالي : محمد بن عبدالقادر الهلالي	١٩٤
ثابت البناني : ثابت بن أسلم	١٣٣
الجرجاني: علي بن محمد بن علي الحسيني،	٢١
حاتم الطائي	٢٦١
الحاج خليفة : مصطفى بن عبد الله أفندي	٢٣
الحارث بن أسد المحاسبي	٤٩
الحسن البصري : بن أبي الحسن بن يسار	٥٤
الحسين بن الفضل بن عمير البجلي	٢٠٦
الحكيم الترمذي : محمد بن علي بن الحسن بن بشر	١٢٣
الخليل بن أحمد : الخليل بن أحمد الأزدي الفراهيدي	١٩٥
الدامغاني : حسين بن محمد بن إبراهيم	٢٤
ذو الرمة : غيلان بن عقبة العدوي	١٨٤
رابعة العدوية : رابعة بنت إسماعيل	٢٩٨
الربيع بن أنس البكري	٩٥
الربيع بن سليمان بن عبدالجبار المرادي	٤١٨
الزرقاني : محمد بن عبدالباقي بن يوسف	٢٠٠
السبكي : علي بن عبدالكافي بن تمام الأنصاري	٣٢٧

العلم	الصفحة
السبكي : علي بن عبدالكافي بن تمام بن حامد الأنصاري الشافعي	١٨٦
السري بن المغلس السقطي	١٢٠
السفاريني : محمد بن أحمد بن سالم	١٨٥
سوار بن المضرب السعدي	١٧٧
شاه الكرماني : شاه بن شجاع أبوالفوارس	٢١٥
شهاب الدين الحسيني : أحمد بن محمد مكي	١٨٦
صالح بن مسمار البصري	٩٨
الضحاك بن مزاحم الهلالي	٩٠
طلق بن حبيب العنزي	٩٣
الطيبـي : حسن بن محمد بن عبدالله شرف الدين	٢٥٧
عبد القادر بن أحمد بن بدران	٩٥
عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب	٣٩٥
عبدالله بن عبيد بن عمير بن قتادة	١٨٠
عبدالملك بن قريب الأصمعي	١٠٣
عبيدة السلماني بن عمرو الكوفي	٣٨٤
علي بن سلطان محمد الهروي القاري	٩٧
العليمي : مجير الدين عبدالرحمن بن محمد العليمي	١٩٦
عون بن عبدالله بن عتبة بن مسعود الهذلي	٢٠٣
العيني : بدرالدين محمود بن أحمد العيني الحنفي	١٢٦
الفرزدق : همام بن غالب	٢١٧
الفيومي شهاب الدين أبوالعباس أحمد بن محمد بن علي	١٨٩
القاسمي : محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق	٤٠١
القرطبي : أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم الأندلسي	١٥
القشيري : عبدالكريم بن هوازن بن عبدالملك	٢٠٥
قطرب : محمد بن المستنير أبوعلي النحوي	٢٩
الكلبي : محمد بن السائب بن بشر بن عمرو	٢٩
كمال الدين الحلبي : محمد بن يوسف بن عبدالرحمن	٣٥٤

العلم	الصفحة
الليث بن سعد الفهمي	٢٠٤
مالك بن مغول بن عاصم بن غزية البجلي	٣١٢
محمد بن أبي نصر فتوح بن عبدالله بن حميد الأندلسي	١١٨
محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية الأزدي	٢٢
محمد بن المنكدر بن عبدالله ابن الهدير التيمي القرشي	٧٧
محمد بن عبدالوهاب بن سليمان التميمي	٣١٠
محمد بن كعب القرظي	٨١
المروزي : محمد بن نصر	٥٠
مطرف بن عبدالله بن الشخير	٢١٠
المعتمر بن سليمان بن طرخان التميمي	٣٧٠
معروف الكرخي ، أبومحفوظ	٩٩
مقاتل بن سليمان الأزدي الخرساني	٢٩
المكي : محمد بن علي بن عطية الحارثي	١٤٧
المناوي : محمد بن عبدالرؤوف	١٣٩
والد ابن عطية : غالب بن عبدالرحمن بن غالب بن عطية المحاربي	٣٠٠
يحيى بن معاذ بن جعفر الرازي	٢٤٢
يزيد بن الأصم العامري	٢٩١
يونس النحوي : يونس بن يحيى بن نباتة القرشي المدني	١٧٤

❊ ❊ ❊

فهرس أبيات الشعر

شطر البيت	القائل	الصفحة
لولا التعلق بالرجاء تقطعت	ابن القيم	١٦
يا عمر الخير جزيت	أعرابي	٥٦
والله عن حالي لتسألنه	أعرابي	٥٦
إن لله عباداً فطناً ...	الشافعي	١٣٣
إذا لسعته النحل لم يرج لسعها	أبوذؤيب	١٧٥
أترجو بني مروان سمعي وطاعتي	سوار بن المضرب	١٧٧
لعمرك ما أرجو إذا كنت مسلماً	خبيب بن عدي	١٨٠
بين الرجاء والرجا من جنب واجبة	ذو الرمة	١٨٤
أرجو وآملُ أن تدنو مودتهما	كعب بن زهير	١٨٩
ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها	أبوالعتاهية	٢١٧
وإذا رجوت المستحيل فإنما	أبوالحسن التهامي	٢١٨
فحي على جنات عدن فإنـها	ابن القيم	٢٧٣
ولكننا سبي العدو فهل ترى	ابن القيم	٢٧٣
يا رب إن عظُمت ذنوبي كثرة	أبونواس	٣٣٨
وإني لأرجو الله حتى كأنني	بدون نسبة	٣٧٤
وإني لأرجو الله حتى كأنما	محمد بن عبدالله التنوخي	٣٧٤
صبر جميل ما أسرع الفرجا	الربيع بن سليمان	٤١٨
حكم المنية في البرية جاري	أبوالحسن التهامي	٢١٨

❊ ❊ ❊

فهرس المصادر والمراجع

١- أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم ، اسم المؤلف : صديق بن حسن القنوجي ، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٧٨ م، تحقيق : عبد الجبار زكار.

٢- إبطال الحيل ، اسم المؤلف : عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري العقبلي ، دار النشر: المكتب الإسلامي - بيروت – ١٤٠٣هـ ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : زهير الشاويش.

٣- الإبهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي ، اسم المؤلف : علي بن عبد الكافي السبكي ، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت – ١٤٠٤هـ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : جماعة من العلماء.

٤- الإتقان في علوم القرآن ، اسم المؤلف : جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، دار النشر : دار الفكر - لبنان - ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : سعيد المندوب .

٥- الأحاديث المختارة ، اسم المؤلف : أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد الحنبلي المقدسي ، دار النشر : مكتبة النهضة الحديثة - مكة المكرمة – ١٤١٠ هـ ، الطبعة: الأولى ، تحقيق : عبد الملك بن عبد الله بن دهيش.

٦- أحكام القرآن ، اسم المؤلف : أبو بكر محمد بن عبد الله ابن العربي ، دار النشر : دار الفكر للطباعة والنشر - لبنان ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا.

٧- أحكام القرآن ، اسم المؤلف : أحمد بن علي الرازي الجصاص أبو بكر ، دار النشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت – ١٤٠٥هـ ، تحقيق : محمد الصادق قمحاوي .

٨- أحكام القرآن ، اسم المؤلف : محمد بن إدريس الشافعي أبو عبد الله ، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت – ١٤٠٠هـ ، تحقيق : عبد الغني عبد الخالق .

٩- إحياء علوم الدين ، اسم المؤلف : محمد بن محمد الغزالي أبو حامد ، دار النشر : دار المعرفة – بيروت.

١٠- أخلاق العلماء ، اسم المؤلف : أبو بكر محمد بن الحسين الآجري ، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت ، ١٩٩٣م .

١١- الآداب الشرعية والمنح المرعية ، اسم المؤلف : الإمام أبوعبد الله محمد بن مفلح المقدسي ، دار النشر : مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م ، الطبعة الثانية ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط وعمر القيام.
١٢- آداب النفوس ، اسم المؤلف : أبو عبد الله حارث بن أسد المحاسبي ، دار النشر : دار الجيل - بيروت - لبنان - ١٩٨٤م ، تحقيق : عبد القادر أحمد عطا.
١٣- أدب الدنيا والدين ، اسم المؤلف : أبوالحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي ، الشهير بالماوردي ، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت ، ١٤٠٧هـ الطبعة الأولى.
١٤- الأدب المفرد ، اسم المؤلف : محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي ، دار النشر : دار البشائر الإسلامية - بيروت – ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م ، الطبعة : الثالثة، تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي.
١٥- أدب النفوس ، اسم المؤلف : الحارث بن أسد المحاسبي ، دار النشر : دار الجيل – بيروت ، ١٩٨٤م الطبعة الأولى ، تحقيق : عبد القادر أحمد عطا.
١٦- الأربعين في دلائل التوحيد ، اسم المؤلف: عبد الله بن محمد بن علي بن محمد الهروي أبو إسماعيل ، دار النشر : - المدينة المنورة - ١٤٠٤ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي .
١٧- إرشاد العباد للاستعداد ليوم المعاد ، اسم المؤلف : عبدالعزيز محمد السلمان ، دار النشر : بدون - الرياض ١٤٢٠هـ الطبعة الثالثة عشر.
١٨- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، اسم المؤلف : أبو السعود محمد بن محمد العمادي ، دار النشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت .
١٩- إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول ، اسم المؤلف : محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، دار النشر : دار الفكر - بيروت – ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م ، الطبعة : الأولى، تحقيق : محمد سعيد البدري أبو مصعب.
٢٠- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل ، اسم المؤلف : محمد ناصر الدين الألباني، دار النشر : المكتب الإسلامي - بيروت -١٣٩٩هـ .
٢١- أساس البلاغة ، اسم المؤلف : أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري ، دار النشر : دار الفكر - ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.
٢٢- استخراج الجدال من القرآن الكريم ، اسم المؤلف : ناصح الدين عبد الرحمن بن نجم المعروف بابن الحنبلي ، دار النشر : لا يوجد ، الرياض ، تحقيق : د. زاهر بن عواض

الأمعي.
٢٣- الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار ، اسم المؤلف : أبو عمر يوسف بن عبدالله بن عبد البر النمري القرطبي ، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - ٢٠٠٠م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : سالم محمد عطا-محمد علي معوض.
٢٤- الاستقامة ، اسم المؤلف : أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس ، دار النشر : جامعة الإمام محمد بن سعود - المدينة المنورة – ١٤٠٣هـ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : د. محمد رشاد سالم.
٢٥- الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، اسم المؤلف : يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر ، دار النشر : دار الجيل - بيروت - ١٤١٢ هـ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : علي محمد البجاوي.
٢٦- أسد الغابة في معرفة الصحابة ، اسم المؤلف : عز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري ، دار النشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت / لبنان - ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : عادل أحمد الرفاعي.
٢٧- الأشباه والنظائر في القرآن الكريم ، اسم المؤلف : مقاتل بن سليمان البلخي ، دار النشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة ، تحقيق : د.عبد الله محمود شحاتة.
٢٨- الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، اسم المؤلف : عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي ، دار النشر : دار الحديث – القاهرة .
٢٩- الإصابة في تمييز الصحابة ، اسم المؤلف : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، دار النشر : دار الجيل - بيروت - ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م ، الطبعة: الأولى ، تحقيق : علي محمد البجاوي.
٣٠- الأصول في النحو ، اسم المؤلف : أبو بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي البغدادي ، دار النشر : مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٠٨هـ ، الطبعة : الثالثة ، تحقيق : د . عبد الحسين الفتلي.
٣١- الأضداد ، اسم المؤلف : محمد بن القاسم الأنباري ، دار النشر : المكتبة العصرية – بيروت ، ١٤٠٧هـ الطبعة الأولى ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم.
٣٢- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، اسم المؤلف : محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي. ، دار النشر : دار الفكر للطباعة والنشر. - بيروت. - ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م. ، تحقيق : مكتب البحوث والدراسات.
٣٣- الاعتصام ، اسم المؤلف : أبو إسحاق الشاطبي ، دار النشر : المكتبة التجارية الكبرى

– مصر.
٣٤- الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق ، اسم المؤلف : عائشة عبد الرحمن(بنت الشاطئ) ، دار النشر : دار المعارف – القاهرة ، ١٤٢٥هـ الطبعة الثالثة.
٣٥- إعراب القرآن ، اسم المؤلف : أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحـاس ، دار النشر : عالم الكتب - بيروت - ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م ، الطبعة : الثالثة ، تحقيق : د.زهير غازي زاهد .
٣٦- إعراب القرآن وبيانه ، اسم المؤلف : محيي الدين الدرويش ، دار النـشر : دار ابـن كثير ، ١٤٢٤هـ ، الطبعة التاسعة.
٣٧- الأعلام ، اسم المؤلف : خير الدين الزركلي ، دار النشر : دار العلـم للملايـين – بيروت – لبنان ، ٢٠٠٢م الطبعة الخامسة عشرة .
٣٨- إعلام الموقعين عن رب العالمين ، اسم المؤلف : أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي ، دار النـشر : دار الجيـل - بـيروت - ١٩٧٣ ، تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد.
٣٩- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ، اسم المؤلف : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعـي أبو عبد الله ، دار النشر : دار المعرفة - بيروت – ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : محمد حامد الفقي.
٤٠- الأغاني ، اسم المؤلف : علي بن الحسين أبو الفرج الأصبهاني ، دار النشر : دار الفكر للطباعة والنشر - لبنان ، الطبعة الثالثة ، تحقيق : علي مهنا وسمير جابر.
٤١- أمالي ابن سمعون ، اسم المؤلف : ابن سمعون ، أبو الحسن محمد بن أحمد بن إسماعيل بن عنبس البغدادي ، دار النشر : دار البشائر الإسلامية – بـيروت ، ١٤٢٣هـ ـ الطبعة الأولى ، تحقيق : د. عامر حسن صبري.
٤٢- أمراض القلوب وشفاؤها ، اسم المؤلف : أحمد بن تيمية ، دار النشر : المطبعة السلفية - القاهرة - ١٣٩٩هـ ، الطبعة : الثانية.
٤٣- الأنساب، اسم المؤلف: أبو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني، دار النشر: دار الفكر – بيروت ١٩٩٨م الطبعة الأولى ، تحقيـق: عبـد الله عمـر البارودي.
٤٤- أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، اسم المؤلف : ناصر الدين أبوالخير عبد الله بن عمـر البيضاوي ، دار النشر : دار الفكر – بيروت .
٤٥- إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيـد ، اسـم

المؤلف : محمد بن نصر المرتضى اليماني (ابن الوزير) ، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٨٧م ، الطبعة : الثانية.

٤٦- البحر الزخار ، اسم المؤلف : أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار ، دار النشر : مؤسسة علوم القرآن مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة - ١٤٠٩ هـ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : د. محفوظ الرحمن زين الله.

٤٧- بحر العلوم في التفسير ، اسم المؤلف : نصر بن محمد بن أحمد أبو الليث السمرقندي ، دار النشر : دار الفكر - بيروت ، تحقيق : د.محمود مطرجي .

٤٨- البحر المحيط في أصول الفقه ، اسم المؤلف : بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي ، دار النشر : دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : ضبط نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه : د. محمد محمد تامر.

٤٩- البحر المحيط في التفسير ، اسم المؤلف : محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، دار النشر : دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - الشيخ علي محمد معوض ، د.زكريا عبد المجيد النوتي ، د.أحمد النجولي الجمل .

٥٠- بدائع الفوائد ، اسم المؤلف : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ، دار النشر: مكتبة نزار مصطفى الباز- مكة المكرمة- ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م، الطبعة : الأولى، تحقيق : هشام عبد العزيز عطا - عادل عبد الحميد العدوي - أشرف أحمد .

٥١- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، اسم المؤلف : محمد بن علي الشوكاني ، دار النشر : دار المعرفة – بيروت ، ١٣٤٨هـ الطبعة الأولى.

٥٢- البرهان في علوم القرآن ، اسم المؤلف : محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله، دار النشر: دار المعرفة - بيروت - ١٣٩١ هـ ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم .

٥٣- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، اسم المؤلف : محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، دار النشر : المكتبة العلمية ، بيروت - لبنان .

٥٤- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، اسم المؤلف : جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، دار النشر : المكتبة العصرية - لبنان / صيدا ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم.

٥٥- بهجة قلوب الأبرار ، اسم المؤلف : عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي

(المتوفى: ١٣٧٦هـ) ، دار النشر : مكتبة الرشد ، ١٤٢٢هـ الطبعة الأولى ، تحقيق : عبد الكريم الدريني.

٥٦- التاريخ الكبير ، اسم المؤلف : محمد بن إسماعيل بن إبراهيم أبو عبد الله البخاري الجعفي ، دار النشر : دار الفكر ، تحقيق : السيد هاشم الندوي.

٥٧- تاريخ بغداد ، اسم المؤلف : أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي ، دار النشر : دار الكتب العلمية – بيروت.

٥٨- تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل ، اسم المؤلف : أبو القاسم علي بن الحسن إبن هبة الله بن عبد الله الشافعي ، دار النشر : دار الفكر - بيروت - ١٩٩٥ ، تحقيق : محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري.

٥٩- تأويل مشكل القرآن، اسم المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، دار النشر : كتبة دار التراث – القاهرة ، ١٤٢٧هـ الطبعة الثانية ، تحقيق : السيد أحمد صقر.

٦٠- التبصرة ، اسم المؤلف : أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ، دار النشر : دار الكتاب المصري - دار الكتاب اللبناني - مصر - لبنان - ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : د.مصطفى عبد الواحد.

٦١- التبيان في تفسير غريب القرآن ، اسم المؤلف : شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري ، دار النشر : دار الصحابة للتراث بطنطا - مصر - ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، الطبعة : الأولى ، تحقيق : فتحي أنور الدابلوي.

٦٢- التبيين لأسماء المدلسين، اسم المؤلف: إبراهيم بن محمد بن سبط ابن العجمي أبو الوفاء الحلبي الطرابلسي، دار النشر : مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - ١٤١٤هـ الطبعة : الأولى ، تحقيق : محمد إبراهيم داود الموصلي.

٦٣- التحرير والتنوير ، اسم المؤلف : محمد الطاهر بن عاشور ، دار النشر : دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس - ١٩٩٧م .

٦٤- التحفة العراقية في الأعمال القلبية ، اسم المؤلف : أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ، دار النشر : المطبعة السلفية - القاهرة – ١٣٩٩هـ ، الطبعة : الثانية.

٦٥- التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار ، اسم المؤلف : أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي ، دار النشر : مكتبة دار البيان - دمشق - ١٣٩٩ هـ ، الطبعة : الأولى.

٦٦- تذكرة الأريب في تفسير الغريب ، اسم المؤلف : عبد الرحمن بن علي بن الجوزي ، دار النشر : دار الكتب العلمية – بيروت- لبنان ، ٢٠٠٤.

٦٧- تذكرة الحفاظ ، اسم المؤلف : أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي ، دار النـشر : دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة : الأولى.
٦٨- ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي ، اسم المؤلف : عبد الرحمن بن عبـد العزيـز السديس ، دار النشر : دار الهجرة – الثقبة ، ١٤١١هـ الطبعة الأولى.
٦٩- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف ، اسم المؤلف : عبد العظيم بن عبد القوي المنذري أبو محمد ، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٧ هـ ، الطبعة: الأولى ، تحقيق : إبراهيم شمس الدين.
٧٠- التسهيل لعلوم التنزيل ، اسم المؤلف : محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي ، دار النشر : دار الكتاب العربي - لبنان - ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، الطبعة : الرابعة.
٧١- التعبير القرآني والدلالة النفسية ، اسم المؤلف : د.عبد الله محمد الجيوسي ، دار النشر: دار الغوثاني _ دمشق ، ١٤٢٧هـ الطبعة الثانية.
٧٢- التعريفات ، اسم المؤلف : علي بن محمد بن علي الجرجاني ، دار النشر : دار الكتاب العربي - بيروت - ١٤٠٥ هـ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : إبراهيم الأبياري.
٧٣- تعظيم قدر الصلاة ، اسم المؤلف : محمد بن نصر بن الحجاج المروزي أبو عبد الله ، دار النشر : مكتبة الدار - المدينة المنورة - ١٤٠٦ ، الطبعة : الأولى ، تحقيـق : د. عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي.
٧٤- تغليق التعليق على صحيح البخاري ، اسم المؤلف : أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني ، دار النشر : المكتب الإسلامي ،دار عمار - بيروت ، عمان - الأردن – ١٤٠٥هـ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : سعيد عبد الرحمن موسى القزقي.
٧٥- تفسير الإمام ابن عرفة ، اسم المؤلف : أبو عبد الله محمد بن محمد بن عرفة الورغمي، دار النشر : مركز البحوث بالكلية الزيتونية - تونس - ١٩٨٦ م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : د. حسن المناعي .
٧٦- التفسير البياني للقرآن الكريم ، اسم المؤلف : عائشة عبد الرحمن(بنت الشاطئ) ، دار النشر : دار المعارف – القاهرة ، ١١٩٠م الطبعة السابعة.
٧٧- تفسير القرآن ، اسم المؤلف : أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار الـسمعاني ، دار النشر : دار الوطن - الرياض - السعودية - ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م ، الطبعـة : الأولى ، تحقيق : ياسر بن إبراهيم و غنيم بن عباس بن غنيم .
٧٨- تفسير القرآن ، اسم المؤلف : أبوبكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيـسابوري ، دار النشر : دار المآثر – المدينة المنورة ، ١٤٢٣هـ الطبعة الأولى ، تحقيق : سـعد بـن

محمد السعد.
٧٩- تفسير القرآن ، اسم المؤلف : عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي ، دار النشر : المكتبة العصرية - صيدا ، تحقيق : أسعد محمد الطيب .
٨٠- تفسير القرآن ، اسم المؤلف : عبد الرزاق بن همام الصنعاني ، دار النشر : مكتبة الرشد - الرياض ١٤١٠ هـ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : د. مصطفى مسلم محمد .
٨١- تفسير القرآن العزيز ، اسم المؤلف : أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين ، دار النشر : الفاروق الحديثة - مصر/ القاهرة - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : أبو عبد الله حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفى الكنز .
٨٢- تفسير القرآن العظيم ، اسم المؤلف : إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء ، دار النشر : دار الفكر - بيروت – ١٤٠١هـ .
٨٣- تفسير القرآن للعز بن عبد السلام ، اسم المؤلف : الامام عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الدمشقي الشافعي ، دار النشر : دار ابن حزم - بيروت - ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : الدكتور/ عبد الله بن إبراهيم الوهبي .
٨٤- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب ، اسم المؤلف : فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي ، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م ، الطبعة : الأولى.
٨٥- تفسير سورة آل عمران ، اسم المؤلف : محمد بن صالح بن عثيمين ، دار النشر : دار ابن الجوزي – الدمام ، ١٤٢٦هـ الطبعة الأولى.
٨٦- تفسير سورة البقرة ، اسم المؤلف : محمد بن صالح بن عثيمين ، دار النشر : دار ابن الجوزي – الدمام ، ١٤٢٣هـ الطبعة الأولى.
٨٧- تفسير غريب القرآن ، اسم المؤلف : أبو محمد عبد الله بن قتيبة ، دار النشر : دار الكتب العلمية – بيروت ، ١٣٩٨هـ الطبعة الأولى ، تحقيق : السيد أحمد صقر.
٨٨- تفسير غريب القرآن العظيم ، اسم المؤلف : زين الدين محمد بن أبي بكر الرازي ، دار النشر : مديرية النشر والطباعة – تركيا – أنقرة ، ١٩٩٧م الطبعة الأولى ، تحقيق: د. حسين المالي.
٨٩- تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم ، اسم المؤلف : محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد بن بن يصل الأزدي الحميدي ، دار النشر : مكتبة السنة - القاهرة - مصر - ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، الطبعة : الأولى ، تحقيق:

الدكتورة زبيدة محمد سعيد عبد العزيز.
٩٠- تفسير مجاهد ، اسم المؤلف : مجاهد بن جبر المخزومي التابعي أبو الحجاج ، دار النشر : المنشورات العلمية - بيروت ، تحقيق : عبدالرحمن الطاهر محمد السورتي .
٩١- تفسير مقاتل بن سليمان ، اسم المؤلف : أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي ، دار النشر : دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : أحمد فريد .
٩٢- تقريب التهذيب ، اسم المؤلف : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، دار النشر : دار الرشيد - سوريا – ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : محمد عوامة.
٩٣- تلبيس إبليس ، اسم المؤلف : عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج ، دار النشر : دار الكتاب العربي - بيروت – ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : د. السيد الجميلي.
٩٤- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ، اسم المؤلف : محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، دار النشر : دار الكتب العلمية – لبنان ، ٢٠٠٤ الطبعة الأولى.
٩٥- التهجد وقيام الليل ، اسم المؤلف : أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي ، دار النشر : مكتبة الرشد - السعودية - الرياض - ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : مصلح بن جزاء بن فدغوش الحارثي.
٩٦- تهذيب الأسماء واللغات ، اسم المؤلف : أبو زكريا محيي الدين بن شرف النووي ، دار النشر : دار الفكر – بيروت ، ١٩٩٦م الطبعة الأولى ، تحقيق : مكتب البحوث والدراسات.
٩٧- تهذيب التهذيب ، اسم المؤلف : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، دار النشر : دار الفكر - بيروت – ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤ م، الطبعة : الأولى.
٩٨- تهذيب الكمال ، اسم المؤلف : يوسف بن الزكي عبد الرحمن أبو الحجاج المزي ، دار النشر : مؤسسة الرسالة - بيروت – ١٤٠٠هـ الطبعة : الأولى ، تحقيق : د. بشار عواد معروف.
٩٩- تهذيب اللغة ، اسم المؤلف : أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري ، دار النشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت - ٢٠٠١م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : محمد عوض مرعب.

١٠٠- التوبة ، اسم المؤلف : أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن أبي الدنيا ، دار النشر : مكتبة القرآن – القاهرة ، تحقيق : مجدي السيد إبراهيم.
١٠١- التوضيح لشرح الجامع الصحيح ، اسم المؤلف : أبو حفص عمر بن علي الأنصاري (ابن الملقن) دار النشر : وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – قطر ، ١٤٢٩هـ ـ تحقيق : دار الفلاح للبحث العلمي.
١٠٢- التوقيف على مهمات التعاريف ، اسم المؤلف : محمد عبد الرؤوف المناوي ، دار النشر : دار الفكر المعاصر ، دار الفكر - بيروت ، دمشق - ١٤١٠ هـ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : د. محمد رضوان الداية.
١٠٣- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، اسم المؤلف : عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، دار النشر : مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م ، تحقيق : ابن عثيمين .
١٠٤- الثبات عند الممات ، اسم المؤلف : عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أبو الفرج ، دار النشر : مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت – ١٤٠٦هـ ـ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : عبد الله الليثي الأنصاري.
١٠٥- الثقات ، اسم المؤلف : محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي ، دار النشر: دار الفكر – ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥ م، الطبعة : الأولى ، تحقيق : السيد شرف الدين أحمد.
١٠٦- جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، اسم المؤلف : محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر ، دار النشر : دار الفكر - بيروت – ١٤٠٥هـ.
١٠٧- جامع البيان في تفسير القرآن ، اسم المؤلف : معين الدين محمد بن عبد الرحمن الأيجي ، دار النشر : دار غراس – الكويت ، ١٤٢٨هـ الطبعة الأولى ، تعليق : محمد بن عبد الله الغزنوي ، مراجعة : صلاح الدين مقبول أحمد.
١٠٨- جامع الرسائل ، اسم المؤلف : أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس ، دار النشر : - مصر ، تحقيق : محمد رشاد رفيق سالم.
١٠٩- الجامع الصحيح المختصر ، اسم المؤلف : محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي ، دار النشر : دار ابن كثير ، اليمامة - بيروت - ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م، الطبعة: الثالثة ، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا.
١١٠- الجامع الصحيح سنن الترمذي ، اسم المؤلف : محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي ، دار النشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت - - ، تحقيق : أحمد محمد

شاكر وآخرون .
١١١- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم ، اسم المؤلف : زين الدين أبوالفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي ، دار النشر : مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م ، الطبعة : السابعة ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط / إبراهيم باجس.
١١٢- جامع بيان العلم وفضله ، اسم المؤلف : يوسف بن عبد البر النمري ، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت – ١٣٩٨.
١١٣- الجامع في غريب الحديث ، اسم المؤلف : عبد السلام محمد علوش ، دار النشر : مكتبة الرشد – الرياض ، ١٤٢٢هـ الطبعة الأولى.
١١٤- الجامع لأحكام القرآن ، اسم المؤلف : أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار النشر : دار الشعب – القاهرة .
١١٥- الجرح والتعديل ، اسم المؤلف : عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس أبو محمد الرازي التميمي ، دار النشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت - ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ ، الطبعة : الأولى.
١١٦- جمهرة الأمثال ، اسم المؤلف : الشيخ الأديب أبو هلال العسكري ، دار النشر : دار الفكر - بيروت - ١٤٠٨هـ الطبعة الأولى.
١١٧- جمهرة اللغة ، اسم المؤلف ، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد ، دار النشر : دائرة المعارف – الهند.
١١٨- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء) ، اسم المؤلف : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ، دار النشر : دار الكتب العلمية – بيروت.
١١٩- جواهر الأفكار ومعادن الأسرار ، اسم المؤلف : عبد القادر بن أحمد بن بدران ، دار النشر : المكتب الإسلامي ، ١٤٢٠هـ الطبعة الأولى ، تحقيق : زهير الشاويش .
١٢٠- الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، اسم المؤلف : عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي ، دار النشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت ١٤١٨هـ الطبعة الأولى تحقيق : عادل عبد الموجود وعلي معوض.
١٢١- الجواهر المضية في طبقات الحنفية ، اسم المؤلف : عبد القادر بن أبي الوفاء محمد بن أبي الوفاء القرشي أبو محمد ، دار النشر : مير محمد كتب خانه – كراتشي.
١٢٢- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ، اسم المؤلف : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ، دار النشر : دار الكتب العلمية – بيروت.

١٢٣- حاشية ابن القيم على سنن أبي داود ، اسم المؤلف : أبو عبد الله شمس الدين محمد ابن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي ، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٥هـ الطبعة : الثانية.

١٢٤- الحاوي للفتاوي في الفقه وعلوم التفسير والحديث والاصول والنحو والاعراب وسائر الفنون ، اسم المؤلف : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : عبد اللطيف حسن عبد الرحمن.

١٢٥- حجج القرآن ، اسم المؤلف : أبو الفضائل أحمد بن محمد بن المظفر بن المختار الرازي ، دار النشر : دار الرائد العربي - لبنان - ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : أحمد عمر المحمصاني الأزهري.

١٢٦- حديث أبي الفضل الزهري ، اسم المؤلف : أبو الفضل عبيد الله بن عبد الرحمن بن محمد الزهري دار النشر : دار الجيل ، ٢٠٠١م الطبعة الأولى ، تحقيق : علي محمد البجاوي.

١٢٧- حسن الظن بالله ، اسم المؤلف : أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي ، دار النشر : دار طيبة - الرياض – ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨ م، الطبعة : الأولى ، تحقيق : مخلص محمد.

١٢٨- حقائق التفسير ، اسم المؤلف : أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن موسى الأزدي السلمي ، دار النشر : دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، الطبعة : الأولى ، تحقيق : سيد عمران .

١٢٩- الحكم العطائية ، اسم المؤلف : ابن عطاء الله السكندري ، دار النشر : دار الإيمان - دمشق / سورية - ١٤٠٦هـ -١٩٨٦ م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : محمد عبدالرحيم.

١٣٠- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، اسم المؤلف : أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار النشر : دار الكتاب العربي - بيروت - ١٤٠٥ هـ ، الطبعة : الرابعة.

١٣١- خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، اسم المؤلف : الحافظ الفقيه صفي الدين أحمد بن عبد الله الخزرجي الأنصاري اليمني ، دار النشر : مكتب المطبوعات الإسلامية/دار البشائر - حلب / بيروت - ١٤١٦ هـ ، الطبعة : الخامسة ، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة.

١٣٢- الدر المصون ، اسم المؤلف : أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي، دار النشر : دار القلم بدمشق ١٤٠٨هـ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : د.أحمد الخراط.
١٣٣- الدر المنثور ، اسم المؤلف : عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي ، دار النشر : دار الفكر - بيروت – ١٩٩٣م.
١٣٤- درء تعارض العقل والنقل ، اسم المؤلف : تقي الدين أحمد بن عبد السلام بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية ، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م. ، تحقيق : عبد اللطيف عبد الرحمن.
١٣٥- دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية ، اسم المؤلف : أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس ، دار النشر : مؤسسة علوم القرآن - دمشق - ١٤٠٤ هـ ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : د. محمد السيد الجليند .
١٣٦- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، اسم المؤلف : إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون اليعمري المالكي ، دار النشر : دار الكتب العلمية – بيروت.
١٣٧- ديوان الإمام الشافعي ، اسم المؤلف : محمد بن إدريس الشافعي ، دار النشر : دار ابن حزم - بيروت ، ٢٠٠٤م الطبعة الأولى.
١٣٨- ديوان المعاني ، اسم المؤلف : الإمام اللغوي الأديب أبو هلال الحسن بن عبد الله بن مهران العسكري ، دار النشر : دار الجيل – بيروت ١٩٨٥م الطبعة الأولى.
١٣٩- ديوان ذي الرمة ، اسم المؤلف : غيلان بن عقبة العدوي المشهور بذي الرمة ، دار النشر : دار المعرفة – بيروت ، ١٤٢٧هـ الطبعة الأولى ، اعتنى به : عبد الرحمن مصطاوي.
١٤٠- الذريعة إلى مكارم الشريعة ، اسم المؤلف : أبو القاسم الحسين بن محمد (الراغب الأصفهاني) دار النشر : دار السلام – القاهرة ، ١٤٢٨هـ الطبعة الأولى تحقيق : د. أبو اليزيد أبوزيد العجمي.
١٤١- ذم الهوى ، اسم المؤلف : أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن الجوزي ، دار النشر: ١٩٦٢م، تحقيق : مصطفى عبد الواحد.
١٤٢- الرد على الأخنائي واستحباب زيارة خير البرية ، اسم المؤلف : أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني أبو العباس ، دار النشر : المطبعة السلفية - القاهرة ، تحقيق : عبدالرحمن بن يحيى المعلمي اليماني.
١٤٣- الرسالة التبوكية زاد المهاجر إلى ربه ، اسم المؤلف : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي

أبوعبدالله ، دار النشر : مكتبة المدني - جدة ، تحقيق : د. محمد جميل غازي.
١٤٤- الرسالة القشيرية ، اسم المؤلف : أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القـشيري ، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت/لبنان - ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م ، تحقيـق : خليل المنصور.
١٤٥- الرقة والبكاء ، اسم المؤلف : موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي ، دار النشر : دار القلم – دمشق ، ١٤٢٢هـ الطبعة الثانية ، تحقيق : محمد خير رمضان يوسف.
١٤٦- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، اسم المؤلف : العلامة أبوالفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي ، دار النشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت .
١٤٧- الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة ، اسـم المؤلف : أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بـن سـعد الزرعـي الدمشقي ، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥م.
١٤٨- الروض الأنف ، اسم المؤلف : أبو القاسم عبد الرحمن بن الخطيب الـسهيلي ، دار النشر : دار الكتب الإسلامية ، ١٩٦٧م ، تحقيق عبد الرحمن الوكيل.
١٤٩- الروض الداني (المعجم الصغير) ، اسم المؤلف : سليمان بن أحمد بن أيـوب أبـو القاسم الطبراني ، دار النشر : المكتب الإسلامي ، دار عمار - بيروت ، عمـان - ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : محمد شكور محمود الحاج أمرير.
١٥٠- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ، اسم المؤلف : محمد بن حبان البستي أبو حاتم ، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت – ١٣٩٧ هـ الطبعة الأولى ، تحقيق : محمـد محي الدين عبد الحميد.
١٥١- روضة المحبين ونزهة المشتاقين ، اسم المؤلف : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبـو عبد الله ، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢م.
١٥٢- رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ، اسم المؤلف : أبو زكريا يحيى بن شـرف النووي ، دار النشر : دار الفكر - بيروت - ١٤٢١هـ - -٢٠٠٠م ، الطبعـة : الثالثة.
١٥٣- زاد المسير في علم التفسير ، اسم المؤلف : عبد الرحمن بن علي بن محمد الجـوزي ، دار النشر : المكتب الإسلامي - بيروت - ١٤٠٤ هـ ، الطبعة : الثالثة .
١٥٤- زاد المعاد في هدي خير العباد ، اسم المؤلف : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبـو

عبد الله ، دار النشر : مؤسسة الرسالة - مكتبة المنار الإسلامية - بيروت - الكويت - ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م، الطبعة : الرابعة عشر ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط - عبد القادر الأرناؤوط.

١٥٥- الزهد ، اسم المؤلف : أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الشيباني أبو بكر ، دار النشر : دار الريان للتراث - القاهرة - ١٤٠٨ هـ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : عبد العلي عبد الحميد حامد.

١٥٦- الزهد ، اسم المؤلف : عبد الله بن المبارك بن واضح المرزوي أبو عبد الله ، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي.

١٥٧- الزهد لأبي داود ، اسم المؤلف : أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير ابن شداد بن عمرو الأزدي السَجِستاني ، دار النشر : دار المشكاة – القاهرة ، ١٤١٤هـ الطبعة الأولى ، تحقيق : ياسر ابرهيم محمد و غنيم عباس غنيم.

١٥٨- زهر الأداب وثمر الألباب ، اسم المؤلف: أبي إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني ، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤١٧ هـ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : أ.د يوسف على طويل .

١٥٩- الزيادة والإحسان في علوم القرآن ، اسم المؤلف : محمد بن أحمد بن عقيلة المكي ، دار النشر : مركز البحوث بجامعة الشارقة - الإمارات العربية المتحدة ، ١٤٢٧هـ الطبعة الأولى ، تحقيق : محمد صفاء حقي ، فهد العندس ، إبراهيم المحمود ، مصلح السامدي ، خالد اللاحم.

١٦٠- سبيل الرشاد في هدي خير العباد ، اسم المؤلف : محمد تقي الدين بن عبد القادر الهلالي ، دار النشر : الدار الأثرية - عمان – الأردن ، ١٤٢٩هـ الطبعة الثانية ، تحقيق : مشهور حسن سلمان.

١٦١- سلاسل الذهب ، اسم المؤلف : محمد بدر الدين الزركشي ، ١٤٢٣هـ ـ الطبعة الثانية ، تحقيق : محمد المختار بن محمد الأمين الشنقيطي.

١٦٢- سلسلة الأحاديث الصحيحة ، اسم المؤلف : محمد ناصر الدين الألباني ، دار النشر : مكتبة المعترف – الرياض ، ١٤٠٧هـ الطبعة الثانية.

١٦٣- السنة ، اسم المؤلف : عمرو بن أبي عاصم الضحاك الشيباني ، دار النشر : المكتب الإسلامي - بيروت – ١٤٠٠هـ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني.

١٦٤- سنن أبي داود ، اسم المؤلف : سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي ،

دار النشر : دار الفكر ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد .
١٦٥- السنن الإلهية في الأمم والأفراد ، اسم المؤلف : د. مجدي محمد عاشور ، دار النشر : دار السلام – القاهرة ، ١٤٢٨هـ الطبعة الثانية .
١٦٦- سنن البيهقي الكبرى ، اسم المؤلف : أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي ، دار النشر : مكتبة دار الباز - مكة المكرمة – ١٤١٤هـ - ١٩٩٤ م، تحقيق : محمد عبد القادر عطا.
١٦٧- سنن الدارقطني ، اسم المؤلف : علي بن عمر أبو الحسن الدارقطني البغدادي ، دار النشر : دار المعرفة - بيروت – ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦ ، تحقيق : السيد عبد الله هاشم يماني المدني .
١٦٨- سنن الدارمي ، اسم المؤلف : عبدالله بن عبدالرحمن أبو محمد الدارمي ، دار النشر : دار الكتاب العربي - بيروت – ١٤٠٧هـ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي .
١٦٩- السنن الكبرى ، اسم المؤلف : أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي ، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت – ١٤١١هـ - ١٩٩١م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : د.عبد الغفار سليمان البنداري ، سيد كسروي حسن.
١٧٠- سنن سعيد بن منصور ، اسم المؤلف : سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني ، دار النشر : دار العصيمي - الرياض – ١٤١٤هـ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : د. سعد ابن عبدالله بن عبد العزيز آل حميد.
١٧١- شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال ، اسم المؤلف : العز بن عبد السلام السلمي ، دار النشر : بيت الأفكار الدولية ، عمان – الأردن ، الطبعة الرابعة، اعتنى بها : حسان عبد المنان.
١٧٢- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة ، اسم المؤلف : هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي أبو القاسم ، دار النشر : دار طيبة - الرياض - ١٤٠٢ هـ، تحقيق : د. أحمد سعد حمدان.
١٧٣- شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك ، اسم المؤلف : محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني ، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت – ١٤١١هـ ، الطبعة : الأولى.
١٧٤- شرح الكوكب المنير المسمى بمختصر التحرير أو المختبر المبتكر شرح المختصر في أصول الفقه ، اسم المؤلف : محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي الحنبلي

المعروف بابن النجار ، دار النشر : جامعة أم القرى - معهد البحوث العلمية - ١٤١٣ هـ ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : د. محمد الزحيلي ، د. نزيه حماد.

١٧٥- شرح حلية طالب العلم ، اسم المؤلف : محمد بن صالح بن عثيمين ، دار النشر : مكتبة الأنصار – القاهرة ، ١٤٢٤هـ الطبعة الثانية.

١٧٦- شرح صحيح البخاري ، اسم المؤلف : أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي ، دار النشر : مكتبة الرشد - السعودية / الرياض - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : أبو تميم ياسر بن إبراهيم.

١٧٧- شرح صحيح مسلم ، اسم المؤلف : يحي بن شرف الدين النووي ، دار النشر : دار الفكر – بيروت ، ١٣٩٢هـ الطبعة الثانية.

١٧٨- شرح مشكل الآثار ، اسم المؤلف : أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي ، دار النشر : مؤسسة الرسالة - لبنان/ بيروت - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط.

١٧٩- شرح نهج البلاغة ، اسم المؤلف: أبوحامد عزالدين بن هبة الله بن محمد بن محمد بن أبي الحديد المدائني ، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ١٤١٨هـ الطبعة : الأولى ، تحقيق : محمد عبد الكريم النمري.

١٨٠- الشريعة ، اسم المؤلف : أبو بكر محمد بن الحسين الآجري ، دار النشر : دار الوطن – الرياض ، ١٤٢٠هـ الطبعة الثانية ، تحقيق : د. عبد الله بن عمر الدميجي.

١٨١- شعب الإيمان ، اسم المؤلف : أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٠ هـ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : محمد السعيد بسيوني زغلول.

١٨٢- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ، اسم المؤلف : أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي ، دار النشر : دار الفكر - بيروت - ١٣٩٨ هـ ، تحقيق : محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي.

١٨٣- الصاحبي في فقه اللغة ، اسم المؤلف : أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت ، ١٤١٨هـ الطبعة الأولى.

١٨٤- الصحة النفسية ، دراسات في سيكولوجية التكيف ، اسم المؤلف : الدكتور/ مصطفى فهمي ، دار النشر : مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ١٤١٩هـ الطبعة الخامسة.

١٨٥- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ، اسم المؤلف : محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي ، دار النشر : مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م،

الطبعة : الثانية ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط.
١٨٦- صحيح ابن خزيمة ، اسم المؤلف : محمد بن إسحاق بن خزيمة أبو بكر السلمي النيسابوري ، دار النشر : المكتب الإسلامي - بيروت - ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي.
١٨٧- صحيح الترغيب والترهيب ، اسم المؤلف : محمد ناصر الدين الألباني ، دار النشر : مكتبة المعارف – الرياض ، ١٤٢١هـ الطبعة الأولى.
١٨٨- صحيح السيرة ، اسم المؤلف : محمد ناصر الدين الألباني ، دار النشر : المكتبة الإسلامية – عمان – الأردن ، الطبعة الأولى.
١٨٩- الصحيح المسند من أسباب النزول ، اسم المؤلف : مقبل بن هادي الوادعي ، دار النشر : مكتبة الحرمين ، صنعاء – اليمن ، ١٤٢١هـ الطبعة الأولى.
١٩٠- صحيح سنن أبي داود ، اسم المؤلف : محمد ناصر الدين الألباني ، دار النشر : مكتبة المعارف – الرياض ، ١٤١٩هـ الطبعة الأولى.
١٩١- صحيح سنن النسائي ، اسم المؤلف : محمد ناصر الدين الألباني ، دار النشر : مكتب التربية العربي لدول الخليج – الرياض ، ١٤٠٨هـ الطبعة الأولى.
١٩٢- صحيح مسلم ، اسم المؤلف : مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري ، دار النشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي.
١٩٣- صحيح وضعيف الجامع الصغير ، اسم المؤلف : محمد ناصر الدين الألباني ، دار النشر : المكتب الإسلامي ، ١٤١٠هـ الطبعة الثالثة.
١٩٤- صفة الصفوة ، اسم المؤلف : عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج ، دار النشر : دار المعرفة - بيروت – ١٣٩٩هـ الطبعة : الثانية ، تحقيق : محمود فاخوري - د.محمد رواس قلعجي.
١٩٥- صفة الصلاة ، اسم المؤلف : محمد ناصر الدين الألباني ، دار النشر : مكتبة المعارف – الرياض ، ١٤١٧هـ الطبعة الثانية.
١٩٦- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، اسم المؤلف : شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي ، دار النشر : منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت.
١٩٧- طبقات الحفاظ ، اسم المؤلف : عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي أبو الفضل ، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت – ١٤٠٣ هـ، الطبعة : الأولى.
١٩٨- طبقات الحنابلة ، اسم المؤلف : محمد بن أبي يعلى أبو الحسين ، دار النشر : دار المعرفة - بيروت ، تحقيق : محمد حامد الفقي.

١٩٩- طبقات الشافعية ، اسم المؤلف : أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة، دار النشر : عالم الكتب - بيروت - ١٤٠٧ هـ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : د. الحافظ عبد العليم خان.

٢٠٠- طبقات الشافعية الكبرى ، اسم المؤلف : تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي، دار النشر : هجر للطباعة والنشر والتوزيع - ١٤١٣هـ ، الطبعة : ط٢ ، تحقيق : د. محمود محمد الطناحي د.عبد الفتاح محمد الحلو.

٢٠١- طبقات الصوفية ، اسم المؤلف : أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد الأزدي ، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٩هـ ـ الطبعة : الأولى ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا.

٢٠٢- طبقات الفقهاء ، اسم المؤلف : أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي، دار النشر : دار القلم - بيروت ، الطبعة الأولى تحقيق : خليل الميس.

٢٠٣- الطبقات الكبرى ، اسم المؤلف : محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري ، دار النشر : دار صادر - بيروت ، ١٩٦٨م الطبعة الأولى ، تحقيق : إحسان عباس.

٢٠٤- طبقات المفسرين ، اسم المؤلف : أحمد بن محمد الأدنه وي ، دار النشر : مكتبة العلوم والحكم - السعودية - ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : سليمان بن صالح الخزي.

٢٠٥- طبقات المفسرين ، اسم المؤلف : عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، دار النشر : مكتبة وهبة - القاهرة - ١٣٩٦ هـ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : علي محمد عمر.

٢٠٦- طبقات فحول الشعراء ، اسم المؤلف : محمد بن سلام الجمحي ، دار النشر : دار المدني - جدة ، ١٤٠٧هـ الطبعة الأولى ، تحقيق : محمود محمد شاكر.

٢٠٧- الطرق الحكمية في السياسة الشرعية ، اسم المؤلف : أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي ، دار النشر : مطبعة المدني - القاهرة، تحقيق : د. محمد جميل غازي.

٢٠٨- طريق الهجرتين وباب السعادتين ، اسم المؤلف : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ، دار النشر : دار ابن القيم - الدمام – ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م ، الطبعة : الثانية، تحقيق : عمر بن محمود أبو عمر.

٢٠٩- ظلال الجنة في تخريج السنة (حاشية كتاب السنة لابن أبي عاصم) ، اسم المؤلف : محمد ناصر الدين الألباني ، دار النشر : المكتب الإسلامي ، ١٣٢٦هـ ـ الطبعة الخامسة.

٢١٠- عارضة الأحوذي شرح صحيح الترمذي ، اسم المؤلف : أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي المالكي ، دار النشر : دار الكتب العلمية – بيروت ، ١٤١٨هـ الطبعة الأولى ، تحقيق : جمال مرعشلي.
٢١١- العدة في أصول الفقه ، اسم المؤلف : القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين الحنبلي ، ١٤١٠هـ الطبعة الأولى ، تحقيق : د. أحمد بن علي سير مباركي.
٢١٢- العظمة ، اسم المؤلف : عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأصبهاني أبو محمد ، دار النشر : دار العاصمة - الرياض – ١٤٠٨هـ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري.
٢١٣- العقد الفريد ، اسم المؤلف : احمد بن محمدبن عبد ربه الأندلسي ، دار النشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت ١٤٢٠هـ - الطبعة : الثالثة.
٢١٤- علم النفس في القرآن ، اسم المؤلف : د. سعد رياض ، دار النشر : مؤسسة اقرأ ، ١٤٢٥هـ .
٢١٥- عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، اسم المؤلف : محمود بن محمد بدر الدين العيني الحنفي ، دار النشر : دار إحياء التراث العربي ، ١٤٢٤هـ الطبعة الرابعة.
٢١٦- عمل اليوم والليلة ، اسم المؤلف : أحمد بن شعيب بن علي النسائي أبو عبد الرحمن ، دار النشر : مؤسسة الرسالة - بيروت – ١٤٠٦هـ ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : د. فاروق حمادة.
٢١٧- عون المعبود شرح سنن أبي داود ، اسم المؤلف : محمد شمس الحق العظيم آبادي ، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٩٥م ، الطبعة : الثانية.
٢١٨- عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، اسم المؤلف : موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي ، دار النشر : دار مكتبة الحياة - بيروت ، ١٩٦٥م الطبعة الأولى تحقيق : الدكتور نزار رضا.
٢١٩- غذاء الألباب شرح منظومة الأداب ، اسم المؤلف : محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي ، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : محمد عبد العزيز الخالدي.
٢٢٠- غراس الأساس ، اسم المؤلف : أحمد بن حجر العسقلاني ، دار النشر : مكتبة وهبة – القاهرة ، ١٤١١هـ الطبعة الأولى ، تحقيق : .د توفيق محمد شاهين .
٢٢١- غمز عيون البصائر شرح كتاب الأشباه والنظائر (لزين العابدين ابن نجيم المصري)، اسم المؤلف : عمر بن إبراهيم بن محمد سراج الدين الحنفي، دار النشر : دار الكتب

العلمية - بيروت - ١٤٠٥هـ الطبعة : الأولى ، شرح وتحقيق : أحمد بن محمود الحموي الحنفي.
٢٢٢- الفتاوى الحديثية ، اسم المؤلف : أحمد شهاب الدين ابن حجر الهيتمي المكي ، دار النشر : دار الفكر .
٢٢٣- فتاوى السبكي ، اسم المؤلف : الامام أبوالحسن تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي ، دار النشر : دار المعرفة - لبنان/ بيروت.
٢٢٤- صفة الفتوى والمفتي والمستفتي، اسم المؤلف : أحمد بن حمدان الحراني الحنبلي، دار النشر: المكتب الإسلامي - بيروت،١٤١٤هـ الطبعة الرابعة ، تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني.
٢٢٥- فتح الباري شرح صحيح البخاري ، اسم المؤلف : أبو الفرج عبد الرحمن بن رجب الحنبلي ، دار النشر : دار ابن الجوزي – الرياض ، ١٤١٧هـ ـ الطبعة الأولى ، تحقيق: طارق عوض الله محمد.
٢٢٦- فتح الباري شرح صحيح البخاري ، اسم المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبوالفضل العسقلاني الشافعي ، دار النشر : دار المعرفة - بيروت ، تحقيق : محب الدين الخطيب.
٢٢٧- فتح البيان في مقاصد القرآن ، اسم المؤلف : صديق حسن خان ، دار النشر : دار إحياء التراث الإسلامي – قطر ، ١٤١٠هـ ، تحقيق : عبد الله إبراهيم الأنصاري.
٢٢٨- فتح الرحمن في تفسير القرآن ، اسم المؤلف : القاضي مجير الدين العليمي الحنبلي ، دار النشر : وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – قطر ، ١٤٣٠هـ الطبعة الأولى ، تحقيق : نور الدين طالب.
٢٢٩- فتح الرحيم الملك العلام في علم العقائد والتوحيد والأخلاق والأحكام المستنبطة من القرآن ، اسم المؤلف : عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي ، دار النشر : دار ابن الجوزي - الدمام / السعودية - ١٤٢٢هـ ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر.
٢٣٠- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، اسم المؤلف : محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، دار النشر : دار الفكر – بيروت .
٢٣١- الفتوحات المكية في معرفة الأسرار الملكية ، اسم المؤلف : محيي الدين بن علي بن محمد الطائي الحاتمي ، دار النشر : دار إحياء التراث العربي - لبنان - ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م ، الطبعة : الأولى.

٢٣٢- الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن ، اسم المؤلف : د. محمد عبد الرحمن الشايع، دار النشر : مكتبة العبيكان - الرياض ، ١٤١٤هـ الطبعة الأولى.
٢٣٣- الفروق في اللغة ، اسم المؤلف : أبوهلال العسكري الحسن بن عبد الله ، دار النشر : مؤسسة الرسالة ، بيروت – لبنان ، ١٤٢٢هـ الطبعة الأولى ، تحقيق : جمال عبد الغني مدغمش.
٢٣٤- فضائل القرآن للقاسم بن سلام، اسم المؤلف: أبوعبيد القاسم بن سلاّم البغدادي ، دار النشر : دار ابن كثير – دمشق ، ١٤٢٠هـ الطبعة الأولى ، تحقيق : مروان العطية ومحسن خرابة ووفاء تقي الدين.
٢٣٥- فهرسة ابن عطية ، اسم المؤلف : الإمام القاضي أبو محمد عبد الحق بن عطية المحاربي الأندلسي ، دار النشر : دار الغرب الإسلامي - بيروت/ لبنان – ١٩٨٣م ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : محمد أبو الأجفان و محمد الزاهي.
٢٣٦- فهم القرآن ومعانيه ، اسم المؤلف : الحارث بن أسد بن عبد الله المحاسبي أبوعبدالله، دار النشر : دار الكندي ، دار الفكر - بيروت – ١٣٩٨هـ ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : حسين القوتلي .
٢٣٧- الفوائد ، اسم المؤلف : أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي ، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م، الطبعة : الثانية.
٢٣٨- فوائد الفوائد ، اسم المؤلف : شمس الدين ابن قيم الجوزية ، دار النشر : دار ابن الجوزي - الدمام ، ١٤٢٧هـ الطبعة العاشرة ، تحقيق : علي حسن عبد الحميد.
٢٣٩- فيض القدير شرح الجامع الصغير ، اسم المؤلف : عبد الرؤوف المناوي ، دار النشر : المكتبة التجارية الكبرى - مصر - ١٣٥٦هـ ، الطبعة : الأولى.
٢٤٠- قاعدة في المحبة ، اسم المؤلف : أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس ، دار النشر : مكتبة التراث الإسلامي - القاهرة ، تحقيق : د. محمد رشاد سالم.
٢٤١- القاموس المحيط ، اسم المؤلف : محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، دار النشر : مؤسسة الرسالة – بيروت.
٢٤٢- قرة العيون النوظر في الوجوه والنظائر ، اسم المؤلف : أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ، دار النشر : منشأة المعارف ، تحقيق : محمد السيد الصفطاوي و فؤاد عبد المنعم أحمد.
٢٤٣- قطف الأزهار في كشف الأسرار ، اسم المؤلف : أبو الفضل جلال الدين عبدالرحمن

ابن أبي بكر السيوطي ، دار النشر : وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – قطـر ، ١٤١٤هـ الطبعة الأولى ، تحقيق : د. أحمد بن محمد الحمادي.

٢٤٤- قطف الثمر في رفع أسانيد المصنفات في الفنون والأثر ، اسم المؤلف : صلاح بـن محمد الغلاني ، دار النشر : دار الشروق - مكة ١٤٠٥هـ ـ ، الطبعـة : الأولى ، تحقيق : عامر حسن صبري.

٢٤٥- قواطع الأدلة في الأصول ، اسم المؤلف : أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني ، دار النشر : دار الكتب العلمية - بـيروت - ١٤١٨هـ ـ - ١٩٩٧م ، تحقيق : محمد حسن إسماعيل الشافعي.

٢٤٦- قواعد الأحكام في مصالح الأنام ، اسم المؤلف : أبو محمد عز الدين الـسلمي ، دار النشر : دار الكتب العلمية – بيروت ، ١٤١١هـ الطبعة الأولى.

٢٤٧- القواعد الحسان لتفسير القرآن ، اسم المؤلف : عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، دار النشر : دار البصيرة - الإسكندرية .

٢٤٨- القواعد النوارنية الفقهية ، اسم المؤلف : أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبـو العباس ، دار النشر : دار المعرفة - بيروت – ١٣٩٩هـ ، تحقيق : محمـد حامـد الفقي.

٢٤٩- القواعد والفوائد الأصولية وما يتعلق بها من الأحكام الفرعية ، اسم المؤلف : علـي ابن عباس البعلي الحنبلي ، دار النشر: مطبعة السنة المحمدية – القاهرة ، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦ ، تحقيق : محمد حامد الفقي.

٢٥٠- قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقـام التوحيـد ، اسـم المؤلف: محمد بن علي بن عطية الحارثي المشهور بأبي طالب المكي ، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت/لبنان - ١٤٢٦هـ -٢٠٠٥ م ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : د.عاصم إبراهيم الكيالي.

٢٥١- القول البديع في علم البديع ، اسم المؤلف : مرعي بن يوسف الحنبلي ، دار النشر : كنوز إشبيليا – الرياض ، ١٤٢٥هـ الطبعة الأولى ، تحقيق : د. محمد بـن علـي الصامل.

٢٥٢- الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة ، اسم المؤلف : حمد بن أحمد أبـو عبدالله الذهبي الدمشقي ، دار النشر : دار القبلة للثقافة الإسلامية ، مؤسسة علـو - جدة - ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : محمد عوامة.

٢٥٣- كتاب التوحيد ، اسم المؤلف : محمد بن عبد الوهاب ، دار النشر : مطابع الرياض

- الرياض ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : عبد العزيز بن زيد الرومي ، د . محمد بلتاجي، د . سيد حجاب.
٢٥٤- كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل ، اسم المؤلف : أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة ، دار النشر : مكتبة الرشد - السعودية - الرياض - ١٤١٤هـ الطبعة : الخامسة ، تحقيق : عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان.
٢٥٥- كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، اسم المؤلف : القاضي أبو الفضل عياض اليحصبي المالكي .
٢٥٦- الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار ، اسم المؤلف : أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي ، دار النشر : مكتبة الرشد - الرياض - ١٤٠٩ هـ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : كمال يوسف الحوت.
٢٥٧- كتاب المواقف ، اسم المؤلف : عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي ، دار النشر: دار الجيل - لبنان - بيروت - ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : عبد الرحمن عميرة.
٢٥٨- كتاب غريب القرآن ، اسم المؤلف : أبو بكر محمد بن عزيز السجستاني ، دار النشر: دار قتيبة- ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م ، تحقيق : محمد أديب عبد الواحد جمران.
٢٥٩- كرامات أولياء الله عز وجل ، اسم المؤلف : هبة الله بن الحسن الطبري اللالكائي ، دار النشر : دار طيبة - الرياض - ١٤١٢ هـ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : د. أحمد سعد الحمدان.
٢٦٠- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، اسم المؤلف : أبوالقاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، دار النشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي.
٢٦١- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس ، اسم المؤلف : إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي ، دار النشر : مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٠٥ هـ ، الطبعة : الرابعة ، تحقيق : أحمد القلاش.
٢٦٢- كشف السرائر في معنى الوجوه والنظائر ، اسم المؤلف : عبد الحي بن أحمد ، المشهور بابن العماد الحنبلي ، دار النشر : المكتبة المصرية – القاهرة ، ٢٠٠٤م الطبعة الثانية ، تحقيق : د. فؤاد عبد المنعم.
٢٦٣- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، اسم المؤلف : مصطفى بن عبدالله القسطنطيني الرومي الحنفي ، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١٣ هـ –

١٩٩٢.
٢٦٤- الكشف والبيان في التفسير ، اسم المؤلف : أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبـراهيم الثعلبي النيسابوري ، دار النشر : دار إحياء التراث العـربي - بـيروت - لبنـان - ١٤٢٢هـ -٢٠٠٢م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : الإمام أبي محمد بـن عاشـور ، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي .
٢٦٥- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، اسم المؤلف : أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي ، دار النشر : مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م. ، تحقيق : عدنان درويش - محمد المصري.
٢٦٦- كيف يموت العشاق ، اسم المؤلف : أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري ، دار النشر: دار ابن حزم بالرياض ، ١٤١٨هـ الطبعة الأولى.
٢٦٧- لباب الآداب ، اسم المؤلف : أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعـالبي النيسابوري ، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١٧هـ الطبعة : الأولى ، تحقيق : أحمد حسن لبج.
٢٦٨- لباب التأويل في معاني التنزيل ، اسم المؤلف : علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن ، دار النشر : دار الفكر - بيروت / لبنان - ١٣٩٩هـ - /١٩٧٩م .
٢٦٩- اللباب في علوم الكتاب ، اسم المؤلف : أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي ، دار النشر : دار الكتب العلمية - بـيروت / لبنـان - ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م، الطبعة : الأولى ، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والـشيخ علـي محمد معوض .
٢٧٠- لسان العرب ، اسم المؤلف : محمد بن مكرم بن منظور الأفريقـي المـصري ، دار النشر : دار صادر - بيروت ، الطبعة : الأولى.
٢٧١- لسان الميزان ، اسم المؤلف : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، دار النشر : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م ، الطبعة : الثالثة ، تحقيق : دائرة المعرف النظامية بالهند .
٢٧٢- لطائف الإشارات ، اسم المؤلف : أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملـك القشيري النيسابوري الشافعي ، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت /لبنـان - ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : عبد اللطيف حسن عبدالرحمن .
٢٧٣- مجالسة وجواهر العلم ، اسم المؤلف : أبو بكر أحمد بن مروان بن محمد الـدينوري

القاضي المالكي ، دار النشر : دار ابن حزم - لبنـان/ بـيروت - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م ، الطبعة : الأولى.

٢٧٤- مبحث الاجتهاد والخلاف ، اسم المؤلف : محمد بن عبد الوهـاب ، دار النـشر : مطابع الرياض - الرياض ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : الشيخ عبد الرحمن بن محمـد السدحان والشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين .

٢٧٥- مجاز القرآن ، اسم المؤلف : أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى ، دار النشر : مؤسـسة الرسالة – بيروت ، ١٤٠١هـ الطبعة الثانية ، تحقيق : محمد فؤاد سزكين.

٢٧٦- المجتبى من السنن ، اسم المؤلف : أحمد بن شعيب أبو عبد الـرحمن النـسائي ، دار النشر : مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب – ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦ م، الطبعة : الثانية، تحقيق : عبدالفتاح أبو غدة.

٢٧٧- المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين ، اسم المؤلف : الإمام محمد بن حيان بن أحمد بن أبي حاتم التميمي البستي ، دار النشر : دار الوعي - حلب - ١٣٩٦هـ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : محمود إبراهيم زايد.

٢٧٨- مجلة الثقافة النفسية المتخصصة / العدد ٤٩ / يناير- كـانون الثـاني ٢٠٠٢م دار النشر: مركز الدراسات النفسية والجسدية / طرابلس – لبنان.

٢٧٩- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، اسم المؤلف : علي بن أبي بكر الهيثمي ، دار النـشر : دار الريان للتراث - القاهرة و دار الكتاب العربي – بيروت ١٤٠٧هـ الطبعـة الأولى.

٢٨٠- مجموع رسائل ابن رجب ، اسم المؤلف : أبو الفرج عبد الرحمن بن رجب الحنبلي ، دار النشر : الفاروق – القاهرة ، ١٤٣٠هـ الطبعة الأولى ، تحقيق : طلعت بن فؤاد الحلواني.

٢٨١- مجموع فتاوى ورسائل شيخ الإسلام ابن تيمية ، اسم المؤلف : أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس ، دار النشر : مكتبة ابن تيمية ، الطبعة : الثانية ، تحقيـق : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي .

٢٨٢- محاسن التأويل ، اسم المؤلف : محمد جمال الدين القاسمي ، دار النشر : دار إحيـاء الكتب العربية – القاهرة ، ١٣٧٦هـ الطبعة الأولى، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

٢٨٣- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعرء والبلغاء ، اسم المؤلف : أبو القاسم الحسين بـن محمد بن المفضل الأصفهاني ، دار النشر : دار القلـم - بـيروت - ١٤٢٠هـ ، تحقيق: عمر الطباع.

٢٨٤- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، اسم المؤلف : أبو محمد عبد الحق بن غالب ابن عطية الأندلسي ، دار النشر : دار الكتب العلميـة - لبنـان - ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد.

٢٨٥- المحكم والمحيط الأعظم ، اسم المؤلف : أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - ٢٠٠٠م ، الطبعة : الأولى ، تحقيـق : عبد الحميد هنداوي.

٢٨٦- المحلى ، اسم المؤلف : علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبـو محمـد ، دار النشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ١٤٢٢هـ الطبعة الثانية ، تحقيق : أحمد شاكر.

٢٨٧- مختار الصحاح ، اسم المؤلف : محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي ، دار النشر : مكتبة لبنان ناشرون - بيروت - ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م ، الطبعة الأولى، تحقيـق: محمود خاطر.

٢٨٨- مختصر الشمائل المحمدية ، اسم المؤلف : محمد ناصر الدين الألبـاني ، دار النـشر : المكتبة الإسلامية – عمان – الأردن ، ١٤٠٦هـ الطبعة الثانية.

٢٨٩- مختصر زائد مسند البزار ، اسم المؤلف : شهاب الدين أحمد بن حجر العـسقلاني ، دار النشر : مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت ، ١٤١٤هـ الطبعة الثالثة ، تحقيـق : صبري عبد الخالق أبو ذر.

٢٩٠- مختصر قيام الليل ، اسم المؤلف : أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المَـروزي ، دار النشر : حديث اكادمي ، فيصل آباد – باكستان ، ١٤٠٨هـ الطبعة الأولى.

٢٩١- مختصر منهاج القاصدين ، اسم المؤلف : أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسـي ، دار النشر : دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٢٤هـ الطبعة الأولى ، تحقيق : عبـد الرزاق المهدي.

٢٩٢- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، اسم المؤلف : محمد بـن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ، دار النشر : دار الكتـاب العـربي - بـيروت - ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : محمد حامد الفقي.

٢٩٣- مدارك التنـزيل وحقائق التأويل ، اسم المؤلف : أبو البركات عبد الله بـن أحمـد النسفي، دار النشر : دار الفكر .

٢٩٤- المدخل إلى السنن الكبرى ، اسم المؤلف : أحمد بن الحسين بن علي البيهقي أبو بكر، دار النشر : دار الخلفاء للكتاب الإسلامي - الكويت – ١٤٠٤هـ ، تحقيـق : د.

محمد ضياء الرحمن الأعظمي.
٢٩٥- مرقاة الصعود إلى سنن أبي داود، اسم المؤلف: أبو عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، دار النشر: بدون، الرياض ١٤٣٠هـ الطبعة الأولى، تحقيق: د. محمد بن إسحاق آل ابراهيم.
٢٩٦- المستدرك على الصحيحين ، اسم المؤلف : محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري ، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١١هـ - ١٩٩٠م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا.
٢٩٧- المسند ، اسم المؤلف : عبدالله بن الزبير أبو بكر الحميدي ، دار النشر : دار الكتب العلمية ، مكتبة المتنبي - بيروت ، القاهرة ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي.
٢٩٨- مسند ابن الجعد، دار النشر : مؤسسة نادر - بيروت – ١٤١٠هـ الطبعة: الأولى، تحقيق : عامر أحمد حيدر.
٢٩٩- مسند أبي داود الطيالسي ، دار النشر : دار المعرفة – بيروت ، ١٤٠٨هـ الطبعة الأولى.
٣٠٠- مسند أبي يعلى الموصلي ، دار النشر : دار المأمون للتراث - دمشق – ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : حسين سليم أسد.
٣٠١- مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ، دار النشر : مؤسسة قرطبة – مصر.
٣٠٢- مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ، دار النشر : مؤسسة الرسالة – بيروت ، ١٤٢٩هـ الطبعة الثانية ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ورفاقه.
٣٠٣- مسند الإمام الشافعي ، دار النشر : دار الكتب العلمية ببيروت .
٣٠٤- مسند الشهاب ، اسم المؤلف : محمد بن سلامة بن جعفر أبوعبدالله القضاعي ، دار النشر : مؤسسة الرسالة - بيروت – ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦ م، الطبعة : الثانية ، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي.
٣٠٥- مسند الفاروق ، اسم المؤلف ، أبوالفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي ، دار النشر : دار الوفاء، مصر– المنصورة، ١٤١١هـ الطبعة الأولى، تحقيق: د. عبد المعطي قلعجي.
٣٠٦- مشاهير علماء الأمصار ، اسم المؤلف : محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي ، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٥٩م الطبعة الأولى تحقيق : مجدي منصور الشورى.
٣٠٧- مشكاة المصابيح ، اسم المؤلف : محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي ، دار النشر : المكتب الإسلامي - بيروت – ١٩٨٥م ، الطبعة : الثالثة ، تحقيق : محمد ناصر الدين

الألباني .
٣٠٨- مصارع العشاق ، اسم المؤلف : أبو محمد جعفر بن أحمد بن الحسيني السراج القارئ، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت/ لبنان - ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، الطبعة : الأولى ، تحقيق : محمد حسن إسماعيل ، أحمد رشدي شحاته.
٣٠٩- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ، اسم المؤلف : أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي ، دار النشر : المكتبة العلمية – بيروت.
٣١٠- المصنف ، اسم المؤلف : أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني ، دار النشر : المكتب الإسلامي - بيروت – ١٤٠٣هـ ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي.
٣١١- معالم التنزيل ، اسم المؤلف : أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي ، دار النشر : دار المعرفة - بيروت ، تحقيق : خالد عبد الرحمن العك .
٣١٢- معاني القرآن ، اسم المؤلف : أبو زكريا يحي بن زياد الفراء ، دار النشر : عالم الكتب – بيروت ، ١٤٠٣هـ الطبعة الثالثة.
٣١٣- معاني القرآن ، اسم المؤلف : علي بن حمزة الكسائي ، دار النشر : دار قباء – القاهرة ، ١٩٩٨م الطبعة الأولى ، تحقيق : د. عيسى شحاته عيسى.
٣١٤- معاني القرآن الكريم ، اسم المؤلف : أبو جعفر أحمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحاس المصري، دار النشر : جامعة أم القرى - مكة المرمة - ١٤٠٩ هـ، الطبعة الأولى ، تحقيق : محمد علي الصابوني .
٣١٥- معاني القرآن وإعرابه ، اسم المؤلف : أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج ، دار النشر : عالم الكتب – بيروت ، ١٤٠٨هـ الطبعة الأولى ، تحقيق : د. عبد الجليل عبده شلبي.
٣١٦- معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، اسم المؤلف : أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي ، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١١ هـ ، الطبعة : الأولى.
٣١٧- المعجم الأوسط ، اسم المؤلف : أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ، دار النشر : دار الحرمين - القاهرة – ١٤١٥هـ ، تحقيق : طارق بن عوض الله بن محمد ،عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني.
٣١٨- معجم ألفاظ العقيدة ، اسم المؤلف : عامر عبد الله فالح ، دار النشر : مكتبة العبيكان – الرياض ، ١٤١٧هـ الطبعة الأولى.

٣١٩- معجم البلاغة العربية ، اسم المؤلف : د. بدوي طبانة ، دار النشر : دار الرفاعي ـ الرياض ، ١٤٠٨هـ الطبعة الثالثة.
٣٢٠- المعجم الكبير ، اسم المؤلف : سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني ، دار النشر : مكتبة الزهراء - الموصل – ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م ، الطبعة : الثانية ، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي.
٣٢١- معجم المؤلفين ، اسم المؤلف : عمر رضا كحالة ، دار النشر : مؤسسة الرسالة – بيروت؛ ١٤١٤هـ الطبعة الأولى.
٣٢٢- المعجم الوسيط ، اسم المؤلف : إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار ، دار النشر : دار الدعوة ، تحقيق : مجمع اللغة العربية.
٣٢٣- معجم مقاييس اللغة ، اسم المؤلف : أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، دار النشر : دار الجيل - بيروت - لبنان - ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون.
٣٢٤- معرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث ومن الضعفاء وذكر مذاهبهم وأخبارهم، اسم المؤلف : أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي الكوفي نزيل طرابلس الغرب ، دار النشر : مكتبة الدار - المدينة المنورة - السعودية – ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥ م، الطبعة : الأولى ، تحقيق : عبد العليم عبد العظيم البستوي.
٣٢٥- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار ، اسم المؤلف : محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله ، دار النشر : مؤسسة الرسالة - بيروت – ١٤٠٤هـ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : بشار عواد معروف ، شعيب الأرناؤوط ، صالح مهدي عباس.
٣٢٦- المعرفة والتاريخ ، اسم المؤلف : أبو يوسف يعقوب بن سفيان الفسوي، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٩هـ الطبعة الأولى ، تحقيق : خليل المنصور.
٣٢٧- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، اسم المؤلف : جمال الدين ابن هشام الأنصاري ، دار النشر : دار الفكر - دمشق - ١٩٨٥م الطبعة : السادسة ، تحقيق : د . مازن المبارك ومحمد علي حمد الله.
٣٢٨- المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ، اسم المؤلف : عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد ، دار النشر : دار الفكر - بيروت - ١٤٠٥ هـ، الطبعة : الأولى.
٣٢٩- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ، اسم المؤلف : محمد بن أبي بكر

أيوب الزرعي أبو عبد الله ، دار النشر : دار الكتب العلمية – بيروت.
٣٣٠- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ، اسم المؤلف : أبو العباس أحمد بن عمر القرطبي ، دار النشر : دار ابن كثير ، دمشق - بيروت ، ١٤٢٠هـ الطبعة الثانية ، تحقيق : محيي الدين ديب مستو ، يوسف بديوي ، أحمد السيد ، محمود إبراهيم.
٣٣١- مقاصد الرعاية لحقوق الله عز وجل أو مختصر رعاية المحاسبي ، اسم المؤلف : سلطان العلماء عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي ، دار النشر : دار الفكر - دمشق - ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : إياد خالد الطباع.
٣٣٢- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، اسم المؤلف : علي بن إسماعيل الأشعري أبو الحسن ، دار النشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت ، الطبعة : الثالثة ، تحقيق : هلموت ريتر.
٣٣٣- المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد ، اسم المؤلف : الإمام برهان الدين إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد بن مفلح ، دار النشر : مكتبة الرشد - الرياض - السعودية - ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : د عبد الرحمن بن سليمان العثيمين.
٣٣٤- مناهل العرفان في علوم القرآن ، اسم المؤلف : محمد عبد العظيم الزرقاني ، دار النشر: دار الفكر - لبنان - ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م ، الطبعة : الأولى .
٣٣٥- المنتخب من مسند عبد بن حميد ، اسم المؤلف : عبد بن حميد بن نصر أبو محمد الكسي ، دار النشر : مكتبة السنة - القاهرة – ١٤٠٨هـ - الطبعة الأولى ، تحقيق: صبحي البدري السامرائي و محمود محمد خليل الصعيدي.
٣٣٦- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، اسم المؤلف : عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أبو الفرج ، دار النشر : دار صادر - بيروت – ١٣٥٨هـ الطبعة : الأولى.
٣٣٧- المنتقى من السنن المسندة ، اسم المؤلف : عبد الله بن علي بن الجارود أبو محمد النيسابوري ، دار النشر : مؤسسة الكتاب الثقافية - بيروت – ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : عبدالله عمر البارودي.
٣٣٨- الموافقات في أصول الفقه ، اسم المؤلف : إبراهيم بن موسى اللخمي الشاطبي الغرناطي المالكي ، دار النشر : دار المعرفة - بيروت ، تحقيق : عبد الله دراز.
٣٣٩- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ، اسم المؤلف : د. محمد بن مانع الجهني ، دار النشر : دار الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، ١٤١٨هـ الطبعة الثالثة.
٣٤٠- موسوعة نضرة النعيم ، اسم المؤلف : مجموعة من المختصين ، دار النشر : دار

الوسيلة – جدة ، ١٤٢٥هـ الطبعة الثانية ، إشراف : د. صالح بن حميد و عبد الرحمن بن ملوح .
٣٤١- موطأ الإمام مالك ، اسم المؤلف : مالك بن أنس أبو عبدالله الأصبحي ، دار النشر : دار إحياء التراث العربي بمصر ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي.
٣٤٢- ميزان الأصول في نتائج العقول ، اسم المؤلف : علاء الدين أبو بكر محمد بن أحمد السمرقندي ، دار النشر : وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، ١٤١٨هـ الطبعة الثانية ، تحقيق : د.محمد زكي عبد البر.
٣٤٣- ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، اسم المؤلف : شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي ، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٩٥ م، الطبعة : الأولى ، تحقيق : الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبدالموجود.
٣٤٤- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر ، اسم المؤلف : أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي ، دار النشر : مؤسسة الرسالة - بيروت ، ١٤٠٤هـ الطبعة الأولى ، تحقيق : محمد عبد الكريم الراضي.
٣٤٥- نزهة الألباب في الألقاب ، اسم المؤلف : أحمد بن علي بن محمد المشهور بابن حجر العسقلاني ، دار النشر : مكتبة الرشد - الرياض - ١٤٠٩هـ -١٩٨٩م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : عبد العزيز محمد بن صالح السديري.
٣٤٦- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، اسم المؤلف : برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي ، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م ، تحقيق : عبد الرزاق غالب المهدي .
٣٤٧- نكت القرآن ، اسم المؤلف : محمد بن علي القصاب ، دار النشر : دار ابن القيم _ القاهرة ، ١٤٢٤هـ الطبعة الأولى ، تحقيق : إبراهيم بن منصور الجنيدل.
٣٤٨- النكت والعيون ، اسم المؤلف : أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري ، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان ، تحقيق : السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم .
٣٤٩- النهاية في غريب الحديث والأثر ، اسم المؤلف : أبوالسعادات المبارك بن محمد الجزري ، دار النشر : المكتبة العلمية - بيروت - ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ، تحقيق : طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي.
٣٥٠- نوادر الأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، اسم المؤلف : محمد بن علي بن الحسن أبو عبد الله الحكيم الترمذي ، دار النشر : دار الجيل - بيروت -

١٩٩٢م ، تحقيق : عبد الرحمن عميرة.
٣٥١- هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، اسم المؤلف: إسماعيل باشا البغدادي ، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت – ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م، الطبعة الأولى.
٣٥٢- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، اسم المؤلف : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، دار النشر : المكتبة التوفيقية - مصر ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي.
٣٥٣- الهوامل والشوامل سؤالات أبي حيان التوحيدي لأبي علي مسكويه ، اسم المؤلف : أبو علي مسكويه أحمد بن محمد بن يعقوب الرازي الأصبهاني ، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ١٤٢٢هـ الطبعة : الأولى ، تحقيق : سيد كسروي.
٣٥٤- الوابل الصيب من الكلم الطيب ، اسم المؤلف : أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، دار النشر: دار الكتاب العربي- بيروت – ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : محمد عبد الرحمن عوض.
٣٥٥- الواضح في أصول الفقه ، اسم المؤلف : أبو الوفاء علي بن عقيل الحنبلي ، دار النشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، ١٤٢٠هـ الطبعة الأولى، تحقيق : د. عبدالله بن عبد المحسن التركي.
٣٥٦- الوافي بالوفيات ، اسم المؤلف : صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ، دار النشر : دار إحياء التراث - بيروت - ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م ، تحقيق : أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى.
٣٥٧- الوافي في اللغة ، اسم المؤلف : عبد الله البستاني ، دار النشر : مكتبة لبنان –ساحة رياض الصلح ، ١٩٨٠م الطبعة الأولى.
٣٥٨- الوجل والتوثق بالعمل ، اسم المؤلف : أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي ، دار النشر : دار الوطن - الرياض ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، الطبعة : الأولى ، تحقيق : مشهور حسن آل سلمان.
٣٥٩- الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ، اسم المؤلف : أبو عبد الله الحسين بن محمد الدامغاني ، دار النشر : مكتبة الفارابي – دمشق ، ١٤١٩هـ الطبعة الأولى ، تحقيق: فاطمة يوسف الخيمي.
٣٦٠- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، اسم المؤلف : أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري ، دار النشر : دار القلم ، الدار الشامية – دمشق ، بيروت -

١٤١٥ هـ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : صفوان عدنان داوودي.
٣٦١- الورع ، اسم المؤلف : أبو بكر أحمد بن محمد بن الحجاج المروزي ، دار النشر : دار الصميعي - الرياض - السعودية - ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م ، الطبعة الأولى ، تحقيق : سمير بن أمين الزهيري.
٣٦٢- الوسيط في تفسير القرآن المجيد ، اسم المؤلف : أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري ، دار النشر : دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود ، علي محمد معوض ، أحمد محمد صيرة ، أحمد عبد الغني الجمل .
٣٦٣- وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان ، اسم المؤلف : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان ، دار النشر : دار الثقافة - لبنان ، تحقيق : إحسان عباس.

* * *

فهرس الموضوعات

الموضـــوع	الصفحة
المقدمة	١
أهمية البحث وأسباب اختياره	٢
الدراسات السابقة	٤
خطة البحث	٦
المنهج في كتابة البحث	١٢
شكر وتقدير	١٤
التمهيد: وفيه بيان منـزلة الخشية والرجاء عند الله عز وجل	١٥
الباب الأول : الخشية في القرآن الكريم	١٨
الفصل الأول: معاني الخشية	١٩
المبحث الأول : تعريف الخشية لغة واصطلاحاً	٢٠
المبحث الثاني: الوجوه والنظائر لكلمة الخشية في القرآن الكريم	٢٢
- تعريف الوجوه والنظائر لغة واصطلاحاً	٢٢
١- العبادة	٢٤
٢- العلم	٢٥
٣- الحياء	٢٦
٤- الحذر والتوقّي	٢٨
٥- العذاب	٢٩
٦- الكراهية	٢٩
٧- الخوف	٣٠
المبحث الثالث: الفروق اللغوية بين الخشية وبين بعض المعاني الشبيهة بها	٣٤
المطلب الأول: الفرق بين الخشية والخوف	٣٤
المطلب الثاني: الفرق بين الخشية والوجل	٣٨
المطلب الثالث: الفرق بين الخشية والرهبة	٣٩

الموضـــوع	الصفحة
المطلب الرابع: الفرق بين الخشية والإشفاق	٤٠
المطلب الخامس : الفرق بين الخشية والخوف الفطري	٤١
المبحث الرابع: الصيغ التي يستفاد منها الأمر بالخشية	٤٣
النوع الأول : الأمر الصريح	٤٣
النوع الثاني : الفعل المضارع المجزوم بلام الأمر	٤٥
النوع الثالث : الاستفهام بمعنى النهي	٤٦
النوع الرابع : الآيات التي فيها المدح والثناء على الخشية وأهلها	٤٦
الفصل الثاني: المتصفون بالخشية في القرآن الكريم	٤٧
المبحث الأول: الملائكة الكرام عليهم الصلاة والسلام	٤٨
المبحث الثاني: الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام	٥١
المبحث الثالث: الصحابة رضوان الله عليهم	٥٤
المبحث الرابع: الصالحون من عباد الله	٥٩
الفصل الثالث: أنواع الخشية في القرآن الكريم	٦٥
المبحث الأول: الخشية المأمور بها	٦٦
المطلب الأول: الخشية من الله تعالى	٦٦
المطلب الثاني: الخشية من عذاب الله	٧٠
المطلب الثالث: الخشية من رد العمل على صاحبه وعدم قبوله	٧٦
المطلب الرابع: خشية غير العاقل لله عز وجل	٨٠
المبحث الثاني: الخشية المذمومة	٨٥
المطلب الأول: خشية المشركين من غير الله عز وجل	٨٥
المطلب الثاني: خشية المنافقين من غير الله عز وجل	٨٧
الفصل الرابع: الأسباب الباعثة على الخشية من الله تعالى	٩٢
المبحث الأول: تقوى الله عز وجل	٩٣
المبحث الثاني: دعاء الله عز وجل	٩٦
المبحث الثالث: طلب العلم الشرعي	٩٩
المبحث الرابع: العلم بأسماء الله وصفاته والتأمل في معانيها	١٠٢

الموضـــوع	الصفحة
المبحث الخامس: التذكر لأهوال يوم القيامة	١٠٦
المبحث السادس: التفكر في كون الخشية عبادة لله تعالى	١٠٩
الفصل الخامس: آثار خشية الله تعالى	١١١
المبحث الأول: البعد عن الوقوع في المعاصي	١١٢
المبحث الثاني: نزول السكينة والطمأنينة على القلب	١١٥
المبحث الثالث: الانتفاع بالمواعظ والتذكير والعبر	١١٨
المبحث الرابع: البكاء ودمع العين	١٢١
المبحث الخامس: ظهور السمت والوقار على هيئة العبد	١٢٥
المبحث السادس : وجل القلب عند ذكر الله عز وجل	١٢٨
المبحث السابع : قشعريرة الجلد	١٣١
الفصل السادس: ثواب الخشية من الله	١٣٤
المبحث الأول: الهداية إلى الصراط المستقيم	١٣٥
المبحث الثاني: الفوز التام في الدارين	١٣٨
المبحث الثالث: المغفرة والأجر الكبير	١٤١
المبحث الرابع: نيل رضى الله عز وجل	١٤٦
المبحث الخامس: الأمن في الدارين	١٤٩
الفصل السابع: آثار ضعف الخشية من الله عز وجل وزوالها	١٥٤
المبحث الأول: الوقوع في الشرك	١٥٥
المبحث الثاني: الأمن من مكر الله عز وجل	١٥٩
المبحث الثالث: الطغيان والفساد في الأرض	١٦٢
المبحث الرابع: ضعف الأمن والاهتداء في الدنيا والآخرة	١٦٥
الباب الثاني: الرجاء في القرآن الكريم ، وفيه ستة فصول:	١٦٩
الفصل الأول: الرجاء معناه وأقسامه	١٧٠
المبحث الأول: تعريف الرجاء لغة واصطلاحاً	١٧١
المبحث الثاني: الوجوه والنظائر لكلمة الرجاء في القرآن	١٧٣
الوجه الأول : الخشية والخوف	١٧٣

الموضـــوع	الصفحة
الوجه الثاني : العلم	١٧٥
الوجه الثالث : الطمع	١٧٦
الوجه الرابع : عدم المبالاة بالشيء	١٧٩
الوجه الخامس : ترقّب حصول الخير والثواب	١٨٠
الوجه السادس : الترك والتأخير	١٨١
الوجه السابع : ناحية الشيء	١٨٣
المبحث الثالث: الفروق بين الرجاء وبعض المعاني الشبيهة به	١٨٥
المطلب الأول: الفرق بين الرجاء والتمني	١٨٥
المطلب الثاني: الفرق بين الرجاء والطمع	١٨٧
المطلب الثالث: الفرق بين الرجاء والأمل	١٨٩
المبحث الرابع: حروف الرجاء في القرآن الكريم (عسى ، لعل)	١٩١
أولاً : (عسى) معناها وحكمها	١٩١
- معاني (عسى) في القرآن الكريم	١٩٢
- هل تفيد (عسى) الوجوب على الإطلاق أم بالتقييد	١٩٤
- القول الراجح في نظري مع الإجابة على ما أشكل في بعض الآيات	١٩٧
- معنى قولهم (عسى من الله واجبة)	٢٠٠
- حكم (عسى) إذا كانت مضافة إلى الرسول أو النبي في القرآن الكريم	٢٠٠
ثانياً : (لعل) معناها وحكمها	٢٠١
- معاني (لعل)	٢٠١
- حكم (لعل) إذا كانت مسندة إلى الله تعالى	٢٠٣
- الإجابة على ما أشكل من الآيات في حكمها	٢٠٤
- القول الراجح في نظري في حكم (لعل) إذا كانت مسندة إلى الله تعالى	٢٠٥
المبحث الخامس: الصيغ التي يستفاد منها الأمر بالرجاء	٢٠٨
المبحث السادس: أقسام الرجاء	٢١٤
المطلب الأول: الرجاء الصادق وعلاماته	٢١٤
المطلب الثاني: الرجاء الكاذب وعلاماته	٢١٦
الفصل الثاني : أنواع الرجاء في القرآن الكريم، وفيه أربعة مباحث:	٢٢٠

الموضـــوع	الصفحة
المبحث الأول: الرجاء المأمور به	**٢٢١**
المطلب الأول: الرجاء في رحمة الله تعالى	**٢٢٢**
المطلب الثاني: الرجاء في الثواب والأجر من الله تعالى	**٢٢٧**
المطلب الثالث: الرجاء في لقاء الله تعالى	**٢٣٠**
المطلب الرابع: الرجاء في اليوم الآخر	**٢٣٤**
المطلب الخامس: الرجاء في المغفرة	**٢٣٧**
المطب السادس: الرجاء في النصر على الأعداء	**٢٤٣**
المطلب السابع: الرجاء في الهداية إلى الرشد	**٢٤٨**
المطلب الثامن: رجاء الفرج من الله في كشف الكروب	**٢٥٢**
المطلب التاسع: الرجاء في قبول الدعاء من الله عز وجل	**٢٥٧**
المطلب العاشر: الرجاء في حسن الخاتمة	**٢٦٣**
المطلب الحادي عشر: الرجاء في نعيم القبر	**٢٦٧**
المطلب الثاني عشر: الرجاء في النجاة من أهوال يوم القيامة	**٢٧٠**
المطلب الثالث عشر: الرجاء في دخول الجنة	**٢٧٣**
المبحث الثاني: الرجاء المذموم	**٢٧٨**
المطلب الأول : رجاء المشركين لغير الله عز وجل	**٢٧٨**
المطلب الثاني: رجاء المنافقين لغير الله عز وجل	**٢٨١**
المبحث الثالث: الرجاء المباح	**٢٨٥**
المبحث الرابع: أرجى آية في القرآن الكريم	**٢٨٩**
الفصل الثالث: الأسباب الباعثة على الرجاء ، وفيه سبعة مباحث :	**٣٠٩**
المبحث الأول: تحقيق التوحيد	**٣١٠**
المبحث الثاني: تذكر سعة رحمة الله تعالى بعباده	**٣١٥**
المبحث الثالث: العلم بأسماء الله الحسنى وصفاته العلى	**٣٢٠**
المبحث الرابع: التفكر في كون الرجاء عبادة لله تعالى	**٣٢٦**
المبحث الخامس: الأعمال الصالحة	**٣٢٩**
المبحث السادس: التأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم	**٣٣٢**
المبحث السابع: فتح باب الأمل والتوبة إلى الله تعالى	**٣٣٥**

الموضـــوع	الصفحة
الفصل الرابع: آثار الرجاء	٣٣٩
المبحث الأول: آثار الرجاء في الدنيا	٣٤٠
المطلب الأول: محبة الله عز وجل للعبد	٣٤١
المطلب الثاني: دوام تعلق القلب بالله تعالى	٣٤٤
المطلب الثالث: إظهار العبودية لله والافتقار إليه	٣٤٧
المطلب الرابع: سبب غفران الذنوب	٣٥١
المطلب الخامس: تحقق المطالب العالية في الدنيا والآخرة	٣٥٤
المطلب السادس: المسارعة إلى فعل الطاعات	٣٥٨
المطلب السابع: المبادرة إلى الهجرة والجهاد في سبيل الله	٣٦١
المطلب الثامن: أثره في العلاج السلوكي (الطب النفسي)	٣٦٥
المبحث الثاني: آثار الرجاء في الآخرة	٣٦٩
المطلب الأول: الأمن من الفزع الأكبر	٣٦٩
المطلب الثاني: تحقق حسن ظن العبد بربه	٣٧٢
المطلب الثالث: دخول الجنة والنجاة من النار	٣٧٥
الفصل الخامس: آثار ضعف الرجاء في الدنيا والآخرة وزواله ، وفيه سبعة مباحث:	٣٧٨
المبحث الأول: الغفلة عن الله تعالى والركون إلى الدنيا	٣٧٩
المبحث الثاني: اليأس والقنوط من رحمة الله تعالى	٣٨٢
المبحث الثالث: الاستخفاف بالقرآن الكريم والجهل	٣٨٦
المبحث الرابع: الاستكبار والجهل بسوء العاقبة والمصير	٣٩٠
المبحث الخامس: عدم الانتفاع بالمواعظ والتذكير والاعتبار	٣٩٧
المبحث السادس: الوقوع في الطغيان	٤٠١
المبحث السابع: دخول النار	٤٠٤
الفصل السادس: تلازم الخشية والرجاء وأحوال العبد في الجمع بينهما، وفيه مبحثان :	٤٠٨
المبحث الأول: تلازم الخشية والرجاء في القرآن الكريم	٤٠٩
المبحث الثاني: أحوال العبد في الجمع بين الخشية والرجاء	٤١٤

الموضـــوع	الصفحة
الخاتمة	٤١٩
ملخص الرسالة	٤٢٣
ملخص الرسالة باللغة الإنجليزية	٤٢٧
الفهارس	٤٣٢
فهرس الآيات	٤٣٣
فهرس الأحاديث	٤٦٩
فهرس الآثار	٤٧٤
فهرس الأعلام المترجم لهم	٤٧٨
فهرس أبيات الشعر	٤٨٢
فهرس المصادر والمراجع	٤٨٣
الموضوعات	٥١٧

❊ ❊ ❊